التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية

مظاهر حضور التصوف المغربي وتأثيراته

تأليف
الدكتور عزيز الكبيطي إدريسي

1-2

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت . لبنان

الكتاب : التصوف الإسلامي
في الولايات المتحدة الأمريكية

Title : AT-TASAWWUF AL-ISLAMI FI AL-WILAYAT AL-MUTTAHIDA AL-AMRIKIYYA

ISLAMIC SUFISM IN THE UNITED STATES OF AMERICA

التصنيف : دراسات تاريخية صوفية

Classification: Historical Sufi Studies

المؤلف : د. عزيز الكبيطي إدريسي

Author : Dr. Aziz Al-Kobaiti Idrissi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (2 parts in 1 Volume) 464 عدد الصفحات (جزءان في مجلد واحد)
Size 17x24 cm قياس الصفحات
Year 2013 A.D. - 1434 H. سنة الطباعة
Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st الطبعة : الأولى

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbeh,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12

ISBN-13: 978-2-7451-7873-2
ISBN-10: 2-7451-7873-3

إهـــداء

الخلاص في الحب المطلق،
فإليك يهيم قلبي،
وفيك تشتد حيرتي...
أمل أنت

تمهيد
بقلم الباحثة الأمريكية مارسيا هيرمانسن
(Marcia Hermansen)

في الحقيقة، لقد سعدت جدا بالإشراف على مثل هذا العمل الممتاز والمساهمة الفريدة في العلاقات المغربية الأمريكية.. والذي نال به صاحبه درجة الدكتوراه في الفكر الإسلامي والتصوف بميزة مشرف جدا مع تنويه اللجنة المنَاقِشَة.

والآن سأعرض بعض ملاحظاتي حول هذا العمل المعنون ب: "التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية: مظاهر حضور التصوف المغربي وتأثيراته"، بدأ السيد عزيز الكبيطي إدريسي العمل في هذه الأطروحة منذ سنة 2007م بعد استكماله بحث الماستر الموسوم ب: "التصوف الإسلامي في الغرب" مع تركيز خاص على بريطانيا، وأخص على الطريقة الحبيبية الدرقاوية. ويُعَدُّ هذا العمل استمرارا في مشروعه البحثي من خلال دراسة الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة، وتتبع الطرق الصوفية على التراب الأمريكي، لاسيما التأثيرات الصوفية المغربية من خلال الأنشطة المختلفة للطرق الرئيسة، وعبر كتابات رجال التصوف المغاربة كأحمد زروق والشيخ الجزولي، أو عبر الأعمال الأكاديمية المنجزة من طرف الباحثين الأمريكيين حول التصوف المغربي.

لقد عرفت عزيز الكبيطي إدريسي وعملت معه منذ صيف 2008م، عندما بدأ المرحلة الأمريكية من رحلة بحثه، والتي كانت ممولة من طرف

أميديست وبواسطة منحة فولبرايت التي مكنت الباحث من القيام بمجموعة من الزيارات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

أريد أن أضيف معلقة بأن عزيز الكبيطي إدريسي هو باحث مجتهد ومدقق ومركز، وهو يملك ذوق وصفاء المؤرخين في جمع المعلومات على اختلاف لغاتها وأجناسها، ثم التغلغل فيها لتشكيل حكايات مقنعة ومعقولة عن وقائع هامة حدثت في زمن مُعيَّن.

أمريكا هي قارة شاسعة، نسخة مصغرة من العالم، وهي المكان الذي تعتنق فيه العديد من الأقليات الإثنية أنماطا معينة من التصوف الإسلامي؛ لقد غاص عزيز في هذا المحيط وقام ببحث ميداني في مناطق شيكاغو، وأيضا في الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية في مدن كفيلاديلفيا ونيويورك، وذلك ليختبر الممارسات الصوفية لكل الطرق المنتشرة حاليا في أمريكا، وأيضا ليجمع بشكل شخصي تاريخ التصوف في أمريكا من رواد التصوف أنفسهم كنور الدين دوركي، وعبد الحي مور، وعمر فاروق عبد الله وغيرهم..

ومن أجل أن ندرك السياق الأمريكي لبحثه، درس عزيز الإسلام في أمريكا بما فيها الحركات الأفرو-أمريكية، حيث ظهرت في العشرينات من القرن الماضي حركة: "معبد العلم المغربي" التي أظهرت إشارات لانتمائها الرمزي إلى المغرب. كما انتبه الباحث إلى أن دراسة الإسلام في أمريكا لا يمكنه أن يتم بمعزل عن دراسة المسلمين في الغرب بفعل توسع حركة الأفراد، وبفعل امتداد الإنترنيت عبر العالم، حيث ضمت دراسته أيضا مقاربات ووجهات نظر مقارنة بين التصوف في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

قَدَّم الباحث في هذه الدراسة التي تزيد عن 400 صفحة نتائجه في

عدة إطارات متشابكة، ومن أهم هذه النتائج أذكر على سبيل المثال: قيامه أولا بقراءة نقدية لتاريخ الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية. وتخصيصه ثانيا لمبحث هام درس فيه الأهمية السياسية والاجتماعية للتصوف في العالم الإسلامي منذ قرون خلت وإلى اليوم. وهناك إطار ثالث آخر لا يخلو من راهنية هو ارتباط التصوف بتيار العولمة، والتي أقصد بها تلك التطورات المحيطة بامتداد التصوف إلى أمريكا، وما يصاحبه من حركات إصلاحية.

بعد ذلك، انتقل عزيز الكبيطي إدريسي في مئات من الصفحات إلى استكشاف الكثير من التأثيرات الصوفية الإسلامية في الغرب، وما ينبغي أن أقوله في هذه النقطة أنه لا يوجد ولو حيز بسيط في الدراسات الإنجليزية، ولا الغربية بشكل عام لهذه المعلومات... على الرغم من وجود الكثير من الأبحاث التي تناولت تاريخ هذه الحركات الصوفية إلا أنها تفتقد إلى ذلك البعد الواضح وتلك التفاصيل الدقيقة التي وصلها الباحث، فعلى سبيل المثال، حينما بدأ في بحث حضور الطرق الصوفية في أمريكا انطلق من تصنيف هذه الطرق بحسب مرجعياتها وأصولها، وهو الأمر الذي لم ينتبه إليه أي باحث غربي أو عربي قبله..

و لكن العنصر الأكثر أهمية في بحث عزيز الكبيطي كان هو تقصيه للحضور الصوفي المغربي وتأثيراته على التراب الأمريكي؛ إذ أن عمله يعتبر أول بحث أكاديمي جامع ومُفَسِّر لتاريخ هذه الطرق الصوفية في الولايات المتحدة، بل الأكثر من ذلك قَدَّم الباحث تحليلا سوسيوتاريخيا لذلك التغير الذي خلفه انتقال هذه الطرق إلى الغرب، ومنها: المساهمة في الحقل الأكاديمي الغربي، والزعامة النسائية لبعض هذه الطرق الصوفية.

هناك بعد آخر لهذه الأطروحة ناقشه الباحث في تفصيله الحديث عَـمَّا

خلفه التصوف المغربي من تأثير على فن الرحلة والاهتداء، وعلى الأدب والموسيقى الأمريكيين بشكل عام. كما نظر السيد الكبيطي عزيز أيضا في كيفية استعمال الأمريكيين المتصوفة للكتابات الصوفية المغربية، ككتابات أحمد زروق والشيخ الجزولي.

إنَّ هذه الدراسة هي مساهمة أصيلة لمعرفة التصوف في أمريكا، ولا يوجد هناك أي عمل موسع أو شامل يضاهي هذا العمل باللغة الإنجليزية، وبالتأكيد لا يوجد مثله في أي لغة أخرى إلى يومنا هذا؛ فبالنسبة لقراء العربية تقدم هذه الأطروحة الرؤية الأشمل حول التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، أما بالنسبة للجمهور المغربي فإنَّها تمثل الاستطلاع الأوسع والأكثر استيعابا للتيارات الدينية الصوفية المغربية المرتبطة بالولايات المتحدة الأمريكية.

ولعلَّ من بين إحدى المساهمات الغنية لهذه الدراسة أيضا هو بيبليوغرافيتها المهمة التي تجمع بين أنواع من المصادر المختلفة اللغة والنوع، والتي تتوزع بين الكتب والدواوين والمواقع الإلكترونية والحوارات وغيرها..والتي ستكون كنزا للمؤرخين الذين سيشتغلون على هذه المنطقة.

أريد أن أختم بأن هذه الأطروحة هي عمل متميز تستحق بالتأكيد النشر باللغة العربية، وآمل أن تتم ترجمة بعض أجزائها إلى اللغات الغربية حتى يطلع عليها جمهور أوسع وتنال حظها من الانتشار الذي تستحقه.

والسلام عليكم

د. مارسيا هيرمانسن (Marcia Hermansen)

أستاذة التعليم العالي

ومديرة برنامج دراسات العالم الإسلامي

بجامعة لويولا شيكاغو الأمريكية.

تقديم

بقلم الباحث الفرنسي إيريك جوفروا (Eric Geoffroy)

"أرض المغرب الأقصى تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ"، هكذا تحدث ابن قنفذ، كاتب سير الأولياء في القرن 08 هـ/ 14م، هذه الشهادة غالبا ما تتردد، وعلى الخصوص بقلم عزيز الكبيطي إدريسي، لتعزز بذلك ارتباط أرض المغرب بالأولياء المسلمين وبالتصوف.

يتطرق هذا الكتاب، بشكل عام، لامتداد التصوف الإسلامي وتأثيره داخل الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما التصوف المغربي، وهنا تكمن إحدى مفارقات العولمة التي تعمل على بعث طاقة أصيلة وتراث روحي عتيق لجعلهما في خدمة "عالم جديد" يتموقع على بعد آلاف الكيلومترات، والذي يُفترض أن يكون تربة للمادية الحديثة! فإذا كان تأثير الحضارة الإسلامية وروحانيتها على أوروبا القرون الوسطى والحديثة جليَّ الوضوح - حتى وإن لم يرق هذا لبعض المنكرين، خاصة في فرنسا-، فلا يفترض مسبقا أن تكون أمريكا الشمالية أسرع وأوسع انفتاحا لقبول حضور التصوف كما هو حالها اليوم، ولأدَّل على ذلك من كون الصوفي جلال الدين الرومي (ت.1273م) هو الشاعر الأكثر مقروئية من طرف مختلف الفئات في الولايات المتحدة الأمريكية.

في البداية، يؤكد عزيز الكبيطي إدريسي حقيقة أن التصوف هو أحد البواعث الأساسية لاعتناق الإسلام بالولايات المتحدة، وكما نعلم فإن هذا الأمر ينطبق أيضا على القارة العجوز. في نفس السياق، يركز الباحث حتما على شخصيات أوروبية ذات أهمية كبرى، كالفرنسي ريني غينو،

والسويسري فريثجوف شيوون، قصد معرفة المشهد الصوفي المعاصر، خاصة في الغرب.

قبل أن يتناول بالتحليل الطرق الصوفية في أمريكا، دحض الباحث تلك الأطروحة المتداولة في الأوساط الإسلامية، لاسيما السلفية والوهابية منها، والتي تنظر إلى التصوف باعتباره "بدعة" خطيرة، بل و"هرطقة" لكونه يحظى بتشجيع الغرب بغية إضعاف الإسلام والقضاء عليه. هذه الأطروحة تجسد نظرية أخرى للمؤامرة...لأن هؤلاء الناس يجهلون حقا، أو يتجاهلون، مركزية التصوف في تاريخ الإسلام وعقيدته.

ومن الأهمية الكشف أيضا أن هناك هجوما معكوسا في "المعسكر الغربي" لأن الصوفية في نظر عدد من المتخوفين من الإسلام بمثابة فيروس"حصان طروادة" الذي يتيح لهذا الدين أن ينفذ بمكر إلى أوروبا. وواقع الأمر، أن الصوفية تستقطب الكثير من الغربيين إلى الإسلام بفعل انفتاحيتها وكونيتها. غير أنها في الحقيقة تخفي ضمن طياتها ذلك الإسلام العقائدي والشعائري[(1)] الذي تُـرَكِّـز على وصفه لنا بعض وسائل الإعلام الغربية تخوُّفًا. وقد كنت شخصيا موضوعا لهجومات من هذا القبيل.

بعد ذلك، يعرض عزيز الكبيطي إدريسي مختلف أصناف الطرق الصوفية الأمريكية، كما كشف عنها كتاب أكاديميون، حيث توجد تشكيلة متنوعة تمتد من التصوف الأكثر محافظة إلى أشكال تكاد تخرج كليا عن الضوابط الإسلامية. كما يبرز ، عن حق، كيف أن بعض الأحكام عن الصوفية هي اختزالية وتتوافق مع تلك الصور النمطية التي نسمعها تتكرر

---

(1) الملتزم عقديا وشعائريا، لأن بعض الرؤى في الغرب ترى أن التصوف نجح في استقطاب الغربيين بفعل رؤيته الإنسانية الكونية، وليس بوصفه مقام الإحسان الذي ينصاع كليا لتعاليم الشريعة الإسلامية، ولا يحيد عنها قيد أنملة.

باستمرار؛ فتارة تنعت الصوفية بكونها دينا متمايزا عن الإسلام، وتعتبر تارة أخرى تعبيرا "شعبيا" للإسلام (في صورة ارتباطه بالشرفاء والأضرحة.. مثلا)، وحينا آخر قد تُدمج في حركات العهد الجديد[1]..إلخ. صحيح أن هذا الاتجاه الأخير ليس غائبا عن التصوف الأنجلوأمريكي، بينما في فرنسا كان لريني غينو دور المُخَلِّص في التدليل على أنه لا يمكن أن نتخذ مسلكا روحيا أصيلا دون الانخراط في إحدى الديانات البشرية المعترف بها.

أما فيما يخص تأريخ الحضور الصوفي في الولايات المتحدة الأمريكية، فأكَّد الباحث مراراً وتكراراً على تلك المرحلة الأولية المنسية من قبل المؤرخين، والمتمثلة في تجارة الرقيق الأفارقة نحو أمريكا، والذين كان معظمهم من المسلمين الذين أُخِذوا عنوة من دول كانت وثيقة الصلة بالمغرب، مثل: السنغال، مالي وموريتانيا... كما ألحَّ الكاتب، بشكل خاص، على الأصل الإفريقي للبلوز ، والروابط المعاصرة للموسيقيين الأمريكيين، ورثة البلوز مع الصوفية.

أتيحت الفرصة لعزيز الكبيطي إدريسي لإجراء عدة أبحاث ميدانية بالولايات المتحدة، واللقاء مع أبرز ممثلي التصوف الأمريكي، ومن ثمة فإن عرضه للطرق الصوفية الرئيسة ليس فقط نتيجة معرفة كُتُبِيَة، ولكن أيضا نتيجة مقاربات ذاتية مشخصنة، واحتكاك شخصي مع بعض من أولئك المشايخ ورواد التصوف الأمريكيين. بعض تلك الطرق هي في الآن ذاته

(1) مصطلح "عهد جديد New Age "يُطلَق كوصف على مجموعة واسعة من الحركات شبه-الدينية الروحانية التي ظهرت في أواخر القرن العشرين ضمن إطار الثقافة الغربية، يتميز هذا المنحى الجديد من الحركات بنوع من المقاربة الفردية للقضايا الروحية. يعزو الكثير من الباحثين ظهور هذه الحركات إلى نوع من اليأس والإحباط تجاه الهيمنة المادية التي تعيشها الحضارة الغربية والتي فشلت في تأمين السعادة للإنسان.

أوروبية وأمريكية، أو أوروبية الأصل (كالعلوية المريمية لفريثجوف شيوون)، وبعضها الآخر أمريكية خالصة، وإن انحدرت من العالم العربي، وبخاصة من المغرب.

من الجدير بالملاحظة هنا، أنني لا أعتقد، كما ذهب الباحث، أن تلك الأعداد المهمة من النساء الأمريكيات اللائي يتولين منصب "المرشد الروحي" هي ظاهرة أمريكية محضة، لأننا نلحظ هذا التوجه كذلك في عدة دول إسلامية، مثل: تركيا، لبنان، تونس، إيران، الهند...

يتوقف المُؤَلِّف أيضا، بحكم ميولاته الخاصة، عند بعض الطرق والشخصيات الصوفية أكثر من غيرها، فعلى سبيل المثال: يُركِّز على البودشيشية التي يعرفها جيدا، أو حتى عبد القادر الصوفي، الذي انحسر بشكل واضح تأثيره الواسع والمتعدد الأوجه الذي كان له من قبل في الولايات المتحدة. وأيضا حمزة يوسف ومشروعه الإصلاحي الشامل، الروحي بالدرجة الأولى، والذي يهدف إلى إحياء تعاليم الشيخ المغربي أحمد زروق (ق.15م) كنموذج جيد لنقل التصوف المغربي الأصيل إلى أمريكا المعاصرة. كما سعى المُؤَلِّف كذلك إلى إبراز المظاهر الروحية والفنية للشاعر الأمريكي دانيال مور الذي له ارتباط وطيد بالمغرب.

إن تقديم الطرق الصوفية الأمريكية قد لا يكفي على اعتبار أن التصوف لا يمكن اختزاله في ظاهرة "الطرقية" أو "الزوايا" التي نشأت حوالي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. لأن هذا النوع الهيكلي للتصوف كان رعائيا لفترة طويلة، ولكنه يُقَدِّم اليوم بشكل خاص عدة نواقص تطرقت لها في مواضع أخرى. فأمام التحديات والهجمات التي تستهدف الإسلام، يتعين على الطرق الصوفية أن تتعاون أكثر، وأن تترك جانبا الدعوة والمنافسة التي تمس بعض الأوساط الطرقية. إننا في الواقع، برأيي، منخرطون مسبقا في مرحلة

جديدة للتصوف، أعتبرها "ما بعد الطريقة".

عرف عزيز الكبيطي، لحسن الحظ وكلما كان ضروريا، كيف يتخطى إطار "الزاوية" لمعالجة الإشعاع الفكري، والثقافي، والفني، وحتى العلاجي الطبي للتصوف في أمريكا. وعلى سبيل المثال، يُسَخَّرُ الحقل الروحي "للسماع" الصوفي كطب حقيقي للقلوب لدى الكثير من الغربيين، بينما هم في الغالب لا يعرفون كثيرا عن عقيدة التصوف.

يعتقد عزيز الكبيطي إدريسي، مثلي، أن التصوف من شأنه أن يجعل نفسية المسلمين خاصة، والإنسان بصفة عامة، أكثر مرونة وانسيابية. هذه الطاقة المنفتحة والمتاحة للآخر، والتي تسكن معظم أهل التصوف، هي التي تُفَسِّر، كما ذهب إلى ذلك المُؤَلِّف، التلقي الإيجابي للتصوف في أمريكا. بيد أن أحداث 11 شتنبر 2001م دفعت في الواقع المتصوفة للظهور أكثر على الساحة السياسية الغربية لإبراز الحيوية الخاصة بروحانيتهم، وللتدخل بشكل مباشر في حقل الإصلاح الديني، بل الأكثر من ذلك إصلاح المجتمع البشري ككل.

إن المساهمة النظرية والعملية للتصوف، في الغرب، من أجل إيجاد حلول للمشاكل المتعلقة بمعنى الحياة والأخلاق والبيئة خصوصا، هي مواضيع المستقبل، ونرجح أن يكون التصوف الإسلامي في أمريكا، بفضل ميراثه الروحي المغربي، قادرا على اقتراح حلول منقذة للبشرية.

إيريك جوفروا (Eric Geoffroy)

أستاذ التعليم العالي بجامعة استراسبورغ

الجامعة المفتوحة لكاتالونيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

تدخل هذه الأطروحة ضمن مشروع أكاديمي أتوخى من خلاله تتبع الأثر الصوفي المغربي في البلاد الأنجلوساكسونية، وكان إعلان انطلاقة هذا المشروع مع بحث دبلوم الدراسات العليا المعمقة الذي تم طبعه ونشره مع نهاية سنة: 2008م تحت عنوان: " التصوف الإسلامي في الغرب: الأثر الصوفي المغربي في ابريطانيا"، وقد شجعني النجاح الذي لقيه هذا الكتاب على استكمال البحث في المسار نفسه علّني أتلمس بعض ثمرات ذلك التأثير الصوفي المغربي في العالم الغربي الناطق بالإنجليزية؛ فقررت خوض غمار تجربة اقتفاء هذا الأثر في الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت منذ البداية أدرك صعوبة اختيار هذه المغامرة العلمية على الرغم من يقيني الراسخ أن قوة التصوف المغربي، الذي امتدت تأثيراته إلى أعماق أفريقيا وأقصى بلاد آسيا، لا بد أن تكون قد اخترقت جدار الثقافة الأنجلوأمريكية لتمارس سحرها المؤثر هناك، وقد وضعني سؤال اللجنة العلمية الانتقائية للحصول على منحة فولبرايت، التي كنت قد ترشحت لها سلفا، أمام مسؤولية أخلاقية ووطنية، عندما سألني رئيس اللجنة المغربية الأمريكية للتبادل التربوي والثقافي حينئذ الأمريكي ديفيد كزويت، مستغربا: ما نعلمه أن الأمريكيين هم الذين يأتون إلى المغرب للبحث عن التصوف، وليس المغاربة من يذهبون إلى أمريكا لمثل هذا البحث!!..كيف تفسر ذلك؟ يومئذ

أجبته بعزم، لا يعكس ذلك التردد الذي انتابني، بأن التصوف المغربي أضحى ظاهرة عالمية أثبتت وجودها عبر مختلف القارات، وأمريكا ليست استثناء.

حمّلني هذا الجواب مسؤولية إثبات مثل ذلك الادعاء، لا سيما بعد أن حصلت على تلك المنحة التي مكنتني من زيارة الولايات المتحدة والوقوف عن كثب على ذلك الحضور، سواء من خلال النصوص الإبداعية المكتوبة أو من خلال المجموعات الصوفية المتأثرة بالتصوف المغربي.

إن الحديث عن مظاهر الحضور الصوفي المغربي في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيراته، يستدعي بالضرورة التطرق بداية إلى تاريخ وصول الإسلام إلى أمريكا، لأن التصوف عنصر مندمج لا يمكن فصله عن الدين الإسلامي، ولأن الإسلام أيضا رسالة كاملة تخاطب العقل والوجدان وتقوم على النية والعمل.

هكذا يتعرض الباب الأول من هذه الدراسة إلى تاريخ الوجود الإسلامي في أمريكا ومكوناته، مع التركيز بشكل خاص على مدى تأثير الهوية الإسلامية المغربية في ذلك الحضور.

أما الباب الثاني فيتطرق إلى حضور التصوف الإسلامي بشكل عام في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء من خلال المهاجرين المسلمين أو من خلال المتحولين إلى الإسلام والذين غالبا ما يكون التصوف عاملا أساسيا وراء تحولهم. كما يحاول هذا الباب البحث في ذلك الجدال الذي يتعلق بحقيقة التعاطف الأمريكي خاصة والغربي عامة مع التصوف الإسلامي وما يثيره من شبهات حول شرعية التصوف وأصالته. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض هذا البحث نماذج من أهم الطرق الصوفية التي أثبتت حضورها الفاعل على التراب الأمريكي، والتي أمكنني تصنيفها بحسب منبعها

الجغرافي إلى:

- طرق مشرقية الأصول: وتهم تلك الطرق الوافدة من بلاد فارس والترك أو تلك القادمة من شبه الجزيرة الهندية.

- طرق مغربية الأصول: وتهم تلك المشارب الكبرى التي انطلقت من بلاد المغرب كالشاذلية، والادريسية، والتيجانية، والقادرية البودشيشية.

يقود الحديث عن الطرق المغربية الأصول إلى الباب الثالث الذي سيسعى إلى إثبات مظاهر الحضور الصوفي المغربي في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال إبراز الدور الرائد للتصوف المغربي في نشر الإسلام عبر أرجاء العالم، بما في ذلك العالم الغربي الحديث (أوربا وأمريكا)، مما جعل التصوف المغربي يحظى بحيز غير يسير من الدراسات الأكاديمية لا سيما الأنجلوأمريكية منها. سيدرس هذا الباب أيضا بتفصيل نماذج من بعض أهم الطرق الصوفية المغربية التي تحضر بشكل مؤثر على تراب الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة الطريقة التيجانية، والحبيبية الدرقاوية، والقادرية البودشيشية.

أما الباب الرابع من هذه الأطروحة، فسيسعى إلى إبراز كيف أن هذا الوجود الصوفي المغربي على الأرض الأمريكية سيتجاوز مستوى مظاهر الحضور الطرقي إلى مجالات التأثير في الأدب الأنجلوأمريكي بنوعيه النثري والشعري، وفي الفنون الموسيقية والمسرحية والتشكيلية بالولايات المتحدة، بل وحتى في فن العلاج التقليدي وفي الاهتمام بالطب النبوي.

إن قوة التصوف المغربي جعلت بعض رجالاته كالشيخ أحمد زروق نبراسا يهتدى به ويقتفى أثره في مشاريع إصلاحية دينية تتوخى الرقي بأحوال الأمة الإسلامية، ليس في أمريكا فقط بل في كل العالم الإسلامي، كما هو حال مشروع الشيخ الأمريكي الشهير حمزة يوسف(Mark Hanson)

الذي يردد صدى أفكار الشيخ زروق في مشروعه الإصلاحي الذي شكل محور الفصل الأول من الباب الرابع.

بالإضافة إلى الشيخ زروق يحضر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي بقوة من خلال مؤلفه دلائل الخيرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يُعدُّ هذا المؤلَّف من بين أشهر كتب الصلوات المتداولة عند المتصوفة الأمريكيين، الشيء الذي انعكس على عملية ترجمته المتكررة إلى اللغة الإنجليزية، ودراسته في أبحاث أكاديمية، بل والعناية بمتن الكتاب نفسه من خلال إعادة طبعه وتخريجه في حلل فاخرة من طرف أحد أبرز شيوخ التصوف الأمريكيين المعاصرين: "نوح حاميم كلر"(Nuh Keller).

لم يقتصر تأثير التصوف المغربي في الولايات المتحدة الأمريكية فقط على الأوساط الصوفية بل تجاوزها إلى الدوائر الأكاديمية، حيث تأثر العديد من الباحثين الأمريكيين بالتصوف المغربي فكرسوا حياتهم وأبحاثهم لترجمة متونه كما هو حال الباحثة الأمريكية عائشة بيولي (Aicha Beweley).

كان هذا البحث، وعلى تنوع أبوابه وفصوله ومباحثه، مثل حبات العقد أو السبحة، ينتظم في خيط واحد ممتد، وهو خيط الهوية الإسلامية المغربية الممتدة في أصالتها منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا في نصاعة الماس أو الخشب الأصيل كلما أكثرنا لمسه ازداد لمعانا وبريقا. هذه الهوية الإسلامية ذات الصبغة المغربية كانت هي أطروحة هذا البحث من بدايته إلى نهايته.

ومن البداية إلى النهاية ارتكزت منهجية هذه الأطروحة على جملة عناصر إجرائية، منها:

أولا: - استكشاف ما تزخر به مكتبات الجامعات الأمريكية من نصوص مكتوبة حول المجال، سواء كانت كتبا أو مقالات أو أطروحات جامعية، حيث استفدت من خزانة جامعة لويولا شيكاغو التي وفَّرت لي

مشكورة كل الكتب التي أحتاجها، وحتى الكتب التي لا تتوفر عليها الجامعة كنت أحظى بها من خلال نظام "الاقتراض المكتبي" بين الجامعات الدولية، كما أتيحت لي فرصة الاطلاع على خزانة جامعات أخرى كجامعة شيكاغو الشهيرة.

ثانيا: شكلت الحوارات جزءاً هاماً وأصيلا في هذا البحث، إذ حاولت جهد استطاعتي، بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال استغلال التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات، إجراء حوارات أو لقاءات مع شخصيات ترتبط بمجال هذا البحث، حيث التقيت في مدينة شيكاغو بشيخ الطريقة الشاذلية البطاوية الأمريكي نور الدين دوركي (Noorddin Durkee)، وسافرت إلى مدينة فيلاديلفيا لإجراء حوارين أحدهما مع الشاعر الأمريكي المتأثر جدا بالتصوف المغربي دانيال مور (Daniel Moore)، وثانيهما مع الشيخة طيابة باجي خانوم شيخة مجموعة من الطرق الصوفية منها الرشيدية الادريسية. كما أجريت حوارا مع الموسيقي والطبيب الأمريكي حكيم أرشوليتا عبر السكايب. أيضا، كان سفري إلى جنوب أفريقيا لحضور ملتقى صوفي وندوة حول المذهب المالكي، فرصة للقاء الشيخ أيان نيل دالاس (Ian Dallas)، شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية، والعديد من أشهر أتباعه ومحاورتهم في عدة أمور ترتبط بهذه الأطروحة.

ثالثا: شكل البحث الميداني عنصرا أساسيا آخر ساهم في تشكيل رؤية واضحة وأصيلة حول الطرق الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حضرت اجتماعات ولقاءات صوفية مع مريدي الطريقة النقشبندية للشيخ ناظم القبرصي في شيكاغو، وحضرت اجتماع ذكر وحضرة مع أتباع الطريقة البودشيشية الأمريكيين في مدينة نيوجرزي، وأتيحت لي فرصة

حضور لقاء صوفي تشيستي للأذكار والسماع في شيكاغو، التي اجتمعت فيها أيضا مع مريدي الطريقة النعمة اللهية في موعدين منفصلين أحدهما للذكر والسماع والآخر للمذاكرة والحوار. وزرت أول ضريح صوفي إسلامي في الولايات المتحدة، وهو ضريح الشيخ باوا محيي الدين في فيلادلفيا والتقيت بمجموعة من مريديه وحضرت معهم لقاء للذكر والدرس، أيضا التقيت ببعض أتباع الطريقة الشاذلية الهاشمية لنوح حاميم كلر، وبأتباع التيجانية الأمريكيين، والرفاعية البوصنيين، وحضرت مع شيخ الطريقة اليشروطية الشاذلية محمد جمال الملقب ب"سيدي" في لقاء ذكر ومدارسة وتقديم بيعة له من أتباعه الأمريكيين الجدد في شيكاغو، وحضرت مع الشيخ عبد القادر الصوفي (أيان نيل دالاس) وأتباعه في العديد من جلسات الذكر والسماع، ولمست شدة التأثير الصوفي المغربي على هذا الشيخ وعلى طريقته، بالإضافة إلى طرق أخرى، مما مكنني من الوقوف حقيقة على خصوصيات كل طريقة على انفراد، ومن امتلاك تصور شبه واقعي حول مميزات كل مشرب ونقط تشابهه مع المشارب الأخرى أو اختلافه.

رابعا: تم اعتماد المنهج الوصفي، التاريخي أحياناً، في التعامل مع ظاهرة الإسلام في أمريكا، والحضور الصوفي المغربي داخل الولايات المتحدة. في حين كنت أعمَدُ في بعض الأحيان إلى تحليل نماذج أدبية أو شعرية معينة للاستدلال على قوة تأثير التصوف المغربي في مجالات الإبداع داخل العالم الأنجلوأمريكي. وقد آثرت من خلال هذه الأطروحة تحقيق تراكم كمّي من حيث المعطيات والنماذج التي تؤكد حقيقة هذا الحضور المُؤَثِّر وكثافته، بدل التعمق في تحليل نموذج بعينه؛ إذ ارتأيت أنه

من المنطق أن أصف الصورة الشاملة لفسيفساء هذا الحضور المغربي، وأن أحاول تجميعه في مجالات شتى، على أن يليه، في أبحاث مستقلة من طرفي أو من جهات بحثية أخرى، التَّعمق في تحليل النماذج المذكورة ممَّا سيوضح الصورة أكثر، وسيفتح المجال أمام حقل أكاديمي جديد لم يُطرق من قبل، يُعنى بدراسة جدلية التأثير والتأثر في الإبداع الإنساني انطلاقا من ظاهرة انتقال التجربة الصوفية المغربية إلى العالم الأنجلوأمريكي وما تُخلفه من بصمات في مجال السلوك والإبداع بمختلف أصنافه وأجناسه.

خامسا: اعتمدت في هذه الأطروحة المنهج الإنجليزي عند التعامل مع أقوال الغير؛ إذ كنت أضع ما يزيد منها على ثلاثة أسطر في فقرة مستقلة معزولة، في حين احتفظت بما لا يزيد منها على ثلاثة أسطر في الفقرة نفسها، مع تمييزها بوضعها بين مزدوجتين للدلالة على القول المضمن أو المستشهد به بالنص. هذا مع العلم أنني حافظت على ذكر أسماء المصادر والمراجع المعتمدة بلغاتها الأصلية، وكنت أستعمل لفظة (Ibid) لإثبات أن المرجع نفسه، ولفظة (Op.Cit) للاستدلال على أن المرجع سبق ذكر تفاصيله فيما قبل.

لكن هذا المسار المنهجي لا يخفي تلك الصعوبات التي واجهت هذا البحث، والمتمثلة أساسا في بنيته الثلاثية المركبة؛ إذ أن أغلب المصادر والمراجع المتوفرة في المجال مكتوبة أصلا باللغة الإنجليزية، مما كان يفرض على الباحث ترجمة بعض تلك النصوص إلى اللغة العربية، ثم إعادة صياغتها لتوظيفها بلغة عربية سليمة تتوافق مع موضوع الأطروحة، بمعنى أن الباحث يجب عليه أن يلعب دور المترجم والدارس المحلل في الآن ذاته. والالتزام النزيه بعملية الترجمة كان يؤدي في بعض الأحيان إلى الركاكة في

الأسلوب العربي التي حاولت قدر الإمكان تجنبها.

من الاشكالات الأخرى التي كادت أن تعرقل مسار هذا البحث هو تلك الصعوبة في وضع خط فاصل بين الثقافة الأمريكية والإنجليزية عموما، إذ أن الحديث في مباحث معينة عن تأثير التصوف المغربي في مجال الأدب أو الفنون الموسيقية كان يقود بالضرورة إلى الحديث عن ذلك التأثير في الثقافة الإنجليزية ككل، بحكم تلك الشراكة التاريخية الثقافية بين ابريطانيا والولايات المتحدة، ليس على مستوى اللغة فقط بل على مستوى الهوية أيضا. لذلك كنت في بعض المباحث أتحدث بشكل عام عن الثقافة "الأنجلوأمريكية"، كما أنني كنت مضطرا في مباحث أخرى إلى الاستشهاد بنماذج ليست أمريكية الأصل كالموسيقي الإنجليزي الشهير إيريك كلابتن (Eric Clapton)، أو عازف الغيتار البريطاني ريتشارد طومبسن (Richard Thompson)، أو الأديبة البريطانية الحائزة على جائزة نوبل للآداب لسنة (2007) دوريس ليسينغ (Doris Lessing)، أو حتى الشيخ السكوتلاندي أيان دالاس(Ian Dallas) ، للدلالة على قوة التأثير المغربي في الولايات المتحدة بفعل حضور هؤلاء الأعلام الملفت في الولايات المتحدة، وتأثيرهم القوي على الأدب والفن الأمريكي بشكل عام.

إن قلة استعمال المصادر باللغات الأخرى كالفرنسية أو الاسبانية، ترجع إلى كون مجمل الدراسة تناولت العالم الأنجلوأمريكي مما أفضى إلى التركيز على الدراسات الإنجليزية بشكل خاص. وحتى الدراسات العربية الواردة في هذا البحث لا تعدو أن تكون مجرد مراجع مرتبطة بشكل عارض بالموضوع الأساس للأطروحة.

إن تطور وسائل الاتصال التكنولوجية، لا سيما الشبكة العنكبوتية،

كانت مجالا خصبا للمعلومات والمعطيات التي أغنت محاور هذا البحث. إلا أن استعمال المواقع الالكترونية في هذه الأطروحة كان يخضع لانتقائية دقيقة جدا، فلم أكن لأستدل إلا بالمواقع الرسمية للأشخاص أو للطرق الصوفية، والتي تمتلك صفة الرسمية وتحمل حقوق المعلومة، وتجنبت الإفادة من كل ما يرد في المنتديات أو المواقع غير الرسمية.

كانت هذه الأطروحة حلما يراودني وأنا أتابع دراستي بالسلك الثالث من التعليم الجامعي، وكانت ستظل حلما أو ستتحول إلى وهم مع مرور الزمان، لولا ذلك الدعم المادي الذي حصلت عليه كمنحة دراسية من طرف اللجنة المغربية الأمريكية للتبادل التربوي والثقافي (MACECE) الذي مكنني من السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مرات، والاستفادة الكاملة من الانتماء إلى جامعة لويولا شيكاغو وما يتبع ذلك من استفادة من خزانة كتبها الورقية والالكترونية الغنية، ومن إنجاز شق البحث الميداني من خلال تغطية المنحة لأسفاري إلى مدن وولايات أمريكية أخرى.

من كرامات هذا البحث وفتوحاته أن مَنَّ الله عليَّ بإشراف مزدوج مغربي أمريكي، أمدَّني بالافادة المزدوجة من تقنيات البحث ومنهجيته في المغرب والولايات المتحدة. فالفضل في هذا العمل يرجع بعد السداد من الله إلى هذين الأستاذين المشرفين: الدكتور عبدالوهاب الفيلالي، في المملكة المغربية، الذي كان دائما مصدر تحفيز وأمل لي كلما ضاق أفقي أو أثقلت كاهلي معاناة البحث، والدكتورة مارسيا هيرمانسن (Marcia Hermansen) التي خففت علي معاناة الغربة، بضيافتي في بيتها وإكرامي بلذيذ طبخها. بالإضافة إلى علمها الثّر بمجال التصوف في

الغـرب؛ إذ تعتبـر مرجعـه الأول فـي الولايـات المتحـدة، حيـث ألهمتنـي إرشاداتها إلى الالتفات لمحاور بحث هامة، كما يسَّرت تواصلي مع العديد من الفعاليات الأكاديمية والصوفية بالولايات المتحدة. فكلمة الشكر في حقهما غير كافية للتعبير عن الامتنان الباطني العميق الذي يربطني بهما ما دمت حيّا وما داما على العهد.

مدخل

يقتضي الحديث عن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بالضرورة الحديث عن المغرب؛ فالمغرب لعب دورا حيويا في العلاقات الدبلوماسية للولايات المتحدة منذ استقلالها، بل وحضر المغرب في تاريخ أمريكا منذ اكتشافها، كما ساهم بفعالية في رسم هويتها التاريخية والحضارية وحتى في تحالفاتها العسكرية، يقول أحد الباحثين المغاربة في هذا السياق:

"لقد ظل المغرب حاضرا في تاريخ الولايات المتحدة منذ استقلالها، إذ كان أول دولة عربية إسلامية تدخل الحوليات التاريخية الأمريكية بعد عقد [اتفاقية صداقة وسلم] معه، وساهم المغرب بشكل غير مباشر في الحرب الأهلية الأمريكية (1851-1856م)، وفي الحرب الأمريكية مع إسبانيا بسبب جزيرة كوبا سنة: 1896م، كما اضطلع بدور الوسيط بينها وبين بلدان شمال إفريقيا، لعقد اتفاقيات مماثلة معها. وظل حاضرا في الذاكرة التاريخية الأمريكية بفعل مسألة الرهائن الأمريكان لدى الريسوني:1904م، مما جعله موضوعا إخباريا وشعارا انتخابيا في فترة حكم روزفلت"[(1)].

لم تقتصر علاقة المغرب مع أمريكا على الجوانب الدبلوماسية والاقتصادية فقط، بل شملت أيضا حتى الجانب العسكري، إذ برز حضور المغرب الفعلي في العلاقات الأمريكية الأوروبية في الحرب العالمية الثانية، لا سيما في صراعها مع دول المحور، حيث كان المغرب منطقة إنزال لإحدى أهم عمليات الحلفاء ضد دول المحور، كما توضح ذلك بعض

---

(1) بنهاشم محمد، *العلاقات المغربية الأمريكية: دراسات في التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب (1786-1912م)*، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1(2008)، ص: 252.

الدراسات الأمريكية حول تاريخ المغرب منذ: 1830م:

"منذ سقوط فرنسا، عملت القوات الأمريكية على منع سقوط المغرب في أيدي الألمان، ففي نهاية شهر دجنبر من سنة: 1940م، أُرسِل روبيرت مورفي (Robert Murphy) الذي عمل عشر سنوات في السفارة الأمريكية في فرنسا، لإغراء نوغيس(Noguès) بوعود التجهيز والإمداد لكن هذا الأخير سيرجعه إلى حال سبيله خالي الوفاض...لكن في الثامن من نونبر سنة 1942م سترسي القوات الأمريكية على الشواطئ المغربية، حيث سيصل في الفوج الأول: 65000 رجل، وخلفهم ما يقارب نفس العدد، وكانوا مدعمين بأكثر من 300 سفينة حربية، وكانت الطائرات تعمل انطلاقا من الحاملات. كان نوغيس مخلصا لفيتشي وحذرا من عدم إثارة الألمان، طلب من جيوشه المقاومة ولكن ضعف تجهيزاتهم بالإضافة إلى أنهم لم يشاركوا جميعا في الحرب مما دفع قائد فرقة الدار البيضاء إلى الاستسلام للأمريكيين، وكان سيدي محمد [الملك محمد الخامس] قال للوحدات المغربية بأنه ليس واجبا محاربة الأمريكيين..وبعد أخذ ورد سيستسلم نوغيس"(1).

كان المغرب أيضا "جبهة أمامية في إطار الحرب الباردة [الأمريكية] ضد المد الشيوعي في شمال إفريقيا، وهو الآن حليف استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وهو ما يسمح لنا بالقول إن المغرب كان أكثر الدول العربية حضورا في التاريخ الأمريكي"(2).

إن استنتاج الباحث المغربي محمد بنهاشم الذي يؤكد هذا الحضور

---

(1) Pennell, G.R. Morocco Since 1830: A History, New York University Press, Washington Square, New York(2000), p: 260.

(2) بنهاشم محمد، **العلاقات المغربية الأمريكية: دراسات في التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب (1786-1912م)**، (م.س) ص: 252.

المغربي المحوري في التاريخ الأمريكي يظل واقعا معروفا بنسبة كبيرة في جانبه الدبلوماسي والتاريخي والعسكري، لكنه ما يزال إلى يومنا هذا مجهولا على صعيد مساهمة المغاربة في تشكيل الهوية الحضارية والدينية للشعب الأمريكي، وهو ما ستسعى الفصول الموالية، بمعونة من الله، الإجابة عنه بإيجاز لا يخلو من شواهد واستدلالات.

الباب الأول
الإسلام في أمريكا

تقديم

إذا ما حاولنا التعمق في البحث عن تاريخ الإسلام في أمريكا؛ فإننا نجده أطول بكثير مما يمكن توقعه، لذلك يُصَنَّف الإسلام في أمريكا كظاهرة قديمة بدأت قبل القرن العشرين وعرفت نموا وتطورا كبيرا مع مرور الزمان.

تاريخيا، كان المسلمون جزء من المجتمع الأمريكي وأثبتوا حضورهم في الفترات المبكرة من التاريخ الأمريكي، بل كان لهم قصب السبق في اكتشاف أمريكا قبل "كريستوف كولمبوس" كما تدل على ذلك الروايات التي سجلها الجغرافي المغربي الشهير: الشريف الإدريسي (1100م-1166م)، الذي تحدث عن استكشافات المسلمين في العالم الجديد فترة طويلة قبل الرحلات الأوروبية، وأكد أن المستكشفين واجهوا السكان الأصليين الناطقين بالعربية الذين كانوا يعيشون في نصف الكرة الغربي. حيث ورد في كتاب "إفريقيا الشمالية والصحراوية " نقلا عن الشريف الإدريسي فصلا خاصا جاء فيه أن ثمانية من "الشبان المغرورين" الأندلسيين أبحروا انطلاقا من شواطئ الأندلس الغربية في القرن الرابع الهجري آملين في استكشاف بحر الظلمات، البحر المحيط؛ فساروا غربا ثم جنوبا فرسوا عند جزيرة، ثم تابعوا المسير حتى وصلوا جزيرة أخرى فوجدوا فيها عمالقة حمر اللون، طوال الشعور، وقابلوا ملك الجزيرة وأخبروه بأنهم خرجوا

لاستكشاف مجاهل المحيط إلى نهايته، ولما أقنعهم باستحالة مشروعهم غادروا شرقا وساروا ستين يوما حتى وصلوا ميناء لشبونة في غرب الأندلس[1].

وقد أكد الإمام المسلم الأسود نعمان رواية الشريف الإدريسي بقوله: "في الواقع، تاريخ الإسلام في أمريكا بدأ قبل وصول كولومبوس إليها.. فبعض الهنود، الذين هاجروا من آسيا عن طريق روسيا عبر مضيق بيرينغ ونزولا إلى أمريكا، كانوا مسلمين"، وكتب في عام 1985م قائلا:"عندما ندرس تاريخ السكان الأصليين في أمريكا، الذين يناديهم الأوربيون بـ"الهنود"، نرى بأن العديد منهم كانوا مسلمين، يمارسون دين الإسلام، كما هو حال بعض الهنود في ولاية فلوريدا"[2].

من بين العلماء المغاربة القلائل الذين انتبهوا إلى حقيقة الوجود الإسلامي في أمريكا قبل وصول كولمبوس إليها بمئات السنين، نجد الشريف علي بن المنتصر الكتاني الذي حاول في بعض كتاباته ومحاضراته إثبات هذا الوجود، سواء من خلال الشواهد التي استقاها من كتب بعض الباحثين الغربيين في هذا الموضوع كـ: كتاب "إفريقيا واكتشاف أمريكا"، "Africa and the discovery of America" "لليونفيرنيل" (عام: 1920م)، وكتاب: "بربر أمريكا" "Les Berbères d'Amérique" للكاتب الفرنسي"جيم كوفين". أو من خلال علاقاته الخاصة بالعديد من الدبلوماسيين وأصحاب القرار الأجانب لا سيما الإسبان منهم، كعلاقته مع

---

(1) الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد."وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية"، من كتاب: *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، نشر: هنري بريس(Henri Press)، الجزائر: منشورات جامعة الجزائر (1957)، ص113.

(2) Muhammad Armiya, Nu'Man. What Every American Should Know About Islam & The Muslims (rev. ed). Jersey City, N.J.: New Mind Productions, (1989), P: 53.

لويزا إيزابيل ألفيريس دوتوليدو، "Luiza Isabel al ferris Do Tolido"، وهي دوقة مدينة سيدونيا "Cedonia"، إحدى أكبر العائلات الإسبانية، والتي أطلعته على العديد من الوثائق الهامة، عن تاريخ الأندلس، وعن الوجود الإسلامي في أمريكا قبل كريستوف كولومبس، لأن أجدادها كانوا حكام إسبانيا وكانوا جنرالات في الجيش الإسباني، وكانوا حكام الأندلس وأميرالات البحرية الإسبانية. مما جعله يصل إلى استنتاج مفاده:

"أريد أن أرجع إلى القول بأن اكتشاف أمريكا من قبل كريستوف كولومبس إنما هو كذبة صريحة، لأن الآن هناك براهين مستفيضة بأن الإسكندنافيين وصلوا إلى أمريكا ألف عام قبل كريستوف كولومبس، مثال ذلك تول هايير داليدا "Toll Hoyer Da lida"، الذي كما تعرفون خرج من مدينة آسفي بالمغرب بباخرة صفها بورق البردي "Papyrus"، وقطع المحيط إلى أمريكا بسهولة، وبرهن بذلك أن قدماء المصريين ذهبوا كذلك إلى أمريكا.. فالعلاقات مع أمريكا كانت متواصلة قبل الإسلام وبعده، وبصفة خاصة بعد الإسلام من طرف الشعوب الإسلامية. إذن فإن لفظة "اكتشاف"، كلمة تعتبر خرافة مرت علينا ونعلمها لأطفالنا، وهذا الذي سأذكره لا يعلّم لأحد في المدارس الإسلامية ولا في غيرها، إذ أن معظم الوثائق الباقية هي الآن في الغرب، ومع الأسف الشديد فوثائقنا العربية ليس عندنا منها شيء، لأن باحثينا لم يبحثوا، ولو بحثوا لوجدوا"[1].

تؤكد هذا الطرح أيضا الباحثة الأمريكية **جين سميث** (Jane Smith) قائلة:

---

(1) محاضرة ألقاها الأستاذ علي بن المنتصر الكتاني في جمعية الشرفاء الكتانيين بالرباط سنة: 1421هـ/2000م حول الوجود الإسلامي في القارتين الأمريكيتين قبل كريستوف كولومبس بمئات السنين، تنظر المحاضرة ضمن مرفقات هذا البحث.

"وما زالت تكتشف أدلة توضح أن بعض هؤلاء المغاربة الذين أجبروا على مغادرة [الأندلس] جهدوا لكي يتخذوا طريقهم نحو جزر الكاريبي، بل إن قلة منهم وصلت إلى الجزء الجنوبي مما يعرَف حاليا بأنه الولايات المتحدة. وفيما يواصل العلماء الذين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من التخصصات تتدارس هذه النظريات؛ فإن من مسلمي أمريكا من يرون فيها دليلا على أن الإسلام أدى دورا في المراحل المبكرة من تاريخ هذا البلد، فضلا عن أن إمكانية وجود صلات من هذا القبيل مع الثقافات الإسلامية أمر له جاذبيته الخاصة لمواطني الولايات المتحدة من ذوي الأصول الهسبانية الذين تجتذبهم التعاليم الإسلامية"(1).

في حين تذهب نظريات ومصادر أخرى إلى أن تاريخ المسلمين في أمريكا يرجع إلى زمن كولومبس، حيث كانت باخرة هذا الأخير تضم بحارة من أصول إسلامية(2) كما ورد في كتاب (Islam in North America: A Source Book): "يرجع تاريخ الإسلام في أمريكا الشمالية على الأقل إلى الفترة الاستعمارية، إن لم يكن إلى طاقم بواخر كولومبس"(3)، حيث تشير بعض الروايات إلى أن "أول مسلم وصل إلى شمال أمريكا كان مغربي الأصل، أسود اللون يعمل مترجما ودليلا جاء إلى فلوريدا من إسبانيا سنة:1527م مع بعثة "بانفيلو دي نارفاييس"(Panfilo de Narvaez) حيث عمل لأكثر من عقد من الزمن على اكتشاف مناطق غير معروفة في الجنوب الغربي لأمريكا الشمالية رفقة الإسبان الذين تم تكليفهم بتلك المهمة من

---

(1) سميث، جين. *الإسلام والمسلمون في أمريكا*، ترجمة: محمد الخولي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 861، الطبعة الأولى، القاهرة (2005)، ص: 84.

(2) Koszegi Michael, J Gordon Melton. Islam in North America: A Source Book. New York: Garland, 1992 P: ix.

(3) Ibid, P: ix.

طرف الأمبراطور شارلز الخامس (Charles V)"[(1)].

نفس الرواية يؤكدها باحث آخر مع اختلاف في اسم صاحب البعثة وفي تاريخ الوصول:"يتحدث بعض الباحثين بأن المسلمين الأوائل جاءوا إلى أمريكا الشمالية مع المكتشفين الأوائل. لكن، الشخص الذي ينادى بـ"المسلم الأول" هو استيفانو (Estevanico) المرشد الذي جاء مع ماركوس دي نيزا سنة: 1539م لاكتشاف أريزونا"[(2)].

في "سنة: 1539م سيكون هذا المغربي المدعو "استيفن: "Estevan" أول شخص غير هندي يدخل المدن السبع الخرافية لسيبولا (Cibola) وهي ما يسمى حاليا بولايات نيو-مكسيكو وأريزونا، بعد ذلك بفترة قصيرة سيتم إعدامه من طرف هنود الزوني (Zuni Indians)"[(3)].

وقد تم التطرق إلى حياة هذا المغربي في شكل مسرحي من خلال رواية دانيال بانجر (Daniel Panger) التي يحكي فيها هذا المغربي الرائد قصة رحلته بنفسه قائلا:

"أنا استيفن رجل أسود من أزمور بالمغرب، وهذه قصة رحلتي مع ألفار نونيز(Alvar Nunez) المدعو كابيزا دي فاتشا (Cabeza de Vaca)، أنا لم أسمع أبدا بأية رحلة عبر تاريخ البشرية تضاهي رحلتي هذه، وحتى قصة جيزن (Jason) والمغامرين الجسورين وإن كانت رائعة بكل المقاييس، فإنها

(1) Turner, Richard Brent. Islam in the African-American Experience. Bloomington: Indiana University Press, 1997.p: 11.
(2) Lovell, Emily Kalled. « Islam in the United States: Past and Present » in: The Muslim Community in North America, edited by: Earle H.Waugh, Baha Abu-Laban & Regula B.Qureshi, The University of Alberta Press(1983), P.94.
(3) Nunez Cabeza de Vaca, Relation of Nunez Cabeza de Vaca, trans.Buckingham Smith(Ann Arbor: University of Michigan Microfilm, 1966), published in Spanish in1542 ; R.R.Wright, "Negro Companions of the Spanish Explorers", American Anthropologist 4(1902), p: 223 ; Clyde-Ahmad Winters, "Afro-Americans Muslims from Slavery to Freedom", Islamic Studies 17, No.4(1978), pp: 187-205.

ليست على قدم المساواة مع هذه، وأنت ستكون الحكم"[1].

لكن، أعتقد أن الحديث عن الحضور الحقيقي للمسلمين في أمريكا يتطلب منا التريث إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي، لا سيما إبان فترة تجارة العبيد خلال المرحلة الاستعمارية لأمريكا وما بعدها، حيث كان الأفارقة السود يحملون بالقوة إلى أمريكا الشمالية للعمل كعبيد في المزارع والضيعات.

(1) Daniel Panger, Black Ulysses (Athens: Ohio University Press, 1982) p: 3.

الفصل الأول

المكون الأول للوجود الإسلامي في أمريكا:

فئة العبيد الأفارقة (African Slaves)

دأب أغلب الدارسين للإسلام في أمريكا على النظر في معظم الأحيان إلى منتصف القرن التاسع عشر وأواخره، باعتبار هذه الفترة هي بداية الوصول الحقيقي الأول للمسلمين إلى الولايات المتحدة. والواقع أن هذه الفترة شهدت المرحلة الأولى من توافد المهاجرين المسلمين إلى أمريكا الشمالية، في حين أن المسلمين الأوائل وصلوا إلى هذه المناطق قرونا قبل ذلك، تقول في هذا الشأن الباحثة الأمريكية "جين سميث":

"هناك من العلماء من يقول بأنه قبل زمن كريستوف كولومبس، ومغامراته في عام: 1492م بقرنين من الزمان ركب المسلمون البحر من إسبانيا، ومن بعض أجزاء الساحل الشمالي الغربي للقارة الإفريقية وصولا إلى كل من أمريكا الجنوبية والشمالية، بل كان هناك مسلمون أعضاء في طاقم البحَّارة الذي صحب كريستوف كولومبوس في رحلته. ويقال إن المكتشفين من الرواد الأفارقة المسلمين اخترقوا كثيرا من بقاع الأمريكتين، حيث تواصلوا مع السكان الأصليين لأمريكا، وتزاوجوا معهم أيضا. ويفترض البعض أن المسلمين أقاموا مراكز للتجارة، بل وأدخلوا بعض الحرف والصناعات إلى القارتين الأمريكيتين. على أن الأدلة التي تدعم هذه الادِّعاءات والتي تستقى من واقع الحرف اليدوية، وبعض الكتابات، وتقارير شهود عيان مازالت غامضة لدرجة أن هذه النظريات ما برحت أن تكون

افتراضية إلى حد ما"[1].

المبحث الأول: مرحلة تهجير العبيد من إفريقيا إلى أمريكا

بدأ وصول العبيد من الأفارقة السود إلى أمريكا الشمالية انطلاقا من سنة: 1520م وإلى بداية القرن العشرين، وكان من بين هؤلاء العبيد المجلوبين عدد مهم من المسلمين، أو كان العديد منهم يجلبون من المناطق التي كان الإسلام منتشرا فيها أو من مناطق ذات أقلية مسلمة أو متأثرة بالإسلام على الأقل، كما تذهب إلى ذلك الباحثة أسما حسن غول (Hasan Gull، Asma) في قولها: "لقد اتفق أغلب الباحثين والصحافيين بأن خمس العبيد الأفارقة الذين جلبوا إلى أمريكا كانوا مسلمين"[2].

بدأت الجماعات الإسلامية الأولى في أمريكا تفقد تدريجيا هويتها الإسلامية بسبب عزلها عن عائلاتها وعن تراثها الديني، خصوصا مع جيل الأبناء والحفدة، كما أن العديد منهم أرغموا على الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية دين أسيادهم. تقول الباحثة جين سميث:" فقدت هذه الهوية [الإسلامية] بشكل كبير تحت شروط العبودية القاسية، وإن كان الجيل الأول من العبيد حافظ ما أمكنه ذلك على هويته الإسلامية"[3].

هكذا، تحول الكثير من الأمريكيين الأفارقة إلى المسيحية، لكن البعض منهم فقط تمكن من الحفاظ على إيمانه الإسلامي، بحيث ظلوا يمارسون شعائرهم الدينية بشكل منفرد على الرغم من صعوبات نظام العبودية، كما حاولوا أيضا الحصول على المعلومات حول الأحداث الجارية في العالم الإسلامي بإفريقيا،وفي هذا السياق يقول ويليامز

(1) سميث، جين. *الإسلام والمسلمون في أمريكا*، (م.س). ص: 83.

(2) Hasan Gull, Asma. American Muslims: The New generation. New York: Oxford University Press, 2000 p: 17.

(3) Smith I, Jane. Islam in America. New York: Columbia University Press, 2000 p: 77.

:(Williams)

"وجاءت تجارة الرقيق بالكثير من المسلمين من غرب القارة الأفريقية إلى أمريكا. إلا أن الظروف الرهيبة التي عاشوها وارتفاع معدل الوفيات بينهم وتشتت عائلاتهم والاضطهاد الوحشي الذي تعرضوا له جعل بقاءهم في إطار جماعة إسلامية مستحيلا. ومع ذلك كانت لبعض الأفراد الغلبة على الاضطهاد والتعذيب. إذ أن أحدهم كتب القرآن الكريم الذي كان يحفظه عن ظهر قلب ونشر ترجمة له بالإنجليزية في فيلادلفيا عام 1853م وبعد عشر سنين كان هذا المصحف المترجم الكتاب الوحيد الذي نجا من حريق جامعة ألاباما في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية"[1].

القمع والظلم اللذان عاش فيهما هؤلاء الأفارقة المسلمون، زيادة على رغبة إبراز دينهم الأصلي وهويتهم الإسلامية السوداء، قاد إلى ظهور العديد من الحركات التي تنشد مساعدة السود في البحث عن هويتهم، انطلاقا من السمات الأولى للقومية السوداء (Black Nationalism) وإلى غاية تطور أمة الإسلام (the Nation of Islam).

المبحث الثاني: الأفارقة الأمريكيون والبحث عن هويتهم الإسلامية

مع بداية القرن العشرين، كان هناك العديد من الزعماء السود الذين يعملون بجد على مساعدة العبيد الأفارقة في استرداد الإحساس بالاعتبار-الذاتي، وفي استصلاح تراثهم الذي افتقد بسبب الاسترقاق. من هؤلاء الزعماء يمكننا أن نشير إلى النبيل درو علي (Noble Drew Ali)، الذي بدأ

(1) Gayle A. Williams, Bibliography of Latin American & Caribbean Bibliographies: Annual Report, 1993-1994, Published by: Seminar on the Acquisition of Latin American (November 1994), p: 14.

الحركة الإسلامية السوداء (Black Islamic movement) التي عرفت كأول طائفة إسلامية سوداء في أمريكا، وهو مؤسس "معبد العلم المغربي" (the Moorish Science Temple) سنة: 1913م[(1)]، حيث يمكن اعتبار هذا الهيكل أول حركة دينية جماهيرية في تاريخ الإسلام بأمريكا التي كانت تستهدف المجتمع الأمريكي الإفريقي، حيث كان **درو علي** يرى أن بعض المبادئ القرآنية يمكنها أن تكون مناسبة لهدم العنصرية وتدميرها في المسيحية الأمريكية، وطريقا إلى تشييد الهوية الجديدة للأمريكيين الأفارقة.

هذه الهوية التي وجدها **درو علي** في دولة إفريقية متميزة؛ هي المملكة المغربية، حيث كان شديد الإخلاص للمغرب ولرايته، وكان أيضا "يطلب من أتباعه الإخلاص للعلم الأمريكي، وفي الآن ذاته الاعتراف بأن الأمريكيين الأفارقة يتوفرون على وطنين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المغربية"[(2)].

كانت شخصية **درو علي** وتعاليمه مصدر إلهام للعديد من الزعماء السود الذين ساهموا في ترسيخ الهوية السوداء للولايات المتحدة الأمريكية، من بين هؤلاء نجد: (وليس فرد محمد) (Wallace Fard Muhammad) الذي كان وراء تأسيس المجموعة الدينية المعروفة ب"أمة الإسلام" ('Nation of Islam') سنة: 1930م[(3)]، التي لم تكن مجرد حركة دينية للسود بل كان لها طابعها الخاص على اعتبار تركيزها على مواضيع سوسيو-اقتصادية للسود، حيث كانت تهدف إلى الرفع من المستوى الاقتصادي والاجتماعي والروحي للمسلمين الأفرو-أمريكيين.

كان تنظيم "أمة الإسلام" يقوم على ثلاثة مبادئ جوهرية وهي: " الله

(1) Turner Brent, Richard.Islam in the African-American Experience. Indiana: Indiana University Press, 2003 p: 71.
(2) Eric C. Lincoln, The Black Muslims in America, p.57.
(3) Turner Brent, Richard. Islam in the African-American Experience. (Op.Cit) p: 148.

هو الإله، الرجل الأبيض إبليس، وأن من يدعون بالزنوج (Negroes) هم أناس سود البشرة، وهم صفوة كوكب الأرض"[1]. يظهر جليا من خلال هذه المبادئ الثلاث بأن هذا التنظيم ارتكز على إيديولوجيات انفصالية وقومية، وبأن صاحبه كان شخصية غامضة، حيث كان يعلن بأن الإسلام هو الدين الطبيعي للأفارقة ولكنه لم يكن يؤكد على تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية؛ بحيث كانت تتعارض العديد من تعاليمه مع حقيقة الإسلام.

كان يَدَّعِي زعماء هذا التنظيم كإليجا محمد (Elijah Muhammad)، على غرار درو علي، و وليس فرد أنهم أنبياء زمانهم مكلفون برسالة سماوية تقتضي تخليص السود الأمريكيين من هيمنة البيض، لكن تركيز "تنظيم أمة الإسلام" على عنصري الفقر والعنصرية، جعل رسالة هذا التنظيم المتعلقة بتفوق السود وشيطانية البيض أكثر قبولا من طرف الأفارقة الأمريكيين.

سيتحوَّل مسار هذه الجماعة مع توسعها واستقطابها لعناصر أكثر نشاطا وحيوية، كمالكوم إكس (Malcolm X)، الذي سيغير اسمه إلى "الحاج مالك شاباز" بعد أدائه فريضة الحج سنة 1964م، حيث زار العالم الإسلامي لأول مرة؛ إذ رأى أن الطائرة التي أقلعت به من القاهرة للحج بها ألوان مختلفة من الحجيج، وأن الإسلام ليس دينا للرجل الأسود فقط، بل هو دين الإنسانية جمعاء. وتعلم الصلاة، وتعجب من نفسه كيف يكون زعيما ورجل دين مسلم في حركة أمة الإسلام ولا يعرف كيف يصلي!!.

في مكة المكرمة، تأثر مالكوم إكس بمشهد الكعبة وأصوات التلبية، وبساطة المسلمين وإخائهم، يقول في ذلك: "في حياتي لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا في حاجة إلى

(1) Gudel, P. Joseph. Larry Duckworth. "Hate Begotten of Hate: Louis Farrakhan and The Nation of Islam."
http: //www.equip.org/articles/hate-begotten-of-hate-louis-farrakhan-and-the-nation-of-islam.

فهم الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية فيها"[1].قضى 12 يوما مع المسلمين في الحج، حيث أدرك أن الناس متساوون أمام الله بعيدا عن كل مظاهر العنصرية.

حاول مالكوم بعد رجوعه إلى الولايات المتحدة تعديل مسار " تنظيم أمة الإسلام" بإرجاعه إلى "الإسلام الصحيح"، "الإسلام اللاعنصري"؛ فنادى بأخوة بني الإنسان بغض النظر عن اللون، ودعا إلى التعايش بين البيض والسود، لكن عدم قبول أفكاره من طرف هذا التنظيم، دفعه إلى تأسيس "منظمة الاتحاد الإفريقي الأمريكي" (OAAU)، التي تتعارض مبادؤها مع أفكار تنظيمه السابق"أمة الإسلام"؛ مما عرضه لانتقادات شديدة ولهجوم لاذع من طرف أنصار هذا الأخير؛ إذ تنامت الخلافات بين الحاج مالك شاباز وتنظيم "أمة الإسلام"، مما سيؤدي إلى اغتياله بست عشرة رصاصة أطلقت عليه وهو يلقي إحدى محاضراته يوم الأحد (18 شوال 1384هـ/ الموافق 21 فبراير 1965م).

لكن الإصلاحات التي ابتدأها مالكوم إكس أو الحاج مالك شاباز ستتواصل أيضا عن طريق "وارث دين محمد"[2] (الابن السابع لإليجا

---

(1) تنظر رسالته من الحج مترجمة مع المرفقات.

(2) ولد واليس ديلاني (وارث دين) في شيكاغو عام 1933م، وكان الابن السابع لإليجا محمد وزوجته كلارا محمد. وبعد أن أنهى دراسته في مدرسة أمة الإسلام 'جامعة الإسلام '، عمل في داخل الحركة ومجلسها 'ثمرة الإسلام '، وكمسؤول وزير 'مينستر' في معبد فيلادلفيا. حكم عليه عام 1961 بالسجن لثلاثة أعوام لأنه رفض الخدمة العسكرية. وخلال فترة سجنه بدأ يدرس الإسلام وأيقن من خلال دراساته أن تعاليم والده لا تتوافق مع الإسلام الصحيح. وبعد خروجه من السجن انشق عن والده وأنشأ جماعة ' مجتمع تعزيز الأحفاد الأفارقة' ولكن بعد اغتيال مالكوم اكس عاد إلى صحبة والده، وحاول أن يعيد الحركة إلى أصول الإسلام الصحيح لكنه لم ينجح، وتم تعليق عضويته ثلاث مرات بسبب آرائه المخالفة لمواقف التنظيم. الذي عاد للعمل فيه قبل وفاة والده بستة أشهر. وبوفاة والده عام 1975 أعلن نفسه قائدا للحركة حيث بدأ

محمد)، الذي أدخل العديد من الإصلاحات لتقريب منظمة "أمة الإسلام" من الإسلام السني، حيث غير اسمها عدة مرات. وقد رفض التفسيرات الحرفية لكل من تعليمات أبيه العقائدية ووجهات النظر الانفصالية السوداء. وبناء على دراسته الطويلة للقرآن الكريم وحياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقد قبل أن يشارك البيض في العبادة، كما حاول أن يشكل علاقات أمتن مع المجتمعات المسلمة المنتشرة في الولايات المتحدة، كالمهاجرين والمسلمين ذوي الأصول اللاتينية، أيضا غير الألفاظ الهجائية لاسمه من "واليس" إلى "وارث" ليتوافق مع الأسماء الإسلامية[1].

على النقيض من ذلك، انبرى لويس فرخان[2] للدفاع عن أطروحة "أمة الإسلام" كما جاء بها روادها الأوائل كـ"وليس فرد" و"إليجا محمد"، معتبرا أن ما ينهجه وارث دين محمد يعد خروجا عن منهج والده وابتعادا عن تعاليم "أمة الإسلام". وما تزال الخلافات مستمرة بين التنظيمين وما تفرع

سلسلة من الإجراءات لإصلاح التنظيم. وفي عام 1975 فتح الباب أمام عضوية البيض كاسرا بذلك الاحتكار الأسودللحركة، وقام بإجراءات أخرى إدارية لمنع الانشقاق عبر حل مجلس الحركة. وفي المجال الديني استبدل الصوم في أيام عيد الميلاد بصوم رمضان. وبالتساوق مع هذه الإجراءات التطبيقية قام بعملية تفسير جديدة توائم العصر كما حاول تأويل آراء والده مشيرا أن فكرة شيطنة الرجل الأبيض كانت مرحلة ضرورية عندما كان السود يتعرضون للاضطهاد، وأنها حالة عقلية وليست عنصرية عملية، كما أعاد تفسير فكرة قدسية الرجل الأسود مشيرا إلى أن ألوهيته مرتبطة بالعمل والنشاط وإحياءالأمل. وفي التاسع من رمضان عام 1429 هـ، الموافق 9 سبتمبر2008م توفي وارث دين محمد إثر أزمة قلبية حادة.

(1) Smith I, Jane. Islam in America. New York: Columbia University Press, 2nd edition: (2010) pp: 90-94.

(2) أحد أشهر زعماء تنظيم "أمة الإسلام " ولد فرخان في مدينة نيويورك في 11مايو1933 م، وكان اسمه عند مولده لويس يوجين والكوت، ونشأ في مدينة بوسطن .وفي عام 1955م، قام زعيم المسلمين السود مالكوم إكس بتجنيده ليصبح عضوًا في جماعة أمة الإسلام، وحينها غيّر والكوت اسمه إلى لويس إكس. وفي عام 1965م، تبنى اسم *لويس حليم عبد الفرقان*.

عنهما من مؤسسات إلى يومنا هذا، على الرغم من تصالحهما وتعانقهما أمام الملإ احتفالاً بمرور سبعين عاماً على تأسيس"أمة الإسلام"، سنة: 2000م، حيث أعلنا الوحدة والمصالحة في مؤتمر "يوم المخلص السنوي" الذي صرح فيه "وارث دين محمد" قائلا:

"أعزائي الإخوة والأخوات المسلمين ليس من الصعب على رجلي الدين؛ فرخان ووارث دين محمد أن يتعانقا، هذا سهل علينا. فعندما قابلته أول مرة في مطلع الخمسينات، أحببته من أول نظرة، وأصبحت صديقه وأخاه. ولم أتوقف أبدا عن إحساسي بتلك الأخوة والصداقة. ربما هو لم يدركها، ولكنني كنت دوماً كذلك. فبالنسبة لي الهدف أكبر بكثير من مشاكلنا وخلافاتنا الشخصية.. الله أكبر"[1].

لم يكن أتباع لويس فرخان أو وارث دين محمد هم الأمريكيون الأفارقة الذين كانوا ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، بل ظهرت العديد من التنظيمات والحركات الأخرى التي كانت تعلن رفضها لمبادئ تنظيم "أمة الإسلام"، مثل: حركة "المذهب الحنفي" التي تزعمها خليفة حماس عبد الخالص (Khalifa Hammas Abdul Khaalis)، الذي كان قد فشل في تصحيح مسار"أمة الإسلام" مما جعله يؤسس هذه الحركة في واشنطن أواخر الخمسينات من القرن العشرين[2]. حركة أخرى تأسست في بروكلين بداية الستينات من القرن نفسه، كانت تنسب نفسها إلى الإسلام السني هي: "حركة دار الإسلام"[3] التي انفصلت عن الشيخ داود أحمد فيصل[1]، حيث

---

(1) جريدة النداء الأخير (الناطقة بالإنجليزية)25 فبراير 2000م..

(2) Smith I, Jane. Islam in America. New York: Columbia University Press, 2nd edition: (2010) p. 97.

(3) R.Mukhtar Curtis, Urban Muslims: "The Formation of the Dar ul-Islam Movement", in: Yvonne Haddad and Jane Smith, eds., Muslim Communities in North America, Albany: State University of New York Press, (1994), pp.51-74.

كانت تقر بضرورة الفصل العنصري بين السود والبيض على الرغم من إقرارها باتباع شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان أتباعه معروفين بالصرامة في تطبيق الشريعة الإسلامية، وفي تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن وتعلم السنة[2]. هذه الحركة ستتحول تدريجيا نحو تبني التصوف الإسلامي مع "تأثر الإمام يحيى بأحد مشايخ القادرية الباكستانيين. في سنة:1980م سيعلن الإمام يحيى - متأثرا بشيخه الصوفي - نهاية دور الحركة السياسي ودمجها في سياق الإسلام الصوفي"[3].

المبحث الثالث: المغرب مكون أساس من هوية المسلمين الأفرو-أمريكيين

إن معاناة الأفارقة الأمريكيين من ربق العنصرية وعزلهم عن أصولهم وبلدانهم جعلهم يبحثون عن مصدر لهويتهم يكون محل فخر وإثبات لتميزهم عن البيض، هذه الهوية التي بحث عنها الأفرو-أمريكيون في الدين وفي بلد الانتماء، اللذين يؤكدان على أصالة السود وتفوقهم على البيض قبل الاسترقاق.

هكذا، بدأت رحلتهم في البحث عن هويتهم التي اكتشفوها في الإسلام ولكن ليس باعتباره دينا سماويا موجها إلى كافة الخلائق على السواء، بل باعتباره دينا يميزهم عن البيض المسيحيين ويثبت السمو للسود، فكان الإسلام مجرد شعار بشعائر لا تمت إليه بصلة ومبادئ مختلفة تماما

=

(1) يعتبر داود أحمد فيصل الأب الروحي للمسلمين الأفرو-أمريكيين، فهو الذي أوصل الإسلام السني الصحيح إلى الأفارقة الأمريكيين عن طريق تأسيسه للعديد من الجماعات والمنظمات والمساجد الإسلامية.

(2) Smith I, Jane. Islam in America. (Op.Cit) p.98.

(3) Ibid, p.98.

وأحيانا بقرآن "مقدس" آخر قيل أنه أوحي به إلى أحد أولئك الزعماء الأفرو-أمريكيين الأوائل (النبيل درو علي)، لكن هذا المسار سيتغير إلى تبني الصيغة الإسلامية الصحيحة بعد انفتاح هؤلاء الأمريكيين على العالم الإسلامي واختلاطهم بالمسلمين في الحج وغيره، وتعلمهم اللغة العربية وفهمهم للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لا سيما على يد الشيخ داود أحمد فيصل.

لكن بين النبي المزعوم للمسلمين الأفرو-أمريكيين النبيل درو علي، والشيخ داود أحمد فيصل الذي يعتبر الأب الروحي للإسلام السني في الولايات المتحدة الأمريكية، هناك رابط يجمعهما يتمثل في هوية البلد الذي ينحدر منه أسلافهما، وأسلاف العديد من أتباعهما، والذي كان مصدرا لفخر واعتزاز كليهما. هذا البلد هو المملكة المغربية التي وجد فيها درو علي هويته؛ حيث كان شديد الإخلاص للمغرب ولرايته، وكان أيضا "يطلب من أتباعه الإخلاص للعلم الأمريكي وفي الآن ذاته الاعتراف بأن الأمريكيين الأفارقة يتوفرون على وطنين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المغربية"[(1)]. تقول الباحثة الأمريكية جين سميث في هذا السياق عن النبيل درو علي:

"لقد أراد توحيد شعب تعرض للاضطهاد، كما كان ينشد تهيئة وسيلة لأبناء هذا الشعب لكي يساهموا كأفراد في رفاههم الخاص. إلى جانب مشاركتهم كجماعة في ازدهار المجتمع الأمريكي بشكل عام؛ ومن أجل ذلك قال إن الأمريكيين من ذوي الأصول الإفريقية هم بحكم تراثهم إما ينتمون إلى آسيا وإما إلى أصل المغاربة-المور[(2)] - وعليه فالجماعة التي

---

(1) Eric C. Lincoln, The Black Muslims in America, p.57.

(2) المور: هو مصطلح يطلق على المسلمين ذوي الأصول البربرية أو العربية في الأندلس وشمال =

أسسها كانت تعرف في الأصل بأنها "الحركة المغربية الوطنية والإلهية" وما لبث أن تغير اسمها لتصبح "معبد العلم المغربي في أمريكا""[1].

في عام 1986م وبمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لمعبد علم المغاربة، تم إعداد كتيب خاص يظهر على غلافه صورة لوجه (النبيل درو علي)، في حين خصصت الصفحة الأولى من الكتيب بكاملها لنشر صورة الملك الحسن الثاني، تحتها مقولة للحسن الثاني تؤكد على روحانية المغرب الكونية باعتباره شجرة أصلها في أرض المغرب وفروعها في كل مكان[2]. وكجزء من الاحتفال أصدر المعطي جوريو، السفير المغربي حينئذ في الولايات المتحدة، بيانا ذكر فيه: "نحن ندرك جيدا مدى تفانيكم الخاص في تعزيز العلاقات التي تربط المجتمع الموري الأمريكي بالمغرب. ترحب المملكة المغربية، من جانبها، باهتمامكم وبعملكم على تحقيق تفاهم أفضل بيننا... إن مبادرتكم تستحق الاحترام والتشجيع معا. ومن جانبنا، فإننا نملك في المقابل كل النية لفعل كل ما يمكن فعله لجعل علاقتنا جد متميزة ونابضة بالحياة"[3].

تمثل أيضا ولاء "المعبد الموري الأمريكي" للمملكة المغربية في تبنيه

=

إفريقيا، والكلمة تحيل إلى معنى مغربي أو مغاربة، كما ذهب إلى ذلك الدكتور مجدي وهبة في قاموس "النفيس"، والأكاديمي محمد الخولي في ترجمته لكتاب جين سميث "الإسلام والمسلمون في أمريكا"، وغيرهما.وهي الترجمة الأصح في نظرنا والتي ستعتمد في هذه الأطروحة.

(1) الإسلام والمسلمون في أمريكا، تأليف: جين سميث، ترجمة: محمد الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للثقافة، العدد: 861، (ط.1/2005).

(2) Haddad Yvonne Yazbeck & Smith Jane Idleman, Mission to America: Five Islamic Sectarian Communities in North America, University Press of Florida(1993), p.86.

(3) كلمة سفير المغرب في الولايات المتحدة استنادا إلى كتاب (Mission to America: Five Islamic Sectarian Communities in North America)، ص: 86.

لعلم المغرب الأحمر اللون ذي النجمة الخضراء الخماسية كراية تعكس هوية الأمريكيين الأفارقة المنتمين إلى هذا المعبد وتعكس مبادئهم الخمسة[1].

إن اختيار راية المغرب شعاراً لإبراز هويتهم له خلفية تاريخية مهمة جدا بالنسبة للمغرب، الذي كان حينئذ يرزح تحت نير الاستعمار الفرنسي، حيث لم يكن مسموحا لرايته أن ترفرف عاليا، لذلك فإن الأمريكيين الأفارقة، أصحاب معبد العلم المغربي، كانوا على علم بما يعانيه المغرب و" كانوا يؤمنون بأن تلك الراية التي ظلت ترفرف على مدى آلاف السنين يجب أن تظل حية وخفاقة في زمن الاحتلال الفرنسي للمغرب حيث لا يسمح لها أن ترفرف"[2]، وهكذا "رفرفت راية المملكة المغربية إلى جانب راية الولايات المتحدة في المؤتمر الوطني الأول الذي عقده الموريون الأمريكيون في شيكاغو سنة: 1928م للدلالة على الميراث الثنائي لجماعتهم"[3].

ستتجسد أكثر الهوية المغربية للأمريكيين الأفارقة في صورتها الإسلامية من خلال الشيخ داود أحمد فيصل، وهو مسلم سني (1891م-1980م) جاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية شابا يافعا. في سنة: 1920م تزوج من امرأة تسمى خديجة والتي ستصير ساعده الأيمن في عمله الدعوي النشيط الذي قاده إلى تأسيس مركز التنشئة الإسلامية سنة: 1928م في بروكلين بمدينة نيويورك. في سنة: 1934م سيؤسس أيضا مدينة السلام

---

(1) المبادئ الخمس التي يقوم عليها التنظيم دينيا وسياسيا واجتماعيا هي: المحبة، الحق، السلم، الحرية والعدالة.

(2) Haddad Yvonne Yazbeck & Smith Jane Idleman, Mission to America: Five Islamic Sectarian Communities in North America, op. cit, p.86.

(3) Ibid, p..88

الإسلامية بالقرب من بلدة فيشكيل (Fishkill) بنيويورك. والتي ستستمر إلى سنة: 1942م، يقول عنه أحد الباحثين الأمريكيين:

"كان[الشيخ داود] دائما رائد المسلمين في كل مشاريعه التي أنجزها. وعندما كان ممثل مسلمي الولايات المتحدة لدى هيئة الأمم المتحدة لم يكن أحد غيره أو مثله يصدر تلك الدعوات والنداءات المتواصلة سرا وجهرا للمطالبة بتحقيق المساواة والعدالة لجميع الأقليات، وكان هذا الزعيم المسلم الموقر نشيطا جدا في نشر الإسلام، محاولا تفسير المفاهيم الخاطئة حول الإسلام، وتقديم الإسلام في شكل أكثر قبولا من طرف الشعب الأمريكي حتى وفاته في شباط / فبراير 1980م. عمل الشيخ داود باعتباره مؤسس الرسالة الإسلامية (the Islamic Mission) على تدريس الإسلام في مركزه طيلة السنوات الممتدة من:1928 إلى 1980م. حيث عمل بداية مع معبد العلم المغربي (the Moorish Science Temple)، ثم في أكاديمية هارلم المرتكزة على الإسلام (the Harlem-based Academy of Islam). التي تأسست عام 1934 من طرف المسلمين الهنود من ترينيداد ومن الأمريكيين الأفارقة المتحولين إلى الإسلام"(1).

في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن الماضي، حاول الشيخ داود أحمد فيصل خلق فيدرالية تضم تحت عضويتها عدة منظمات إسلامية رئيسة في نيويورك. منها: (جمعية المسلمين الدولية، وأكاديمية الإسلام ومؤسسة المسجد، وجمعية الشباب المسلم، والعصبة الباكستانية...)، كما كان الشيخ داود السبب المباشر في تأسيس منظمة "دار الإسلام" في مسجد ياسين ببروكلين (مدينة نيويورك) والتي سيفوق عدد

(1) Muhammed al-Ahari, Al-Islam, the True Faith, the Religion of Humanity: The Selected Works ofSheikh al-Hajj Daoud Ahmed Faisal Bey, Published by the Magribine Press, (Chicago: 2006), p: 8.

أتباعها المائة ألف خلال السبعينات من القرن العشرين، حيث ستنقسم هذه المنظمة إلى جماعتين منفصلتين:

الأولى صوفية تابعة للشيخ الباكستاني مبارك علي الجيلاني. أما الثانية فتكنُّ الولاء لأحد تلامذة الشيخ داود أحمد فيصل وهو الأمريكي راب براون(H. Rap Brown) الذي صار يعرف فيما بعد باسم "جميل الأمين" الذي تبنى الإسلام وفق المنهج الوهابي.

بالرغم من أن الشيخ داود أحمد فيصل يعتبر الأب الروحي لأغلب الجماعات المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنه لا يعرف إلا القليل جدا من المعلومات حول نشأته وشخصيته، لكن الأمر الأكيد الذي كان الشيخ يعتبره رمزا لسعادته وافتخاره هو خلفيته العائلية المغربية الأصول. يقول في سياق هذا الفخر:

"من المشجع جدا أن نعلم أنه أخيرا، وفي غضون السنوات القليلة القادمة ستصير نسبة الأمية في المغرب ولدى الشعب المغربي من أخبار الماضي، شعبنا هذا الذي تم إخضاعه لمدة تزيد عن السبعين سنة[1] من طرف الحكم الفرنسي، وشخصيا، عندي جميع الأسباب لكي أكون فخورا وسعيدا لأن جدي أحد زعماء إفريقيا وأكثرهم ثراء كان مغربيا، وكذلك كان أبي"[2].

إلا أن هذه الهوية المغربية التي كان يفتخر بها المسلمون الأفرو-أمريكيون كانت موضع انتقاد من طرف الباحث ناظم المقدسي الذي اعتبرها ضربا من الخيال قائلا: "منظمة زنجية أخرى هي "الرسالة الإسلامية"

(1) التقدير الزمني غير صائب، لأن الحماية الفرنسية عمّرت في المغرب من: 1912م إلى: 1956م.

(2) Faisal, Sheikh Daoud Ahmed, Al-Islam, the True Faith, the Religion of Humanity, Published by the Magribine Press, (Chicago: 2006), p: 10.

برئاسة الشيخ أحمد فيصل داود، الذي كان شخصية مثيرة للجدل يدَّعي أنه مغربي لكن انطلاقا من ملامحه، ولغته وسلوكياته أؤكد أنه زنجي أمريكي"[1]، إلا أن هذا الرأي لم يحظ بالقبول من طرف باحث أمريكي مسلم هو "محمد أهاري" (Muhammed Ahari) الذي عبر بوضوح عن رفضه لمنطق ناظم المقدسي قائلا: " لدي إشكالات مع قصة ناظم لأن العديد ممن سبقوا الشيخ داود أمثال النبيل درو علي.. كان لهم ولأتباعهم آراء مشابهة بخصوص ادعائهم الانتماء إلى السلالة المغربية، كما أن الشيخ داود لم يذكر نفسه بل أسلافه هم المغاربة"[2].

إن الحديث عن الشيخ "داود أحمد فيصل" والنبيل "درو علي" يتجاوز مستوى كونهما شخصين اتسما بالزعامة والريادة، إلى مستوى أكبر يتمثل في الحديث عن أهم مدرستين تفرعت عنهما معظم التنظيمات والتيارات التي جسدت الهوية الإسلامية للأمريكيين الأفارقة، والتي كانت تنظر إلى المغرب نظرة فخر وتعظيم.

ليس من باب الصدفة أن تكون أول مخطوطة فقهية إسلامية اكتشفت باللغة العربية تحمل سمة الهوية المغربية وإن كان صاحبها إفريقيا من غينيا[3]، ذلك أن الخط الذي كتبت به هو الخط المغربي[4]، كما أن النص الفقهي مستوحى من روح التدين المغربي الأصيل والذي كانت تتوزعه ثلاثية المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي الجنيدي، وإن كانت هذه الأخيرة تخفت في بعض الفترات، ويفسر هذه الهوية التاريخية

(1) Muhammed al-Ahari, Al-Islam, the True Faith, the Religion of Humanity: The Selected Works of Sheikh al-Hajj Daoud Ahmed Faisal Bey, (Op.Cit), p: 10.
(2) Ibid, p: 11.
(3) هو الشيخ محمد بلالي، وهناك مصادر أخرى تشير بأنه مغربي يحمل اسم محمد بن علي.
(4) مخطوطة أخرى اكتشفت مؤخرا في باناما للشيخ سانا سي(Sheikh Sana See)، مكتوبة بالخط المغربي أيضا.

للمغرب الواقع الشعبي والخطاب الرسمي، سواء ذلك الذي يصدر من ملك المغرب باعتباره أمير المؤمنين وحامي الملة والدين، أو الذي يصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ويعكس في الواقع التوجيهات الملكية، ونلمس هذا بوضوح من خلال نصوص الرسائل الملكية التي ما تفتأ تذكر بالثوابت المغربية في التدين، كما يتضح من هذه الرسالة:

"أصحاب الفضيلة، حضرات السادة والسيدات، إن رعايتنا لأحوال الزوايا، على غرار سنن أجدادنا الميامين، تقدير عميق من جلالتنا، لإسهام الطرق الصوفية المغربية في الإرشاد الروحي، ونشر العلم والتنمية، والدفاع عن حوزة الوطن ووحدته، وتماسك المجتمع، وتثبيت الهوية الدينية للمغاربة"(1).

هذه الهوية التي يجسدها التمسك بالكتاب والسنة من خلال الالتزام بالعقيدة الأشعرية والمذهب الفقهي المالكي والسلوك الصوفي في تفاعل تام مع إمارة المؤمنين، وهكذا يوضح ملك المغرب:

"إننا على يقين أن الرصيد الحي، الذي ورثه كل المنتسبين إلى التصوف، يتضمن القدرة على الاستمرارية والتجديد في آن واحد. الاستمرارية في صيانة الثوابت، في العقيدة والمذهب، والولاء لإمارة المؤمنين. والتجديد في المبادرات والسلوكات التي جعلت من أبناء الزوايا وأتباعها، أبناء وقتهم، ونماذج في القدوة وفي المسارعة إلى النفع، على النمط الذي أكسب هذه المؤسسة هيبة وقدسية وتبجيلا، ومصدرا للخير العميم"(2). وعلى إثر هذه التوجيهات الملكية، بادرت وزارة الأوقاف

---

(1) مقتطف من رسالة ملكية وجهها العاهل المغربي محمد السادس إلى المشاركين في الدورة الوطنية الأولى للقاء سيدي شيكر للمنتسبين للتصوف، يوم الجمعة 19 شتنبر 2008.

(2) المرجع أعلاه.

والشؤون الإسلامية إلى وضع دليل منهجي[1] ليكون رهن إشارة كل الفاعلين في المجال الديني بالمغرب، وذلك لتحقيق انسجام كلي، وتفاعل اندماجي، في مجال الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد؛ خدمةً للمقاصد الدينية، والمصلحة الوطنية العليا للأمة، ويتوخى هذا الدليل تحقيق الخصوصية المغربية التي تقوم على مراعاة الضوابط المنهجية الأربعة الآتية:

- •الضابط المنهجي الأول: العقيدة الأشعرية.
- •الضابط المنهجي الثاني: المذهب المالكي، ثقافة اجتماعية ونفسية.
- •الضابط المنهجي الثالث: التصوف، تربية على المحبة.
- •الضابط المنهجي الرابع: إمارة المؤمنين، دعامة للأمن الروحي.

وعن الثلاثية الأولى يصرح محمد حجي، أحد الباحثين المغاربة المرموقين، قائلا: "اختار المغاربة صوفية الأخلاق والسلوك مع **الإمام الجنيد**، كما اختاروا عقيدة الأشعري في التوحيد، ومذهب **الإمام مالك** في التشريع"[2]، وهو ما توضحه المنظومة المغربية في التدين الموسومة **بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، المعروفة بمتن ابن عاشر**[3] التي يقول في مقدمتها:

---

(1) ينظر الدليل على الموقع التالي: http: //www.aktab.ma.

(2) محمد حجي " المغاربة اختاروا تصوف الأخلاق والسلوك"، جريدة **الإشارة**، السنة: 2، العدد: 16، محرم 1422هـ/أبريل 2001، ص: 4.

(3) **عبد الواحد بن عاشر**: (990 - 1040هـ) (1582 - 1631 م) عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري، الاندلسي، المالكي (أبومحمد). عالم مشارك في القراءات والنحو والتفسير وعلم الكلام والفقه وأصوله وغيرها. نشأ بفاس، وتوفي بها في 3 ذي الحجة. من تصانيفه: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، الكافي في القراءات، فتح المنان المروي بمورد الظمآن في رسم القرآن. شرح على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، والإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم الباقي من قراءات الائمة السبعة الأعيان. استنادا إلى: - عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، الجزء: 6 ص: 205.

(وبعدُ) فالعون من الله المجيد   في نظم أبيات للأمي تفيد

في عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك

الفصل الثاني: المكونات الأخرى للوجود الإسلامي في أمريكا

يغدو جليًّا مع نهاية الفصل الأول من هذا الباب أن العنصر الأفروأمريكي كان له حضور بارز في تشكيل الوجود الإسلامي في أمريكا عبر المسار التاريخي لهذا الكيان الجغرافي، إلا أنَّ ذلك لا يعني أبدا سلطانه دون غيره، وإن كانت له الغلبة والصدارة؛ إذ تفيدنا أمهات المصادر والحقائق ضرورة استحضار مكونين آخرين لهذا الوجود الإسلامي في أمريكا، نعمد إلى تفصيل القول عنهما، والمقصود هما:

أولا: فئة المسلمين المهاجرين.

ثانيا: فئة المعتنقين الجدد للإسلام من بين الأمريكيين.

المبحث الأول: فئة المسلمين المهاجرين

يتشكل حوالي ثلثي جميع مسلمي الولايات المتحدة من المهاجرين وأبنائهم[1]؛ إذ وصلت الموجات الأولى من المهاجرين المسلمين، سنة وشيعة على حد سواء، مع أواخر القرن التاسع عشر، وكانت أولى المجموعات قد جاءت من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين حيث بدأت تتكون "مجتمعات عربية مسلمة"(Communities) بالقرب من المراكز الصناعية في الغرب الأوسط لتوليدو (Midwest-Toledo)، وسيدار رابيدز (Cedar Rapids)، وديترويت (Detroit)، ومدينة ميشيغان (Michigan City)، وشيكاغو(Chicago)[2].

(1) Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, Islamic Values in the United States (New York: Oxford Press, 1987), 3ff.
(2) Webb. Gesila, "Expressions of Islam in America", appeared in: America's Alternative =

كان معظم هؤلاء المهاجرين من غير المتعلمين، ومن العمال غير المهرة الذين سعوا وراء فرص اقتصادية في الولايات المتحدة، وقد أدى الامتداد الأسري لهؤلاء المهاجرين إلى تأسيس المساجد الأولى في أمريكا الشمالية؛ حيث كانت هذه المساجد تتوخى الحفاظ على الروابط الاجتماعية للجماعة المؤسسة لها في المقام الأول وإظهار التضامن في هذا العالم الجديد، وتوفير فضاء للجماعة قصد ممارسة شعائرها[1].

موجة أخرى من المهاجرين وصلت إلى الولايات المتحدة بين سنتي:1947 و1960م، تضم مسلمين من الشرق الأوسط ومن الهند وباكستان ومن شرق أوروبا ومن دول الاتحاد السوفياتي كذلك. كان البعض منهم أبناءً للنخب الحاكمة، في حين كان البعض الآخر منهم لاجئين سياسيين، والعديد أيضا أتى بشكل منفرد لتتمة الدراسات العليا[2].

الموجة الموالية من المهاجرين امتدت من سنة:1967م إلى اليوم، وتشكلت من الأفراد الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة لأسباب اقتصادية وسياسية. العديد منهم، لا سيما العرب والباكستانيون، هم من المهنيين المثقفين، يقول أحد الباحثين في هذا السياق:

"وصلت في السبعينات والثمانينيات من القرن العشرين أعداد هائلة من المهاجرين المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كانوا من أقارب وعائلات عشرات الآلاف من الطلبة الذين جاءوا إلى أمريكا من جميع أنحاء العالم لتحصيل العلم لكنهم لم يرجعوا أبدا إلى بلدانهم بعد إنهاء

=

Religions, Edited by Timothy Miller Albany: State University of New York Press, 1995, part: IV, Chapter: 21, p.236.

(1) Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, Islamic Values in the United States (New York: Oxford Press, 1987), 3ff.

(2) Ibid. Among the immigrants were a number of Palestinians who went to Puerto Rico. It is estimated that there are ten thousand Muslims in San Juan alone.

دراستهم"[1].

أعداد كبيرة من الإيرانيين جاءوا أيضا قبل ثورة البلاد وبعدها..[2]، ومازال إلى اليوم يتواصل وفود أعداد مهمة من المهاجرين المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا بعد فتح باب الهجرة عن طريق الاختيار بالقرعة سنويا.

المبحث الثاني: فئة المعتنقين للإسلام

على الرغم من أن الأغلبية العظمى من المسلمين في أمريكا تنتمي إلى فئة الأمريكيين الأفارقة أو إلى المهاجرين المسلمين، إلا أن هناك فئة أخرى هامة وفي نمو مطرد، تلك التي تتكون من الأمريكيين الذين اختاروا اعتناق الإسلام دينا وأسلوبا في الحياة [3]. وهذا ما حذا بالباحثة الأمريكية: إيفون حداد (Yvonne Haddad)، كغيرها من الباحثين، إلى توزيع المسلمين في أمريكا إلى ثلاثة أصناف: المقيمون، النزلاء والمتحولون. هذه الأقسام الثلاثة تعكس إلى حد كبير الهوية الإسلامية في أمريكا الشمالية[4].

المطلب الأول: ظاهرة التحول إلى الإسلام في أمريكا:

يشكل المتحولون إلى الإسلام الطرف الثالث الذي يمثل المجتمع المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية، ولأهمية هذا العنصر أضحى اليوم يعتبر ظاهرة متميزة في دراسة الإسلام، ليس فقط في أمريكا وإنما في الغرب بأسره، وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى تصحيح مقترحاتهم حول الموضوع؛ فـ"لاري بوستون"(Larry Poston) على سبيل المثال، يقترح في

---

(1) Arshad Khan, Islam, Muslims, and America, Algora Publishing, New York, 2003, Part: I, Chapter: II, p.27.
(2) Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, Islamic Values in the United States (New York: Oxford Press, 1987), 3ff.
(3) Smith, Jane I. Islam in America. (Op.Cit).p: 65.
(4) Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, Islamic Values in the United States (Op.Cit), 3ff.

دراسته التحليلية لموضوع: "الدعوة الإسلامية في الغرب: النشاط التبشيري الإسلامي، وديناميات التحول إلى الإسلام"[1] المعنونة بالإنجليزية:(Islamic Da'wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam) ضرورة تجاوز تحليل وليم جيمس (William James) وعدم تكرار نفس نمط نموذجه الذي يشَبه موقف المتحول إلى الإسلام بذلك التغير المفاجئ الذي يطرأ على المراهق في كثير من الحالات الناشئة عن شخصية غير مستقرة. بدلا من ذلك، يعتبر "لاري" أن العديد من المتحولين إلى الإسلام هم من الراشدين الذين قضوا الكثير من الوقت في البحث والتفكير في القضايا الدينية، وليسو مجرد مراهقين يتخذون قرارات فجائية قابلة للتغيير بعد ذلك.

المطلب الثاني: المقارنة بين ظاهرة التحول إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا:

على الرغم من أن البحث والتفكير في القضايا الدينية، وأحيانا الصدفة والحظ تعتبر من العناصر الرابطة والموحدة بين معتنقي الإسلام في الغرب، إلا أن هناك خصوصيات اجتماعية قد تجعل التحول إلى الإسلام في أمريكا يختلف عنه في أوروبا. حيث تذهب مارسيا هيرمانسن إلى أن مسألة اعتناق الإسلام في المجتمع الأمريكي تختلف عنها في أوربا، ذلك أن التحول إلى الإسلام في مجمله داخل الولايات المتحدة الأمريكية مقبول اجتماعيا بشكل أكبر منه في أوروبا لأن الصورة والمعجم والتاريخ المرتبط بفكرة "Turning Turk" (أن تصبح تركيًا) غائبة عن المجتمع الأمريكي الذي لم يخضع أبدا للأمبراطورية العثمانية المسلمة. إن الدين في المجتمع الأمريكي

(1) Poston Larry, Islamic Da'wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam, New York: Oxford University Press, 1992.

هو مسألة إرادية طوعية وأسلوب حياة اختياري ولا يرتبط بالإثنية. ساهم حضور العنصر الإفريقي-الأمريكي أيضا في جعل الإسلام مألوفا في الوسط الأمريكي العام، وإن كانت صورة الإسلام كعدو تحضر بشكل أكيد لا سيما في ظل الهجومات الإرهابية والصراعات الكبيرة الدائرة في الشرق الأوسط [1].

لكن على العموم، كما تقول بذلك هيرمانسن، ف" الإسلام يصور عادة كمصدر للتناغم العرقي، كما ورد في السيرة الذاتية "لمالكوم إكس" على سبيل المثال، أو في تحول محمد علي إلى بطل أمريكي مسلم. إن فكرة تجاوز الإسلام للهوية العنصرية وتبنيه موقفا تقدميا من مسألة العرق نجد صداها يتكرر في العديد من قصص المتحولين إلى الإسلام بيضا كانوا أم سودا "[2].

توفر رأفة الإسلام ورحابة آفاق الغفران فيه فرصة أمام المسجونين الأمريكيين لاعتناقه، حتى أصبحت مسألة اعتناق الإسلام في السجون ظاهرة أمريكية هامة وملحوظة في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا السياق نشير إلى ما قدمه روبرت دانين (Robert Dannin) من إحصائيات همت فقط ولاية نيويورك، حيث ذكر أن غرفة إصلاح المنحرفين أحصت 10,186 من النزلاء المسلمين المسجلين في اثنين وثمانين سجنا مختلفا سنة: 1992م، يشكل عدد المسلمين الأمريكيين الأفارقة منهم نسبة: 16.9%، ويوجد ثلث هؤلاء السجناء الأمريكيين الأفارقة في ولاية نيويورك[3]. وينشط العديد من الدعاة المسلمين الأمريكيين في السجون.

(1) Hermansen, Marcia, “What’s American about American Sufi Movements”, in: Sufism in Europe and North America, (op.cit), p: 43.
(2) Hermansen, Marcia, “What’s American about American Sufi Movements”, in: Sufism in Europe and North America, (op.cit), p: 43.
(3) Robert Dannin, "Island in a Sea of Ignorance: Dimensions of the Prison Mosque" in

المطلب الثالث: أسباب تحول الأمريكيين إلى الإسلام:

تعزى ظاهرة اعتناق الإسلام داخل المجتمع الأمريكي إلى بعض العوامل الاجتماعية، منها: دعوة الإسلام إلى المساواة ونبذه للعنصرية، حيث لا تفرق تعاليمه بين العنصر الأسود والأبيض، أو الحر والسجين، أو الذكر والأنثى.

ينضاف إلى ذلك عامل الزواج، حيث نجد من بين هؤلاء المتحولين مجموعة من النساء الأمريكيات اللائي تزوجن برجال مسلمين بحكم أن الإسلام يخول للرجال المسلمين الزواج من نساء أهل الكتاب، وهذا ما دفع ب"جين سميث" إحدى المتخصصات في دراسة الإسلام بأمريكا إلى احتمال "أن أكثر من نصف الزيجات التي تجمع الذكور المسلمين المهاجرين بالإناث الأمريكيات تنتهي باعتناق النساء للإسلام"(1)، وترجع هذه الباحثة أسباب هذا الاعتناق: "إما بسبب شغف الرجل باعتناق زوجته للإسلام، أو بسبب اقتناعها أن الإسلام هو الدين الحق، أو لأنها تريد أن ينشأ أبناؤها في وسط مُوَحِّد (Monolithic home)، بالرغم من أن بعض الاستطلاعات التي همت النساء المعتنقات للإسلام أثبتت أن العديد منهن قد اقتنعن بالإسلام قبل الزواج من الرجل المسلم"(2).

اختار العديد من الأمريكيين أيضا الدين الإسلامي لأسباب أخرى؛ "فمنهم من وجد في الإسلام الجاذبية الفكرية لحضارة عظيمة من الإنجازات الثقافية والعلمية والبحثية التي تشكل الترياق المنعش للمناخ العلماني اللافكري للغرب المعاصر"(3)، في حين وجد فيه البعض الآخر

Barbara Metcalf Making Muslim Space, 131-146. Quote cited is on page 131.
(1) Smith, Jane I. Islam in America. (Op.Cit), p: 65.
(2) Ibid, p: 65.
(3) Ibid, p: 65.

تلك"البساطة المباشرة في إعلان العقيدة وفي الأركان الخمسة التي يجب على المسلم الامتثال لها؛ فبالنسبة لبعض الأمريكيين هذا التصريح الواضح والمباشر يشكل بديلا جذابا لما يجدونه من ارتباك في العقائد المسيحية الغامضة، وفي إثبات الثالوث الذي تعتنقه الكنيسة المسيحية"[1].

كانت عقيدة التوحيد إلى جانب مرونة الإسلام وقدرته على الاندماج والتكيف مع مختلف المجتمعات وإن تنوعت ثقافتها، أسبابا مباشرة وراء الشيوع الكبير للإسلام في العديد من أصقاع العالم، يقول الباحث الفرنسي إيريك جوفروا موضحا ذلك:

"إن الانتشار المذهل للإسلام الذي تم على مراحل، ما كان ليتحقق لو لم يكن المسلمون يحملون في داخلهم القيمة المحورية للتوحيد، وهو ما يجعلهم يشعرون أنهم في ديارهم حيثما كانوا، وأنهم قادرون على التماس "الوحدانية" في تعدد الثقافات واللغات والأديان؛ وكان لديهم تصوّر واحد لهذين المستويين من الحقيقة: الوحدانية والتعدد، مما أتاح لهم التكيف مع حداثتهم، وأتاح لنا أن نتوافق مع حداثتنا نحن. كانوا متراضّين، أفراداً وجماعات، حول محورية التوحيد، في حوارهم مع العالم وفي احتكاكهم الآمن مع الآخرين. وكانوا متلهفين إلى معرفة الحضارات الأخرى واستيعابها، لذا استمرّ الإسلام الكلاسيكي، بل شجع على نوع من العولمة، في أفضل مظاهرها: الكونية الروحية وليس النمطية المادية الحالية"[2].

إذا كان الإسلام قد استطاع أن يجلب الكثير من الأمريكيين الأفارقة

---

(1) Ibid, p: 65.

(2) إيريك جوفروا (Eric Geoffroy)، "مرحلة صعبة يلتقي فيها «المحلي» و«العالمي» أو يتصادمان. جهود مطلوبة لإعادة اكتشاف الأساسيات الإنسوية الروحية للإسلام"، نظر على الموقع الإلكتروني الرسمي للباحث: /http: //www.eric-geoffroy.net بتاريخ: 3يناير 2007م.

لما وجدوا فيه من ترياق شاف لاستمرار عنصرية البيض في المجتمع الأمريكي، فإن الأمريكيين الآخرين، الأنجلوساكسونيين على وجه الخصوص، وجدوا في منبره المنادي بالمساواة بديلا حيا للمسيحية التي تبدو في بعض الأحيان قيدا غير منفصم من الممارسات المؤذية والضارة[1]، وهذا ما جعل عدد المسلمين الأنجلوساكسونيين في الولايات المتحدة في ازدياد دائم، حيث تبين إحدى الإحصائيات التي تمت خلال التسعينات من القرن العشرين، أنهم "يتراوحون بين 20 و50 ألف فرد، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه من الصعب جدا تحديد الأرقام بالدقة اللازمة"[2].

تنضاف إلى تلك العوامل الفكرية والدينية أسباب أخرى نفسية تكون أحيانا شكلية وراء تحويل عدد لابأس به من الأمريكيين إلى الإسلام، حيث "يجد أمريكيون أنجلوساكسونيون آخرون العزاء في الإسلام لإخراجهم من معاناتهم النفسية كالعزلة والكآبة...في حين يفضله آخرون لأسباب تبدو سطحية كمظاهر اللباس المحتشم الذي يلتزم به المسلمون"[3].

يعتبر ارتباط العديد من الأمريكيين بالطرق الصوفية أحد الدوافع المباشرة والرئيسة وراء اعتناق الكثير منهم للدين الإسلامي، حيث يبدو أن هناك اهتماما متزايدا بالتصوف في الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره سلوكا نفسيا وروحيا..؛ "وعلى العموم فالأمريكيون يجدون في الطرق الصوفية الانفتاح والتسامح والليونة والدعم الذي يستجيب لاحتياجاتهم واهتماماتهم الفردية"[4].

---

(1) Smith, Jane. Islam in America. (Op.Cit).p: 65.
(2) Ibid, p: 65.
(3) Smith, Jane I. Islam in America. (Op.Cit).p: 66.
(4) Ibid.p: 69.

الفصل الثالث: الإسلام في أمريكا:
مقاربة إحصائية

يتضمن هذا الفصل مجموعة من التواريخ الهامة التي تؤرخ لأبرز الأحداث التي طبعت التاريخ الأمريكي إلى بداية القرن الواحد والعشرين، بالإضافة إلى مجموعة من الإحصائيات التي تبين تطور الساكنة الإسلامية في أمريكا، ومدى مساهمتها في تنشيط الحياة العامة داخل التراب الأمريكي.

المبحث الأول: كرونولوجية الإسلام في الولايات المتحدة من خلال أهم مراحله التاريخية

1527م:

سجلت هذه السنة وصول أول مسلم إلى أمريكا، وهو استيفان من أزمور بالمغرب، وصل إلى فلوريدا تزامنا مع الحملة المشؤومة من بانفيلو دي نارفاييس(Panfilo de Narvaez) ، وبقي في أمريكا ليصبح من أوائل الثلاثة الذين عبروا القارة. وعلى الأقل هناك ولايتان أمريكيتان تدينان ببدايتهما الأولى إلى هذا المسلم؛ هما ولايتا أريزونا ونيو- مكسيكو.

1530م:

وصلت أول سفينة محملة بالعبيد إلى أمريكا، يعتقد أنها كانت تحمل معها المسلمين لأنها جاءت من بلاد كانت تدين بالإسلام؛ فأكثر من ثلاثين في المئة من العشرة ملايين من العبيد الذين جيء بهم إلى أمريكا كانوا مسلمين.

1717م:

تظهر بعض التسجيلات أن من بين العبيد الذين حملوا إلى شمال أمريكا من كان يتكلم العربية، وكان أيضا لا يأكل الخنزير ويؤمن بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

1732م:

تم تحرير أيوب بن سليمان جالون، عبد مسلم من ماريلاند، من طرف جيمس أوجليثروب (James Oglethorpe)مؤسس جورجيا الذي سمح لجالون بالانتقال إلى أنجلترا، وفي سنة: 1735م عاد جالون إلى وطنه في إفريقيا الغربية في المنطقة التي تسمى حاليا بالسنيغال وموريطانيا.

1770م:

مجموعة من الإخوة يطلق عليهم اسم:"الوهاب" غرقوا في سواحل شمال ولاية كارولينا، حيث كانوا قد استقروا هناك وتزوجوا وأسسوا مزرعة. وما يزال حفدتهم إلى اليوم يملكون سلسلة ضخمة من الفنادق في كارولينا الشمالية.

1787م:

كان عبد الحق ومحمد بن عبد الله، المسلمين الوحيدين من بين أولئك الذين وقعوا معاهدة السلام والأخوة على نهر ديلاوير (the Delaware River)، حيث تفصل هذه المعاهدة حق الهنود الحمر للعيش كجماعة في المناطق الحكومية والتجارية ومناطق الشحن البحري.

1807م:

تم أسر عمر بن سعيد، تاجر وعالم مسلم من منطقة فوتاتورو من إفريقيا الغربية، حيث تم حمله إلى الولايات المتحدة الأمريكية لبيعه كعبد هناك. في نفس السنة، تم تحرير "ياروو ماموت" وهو عبد إفريقي

مسلم، كان يعيش في واشنطن (دي سي)، ليصبح بعد ذلك من أوائل المساهمين في بناء ضفة كلومبيا.

1828م:

أُسر عبد الرحمن إبراهيم بن صوري، أمير سابق من غرب إفريقيا، وحُمل للعمل كعبد في مزارع جورجيا، وكان معروفا لدى الأمريكيين بأنه "أمير العبيد"The Prince of The Slaves""

1856م:

تعاقد فرسان الولايات المتحدة مع مسلم من الإمارات العربية، يسمى الحاج علي لتجريب زيادة قطيع الجمال في أريزونا.

1869م:

بداية هجرة اليمنيين بشكل بطيء ولكنه ثابت إلى الولايات المتحدة بعد افتتاح قناة السويس.

1889م:

كان إدوارد ووكر بلايدن (Edward W. Blyden) باحثا وناشطا اجتماعيا مرموقا، وكان يجاهر بإسلامه أينما رحل وارتحل داخل أنحاء البلاد الأمريكية، يقول في إحدى خطبه بأن الأفارقة فضلوا الإسلام على المسيحية، وبأن القرآن يوفر الحماية للرجل الأسود من الاستهلاك الذاتي في وجود الغرب أو الأوروبيين.

1893م:

وصول الأفواج الأولى من المهاجرين المسلمين إلى الولايات المتحدة، حيث كان يتشكل المهاجرون المسلمون الأوائل الذين وفدوا إلى شمال أمريكا من اللبنانيين والأردنيين والسوريين والفلسطينيين. وكان أغلب هؤلاء المسلمين المهاجرين من العرب، والأكراد، والأتراك، والألبانيين.

في هذه السنة، أعلن أول أمريكي أبيض من أصول أوربية إسلامه في الولايات المتحدة؛ هو محمد ألكسندر ويب(Alexander Webb) (1847-1916م) وذلك في مدينة شيكاغو الأمريكية.

1900م:

قامت جماعة من المسلمين بتنظيم صلاة جماعية في منطقة روس (Ross, N.D).

1907م:

تأسست الجمعية المحمدية الأمريكية في مدينة نيويورك من قبل المهاجرين من بولندا، وروسيا، وليتوانيا. وبقدوم سنة: 1950م، كانت الجمعية تضم 400 عضو، وهي لا تزال إلى اليوم تعرف باسم "مسجد المسلمين."

1910م:

بدأ حضرة عنايت خان (Inayat Khan)، مؤسس الطريقة الصوفية في الغرب، تلقين تعاليمه الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ما تزال مستمرة إلى اليوم.

1913م:

أسس نوبل درو علي هيكل العلم المغربي في مدينة نِوُورْك.

1915م:

تأسست إحدى الجمعيات الأولى الخاصة بالمسلمين في الولايات المتحدة من طرف المسلمين الألبان الذين شيدوا مسجدا في مين (Maine) ومسجدا آخر سنة: 1919م في كونيتيكات.(Connecticut)

1920م:

بدأت جمعية الهلال الأحمر في مدينة ديترويت أعمالها، وهي جمعية

خيرية إسلامية على غرار الصليب الأحمر الدولي. توجد الآن في جميع أنحاء العالم.

تم تأسيس أول مبنى، كان يستخدم بشكل مستمر كمسجد، في قاعة مستأجرة في سيدار رابيدز، ولاية آيوا (Cedar Rapids, Iowa).

1921م:

تأسس فرع الحركة الأحمدية في شيكاغو من طرف الدكتور صادق محمد مفتي الذي يعتبر أول داعية أحمدي وصل إلى أمريكا.

1924م:

انتهاء وصول أول موجة من المهاجرين المسلمين بفرض قانون الإقصاء الآسيوي (Asian Exclusion Act)، و"قانون جونسون-ريد للهجرة" (Johnson-Reed Immigration Act)الذي يسمح بدخول عدد قليل من "الآسيويين"، بمن فيهم العرب، إلى الولايات المتحدة.

1926م:

شيد التاتاريون الناطقون باللغة البولندية مسجدا في بروكلين بنيويورك.

1928م:

أسس الشيخ داود أحمد فيصل، ذو المرجعية المغربية والكاريبية، مركز النشئة الإسلامية في بروكلين، حيث كان يدرس فيه الشيخ القرآن الكريم والسيرة النبوية، ويعلم الأركان الخمسة للإسلام. وبذلك فهو يشكل قطيعة مع معبد العلم المغربي، وإن ظل يحتفظ بولائه لهويته المغربية .

1930م:

أعاد وارث دين محمد تجميع شتات أمة الإسلام في شمال أمريكا، داعيا إلى التمسك بالهوية السوداء والدين الإسلامي.

1934م:

تخلّى إليجا محمد (1897-1975م) عن تنظيم "أمة الإسلام".

1935م:

شيَّد المهاجرون اللبنانيون أول مسجد إسلامي "المسجد الأم لأمريكا" في سيدار رابيدز بولاية آيوا (Cedar Rapids, Iowa). ولا يزال هذا المسجد، الذي عمل مركزا ثقافيا أيضا، مفتوحا إلى اليوم.

1939م:

تأسست جمعية الرسالة الإسلامية في مدينة نيويورك من طرف الشيخ داود، وأصدرت مجلة تحمل عنوان: "شروق المسلم.(Muslim Sunrise)"

1947م:

- تأسس المركز الإسلامي لواشنطن الذي فتح أبوابه سنة:1957م، يضم المركز مكتبة تزخر بالكتب الإسلامية والمقالات والدوريات والصور والأشرطة السمعية البصرية، أغلب موادها باللغة العربية، مع مصادر متاحة باللغة الإنجليزية أيضا.

- التحق مالكوم إكس بحركة "أمة الإسلام" من داخل السجن.

1952م:

ـ قاضى المسلمون المجندون في الخدمة العسكرية الحكومة الفدرالية للاعتراف بهويتهم الإسلامية، حيث لم يكن حينئذ الإسلام معترفا به كدين شرعي في الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ في نفس السنة أطلق سراح مالكوم إكس من السجن، حيث أصبح مسؤولا يحمل صفة "وزير" في تنظيم "أمة الإسلام".

1955م:

تم تأسيس مسجد شارع الولاية(The State Street Masjid) ، في مدينة نيويورك من طرف الشيخ داود أحمد فيصل، وما يزال هذا المسجد

مستعملا إلى اليوم، ويمثل نقطة حساسة في تطور الجماعة المسلمة الأمريكية، حيث انطلقت من هذا المسجد الحركة الشهيرة ب"دار الإسلام."

1962م:

ـ تأسست حركة دار الإسلام، التي تضم مجموعة هامة من المسلمين الأفرو-أمريكيين، انطلاقا من مسجد شارع الولاية الشهير في نيويورك. استمرت هذه الحركة في نشاطها إلى حدود سنتي:1982-1983م، وقد أثرت هذه الجماعة بعمق في تطبيق وممارسة الإسلام السني في الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ في نفس السنة، قام تنظيم "أمة الإسلام" بإصدار جريدة تحت عنوان: "محمد يتكلم" والتي نمت بشكل سريع لتصبح أكبر أسبوعية متداولة بين الأقليات في الولايات المتحدة، حيث وصلت في ذروتها إلى 800 ألف قارئ، اشتهرت بعد ذلك باسم" أخبار البلاليين"، وحاليا تصدر بعنوان: "جريدة المسلمين" برواج يصل إلى: 20 ألف نسخة.

1963م:

تأسست جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا (MSA) كأول تنظيم قاري للمسلمين في شمال أمريكا، والذي يتوخى مساعدة الطلبة المسلمين الأجانب للتسجيل في المدارس الأمريكية والكندية. حيث سيتم تأسيس عدة فروع لها خلال السبعينات، منها: الجمعية الطبية الإسلامية(IMA) ، وجمعية علماء الاجتماع المسلمين(AMSS) ، وجمعية العلماء والمهندسين (AMSE) والجمعية الإسلامية لشمال أمريكا (ISNA).

1964م:

- قام مالكوم إكس بحجته المشهورة التي قادته إلى تغيير اسمه إلى الحاج مالك شاباز، ومساره بالانفصال عن أليجا محمد و"تنظيم أمة الإسلام"، وتأسيس " جامع المسلمين" بداية، ثم منظمة الوحدة الأفرو-أمريكية بعد ذلك.

- في نفس السنة، أعلن الملاكم الشهير "كاسيوس كلاي" (Cassius Clay) اعتناقه الإسلام وتغيير اسمه إلى "محمد علي كلاي".

1965م:

- اغتيل الحاج مالك شاباز (مالكوم إكس) بينما كان يلقي خطابا في اجتماع لمنظمة الوحدة الأفرو-أمريكية.

- حررت القوانين الأمريكية السامحة للباكستانيين والبنغاليين والعرب من الطبقة المهنية (دكاترة ومهندسين..) بالهجرة، مما ساعد على إرساء الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية.

1968م:

تأسست "الحركة الحنفية" من طرف حماس عبد الخالص، حيث تم تأسيس مركز المذهب الحنفي في نيويورك بداية، وواشنطن دي سي بعد ذلك.

1971م:

عرفت هذه السنة تأسيس جماعة باوا محيي الدين الصوفية في مدينة فيلاديلفيا، حيث عملت هذه الجماعة الصوفية على استقطاب الأمريكيين والمهاجرين على حد سواء. وعلى الرغم من وفاة الشيخ باوا محيي الدين سنة: 1986م إلا أن الجماعة استمرت في توسعها وتوطدت علاقتها أكثر بالمجتمع الإسلامي في أمريكا ككل.

1973 م:

اعتنق راب براون (H. Rap Brown) عضو حزب النمر الأسود الإسلام في السجن، حيث غير اسمه إلى "جميل الأمين"، وعندما أطلق سراحه من السجن سنة: 1976م أصبح زعيما لأزيد من ثلاثين مركزا إسلاميا.

1975 م:

ـ وفاة إليجا محمد زعيم تنظيم "أمة الإسلام"، حيث خلفه ولده وريث الدين محمد الذي حاول تغيير مسار التنظيم إلى تبني "الإسلام السني".

ـ بروز حركة "أنصار الله" التي يتزعمها "عيسى محمد"، وهي طائفة سوداء تنسب نفسها إلى الإسلام، يُعرف أصحابها بلباس أثواب بيضاء وهم يؤمنون بسمو الرجل الأسود ودونية الرجل الأبيض.

ـ تأسيس التحالف الإسلامي (Alianza Islamica) في نيويورك، وهو من أقدم تنظيمات المسلمين اللاتينيين في الولايات المتحدة.

1976 م:

تغير اسم "أمة الإسلام" تحت زعامة وارث دين محمد إلى "الجماعة العالمية للإسلام في الغرب"

1977 م:

انفصل لويس فرخان عن وارث دين محمد، وبدأ إصدار جريدة (the Final Call) كخطوة لإعادة بناء تنظيم "أمة الإسلام."

1979-80 م:

قام بعض المتشددين الإيرانيين، بعد الثورة الإسلامية، بهجوم عنيف على سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في طهران، أسروا خلاله سبعين رهينة، العديد منهم حجزوا لأكثر من سنة، أزمة الأسرى هاته التي ابتدأت

في رابع نونبر 1979م كانت مفتاحا لجلب انتباه الرأي العام الأمريكي نحو الإسلام باعتباره قوة سياسية ودينية.

1981 م:

أسست أول مكتبة إسلامية أمريكية في (Plainfield, Ind).

1982 م:

تأسست الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA) في (Plainfield, Ind) قصد مساعدة الطلبة المسلمين الأمريكيين والمهاجرين على حد سواء.

تعمل(ISNA) اليوم كمظلة للعديد من المجموعات الإسلامية النشيطة التي تنشد نشر الإسلام في الولايات المتحدة.

تم تشييد الكلية الإسلامية الأمريكية في شيكاغو لتكون أول جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية متخصصة في الدراسات الإسلامية تعرض أربع سنوات من الدراسة للحصول على شهادة الإجازة في الدراسات العربية والإسلامية..

1986 م:

تم اغتيال الدكتور إسماعيل الفاروقي وزوجته في منزلهما في ضواحي فيلاديلفيا، وهما باحثان معروفان في حقل الدراسات الإسلامية بالولايات المتحدة؛ فهما مؤلفا موسوعة الأطلس الثقافي للإسلام، إلى جانب مجموعة أخرى من الكتب والأبحاث، كما أن الدكتور الفاروقي هو مؤسس (AMSS) والمعهد الدولي للفكر الإسلامي الموجود في شمال فرجينيا، وكانا معا مسؤولين عن برامج بناءة لنشر الإسلام في الولايات المتحدة.

1987 م:

تم تأسيس شبكة اليقظة الإسلامية في شيكاغو لتحريك الاستجابة

الإسلامية لمحاربة الميز ضد المسلمين، لا سيما من خلال وسائل الإعلام. بعد ذلك، ولنفس الغرض تم تأسيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية.

1990 م:

انعقد أول مؤتمر تضامني تحت شعار:"المسلمون ضد الميز العنصري (Muslims Against Apartheid)وهو المؤتمر الأول من نوعه الذي عقده المسلمون في أمريكا تحت إشراف المجلس الإسلامي الأمريكي لمناهضة الميز العنصري في جنوب إفريقيا.

في نفس السنة، أصبحت الدكتورة شيرين طاهر خولي أول سفيرة مسلمة للولايات المتحدة الأمريكية لدى الأمم المتحدة، حيث ستترأس البعثة الأمريكية الموفدة إلى اللجنة الأممية لحقوق الإنسان في مارس: 2001م.

1991 م:

سيتم استدعاء أول إمام مسلم، وهو "سراج وهاج" إمام مسجد التقوى في نيورك، للقيام بالدعاء في غرفة الممثلين البرلمانيين الأمريكية.

انعقاد أول مؤتمر للمسلمين الذين يعملون في الوحدات العسكرية الأمريكية، حيث وصل عدد المشاركين في المؤتمر إلى خمسة آلاف عضو.

في نفس السنة سيصبح شارلز بلال أول مسلم ينتخب عمدة لمدينة أمريكية صغيرة كونتزي Kountze :تقع جنوب تكساس بحوالي 2000 نسمة أغلبهم من المسيحيين..

1992 م:

استدعي الإمام وارث دين محمد من طرف مجلس السيناتورات الأمريكي لأول مرة في تاريخه لإلقاء الدعاء نيابة عن المسلمين الأمريكيين.

1993 م:

أصبح عبد الرشيد محمد أول إمام مسلم يوظف من طرف القوات العسكرية الأمريكية.

في 26 فبراير من نفس السنة انفجرت شاحنة محملة بالمتفجرات أمام مركز التجارة الدولي، وكان هذا الحدث الإرهابي الأول من نوعه والأكثر دلالة فوق التراب الأمريكي، حيث أدين فيه العديد من المسلمين والعرب.

1994 م:

تأسس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (CAIR) في واشنطن دي سي قصد نشر الصورة الإيجابية حول الإسلام والمسلمين في أمريكا، ولتمثيل وجهة النظر الإسلامية في مواضيع ذات أهمية لدى الرأي العام الأمريكي. ويعتبر هذا المجلس من أحسن جماعات الضغط الإسلامية تنظيما في الولايات المتحدة الأمريكية.

1996م:

شكَّل يوم 20 فبراير من سنة1996م احتفال البيت الأبيض لأول مرة مع المسلمين الأمريكيين بعيد الفطر، دعت إليه سيدة البيت الأبيض حينئذ هيلاري كلينتون.

شهدت هذه السنة كذلك افتتاح أول مسجد بمطارات الولايات المتحدة، كان ذلك في مطار دنفر الدولي (Denver International Airport).

1997 م:

تم رفع الراية الإسلامية التي يجسدها الهلال والنجمة لأول مرة إلى جانب شعار الصليب المسيحي ونجمة داود على تراب البيت الأبيض بمناسبة الاحتفال برأس السنة الميلادية..

1998 م:

أول مرة يستدعي البنتاغون الأمريكي بعض المسلمين لوجبة الإفطار خلال شهر رمضان.

2001 م:

كان الحادي عشر شتنبر من هذه السنة يوما مأساويا في تاريخ الولايات المتحدة؛ إذ وقع الهجوم الإرهابي على مركز التجارة الدولي والبنتاغون والذي تسبب في قتل حوالي ثلاثة آلاف شخص، نسبت العملية إلى بعض الجماعات الإسلامية المتشددة لا سيما "القاعدة"، وهيمن هذا الحدث على مختلف وسائل الإعلام وعلى المشهد السياسي الدولي لعدة سنوات موالية.

- في هذه السنة أيضا صدر أول طابع بريدي أمريكي احتفالا بمناسبة عيد الفطر الإسلامي، مكتوب عليه باللغة العربية:"عيد مبارك". كما افتتح متحف الثقافة الإسلامية في جاكسون بولاية ميشيغين، وهو المتحف الإسلامي الأول في الولايات المتحدة الأمريكية.

في ثامن نونبر من نفس السنة، واستجابة لأحداث 11 شتنبر والتضييق الذي لحق المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، أعلن مجلس النواب الأمريكي اعترافه بالدين الإسلامي كأحد أقوى الديانات في العالم.

المبحث الثاني: الساكنة الإسلامية وحيوية المجتمع الإسلامي في أمريكا

المطلب الأول: الساكنة الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية:

يعتبر الإسلام من أسرع الأديان نموا في أمريكا؛ ففي الوقت الحالي

"يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية بستة ملايين نسمة، بالرغم من أن البعض يقدرهم بأزيد من ثمانية ملايين مسلم. وإذا اعتبرنا أن الستة ملايين هو العدد الصحيح لمسلمي أمريكا فإنهم يكونون بذلك متساوين مع ساكنة اليهود الأمريكيين، ويفوقون المسيحيين اللوثريين (Lutherans) والأسقفيين (Presbyterians) والمشيخيين (Episcopalians). ويقدر عدد المسلمين من بين الأمريكيين الأفارقة بمليون نسمة، ويذهب البعض إلى تقدير عددهم بما يفوق مليوني مسلم"[1].

بحسب صندوق الاقتراع الدولي زوغبي (Zogby International Poll) المفوض من طرف مجلس المسلمين الأمريكيين (American Muslim Council) في غشت من سنة:2000م، فإن نسبة: 22.4 في المئة من المسلمين الأمريكيين ولدوا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتتوزع نسب المسلمين الأمريكيين بحسب الأصل إلى[2]:

نسبة: 26.2 في المئة من عرب الشرق الأوسط.

نسبة:24.7 في المئة من جنوب آسيا.

نسبة: 22.8 في المئة من الأفارقة الأمريكيين.

نسبة: 11.6 في المئة من أصول أخرى.

نسبة: 10.3 في المئة من الشرق الأوسط.

نسبة: 3.4 في المئة من آسيا الشرقية.

(1) Arshad Khan, Islam, Muslims, and America, Algora Publishing, New York, 2003, Part: I, Chapter: II, p.2.8

(2) Zogby International, August 2000.

المطلب الثاني: حيوية المجتمع الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية:

أورد الباحث "أرشد خان" في مقاربة إحصائية حول حيوية المجتمعات الإسلامية بأمريكا، مجموعة من المعطيات نجملها فيما يلي:

"ينشط المسلمون في أمريكا على مختلف أصعدة الحياة، فهم يعتبرون أكثر تعليما من معدل الأمريكيين غير المسلمين؛ فأكثر من 61 في المئة من المسلمين الأمريكيين هم خريجو الكليات الجامعية بالمقارنة مع 43.7 في المئة من مجموع الأمريكيين. نسبة مئوية كبيرة من المسلمين هم مهنيون محترفون كالدكاترة، والمهندسين، وعلماء الرياضيات، وهم يتوزعون على كل الولايات الأمريكية الخمسين بنسب مختلفة:

- الشرق: 32.2 في المئة
- الجنوب: 25.3 في المئة
- البحيرات الكبرى / الوسطى: 24.3 في المئة
- الغرب: 18.2 في المئة

يسير المسلم الأمريكي مئات المدارس الإسلامية، بضع كليات، وأكثر من ألفي مسجد. وقد تم تأسيس آلاف المراكز الإسلامية في كل أنحاء الدولة لإعطاء برامج اجتماعية وثقافية"[1] .

خلاصة: (استخلاص بعض خصوصيات التدين في الولايات المتحدة الأمريكية)

تعد الولايات المتحدة من أكبر المناطق تنوعا في ساكنتها، فهي ومنذ اكتشافها كانت محل جذب من كل الأماكن ومن كل الجنسيات؛ فبالإضافة

(1) Arshad Khan, Islam, Muslims, and America, (Op.Cit), p.2.8

إلى سكانها الأصليين الذين أبيد أغلبهم، قصدها في مرحلة الاكتشافات الجغرافية سكان من ذوي الأصول الأوروبية كالإنجليز والإسبان والفرنسيين والبرتغاليين، وتوالت بعد ذلك أفواج من الجرمانيين والهولنديين وغيرهم.. ثم جاءت مرحلة العبيد ليُجلَب شباب إفريقيا السوداء بالآلاف للعمل في مزارع وحقول المستعبدين الأوروبيين.. وبعد عملية إصلاح "قانون الهجرة" في الستينات صارت الولايات المتحدة قبلة لوفود من المهاجرين الأسيويين والعرب ومن أمريكا اللاتينية وشمال إفريقيا... وكما هو معروف فإن أي انتقال بشري من مكان لآخر يستلزم أن يصاحبه انتقال للمعتقدات والأفكار والعادات والتقاليد والأعراف.

من هنا جاءت **الخصوصية الأولى** للولايات المتحدة الأمريكية في التدين؛ وهي التنوع الهائل للتقاليد والثقافات وحتى الأفكار والعادات التي جعلت من أمريكا دون سواها كونا مصغرا، قد لا يكون من باب المبالغة أن يقال: إن كل ما تفرق في العالم من ثقافات وتقاليد وأفكار اجتمعت في خريطة جغرافية واحدة تسمى الولايات المتحدة الأمريكية.

الخصوصية الثانية: كثرة الأديان في أمريكا، سواء كانت أديانا سماوية معروفة أو وضعية مختلف في شأنها أو مبهمة المصدر، حيث تضم البلاد طوائف من المسلمين والنصارى واليهود والإبراهيميين والأحمديين والبوذيين والزرادشتيين، وحتى من معتقدات أخرى يجهل مصدرها، وفدت من الصين والهند، بالإضافة إلى المعتقدات الدينية للهنود الحمر، والبلاليين أصحاب الدين الذي استحدثه الأفارقة الأمريكيون في الولايات المتحدة.

الخصوصية الثالثة: أدى احتكاك الناس فيما بينهم لأسباب اقتصادية واجتماعية وفكرية وغيرها.. إلى امتزاج الأديان والمعتقدات فيما بينها وغياب المنخل الحقيقي عند الساكنة لفرز الأصيل من الدخيل والحق من

الباطل، مما تسبب في بروز أشكال معقدة من الأديان والروحانيات تختلف كل الاختلاف عما هو موجود في البلاد الأصلية التي قدمت منها. وقد زاد من تكريسها ما عرفته البلاد من تطورات سياسية، كظاهرة الميز العنصري بين البيض والسود الذي جعل السود ينعزلون بمعتقداتهم وأفكارهم وينشئون دينا خاصا بهم. وقد أدت هذه المشاكل العنصرية للسود إلى صعوبة التأقلم مع الوسط الجديد مما ولد لديهم أزمات روحية شديدة، جعلت الكثيرين منهم يتبنون مختلف أشكال التدين تحت مسمى "الإسلام" باعتباره المتنفس الوحيد لتفريج كربهم، فظهر الكثير من الزعماء الذين ادعوا الألوهية أو النبوءة؛ فكانوا يلتقون بالأنبياء ويتحدثون إليهم[1]، فمنهم من رفع إلى الفضاء في صحن طائر[2]، ومنهم من سكنه أرواح بوذا وعيسى وموسى عليهما السلام، ومنهم من ادعى اتصاله الروحي بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قال بتلقيه الوحي ونزول القرآن المقدس عليه[3]. وما هي في الواقع إلا شدة الضغط الذي ولّدته قساوة العنصرية، بالإضافة إلى الإحساس بالضياع المطلق نتيجة فقدان الهوية.

أغلب زعماء التدين في أمريكا يكون مآلهم إما الاغتيال، مثل مالكوم إكس، أوالسجن بسبب ارتكابهم جرائم قتل؛ مثل: راب براون (H. Rap Brown) عضو حزب النمر الأسود الذي اعتنق الإسلام في السجن وغير اسمه إلى "جميل الأمين"، وعندما أطلق سراحه من السجن سنة: 1976م أصبح زعيما شهيرا لأزيد من ثلاثين مركزا إسلاميا، لكنه في سنة: 2002م سيتهم في جريمة أخرى تهم قتل أحد النواب

---

(1) النبيل درو علي، وفرد محمد.

(2) إليجا محمد ولويس فرخان.

(3) النبيل درو علي.

الفدراليين في جورجيا سيُحكَم على إثرها بالسجن مدى الحياة. نفس المصير سيلقاه سنة: 1977م الأمريكي الأسود حماس عبد الخالص، مؤسس مركز المذهب الحنفي في نيويورك وواشنطن، والذي حكم عليه بالسجن لمدة تتراوح بين 41 و120 عاما، بعدما استولى مع بعض من أتباعه على ثلاث مقاطعات من مباني كولومبيا (Columbia)، محتجزين بعض الأسرى لأكثر من ثلاثين ساعة. ومنهم من ينتهي به المطاف في سلسلة من الفضائح والجرائم الجنسية كإليجا محمد...

تميزت خصوصية التدين في الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداياتها الأولى بالجنوح إلى الروحانيات المفرطة التي كانت السبيل الأمثل للتخلص من ربق العنصرية الخانق، إلا أن هذه الروحانيات ستأخذ مسارات أكثر اعتدالا واتزانا بعد تعرُّف الأمريكيين على التصوف الإسلامي بمختلف مشاربه.

الباب الثاني
التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية

تقديم

يجمع أغلب الباحثين الغربيين على أن الإسلام"تمكن من الانتشار في أماكن جديدة من العالم بشكل كبير عن طريق التصوف، حيث أظهر المسلمون المتصوفة قدرة مرنة على التكيف والاندماج في تلك المناطق"[(1)]؛ فخاصية الاندماج والتكيف عند الصوفية هي التي ضمنت للإسلام التوسع داخل العمق الإفريقي وفي أطراف شاسعة من آسيا، كما تؤكد ذلك الباحثة الألمانية الشهيرة أنّيماري شيميل قائلة:

"قدرة الطرق [الصوفية] على الاندماج جعل منها مركبات لنشر التعاليم الإسلامية، ومن الحقائق الثابتة أن أجزاء كبيرة من الهند وأندونيسيا وإفريقيا السوداء قد دخلت الإسلام من خلال النشاط الدؤوب لوعاظ الصوفية الذين كانوا يجسدون في معيشتهم أبسط التكاليف الإسلامية، حبا عاديا لله، وثقة به، وحبا للنبي ولمن حولهم من الناس، دون الولوج في الخلافات الكلامية والفقهية. وهؤلاء الوعاظ قد استخدموا كذلك اللغات المحلية بدلا عن عربية العلماء؛ فكانوا بذلك سببا في تطور لغات مثل: التركية، والأردية، والسندية، والبنجابية، وغيرها إلى لغات أدب"[(2)].

---

(1) Westerlund. David, “The Contextualisation of Sufism in Europe”, in Sufism in Europe and North America edit: David Westerlund -2004 - Routledge Curson - London &New York, p: 16.

(2) أنيماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف(م.س)، ص: 272.

هذا الكلام يصدق على أوروبا وأمريكا أيضا، التي صار فيها التصوف عنصرا من عناصر هويتها وذاتيتها، على اعتبار أن النسبة الكبيرة من المهاجرين المسلمين إلى الديار الغربية تتشكل من ذوي المرجعيات الصوفية، كما أن أغلب المتحولين الغربيين إلى الإسلام يعتنقونه من باب التصوف.

الفصل الأول: التصوف عامل أساسي لاعتناق الأمريكيين الإسلام

يحاول هذا الفصل بحث دور التصوف في نشر رسالة الإسلام في أوربا وأمريكا الشمالية، حيث يبرز مساهمته في هذا السياق سواء من خلال خلاصات بعض الدراسات الأكاديمية أو تلك الاحصائيات والاستطلاعات التي تجريها بعض المعاهد المتخصصة.

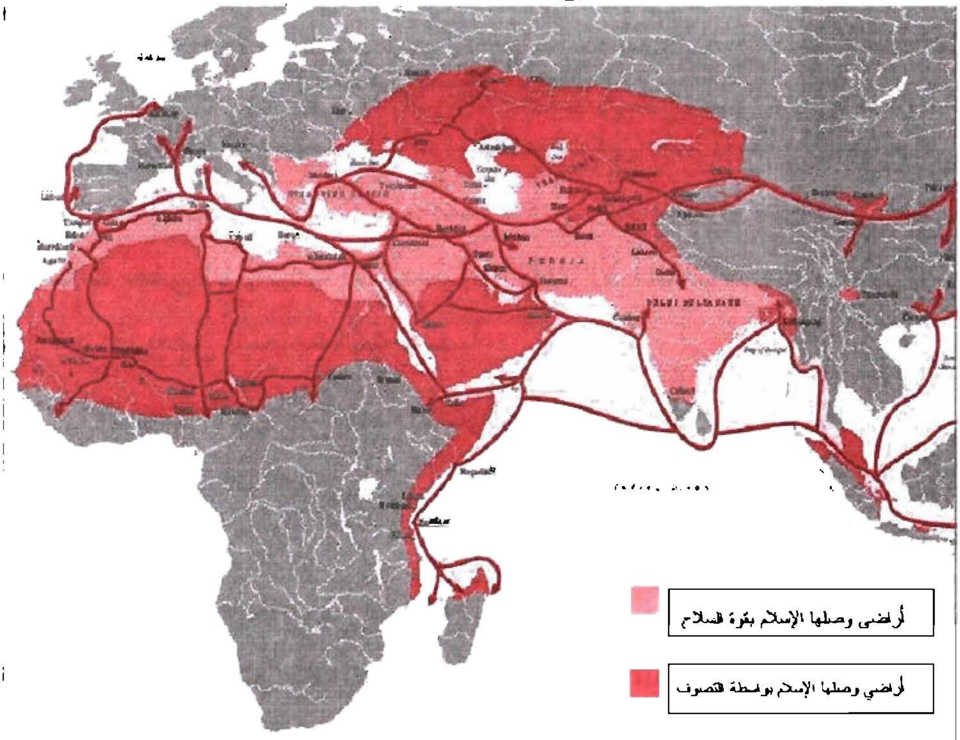
المبحث الأول: - أهمية التصوف في نشر الإسلام في أمريكا

يعتبر التصوف العامل الأساس في تحول معظم الغربيين، بما فيهم الأمريكيين، إلى الإسلام عبر التاريخ، كما يذهب إلى ذلك Gerholm[1] وكذلك: Levitzion[2]، وفي دراسة بالإنجليزية قام بها: Ali Kose حول: "التحول إلى الإسلام" (Conversion To Islam: A Study of Native British Converts) وجد أن 33% من أصل المستجوبين تحولوا إلى الإسلام عن طريق التصوف، يقول في هذا السياق:

"إن التصوف كان دائما مفهوما مهما في الغرب؛ ففي أوروبا وأمريكا يُعتقد بشكل واسع أن الطبيعة الروحية والرؤية الباطنية للتصوف تُحسَبُ لصالح نجاح الإسلام؛ فهناك عشرات من المجموعات الصوفية في أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة.."[3]؛ وقد توصلت دراسة قامت بإجرائها جامعة ييل الأمريكية إلى أن ثلثي مناطق العالم الإسلامي وصلها الإسلام

(1) The New Islamic presence in Western Europe, edited by Tomas Gerholm and Yngve Georg Lithman, London ; New York: Mansell, (1988), p: 264-5.
(2) Nehemia Levtzion, Conversion to Islam, Holmes & Meier Publishers Inc(1979), p: 17.
(3) Kose. Ali, Conversion To Islam: A Study of Native British Converts, KEGAN PAUL INTERNATIONAL (London andNew York), 1996, p.142-143.

عن طريق المتصوفة، كما توضح ذلك الخريطة أدناه:



نفس النتيجة تؤكدها الباحثة الأمريكية جيزيلا ويب قائلة: "كان الصوفية هم الناقلون الفعليون للإسلام إلى مناطق أبعد من الشرق الأوسط، خصوصا إلى إفريقيا وشبه الجزيرة الهندية والعالم الماليزي-الإندونيسي، وفي سياق روح التقليد الصوفي نفسه، مازال المتصوفة يواصلون هذا الدور في أمريكا"[(1)] وفي أوروبا أيضا؛ "فقصص حول كيفية جذب التصوف لبعض المفكرين الأوروبيين المعاصرين هي معروفة جدا عبر أنحاء العالم الإسلامي. ويمكن الاستشهاد من بين هؤلاء بالفيلسوف الفرنسي ريني غينو والصوفي الإنجليزي مارتن لينغز، وبالمفكرين السويسريين: فريثجوف شيوون وتيتوس بوركهاردت، الذين نشدوا في الشرق الإسلامي نموذجا

(1) Webb. Gesila, "Sufism in America" in America's Alternative Religions, edited by: Timothy Miller, State University of New York Press. Chapter: 23.page: 249.

لحياة الحكمة، واتصالا مع الحقائق فوق-الشعورية ووجدوا أيضا أسرار الأسلاف التي تمتد عبر سلسلة طويلة من التلقينات. وعلى المستوى الشعبي، يجذب التصوف العديد من الشباب الذين تغلب عليهم مرجعيات سياسية يسارية"[1].

المبحث الثاني: أسباب اعتناق الأمريكيين للتصوف الإسلامي

بدأ اهتمام الأمريكيين بالتصوف يتفشى مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وأصبح ذلك ملحوظا بشكل كبير انطلاقا من ثلاثينات القرن العشرين. ونتيجة لذلك، بدأت تتشكل في أمريكا كما في أوروبا مجموعات صوفية يتزعمها الغربيون المتحولون إلى الإسلام الذين سرعان ما أصبحوا شيوخا ومرشدين.

أما الأسباب الرئيسية وراء اعتناق الأمريكيين خاصة، والغربيين عامة، للإسلام في صبغته الصوفية الواضحة، لا سيما في الأوساط المثقفة؛ فترجع بالأساس إلى اهتمامهم بالبعد الروحي المرتبط بالمناخ الديني المتأزم الذي عانى منه الغرب المعاصر منذ نهاية القرن التاسع عشر، ينضاف إليه "الغرابة الحديثة (the fashionable exoticism) التي كرّستها وسائل النقل والاتصال المتطورة والتي أسهمت أيضا في التقريب بين الشرق والغرب"[2].

تعتبر قدرة التصوف على الإصلاح والتجديد واستيعاب الحداثة والتكيف مع مختلف الثقافات من المميزات الجذابة للتصوف أيضا، كما ذهب إلى ذلك الباحث (Daniel Brown) في كتابه " مدخل جديد إلى الإسلام": (A New Introduction to Islam) الذي ناقش في جزئه الأخير

(1) Kose. Ali, Conversion To Islam: A Study of Native British Converts, (Op.Cit), p p.142-143.

(2) Thierry Zarcone, Rereadings and Transformations of Sufism in the West, Translated from the French by Juliet Vale, Diogenes, N0.187, Vol. 47/3, 1999.Published by Blackwell Publishers Ltd, UK.

الأزمة والتجديد في التاريخ الإسلامي ثم الإسلام والحداثة، ليستخلص في الأخير: أن التصوف هو الاستثناء الوحيد ضمن جميع التيارات الإسلامية القادر على الإصلاح، وعلى استيعاب الحداثة، بفعل حيويته الدائمة، كما يؤكد ذلك أحد الباحثين الغربيين قائلا: "مازال التصوف والأفكار الصوفية تواصل الانتشار، حيث تؤكد آخر الدراسات هذا التأثير... حيث يمكن مقارنة التصوف بجدول مائي قوي، في بعض الأحيان يجبر على أن يغوص تحت الأرض ولكنه يظل يمثل التعبير الروحي الأكثر حيوية في الإسلام المعاصر"[1].

كان اختيار الإسلام والتصوف كحل للأزمة الروحية التي أصابت الغرب، بالنسبة لبعض هؤلاء المتحولين، نتيجة للحظ والمصادفة. ولكن بالنسبة لقراء ريني غينو فإنه كان نتيجة نظر محقق في مختلف الأديان الروحية والمجتمعات التنويرية. لقد أسهم قرب العالم الإسلامي من أوروبا، ووجود تمثيليات هامة من العرب والباكستانيين والأتراك هناك، في تسهيل التواصل بين الغربيين الباحثين عن الروحانية وشيوخ التصوف المسلمين. بل الأكثر من هذا أنه مع مطلع القرن العشرين وإلى يومنا هذا تبنى العديد من شيوخ التصوف الشرقيين نوعا من الخطاب يتوخى جذب الغربيين إلى الإسلام. وهكذا أعلن الشيخ أحمد العليوي المستغانمي (1869-1934م) مع بداية القرن العشرين في مستغانم بالجزائر، عن شجبه وانتقاده القوي والحاد لمظاهر الغربنة (westernization) التي بدأت تغزو التقاليد والمظاهر والأعراف في الجزائر[2]، أما اليوم؛ فيؤكد الشيخ القبرصي ناظم حقاني بأن القرن العشرين هو قرن الكفر والإلحاد، وبأن الجميع في هذه الفترة يجب

(1) Brown, Daniel, A New Introduction to Islam, Blackwell Publishing, (2004), p: 225.
(2) Augustin Berque, Un mystique Moderniste: Le Cheikh Benalioua, Le congrès des Sociétés savantes l'Afrique du Nord(1936), pp.719-720.

أن يثور ضد علمنة الشرق وتحديثه[1].

في الأخير، لا يمكننا أن ننكر أنه، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، لم يتوقف التصوف أبدًا عن إثارة الافتتان والسحر في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة، حيث تمكنت العديد من الإصدارات الصوفية لا سيما في العقود الأخيرة من الوصول إلى الجمهور الأمريكي غير المتخصص في التصوف الإسلامي. بالإضافة إلى الترجمات التي قام بها بعض الغربيين لمشاهير التصوف في العالم الإسلامي، خصوصا الأندلسيين منهم، حيث حظي ابن عربي بنصيب كبير من هذه الترجمات، والتي دفعت العديد من الغربيين بمن فيهم الأمريكيين إلى ولوج عالم التأمل والذكر والخلوة دون علم مسبق بخصوصيات الشريعة الإسلامية، ودون أدنى اتصال بأهم مصادر التشريع الإسلامي: القرآن الكريم والسنة النبوية، الأمر الذي أفرز خلطا مهولا لدى هؤلاء الغربيين نتج عنه تجارب روحية معقدة، مهزوزة وغير متأصلة، إلا للقلائل منهم الذين فطنوا إلى ضرورة اعتماد الأصل الإسلامي في التجارب الروحية بدل التعبد ب"فصوص الحكم".

أيضا كان لاتصال بعض الأمريكيين والأوروبيين الإنجليز بمشايخ التصوف في الشرق الأثر البالغ في نشر التصوف الإسلامي بالغرب، ونذكر على سبيل المثال الشيخ الأمريكي نور الدين دوركي، ونوح حاميم كلر، وحمزة يوسف هانسن، وعبد القادر الصوفي، وغيرهم.. ممن نشط في التعريف بالتصوف ونشره ضمن فئة عريضة من الغربيين في مختلف الدول

(1) Tayfun Atay, Bati'da bir nakshi cemaati.' Sheyh Nâzim Kibrisi órnegi ('A Naqshibandiya community in the East. The example of Shaykh Nazim Kibrisi'(Istanbul, 1996) pp. 181-194. This book is a Turkish translation of T. Atay, 'Naqshabandis Sufis in a Western Setting', D. Phil. thesis, University of London (SOAS), 1995.

غير الإسلامية[1].

كل هذه الأسباب ساهمت في نشر التصوف الإسلامي في البلاد الغربية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية التي يجد فيها التصوف تربة خصبة للانغراس والازدهار، كما تؤكد ذلك الشيخة "فرحة فاطمة الجراحي"، أحد الوجوه النسائية الأمريكية البارزة في مجال التصوف بالولايات المتحدة، قائلة:

"يملأ التصوف فراغا روحيا عند الأمريكيين، لذلك نرى أن التصوف يتجدر هنا في هذه الدولة بطريقة منفتحة وقوية جدا. هذه الدولة التي اعتنقت حرية العبادة؛ فأمريكا هي أرض طبيعية للتصوف لأنها دولة بمعتقدات روحية"[2].

---

(1) تنظر التفاصيل في كتاب: عزيز الكبيطي إدريسي، *التصوف الإسلامي في الغرب: الأثر الصوفي المغربي في ابريطانيا، الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا*، مطبعة أميمة بفاس، ط.1(2008).

(2) Hurd, Brent. "Sufism Helps To Bridge The Gap Between Islam and West". Reported by: Radio of Voice Of America. Washington(16 Jan 2003).

الفصل الثاني: التصوف
في السياسة الأمريكية

أثارت بعض المواقف المؤيدة للتصوف في الأوساط السياسية الغربية الكثير من الجدل في الأوساط الإسلامية، لا سيما من طرف أولئك المتحاملين على التصوف، حيث تم شن حملة تشويهية تظهر التصوف بمثابة عدو الإسلام، الذي يريد هز أركان الدين بالتواطؤ مع "أعداء الإسلام"، وأسهب الكثيرون في إبراز تفاصيل "المؤامرة" التي يحيكها التصوف ضد أمة القرآن، ولم يتردد البعض الآخر في إلصاق ألقاب مفزعة بالتصوف، كالتصوف الفرنكو-أمريكي الجديد[1]، أو الصوفية المتآمرة[2]. وهذا التحامل على رجال التصوف وأهله ليس وليد اليوم، بل تمتد مرجعياته عبر تاريخ الأمة، إذ كان التصوف دائما موضع نقاش حاد سالت فيه مداد الأقلام حقا وباطلا، كما سالت فيه دماء الكثير من الشهداء أيضا حقا وباطلا، وكأن قدر التصوف أن يواجه العوالم كلها في سبيل خلاص النفس إلى باريها، فمذ بدأ الإيمان يذبل في القلوب بعد رحيل الرعيل الأول من الصحابة، فترت ألسنة البعض عن ذكر الله وعوضته بالخوض في أعراض الناس بنية تنزيه الإله أو الدفاع عن العقيدة والمبدإ فتحول همُّ المسلمين من إصلاح النفس وتحسين العلاقة مع ربها إلى إصدار الأحكام بالتفسيق والتكفير والإخراج عن الملة،

---

(1) ينظر مقال: نوفل بن إبراهيم، "التصوف الفرنكوأمريكي الجديد في المغرب: جذور وحقيقة"، في العديد من المواقع الالكترونية، منها: http: //majles.alukah.net/showthread.php?p=324578.

(2) مقال: محمد جميل غازي، " أين هذه الصوفية المتآمرة من تلك السلفية الطاهرة.؟" تروجه الكثير من المواقع الالكترونية الوهابية، منها: www.ansaralsonna.com.

عن بيّنة أو عن جهل بأحوال القلوب؛ فجاء اتهام "غلاة المتصوفة" بالخروج عن سبيل الاعتدال ثم تعداه إلى وصف التصوف بالدخيل على الدين، ليصبح كل أهله مرمى لكل من أراد التقرب من الله زعمًا بنية أو من أهل السلطة بحيلة.

وأهل القلوب مصرُّون على تصوفهم في تحد للنفس والشيطان، لا يلتفتون إلى تنكر أهل الدنيا لهم من الساسة والحكام، ولا إلى السهام المسمومة الموجهة إليهم من أصحاب علم بعض الظاهر، كالفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة. وقصص معاناة أهل التصوف معروفة للجميع، ومتاحة في كتب التاريخ والأخبار يضيق النطاق عن سردها في هذه الأسطر.

تطورت الأحوال واستطاع أهل التصوف أن يكتسبوا الشرعية الدينية بالمناظرات والمحاججات بعد بروز علماء أفذاذ من صفوفهم أفحموا كبار الفقهاء والفلاسفة وعلماء الكلام، كالغزالي والسيوطي والشاذلي والتجاني وابن عطاء الله والشعراني وغيرهم كثير..، واكتسب التصوف في هذه الفترة الشعبية وسط عموم الناس ونخبهم؛ فصار الفقهاء وأهل السياسة يمشون في ركب الصوفية تيمنا عن صدق أو جلبا للبركة أو استمالة لقلوب الجماهير.

بعدها أصيبت الأمة الإسلامية بابتلاء الاستعمار، وتكالب أهل الاستبداد والتجبر الذين اغتصبوا أراضي المسلمين بالقوة؛ فاستنهضت الأمة همم أبنائها لمقاومته وطرده، فاختلفت مواقف أهل التصوف من الأمر عن حكمة وتبصر أو عن اجتهاد ورأي؛ فهناك من رأى أن الاستعمار شر يجب شرعا مقاومته وإخراجه، وهناك من اعتبره ضيفا لا بد له من الرحيل فيلزم إمهاله حقنا لدماء المسلمين الذين لا يملكون القدرة الحربية على مواجهته، وهناك من المتصوفة الذين سولت لهم أنفسهم التآمر ضد شعوبهم والانضمام إلى صفوف الاستعمار، ولا يخلو تاريخ الأديان والأمم من

وجود الدخيل والمنافق في صفوفهم.

كانت الحقبة الاستعمارية من أحلك الفترات في تاريخ التصوف بالمغرب، كما بغيره من الدول العربية والإسلامية؛ فقد عرفت هذه الفترة بزوغ نخبة جديدة محملة بالتفكير العقلاني الذي تلقته في المدارس الغربية، فنادت بالتنوير والإصلاح وتجديد الهياكل الاجتماعية والدينية اعتمادا على نظرية "الهدم والبناء". فكان من الضروري تفكيك بنية التصوف الاجتماعية عن طريق ضربه في صميم شرعيته، وقد كانت مرحلة القرن العشرين أشد المراحل قساوة في تاريخ التصوف على الإطلاق، حيث اشتد عليه الضرب والعويل من كل جهة، وكان المغرب جزء من هذه الحملة التي يمكن تقسيهما إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

تمثلت في بزوغ التيارات المضادة للحركات الصوفية في العالم الإسلامي ككل ومنه المغرب، وهي مرحلة الإصلاح الديني التي تزعمها محمد عبدو وجمال الدين الأفغاني ووجدت صداها في المغرب من خلال مدرسة "الحركة السلفية" التي تزعمها في القرن العشرين، أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي، وتقي الدين الهلالي. بالإضافة إلى عدد من الشخصيات السلفية الأخرى غير المغربية، التي كانت ترد على المغرب ما بين الفينة والأخرى، أمثال: ناصر الدين الألباني والشيخ أبو بكر الجزائري...، وقد هاجم هؤلاء التصوف وطرقه بعنف معتبرين أن التصوف هو العامل الأساس وراء إنهاء العصر الذهبي للأمة الإسلامية، لأنهم استبدلوا المنطق بالطاعة العمياء، مما أدى إلى قمع الروح الخلاقة في الإنسان المسلم. وقد شارك العديد من الفقهاء في هذا الهجوم مما أدى إلى تراجع شعبية التصوف لدى النخب والعوام على السواء.

المرحلة الثانية:

تمثلت المرحلة الثانية من تطور العداء للتصوف وطرقه في المغرب كما في غيره من الدول الإسلامية، في ازدياد شعبية الإيديولوجيات التي همشت الإسلام بشكل عام وحاربت التصوف على وجه الخصوص، ففي المغرب على سبيل المثال أصبحت الاشتراكية أكثر شعبية بين أوساط النخب المثقفة مع بداية العقد الثالث من القرن العشرين، وقد أدى شيوع الإيديولوجية الاشتراكية إلى اللجوء إلى التأويلات المادية للدين والتي كانت ترى في الطرق الصوفية مؤسسات ظلامية وانتهازية واحتكارية، وتنظر إلى شيوخها كاستغلاليين للناس. كما أسهم الانتشار السريع لهذه الإيديولوجية في المدن المغربية، لا سيما بين الأوساط المثقفة، إلى نشوء العديد من الشبكات والمؤسسات الاجتماعية التي أصبحت تنأى بنفسها عن البنيات الاجتماعية التقليدية القديمة كالطرق الصوفية التي تم إهمالها بشكل كبير في الوسط الحضري، وأصبحت جل الطرق الصوفية منحصرة في بعض المراكز المدنية وفي أغلب البوادي والقرى المغربية التي كان ينظر إليها كبؤر للرجعية والتخلف مما زاد من فرض العزلة على هذه الطرق الصوفية وحدَّ من انتشارها، بالإضافة إلى تحديات أخرى كانتشار العلمانية أو فصل الدين عن الدولة الذي ارتبط بالفكر السياسي الليبرالي.

كانت الطرق الصوفية في المغرب أيضا محط هجوم من طرف النخب المثقفة التي تبنت الفكر القومي العربي أو تأثرت به كالحركة الوطنية التي تزعمها علال الفاسي والتي تفاعلت إلى حد ما مع نظرية الإصلاحي محمد عبدو حول أسباب الانحطاط القومي العربي، فأصبح يُنظر إلى هذه الطرق الصوفية كعوامل لنشر الخنوع وتهميش القومية والقضاء عليها.

المرحلة الثالثة:

هي ما أُطْلِق عليها: "مرحلة الصحوة الإسلامية" التي ساهمت في خفوت حضور الطرق الصوفية في المغرب خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وما تزال تمارس بعض تأثيرها إلى يومنا هذا. حيث يرى "الحركيون" المسلمون أن تجديد الإسلام يقوم على اتباع السلف الصالح ومحاربة البدعة، التي ألصقها الوهابية بالتصوف مستندين في ذلك إلى ما ذهب إليه بعض علماء الإسلام كابن تيمية، وابن القيم.. ولكن مقتصرين في ذلك على إظهار الجوانب التي انتقدها في المتصوفة ومهملين الجوانب التي زكاها في التصوف الأصيل. إن حركة "الصحوة الإسلامية" أدت أيضا إلى قيام حركات إسلامية تؤمن بالعنف، كتلك التي صارت تعرف بمسمى"الإسلام الجهادي" الذي أصبح يشكل تهديدا لكل المؤسسات التقليدية السياسية والدينية بما في ذلك الطرق الصوفية التي كان ينظر إليها بعين الشك والريبة.

هكذا إذن، تفاعلت كل هذه العوامل في ممارسة الضغط على التصوف مما أدى إلى خفوت صوته طيلة القرن العشرين، لكنه ظل حيا في قلوب البعض، وسيعود إلى الساحة بقوة في العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، حيث سيرجع التصوف إلى أوجه في المغرب، كما في العديد من الدول العربية والإسلامية، بفعل عوامل داخلية تتمثل في دينامية التصوف وليونته وسرعة تكيفه مع الزمان وتقلبات الحياة، وقدرته على الإصلاح والتجديد واستيعاب الحداثة بفعل حيويته الدائمة؛ إذ "يمكن مقارنة التصوف بجدول مائي قوي، في بعض الأحيان يجبر على أن يغوص تحت الأرض ولكنه يظل يمثل التعبير الروحي الأكثر حيوية في

الإسلام المعاصر"[1]، حيث ظهرت في المغرب طرق صوفية حية [2] يتزعمها شيوخ لهم جاذبيتهم الخاصة وقدرة هائلة على امتصاص الانتقادات وتحويلها إلى تأثير في الآخر، مما جعل هذه الطرق تستقطب العديد من المفكرين والعلماء الذين كان لهم دور كبير في قلب كفة المواجهة لصالح التصوف.

انضاف إلى ذلك، عوامل خارجية ارتبطت بما استجد على الساحة الدولية من أحداث مأساوية كأحداث شتنبر 2001م بالولايات المتحدة، والتي جعلت أهل السياسة في الغرب يراجعون أنفسهم ويبحثون عن مخاطب معتدل وحليف جديد في العالم الإسلامي، ستحظى فيه الطرق والحركات الصوفية بالمكانة المميزة.

المبحث الأول: بحث في حقيقة التعاطف الأمريكي والغربي مع التصوف، والرد على شبهات المنتقدين.

سأحاول في هذا المبحث التطرق إلى أسباب التعاطف الأمريكي والغربي، الذي أصبح ملموسا اليوم، مع التصوف، وهل ينطلق هذا التعاطف من "نظرية المؤامرة الغربية" على الدين الإسلامي بتغليب كفة التصوف "البدعي" على الإسلام "الشرعي" الذي تمثله الحركات السلفية بمختلف توجهاتها؟ ومن ثمة يزيل هذا التعاطف غطاء الشرعية عن التصوف ويضعه في خانة الاتهام ب"التآمر". لكن لا بد من التساؤل قبل ذلك، هل المغازلة الأمريكية اليوم للتصوف الإسلامي هي من باب المستجدات التاريخية؟ أم أن لأمريكا سوابق في هذا الشأن مع العديد من أولئك الذين ينتقدون

(1) Brown, Daniel, A New Introduction to Islam, Blackwell Publishing, (2004), p: 225.

(2) الطريقتان البودشيشية والحبيبية على سبيل المثال، نجحتا في الاستقطاب والتوسع خلال القرن العشرين في المغرب.

التصوف اليوم بالموالاة للغرب ولأمريكا خاصة تلك الحركات السلفية المتشددة؟

"إن العديد من الناس لا يعرفون بأن الولايات المتحدة الأمريكية تملك تاريخا طويلا من المغازلات مع الإسلام السياسي، فإذا عدنا على الأقل إلى الخمسينيات من القرن العشرين، سنجد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تدعم العربية السعودية، المملكة "الأصولية" بامتياز. وذلك قصد استعمال أوراق اعتمادها الإسلامية باعتبارها حامية الأماكن الإسلامية المقدسة ومستودع القيم الإسلامية "المحافظة" لتناهض الروابط القائمة بين القوميين العرب والقوة الموحدة للعالم العربي. لقد لاحظ صناع السياسة الأمريكية أن الأنظمة القومية العربية كنظام مصر وسوريا والعراق يميلون إلى التحالف مع الاتحاد السوفياتي، وهكذا سيعادون المصالح الأمريكية.... ومن باب السخرية، أن الإيديولوجيات المعتنَقة من طرف الراديكاليين "الجهاديين" حاليا والذين يستهدفون الولايات المتحدة هم أولئك الذين كانوا يحظون بالتغطية وبالدعم الأمريكي الكامل لمناهضة الأنشطة الناصرية.."[(1)].

وقد برهن الباحث أيوب محمد في الفصل السابع من كتابه: الوجوه العديدة للإسلام السياسي: الدين والسياسة في العالم الإسلامي (The Many Faces of Political Islam: Religion and Politics in the Muslim World) بما لا يدع مجالا للشك أن: "الانتشار عبر-القومي للحركات الإسلامية المتشددة كما هي اليوم تدين بالكثير للسياسة الأمريكية خلال ثمانينيات القرن الماضي، عندما كانت الولايات المتحدة تسرب

(1) Ayoob, Mohammed, The Many Faces of Political Islam: Religion and Politics in the Muslim World, The University of Michigan Press(2008), p.164.

أرصدة ضخمة من الموارد بما في ذلك الأموال والأسلحة للتعاون مع المملكة العربية السعودية وباكستان على إذكاء التمرد الإسلامي ضد الوجود العسكري السوفياتي في أفغانستان"[1]؛ فالمجاهدون الأفغان تلقوا ما يزيد عن: 3.5 بليون دولار من الأسلحة والمساعدات الأخرى من طرف وكالة الاستخبارات الأمريكية[2] (CIA).

ما يهمنا في سياق هذا البحث ليس هو إبراز تورط بعض التيارات الدينية الإسلامية التي ترمي التصوف اليوم بالتحالف مع الولايات المتحدة، ولو أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقفة تأمل، ولكن مقصودنا هو فهم المرتكز الأساس الذي تقوم عليه السياسة الأمريكية مع العالم الإسلامي، وهو عامل المصلحة الاقتصادية والسياسية في الدرجة الأولى وليس الدين على الإطلاق، كما يذهب إلى ذلك أحد الباحثين في سياق استخلاصه لعلاقة الولايات المتحدة مع الإسلام السياسي قائلا: "من ثمة، يبدو واضحا بأنه ليس العامل الديني ولا التقليد الثقافي هو المشكل في السياسة الخارجية لواشنطن، ولكنها الأفعال التي تهدد المصالح الغربية لا سيما الأمريكية، فسياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط تحدد أساسا على تحليل مصالح القوة والاقتصاد وليس بدافع العصبية الدينية، لذلك فالميولات الإسلامية لا تعني كثيرا السياسة الخارجية الأمريكية ما دامت لا تشكل تهديداً معيناً لمصالحها الحيوية"[3]. هذه الخلاصة نفسها هي التي سيتوصل إليها الباحث "فواز جركس"(Fawaz A. Gerges) في سياق

(1) Ibid, p.165.
(2) « The Dark Side of Islam », Time, 4 October 1993, p.62; Maria Do Céo Pinto, Political Islam and the United States: A Study of U.S. Policy towards Islamist Movements in the Middle East, Durham Middle East Monographs Series(ITHACA), 1999, p.146.
(3) Pinto, Maria Do Céo. Political Islam and the United States: A Study of U.S. Policy towards Islamist Movements in the Middle East, Durham Middle East Monographs Series(ITHACA), 1999, p.157..

كتابه الذي حمل عنوانا استفهاميا: **أمريكا والإسلام السياسي: صراع ثقافات أم صراع مصالح؟** استطلع من خلاله آراء الفاعلين السياسيين الأمريكيين في الحكومة ومجلس الكونغرس، واستقرأ عدداً من البيانات السياسية والرئاسية من عهد جيمي كارتر إلى بيل كلينتون، حيث أقر بأن الصراع بين السياسة الأمريكية والحركات الإسلامية إنما هو صراع مصالح وليس صراع ثقافات ولا أديان[1].

هكذا، نستشف بأن تعاطف الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية اليوم مع التصوف ليس قائما على حسابات دينية تتوخى تدمير الإسلام كدين لأنه يشكل تهديدا للوجود المسيحي واليهودي الذي تمثله الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة. وذلك لأسباب عدة منها:

- إن التصوف هو صميم الدين الإسلامي، بل هو قلب الإسلام كما قال الغزالي: "و القدر الذي أذكره لينتفع به، أني علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطريق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء، وعلم الموافقين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[2]؛ فليس من باب المنطق أن يتآمر قوم بهذه الأخلاق والصفات على الإسلام وأمته، بل تقوية هؤلاء القوم هو دعم للدين الإسلامي في أسمى مقاماته.

(1) Gerges, Fawaz A. America and Political Islam: Clash of Cultures or Clash of Interests?, Cambridge University Press(1999).

(2) أبو حامد الغزالي، *المنقذ من الضلال*، تحقيق محمد جابر، مكتبة الجندي، صص: 49-50.

- إن التصوف فرض نفسه في البلاد الغربية منذ بداية القرن العشرين، وليس بعيد أحداث حادي عشر شتنبر 2001م، بفعل استقطابه لعدد كبير من النخب المفكرة والمبدعة التي عملت على تغيير تلك الصور النمطية حول "الإسلام المتشدد" السائدة في الغرب، بفعل مساهمتها الفعالة، كقوى إسلامية صوفية، في بناء مجتمعاتها ونشر قيم السلم والفضيلة. مما لفت أنظار الحكومات الغربية وجعلها تراجع سياساتها محاولة البحث عن شريك حقيقي يمثل الإسلام ويمتلك قاعدة شعبية هائلة. وأمثال المفكر الفرنسي: ريني غينو، والفيلسوف السويسري فريثجوف شيوون، والباحث الأكاديمي: مارتن لينغز، والممثل السكوتلاندي أيان دالاس، والداعية الأمريكي حمزة يوسف وغيرهم كثير... خير نماذج في هذا السياق.

- إن الذي يرسم السياسة الخارجية للدول الغربية هم خبراء الاقتصاد والسياسة وليس رجال الدين. وأنه لا توجد في الغرب الآن دولة تقول إنها وريثة الديانة المسيحية الخالصة أو اليهودية الخالصة، باستثناء الفاتيكان، ودورها السياسي معلوم ومحدود.

- إن الدول الغربية تحمل في داخلها بذرات الإسلام، فالمسلمون الآن هم مواطنون كاملو العضوية في أغلب الدول الغربية، ومنهم من بدأ يلعب أدوارا سياسية معينة مع وجود فوارق لا تنكر.

- إن الدين لا يعني شيئا في الحياة الغربية المعاصرة، فالدين قد فصل عن الحياة منذ تبني معظم الدول الغربية للعلمانية كمنهج سياسة ومعاملات، ولا تعدوا التصريحات التي تسمع هنا وهناك لبعض الساسة وتحمل مضامين دينية إلا من قبيل السياسة أيضا قصد استمالة من ظل من الناس على شعوره بالتدين للتصويت لصالح حزبهم أو لتبني سياستهم. على الرغم من أننا لا ننكر وجود لوبيات دينية تمارس ضغطها على السياسة الخارجية

الأمريكية، وهذا أمر عادي في بلد يرفع شعار الديمقراطية ويؤمن بالبراغماتية والمصالح المتبادلة، كما تبين ذلك الدراسة التي أجراها ثلاثة باحثين من جامعة إيست كارولينا (East Carolina University)، وكانت موسومة ب:"صراع الحضارات: تأثير الدين على الرأي العام للسياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط"، وهمت الدراسة تأثير بعض الجماعات الدينية المسيحية واليهودية على السياسة الخارجية الأمريكية، قائلين: " تؤكد نتائجنا بأن هناك ارتباطا بين الدين وموقف السياسة الخارجية، خصوصا المسيحيين الإنجيليين الذين ساندوا أكثر السياسة الخارجية للرئيس بوش في حرب العراق..أيضا، وجدنا بأن الإنجيليين يميلون دوما إلى دعم إسرائيل وإلى النظر إلى الإسلام باعتباره الدين الأكثر عنفا"[1]. والإنجيليون هم جزء من الفسيفساء الدينية الأمريكية، التي يمكن أن يلعب فيها الإسلام دورا محوريا إذا توحدت طوائفه وشكلت جماعات الضغط (لوبيات) بدورها على السياسة الأمريكية. إلا أن هذه اللوبيات الدينية غير قادرة لوحدها على الضغط على صناع القرار في الولايات المتحدة إذا لم تبحث عن حلفاء سياسيين لها، أو لم تحظ بتعاطف الرأي العام الأمريكي كما يذهب إلى ذلك مجموعة من الباحثين في التأثيرات الدينية على السياسة الأمريكية، إذ تفيد إحدى خلاصاتهم الأساسية التي حاولوا من خلالها الإجابة عن سؤال: ما مدى فعالية اللوبيات الدينية؟

"الفعالية هي مفهوم يصعب قياسه؛ إذ أن تمرير

(1) Jody C. Baumgartner, Peter L. Francia, Jonathan S. Morris, "A Clash of Civilizations? The Influence of Religion on Public Opinion of U.S Foreign Policy in the Middle East", in: Political Research Quarterly, Vol. 61, No. 2 (Jun., 2008), pp. 171-179, Published by: Sage Publications, Inc. on behalf of the University of Utah.

معظم التشريعات يتطلب دعما من تحالفات واسعة ومتنوعة ومن استجابة واضعي السياسات للأحداث المعقدة ولتغير الرأي العام، ولذلك فمن الصعب للغاية الجزم بتأثير أي مجموعة منفردة لوحدها. أحيانا يمكن أن تعزى سياسات ما للجهود التي تبذلها جماعات معينة.

وهكذا عملت الجماعات اليهودية بجد من أجل تأمين المساعدات الخارجية الأمريكية لإسرائيل والحفاظ عليها، ولكن حتى في هذه المسألة فإن تعاطف الرأي العام والتحالفات المتنوعة هي التي تلعب دور الحسم..**عندما يكون للوبيات الدينية تأثير ملموس على السياسة العامة، فإن ذلك يكون عادة نتيجة لمصادفة الظروف ولتحالفات غير عادية**"[(1)].

هكذا، نخلص أن تعاطف الغربيين مع التصوف حاليا هو تعاطف مصلحي آني فرضته ظروف اضطرار الغربيين للبحث عن شريك محاور في العالم الإسلامي، لا يشكل خطرا على منظوماتهم الاقتصادية والاجتماعية، وهذا لا يطعن بأي حال في أصالة التصوف، ولا يزيل عنه شرعيته الدينية من جهة، كما لا يعني تآمره على أمة الإسلام أو الاستقواء على أيِّ طائفة إسلامية من جهة أخرى، فغياب الدعم لا يضفي المشروعية كما أن حضوره ليس مبررا لإلغاء هذه المشروعية.

المبحث الثاني: نموذجان من تقارير أمريكية تحض على دعم التصوف ومناقشتهما

سأحاول من خلال هذا المبحث التطرق إلى تقريرين أمريكيين نصا على ضرورة التعامل الإيجابي مع التصوف الإسلامي وتشجيعه. وقد

(1) Robert Booth Fowler, Allen D. Hertzeke, Laura R.Olson & Kevin R. Den Dulk, Religion and Politics in America: Faith, Culture, and Strategic Choices, 4th Edition(2010)0 Westview Press, p: 158.

تعاملت العديد من وسائل الإعلام العربية، والجماعات الإسلامية المتشددة، وحتى الأحزاب السياسية القومية والإسلامية مع هذين التقريرين باعتبارهما صك اتهام ضد التصوف الإسلامي، بل هناك من أصدر أحكام إدانة، ووضع نظريات تحت مسميات مرعبة: كـ"التصوف الفرنكو-أمريكي الجديد"، و"التصوف المتآمر"، وغيره.. كما وردت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

يتعلق التقرير الأول بندوة أكاديمية أقامها مركز نيكسون الأمريكي، وتطرقت إلى موضوع "التصوف كتاريخ ومعتقد وطرق".

في حين يهم التقرير الثاني علاقة الإسلام بمختلف أطيافه الدينية والسياسية مع الغرب عموما، والولايات المتحدة الأمريكية خصوصا. وقد أثار هذا التقرير جدلا واسعا جدا في الأوساط الإسلامية، لكونه صدر عن "مركز بحوث الأمن القومي الأمريكي" الذي تُسْتقبل أعماله بحذر شديد وحساسية مفرطة من طرف العديد من الأطراف الإسلامية التي تؤمن بنظرية "المؤامرة الأمريكية - الأوربية على الإسلام".

1ـ ندوة: "الصوفية: التاريخ والمعتقد والطرق" عقدها مركز نيكسون الأمريكي بواشنطن العاصمة في 24 مارس 2004م

ورد في مداخلة د. هدية ميرأحمدي: المدير التنفيذي للمجلس الأمريكي الأعلى، في الجلسة الأولى من هذه الندوة، ما يلي:

"تؤكد ميرأحمدي أنه من المهم أن ندرك أنه قبل أن يصبح العنف ظاهراً ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بمدة طويلة فإن النسيج الاجتماعي للعالم الإسلامي قد دُمِّر، وختمت ميرأحمدي أنه من المستحيل الهروب من تأثير الهدم السلفي والوهابي في أي مكان من العالم الإسلامي.

وبخصوص السياسة الأمريكية قالت إنه نظراً للطبيعة العلمانية للنظام

السياسي الأمريكي فمن الصعب تخيل أن نرى صنّاع السياسة الأمريكية يؤيدون قيم الصوفية بصراحة. ومع ذلك ترى ميرأحمدي أن برامج مساعدات الولايات المتحدة يمكن أن يتم بطريقة التفافية مع الأخذ بالاعتبار ثقافة الدول المختلفة وتاريخها. وقد تجد نفسها قادرة على مساعدة أمم على استعادة تراثها المفقود. وهناك دافع حقيقي للولايات المتحدة الأمريكية أن تفعل هذا لمواجهة بعض النقد المتزايد من قبل المسلمين بأن الحرب على الإرهاب إنما هي حرب موجهة عمداً لهدم الإسلام. وفقاً لذلك قدمت ميرأحمدي ثلاث طرق محددة يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تسلكها للمساعدة وهي:

الأول: القيام بالمحافظة و/ أو إعادة بناء أضرحة الأولياء والمراكز التعليمية المرتبطة بها، فالسلفيون ينكرون فكرة الأولياء وغالباً ما يهدمون الأضرحة الموجودة منذ قرون وبخاصة في آسيا الوسطى ويحقرون من شأنها. وإن إعادة بناء هذه الأضرحة والمحافظة عليها سيقوي التقليد القديم لدى الناس. وذكّرت ميرأحمدي الحاضرين أن هذه هي الأماكن التي كان يجتمع فيها الناس من كل أنحاء العالم للتواصل الاجتماعي والعلم وبناء جسور التسامح والتفاهم. وهي أيضاً مكسب عظيم للعملة الصعبة الأجنبية المشروعة لأنها تجتذب السياحة العالمية.

الثاني: المحافظة على المخطوطات القديمة وترجمتها، فبعض الشعر العظيم والعلم والمخطوطات الأدبية المهمة تبقى محجوبة بسبب نقص التمويل للمجهودات لنشرها وتوزيعها، وبمساعدة كهذه يمكن لهذه الوثائق أن تبرهن على نطاق أوسع الأهمية التاريخية لهذه التقاليد الإسلامية.

الثالث: يمكن للولايات المتحدة أن تساعد في إنشاء مراكز تعليمية وتمويلها، تقوم بالتركيز على التاريخ القديم والحضارة الخاصة بالمنطقة مع

تركيز معين على سوابق التسامح الديني والعرقي. وهذه المراكز يمكن أن تساعد المجتمع في المحافظة على الشباب الذين أصبحوا متذمرين من الفكر الوهابي. هذه المبادرة ستكون مهمة جداً شريطة أن تحتاط الولايات المتحدة حتى لا تقوم بتمويل مجموعات بالخطإ، وعليها ألّا تعمل إلا مع أولئك الذين برهنوا على أنهم دعاة للسلام والتسامح بين الأديان والاعتدال في مجتمعاتهم."[(1)].

تعليق:

أثار هذا الملخص الوجيز العديد من الأقلام المعادية للتصوف، حيث تداولته مجموعة من وسائل الإعلام العربية على أنه مؤشر خطير يثبت تورط الصوفية في مؤامرة تستهدف الإسلام. وهذا تهويل يراد منه إغلاق منافذ الأمة نحو جوهر الدين؛ إذ أن هذا الملخص لا يعدو أن يكون مجرد مداخلة في ندوة أكاديمية وليس تقريرا عسكريا، كما يُحاول البعض أن يُصوِّر لنا، كما أنَّ ما ورد في هذه المداخلة من اقتراح للدعم لا يتعدى الجوانب التراثية والثقافية المحضة، وليس هناك أي إشارة إلى تمويلات مادية بالدولار، أو تدريبات عسكرية مما قد يثير الرعب في النفوس. بل أن هذه المداخلة تقرُّ باستحالة انسجام القيم الصوفية مع السياسة الأمريكية في قولها: "إنه نظراً للطبيعة العلمانية للنظام السياسي الأمريكي فمن الصعب تخيل أن نرى صنّاع السياسة الأمريكية يؤيدون قيم الصوفية بصراحة"، وحتى لو افترضنا جدلا أنَّ هذه المداخلة تُعبِّر عن وجهة النظر الأمريكية في

(1) تقرير مؤتمر صادر عن مركز نيكسون، مارس 2004م، بواشنطن دي سي - الولايات المتحدة الأمريكية، تحت عنوان: " فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية"، أعد التقرير: توبياس هيلمستروف (Tobias Helmstrof) وياسمين سينر (Yasmin Sener) وإيميت توهي (Emmet Touhy)، تحرير: زينو باران(Zeyno Barab)، ترجمة مازن مطبقاني.

رغبتها دعم الصوفية، فهل هذا يعني حتما موافقة أهل التصوف على ذلك؟ وهم الذين عُرفوا عبر التاريخ الإسلامي بشدة زهدهم في الدنيا وهروبهم من زخرفها...هكذا إذن، يتبيَّن لنا أن أعداء التصوف لا يجدون حرجا في إصدار الأحكام قبل معرفة الملابسات.

2ـ ترجمة الجزء الذي تطرق إلى موضوع التصوف في التقرير الشهير الذي أصدره مركز بحوث الأمن القومي الأمريكي، والذي أنجزه شيريل برنارد بدعم من مؤسسة سميث ريدشارد سون "رانـد"[(1)]

ليس هناك مجال للشك في أن الإسلام الحديث يعرف حالة من الثوران، فهو منغمس في صراعات داخلية وخارجية حول قيمه، وهويته، وموقعه في العالم. كما أن القراءات المنافسة له تزاحمه على وقع الهيمنة السياسية والروحية. وأن لهذا الصراع تكاليف باهظة، وتبعات اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية، بالنسبة لبقية العالم. ولذلك فإن الغرب يقوم بمجهود متزايد ليصل إلى نتيجة في هذا الموضوع، وليفهم ويؤثر في نتائج هذا الصراع.

إن الولايات المتحدة والعالم الصناعي الحديث، وكذلك كل المجتمع الدولي، يفضل وبوضوح، عالما إسلاميا متناسقا مع بقية المنظومة: ديمقراطي، وصالح اقتصاديا، ومستقر سياسيا، ومتقدم اجتماعيا، وملتزم بقوانين وقيم السلوكيات العالمية. كما أنهم يريدون تجنب "صراع للحضارات" في كل أوجهه الممكنة، من تزايد التململ الأهلي بسبب الصراع بين الأقليات المسلمة والشعوب المحلية في الغرب، إلى تزايد

(1) ترجمة أحمد قعلول، هذه الترجمة هي التي اعتمدتها مختلف الأبحاث ونشرتها أغلب المجلات الورقية والالكترونية.

الروح القتالية - النضالية على طول العالم الإسلامي، مع نتائجها من عدم استقرار وإرهاب.

تبعا لذلك، فإنه يبدو من الحكمة أن يقع تشجيع العناصر، التي هي من بين الخليط الإسلامي الأكثر تماشيا مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، والمحبة للديمقراطية والحداثة. على أن التعرف على هذه العناصر، واختيار الطريقة الأنسب للتعاون معها، ليس دائما عملية سهلة.

هناك عنصران أساسيان للأزمة المعاصرة للإسلام: فشل في الازدهار، وفقدان للعلاقة مع الاتجاه العالمي السائد. لقد طبع العالم الإسلامي بفترة طويلة من التخلف وحالات عجز متفاوتة، ولقد وقع تجريب العديد من الحلول فيه من مثل التوجه القومي، والتوجه العروبي، والتوجه العروبي الاشتراكي، والثورة الإسلامية، دون تحقيق نجاح. وقد أنتج هذا خيبة وغضبا. كما إن العالم الإسلامي قد تخلف في نفس الوقت عن الثقافة العالمية، مما أنتج حالة من عدم الارتياح في كلا الجانبين.

يختلف المسلمون بشأن ما يجب فعله في هذا الخصوص، كما أنهم لا يتفقون بشأن الصورة، التي يجب أن تكون عليها مجتمعاتهم. ويمكننا تمييز أربعة مواقف أساسية:

- الأصوليون: يرفضون القيم الديمقراطية والثقافية الغربية الحديثة. وهم يريدون دولة سلطوية تقوم بتنزيل رؤاهم المتطرفة للتشريع والأخلاق الإسلامية. كما أنهم يعملون على استعمال الاختراعات والتقنيات الحديثة من أجل تحقيق هذا الهدف.

- التقليديون: يريدون مجتمعا محافظا، وهم متوجسون من الحداثة، والتجديد، والتغيير.

- الحداثيون: يريدون أن يصبح العالم الإسلامي جزءا من الحداثة

الكونية. وهم يريدون تحديث وإصلاح الإسلام من أجل إلحاقه بالعصر الراهن.

- العلمانيون: يريدون العالم الإسلامي أن يقبل قسمة الكنيسة والدولة على طريقة الديمقراطيات الغربية المصنعة، مع إحالة الدين إلى المجال الخاص.

تتبنى هذه المجموعات وبشكل واضح مواقف مختلفة تجاه عدد من المحاور الحيوية، التي أصبحت مثيرة للنزاع في العالم الإسلامي اليوم، منها الحريات السياسية والفردية، والتعليم، ووضعية المرأة، وموضوع التشريعات الجنائية، ومشروعية الإصلاح والتغيير، والموقف من الغرب؛ فالأصوليون يعادون الغرب والولايات المتحدة بالخصوص، وهم يريدون، وبدرجات مختلفة، إلحاق الضرر بها، وتحطيم الحداثة الديمقراطية. ولذلك فإن دعمهم ليس خيارا، إلا لاعتبارات انتقالية وتكتيكية. بينما يتبنى التقليديون آراء أكثر اعتدالا في العموم، ولكن هناك فروقات معتبرة بين المجموعات المختلفة للتقليديين، إذ إن بعضهم قريبون من الأصوليين، وليس منهم من يتبنى باقتناع الديمقراطية الحديثة، وثقافة وقيم الحداثة، وهم في أحسن الحالات سيقيمون معها تصالحا مضطربا.

إن الحداثيين والعلمانيين أقرب إلى الغرب على مستوى القيم والتوجهات. على أنهم، وفي أغلب الحالات، في موقع أضعف من المجموعات الأخرى، فهم يفتقدون إلى الدعم القوي، وإلى الموارد المالية، وإلى بنية تحتية فعّالة، وإلى قاعدة شعبية. كما إن العلمانيين، وإلى جانب كونهم غير مقبولين كحلفاء في بعض المناسبات، بسبب انتماءاتهم الأيديولوجية العامة، فإن لهم مشكلة في مخاطبة القطاع التقليدي من الجمهور المسلم.

يحتوي الإسلام الارثوذكسي التقليدي داخله على عناصر ديمقراطية يمكن استعمالها، من أجل مناهضة الإسلام القمعي والسلطوي، الذي يتبناه الأصوليون، ولكن الإسلام التقليدي ليس مناسبا كي يكون القناة الرئيسية للإسلام الديمقراطي، وذلك أن هذا الدور يناسب الإسلام الحداثي، الذي حدّت عدد من العراقيل من نجاعته، وهذه العراقيل هي التي سيكشف هذا التقرير عنها.

إن الولايات المتحدة والغرب، ومن أجل التشجيع على التغيير الإيجابي نحو ديمقراطية أكبر في العالم الإسلامي، يحتاج أن يفكر بترو شديد في العناصر والتوجه والقوى، التي يريدون تقويتها في الإسلام؛ وكذلك في الماهية الحقيقية لأهداف وقيم حلفائهم ومرعييهم المحتملين؛ وفي ماهية التبعات المحتملة والناجمة عن دفع أجندة كل طرف منهم. إن مقاربة مندمجة مركبة من كل هذه العناصر هي التي من المرجح أن تكون الأكثر نجاعة:

دعم الحداثيين أولا:

-نشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعومة.

-تشجيعهم على التأليف للجماهير الواسعة وللشباب.

-إدراج آرائهم في برامج تعليم التربية الإسلامية.

-منحهم أرضية مدنية.

-جعل آرائهم وأفكارهم في خصوص قضايا التأويل الأساسية للدين متيسرة لجمهور واسع، على حساب أفكار الأصوليين والتقليديين، الذين يتوفرون على صفحات على الإنترنيت، ودور نشر، ومدارس، وقنوات أخرى عديدة لنشر آرائهم.

-وضع العلمانية والحداثة كخيار ثقافي بديل محتمل للشباب

الإسلامي غير المؤطر.

-تسهيل وتشجيع وعيهم بتاريخهم وثقافتهم السابقة، غير الإسلامية، وذلك في الإعلام والمناهج التربوية للدولة المناسبة.

-المساعدة على إنشاء المؤسسات المدنية، وذلك من أجل تشجيع الثقافة المدنية وتوفير مساحات يتمكن فيها المواطن العادي من تثقيف نفسه عن الحياة السياسية ومن بلورة آرائه.

دعم التقليديين على حساب الأصوليين:

-الترويج للنقد الذي يقول به التقليديون ردا على عنف الأصوليين وتطرفهم؛ وتشجيع الخلاف بين التقليديين والأصوليين.

-عدم التشجيع على تحالف التقليديين مع الأصوليين.

-التشجيع على التعاون بين الحداثيين والتقليديين القريبين من أطراف الطيف الحداثي.

-تكوين وتعليم التقليديين من أجل إكسابهم أدوات أحسن في نقاشهم ضد الأصوليين، عندما يكون ذلك مناسبا. وذلك أن الأصوليين وفي أغلب الحالات أقدر على الخطابة، بينما يمارس التقليديون "إسلاما شعبيا" لا يحسن التحدث. كما أن التقليديين يمكن أن يحتاجوا في مناطق من مثل آسيا الوسطى إلى أن تكوين وتدريب على الإسلام الأرثوذكسي من أجل أن يتمكنوا من الثبات على مواقعهم.

-الزيادة من حضور وتأثير الحداثيين في مؤسسات التقليديين.

-التمييز بين مختلف قطاعات التقليديين. وتشجيع القطاعات الأكثر قربا من الحداثة، من مثل تشجيع المذهب الحنفي مقابل المذاهب الأخرى. وحث أصحاب هذا المذهب على إصدار آراء دينية، وعلى ترويجها من أجل إضعاف سلطة الأحكام المتأثرة بالوهابية المتخلفة. وهذا الأمر مرتبط

بالسياسة التمويلية: بحيث يقع توجه أموال الوهابيين لدعم المذهب الحنبلي التقليدي. كما أنه مرتبط بالسياسة المعرفية: وذلك أن أكثر مناطق العالم الإسلامي تخلفا ليست واعية بالتقدم، الذي حصل في تأويل التشريع الإسلامي.

-الترويج لقبول التصوف.

- مواجهة الأصوليين ومعارضتهم:

-تحدي تأويلهم للإسلام وكشف عدم دقته.

-كشف علاقاتهم بالمجموعات والأعمال الخارجة عن القانون.

-التشهير بعواقب أعمالهم العنيفة.

-البرهنة على عجزهم عن إدارة الحكم من أجل بلوغ دولهم وأقوامهم تقدما إيجابيا.

-توجيه هذه الرسائل إلى الشباب خاصة، وإلى فئات المتدينين التقليديين، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وإلى النساء.

-تجنب إبداء الاحترام أو التقدير للأعمال العنيفة، التي يقوم بها الأصوليون المتطرفون والإرهابيون. مع وصمهم بالجنون والجبن، لا بالأبطال الأشرار.

-تشجيع الصحافيين على البحث في مواضيع الفساد، والغرور، وسوء الأخلاق في دوائر الأصوليين الإرهابيين.

-تشجيع الانقسامات في صفوف الأصوليين.

- الدعم الانتقائي للعلمانيين.

-تشجيع اعتبار الأصوليين كأعداء مشتركين، وتخذيل تحالفات العلمانيين مع القوى المعادية للولايات المتحدة المستندة إلى إيديولوجيات مثل القومية واليسارية.

-دعم الفكرة القائلة بأنه يمكن فصل الدين عن الدولة في الإسلام كذلك، وأن هذا لا يهدد العقيدة بل، وبالفعل، يمكن أن يقويها.

نحن ننصح، بأن تكون أية مقاربة، أو أي مزيج من المقاربات، يقع عليه الاختيار، بأن يتم ذلك بتعقل حذر، وبمعرفة للثقل الرمزي لعدد من المسائل؛ وللدلالة التي من المرجح أن تعطى لوقوف صانعي القرار الأمريكي إلى جانب بعض المواقف المعينة في ما يخص هذه المسائل؛ ولنتائج هذه الوقفات عند الفاعلين الإسلاميين الآخرين، بما في ذلك من خطر تهديد أو نزع الثقة عن مجموعات الأفراد، الذين نسعى لتقديم العون لهم بالذات؛ وأن يتم ذلك بمعرفة لتكاليف الفرص المتاحة، واحتمال نجوم نتائج غير مقصودة للتحالفات والمواقف، التي تبدو مناسبة على المدى القصير.... انتهى التقرير

ـ تعليق:

يتم الترويج لهذا التقرير على أنه صك اتهام الصوفية بالتآمر على الأمة والدين، ولعلَّ مجرد قراءة محايدة وبشكل سريع تبين أن أهل التصوف براء مما يحاك ضدهم في الخفاء سواء من طرف أهل ملتهم، أو غيرهم من أهل الغرب أو الشرق، لأن التقرير يتحدث عن مشكل الأمن القومي الأمريكي بشكل عام وفي أزيد من 80 صفحة، لكن الترجمة المتداولة في وسائل الإعلام العربية لم تتناول إلا ذلك الجانب البسيط جدا الذي تحدَّث عن الصوفية؛ فهذا التقرير يدعو بصراحة إلى دعم الحداثيين في العالم الإسلامي أولا، بمعنى دعم الأحزاب السياسية اليسارية التي تنادي بالحداثة في مفهومها المتساوق مع الديمقراطيات الغربية، لا سيما الأمريكية، ثم دعم التقليديين على حساب الأصوليين ثانيا، بمعنى دعم الأحزاب الإسلامية المعتدلة على حساب الجماعات الدينية المتشددة. أما ذكر التصوف فلم يرد

إلا عَرَضا حينما أُشِير إلى التوصية ب"الترويج لقبول التصوف"، وهل الأمة الإسلامية في حاجة إلى تقرير كهذا لقبول التصوف الذي شكَّل العمود الفقري للأمة منذ القرن الثاني للهجرة، وما يزال كذلك إلى يومنا هذا.؟!، وهل هذا التقرير هو الذي أقنع الأمريكيين أنفسهم باعتناق التجربة الصوفية الإسلامية؟!

إن التصوف وصل إلى البلاد الأمريكية من العالم الإسلامي قبل أن يؤسس معهد راند، وقبل أن يخرج إلى الوجود مثل هذا التقرير بعشرات السنين.. وصل إليها عبر صدق أهل التصوف وإخلاصهم في تبليغ رسالة الإسلام كاملة بحقيقتها وشريعتها غير مبالين بأهل السياسة وتقلب مزاجهم، ولا بأهل النقد الذين لا يحسنون سوى النقض، بل كل قصدهم هو رضا خالقهم عنهم، وشعارهم في ذلك قول أحد العارفين[1]:

فليتك تحلو والحياة مريرة — وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر — وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين — وكل الذي فوق التراب تراب

(1) الحلاج، الحسين بن منصور، *الديوان يليه كتاب الطواسين*، صنعه وأصلحه: أبو طريف الشيبي، منشورات الجمل، ط.1/1997، ص: 84-85.

الفصل الثالث: مدخل إلى دراسة التصوف في أمريكا

على الرغم من الاهتمام المتزايد بدراسة التصوف في الغرب عموما، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، فإن ذلك لا يمكن أن يخفي تلك التعقيدات والعراقيل التي تطرحها صعوبة تصنيف التصوف ضمن أحد الحقول الدراسية الواضحة، وقد أرجعت الباحثة جيزيلا ويب (Gesila Webb) ذلك إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

"أولا: هناك ميول من طرف الباحثين الأكاديميين وغيرهم إلى تصنيف التصوف ضمن فئة الطوائف الدينية (Cults)"، أو الشعبية (Popular)، أو ضمن حركة العصر الجديد (New Age)، أو الطوائف غير التقليدية (Unorthodox)، نافين بذلك اعتبار التصوف موضوعا أساسيا في دراسة الدين"[1].

"ثانيا: عَقَّدت الوضعية التاريخية للتصوف نفسه سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه، فهم علاقة الحركات الصوفية الراهنة مع الممارسة الإسلامية التقليدية، حيث كان التصوف دائما، باعتباره خطابا "بديلا" في العالم الإسلامي، يعيش في توتر مع العناصر الفقهية والمتشددة في الدين، مما جعل أصواتا من داخل الإسلام تواصل إنكار شيوع التصوف وشرعيته في الثقافة الإسلامية"[2].

"ثالثا: مما زاد من تعقيد الوضعية أيضا أن العديد من الأمريكيين المنتسبين إلى الحركات الصوفية يؤكدون على أن هدف التصوف

(1) Webb, Gesila."Sufism in America", in America's Alternative Religions, edited by: Timothy Miller, State University of New York Press. Chapter: 23.page: 249.
(2) Ibid, p: 249.

الكلاسيكي هو الوحدة "المتسامية" فوق كل الاختلافات، بما في ذلك الاختلافات الدينية، إلى حد إنكار أي ارتباط جوهري بين التصوف والإسلام"[1].

إن التفات الباحثين الأمريكيين إلى التصوف الإسلامي جاء متأخرا بعض الشيء عن المواكبة التاريخية للحضور الصوفي الإسلامي في أمريكا كممارسة وسلوك، والتي ترجع إلى بداية القرن العشرين، كما يُجمع على ذلك أغلب مؤرخي الظاهرة الصوفية في البلاد الأمريكية.

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حضور التصوف الإسلامي وأصنافه في الولايات المتحدة

على الرغم من إجماع أغلب الباحثين الغربيين المعاصرين على تأريخ الحضور الصوفي الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقا من بداية القرن العشرين عن طريق وصول الصوفي الهندي عنايت خان سنة: 1910م إلى أمريكا، إلا أنني أعتقد جازما أن البداية الأولى للتصوف الإسلامي في أمريكا ترجع إلى مرحلة الاسترقاق، حين تم أسر العديد من المسلمين المتصوفة من غرب إفريقيا وحملهم إلى بلاد الهنود الحمر، حيث ظل العديد منهم يمارس شعائره بشكل سري أو حتى علني مع مجموعة من رفاقه كما بدأت تثبت ذلك بعض المخطوطات التي يعثر عليها بين الفينة والأخرى فوق التراب الأمريكي[2]، لكن الحديث عن انجذاب الأمريكيين الأنجلوساكسونيين للتصوف يتماهى إلى حد بعيد مع انجذاب الأوروبيين له، مع بعض التفاوت لا سيما في مراحله الأولى حيث لم تكن أمريكا قد

---

(1) Ibid, p: 249.

(2) ينظر المبحث الثالث من هذا الفصل والموسوم ب "رؤية نقدية لمرحلة بداية التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية ".

اكتشفت بعد.

المطلب الأول: بداية حضور التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة:

إن الحديث عن تاريخ التصوف في الولايات المتحدة يستدعي مراجعة الذاكرة الأوربية، بحكم التقارب والاتصال الذي كان دائما ممتد الجسور بين أمريكا وأوربا على الرغم من أن المعرفة الأوربية الأولى بالتصوف، ولو في شكل مبهم، ترجع إلى ما قبل اكتشاف أمريكا؛ فحسب الباحثة الألمانية أنيماري شيميل (Annemarie Schimmel) "يرجع الاتصال الأوروبي الأول مع الأفكار الصوفية إلى العصور الوسطى؛ فأعمال الزاهد والباحث الكاطلاني رامون لول (Ramon Lull) الذي توفي سنة: (1316م) تُظْهِر ملامح قوية لتأثره بالأدب الصوفي"[1]، حيث يبدو "عمله الموسوم بأسماء الإله المئة (Les Cents Noms de Dieu) مستلهما من أعمال محيي الدين بن العربي (638 -561هـ/1165- 1240م)"[2]، وكان رامون لول قد تعلَّم العربية والإسلام عن طريق أحد خدمه المسلمين[3] بسبب حماسته الدينية؛ إذ"كان مولعا بفكرة تحويل العالم الإسلامي إلى المسيحية"[4].

أما "الشخصية الأولى في تاريخ التصوف التي أُدْخِلت إلى الأدب الأوروبي فكانت رابعة العدوية، المرأة الصوفية الكبيرة من القرن الثامن، التي جُلبت أسطورتها إلى أوربا في أواخر القرن الثالث عشر بواسطة

(1) Schimmel, A. Mystical Dimensions of Islam, Chapel Hill: Univ. of North Carolina. (1975), p: .7

(2) Küçük, Hülya. "A Brief History of Western Sufism", in: Asian Journal of Social Science 36 (2008) p: 293.

(3) Koningsveld, P.S. van, Islamitische Slaven en Gevangenen in West-Europa tijdens de late
Middeleeuwen, Leiden: Rijks Universiteit(1994). p: 16-17.

(4) Küçük, Hülya. "A Brief History of Western Sufism", (Op.Cit), p: 293.

جوانفيل (Joinville) مستشار لويس الرابع عشر"[1].

واصل التصوف أيضا سفره في اتجاه الغرب عن طريق "الرحالة الذين زاروا الشرق الأوسط والأدنى في القرنين السادس عشر والسابع عشر وحملوا معهم معلومات حول طقوس الدراويش، سواء تعلق الأمر برقصة دراويش المولوية، أو بالعروض الغريبة لدراويش الرفاعية"[2].

كانت الترجمة عاملا آخر أسهم في تعرف الغربيين على التصوف الإسلامي، إذ "قام المثقف فابريكوس (Fabricius) من جامعة روستوك (Rostock University) سنة 1638م بترجمة إحدى قصائد الصوفي المصري عمر ابن الفارض (ت.1235م) لأول مرة"[3] في الأدبيات الغربية.

لكن أغلب المعلومات حول التصوف الإسلامي تعرف عليها الغرب من خلال الشعر الكلاسكي الفارسي، لا سيما "حدائق أو "كلستان" سعدي الشيرازي [4] الذي كان أحد الكتب المفضلة عند المثقفين الأوروبيين منذ أدم أُليريوس (Adam Olearius) الذي أنجز أول ترجمة كاملة له إلى الألمانية سنة: 1651م، وقد أثَّرَت أفكاره حول الشعر الصوفي في العديد من المستشرقين الأنجلوساكسونيين. لكن، لم يكن سعدي هو الصوفي الشاعر الوحيد الذي تُرجم شعره في الغرب، بل أيضا تمت ترجمة أشعار شمس الدين حافظ (1325-1389م) إلى الألمانية من طرف:(Joseph Hammer-Purgstall) جوزيف هامر-بورغستال (1774-1856م)، الأكاديمي والدبلوماسي الإمبريالي النمساوي الذي:

(1) Schimmel, A. Mystical Dimensions of Islam, (Op.Cit), p: 8.
(2) Schimmel, A. Mystical Dimensions of Islam, (Op.Cit), p: 8.
(3) Ibid, p: 8.
(4) ولد سعدي في مدينة شيراز حوالي عام 580 هـ ومات وقد جاوز المائة من عمره في عام 691 هـ/1292 م. وقد وقع السعدي أثناء إقامته في بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفي شهاب الدين السهروردي وقد تحدث السعدي عن هذا الشيخ في إحدى الحكايات المروية في الكلستان.

قرأ هذه الأشعار حينما كان في مهمة إلى البلاط العثماني مابين سنة 1799م وسنة 1807م حيث عمل على ترجمة ونشر (ديوان شمس الدين حافظ) في جزئين: الأول سنة 1812م والآخر سنة1813م. حيث حظي بقبول ومحبة الجمهور الألماني القارئ، وقد كان الشاعر الألماني الكبير جوهان وولفجانغ جوته (JohannWolfgang Goethe) (1749-1832م) أحد أولئك الذين أحبوا الديوان كثيرا، حيث نشر هو أيضا (ديوان شرقي-غربي)/(West-östlichen Diwan) سنة:1819م"[1].

ومما يثبت تأثر جوته بالصوفي حافظ الشيرازي هذه الأبيات الشعرية بالألمانية:

Und mag die ganze Welt versinken,
Hafis, mit dir, mit dir allein
Will ich wetteifern! Lust und Pein
Sei uns, den Zwillingen, gemein!
Wie du zu lieben und zu trinken,
Das soll mein Stolz, mein Leben sein.

ومعناها:

وحتى لو كان العالم كله سيغرق
حافظ، سيظل معك، فقط معك
هل سأنافس!! اللذة والألم
هل نحن نتطابق كما التوائم!
أن أحب مثلك، أن أشرب مثلك...
هذا هو كبريائي، وهذه هي حياتي.

---

(1) تنظر مقدمة "مارك سيدويك"، في كتاب: الكبيطي إدريسي، عزيز. *التصوف الإسلامي في الغرب: الأثر الصوفي المغربي في ابريطانيا، الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا*، مطبعة أميمة بفاس، ط1،(2008)، ص: 8.

في القرن العشرين أصبحت النصوص الصوفية متاحة بفعل تخريج المخطوطات المحققة، وتطور الطباعة في الشرق والغرب، مما مكَّن الباحثين الغربيين من تشكيل أفكارهم الخاصة عن نشأة التصوف ومصادره، واستمر تأثير صوفية المسلمين في رجال الدين الغربيين بظهور أعمال القس الإسباني (آسين بالاثيوس).

بدأ أيضاً في بداية القرن العشرين، الإقرار بتأثير "الصوفية المغاربة على روحانيين إسبان، أمثال: القديس (جان دو لكروا) والقديسة (تيريزا دافيلا)، وذلك عبر الروحانيين اليهود. بل إن بعض الباحثين الغربيين من غير المسلمين ذهبوا إلى أن ممارسات الشعائر الروحية لـ (إجناص دي لويولا) ربما اعتمدت طرق التلقين الصوفي"[1]. ومن الشخصيات الغربية التي تأثرت بالتصوف الإسلامي خلال هذا القرن نجد: البريطاني رينولد نيكلسون (Reynold Nicholson)، والأمريكي صاميول لويس (Samuel Lewis)، والفرنسي ريني غينو، والأمريكي رالف والدو إيمرسون (Emerson Ralph Waldo) وغيرهم كثير... لقد ساعد هؤلاء الأشخاص على تقديم مفهوم التصوف إلى جمهور أوسع من خلال كتاباتهم ومناقشاتهم إلى جانب أساليب تأثير أخرى؛ فالشاعر الأمريكي إميرسون (Emerson) على سبيل المثال تأثر بالشعر الصوفي الفارسي للشاعر "سعدي"[2]، وهذا التأثير انعكس بعد ذلك في شعر إميرسون الخاص وعلى مقالاته[3].

---

(1) اريك جوفروى، "الإسلام في الديار الأوروبية.نظرات إلى التاريخ والقضايا والمستقبل"جريدة الحياة بتاريخ: (09/06/07).

(2) Abdollahi Borazjan, Abass. The Literature of the Persian Renaissance of the Abbasid Period and its Influence Upon British and American Literature.New York University (Diss.1980). UMI Number: 8017546.

(3) Almansour, Ahmed Nidal. THE Middle East in Antebellum America: The Cases of

مزج غينو معلوماته حول التصوف في فلسفته الخاصة، وأمد نيكلسون القراء الغربيين ولأول مرة باللغة الإنجليزية بمجموعة من أهم المؤلفات الصوفية، خاصة: المثنوي لجلال الدين الرومي. كما ذاع صيت أعمال الألماني **جوته** حول **حافظ الشيرازي**، إذ "تعتبر أشعار **حافظ** إلى الآن الأكثر مبيعا في الولايات المتحدة الأمريكية ولا ينافسها في ذلك إلا أشعار جلال الدين الرومي (1207-1273م) التي حققت نجاحا رائعا في أمريكا، حيث خصصت سنة: 2006م لجلال الدين الرومي، وكانت تحت شعار: "سنة مع الرومي: قراءات يومية" حيث أفردت مجموعة من الجرائد اليومية الأمريكية قصيدة لجلال الدين الرومي ضمن صفحاتها يوميا وطيلة السنة"[(1)].

لكن هذا التأثير الصوفي الإسلامي في أوربا والولايات المتحدة، اقتصر بداية على جوانب فكرية وفلسفية ولم يمتد إلى التأثير المباشر أي الممارسة الصوفية الطرقية التي لم تعرف طريقها إلى الغرب إلا مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما ذهب إلى ذلك أغلب المؤرخين المعاصرين للحركات الصوفية المعاصرة في أوربا وأمريكا؛ إذ كان الغرب يمر في هذه الفترة من تاريخه بظروف سياسية وفكرية ودينية خاصة جعلت لجوء الغربيين إلى الروحانيات الشرقية، لا سيما التصوف الإسلامي، أمرًا طبيعيا، يرجعه الباحث الفرنسي "إيريك جوفروى" إلى

=

Ralph Waldo Emerson, Nathaniel Hawthorne, and Edgar Allan Poe. The Ohio State University. (Diss. 2005). UMI Number: 3197819

- Raikes, Leon Allen. Sufism, Taoism, and Ralph Waldo Emerson: A Cross-Cultural Perspective on the Rhetoric of the Place Between. Michigan State University.(Diss. 1995). UMI Number: 9619893.

(1) تنظر مقدمة "مارك سيدويك"، في كتاب: الكبيطي إدريسي، عزيز. *التصوف الإسلامي في الغرب: الأثر الصوفي المغربي في ابريطانيا، الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا*، مطبعة أميمة بفاس، ط.1،(2008)، ص: 8.

فقدان المسيحية للتعاطف الغربي بسبب شيوع الإيديولوجيات الفلسفية "الوضعية" التي سادت أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وبفعل الاستعمار الذي تأثر في الجانب الديني بالتصوف الإسلامي"[1].

تشير العديد من الدراسات والأبحاث أن أول شخص صوفي شهير توجه بخطاب التصوف إلى الأمريكيين والأوربيين معاً كان هو المرشد حضرة عنايت خان[2]. بعده ظهرت مجموعة من الشيوخ سواء أولئك الشرقيين الذين جاءوا إلى الغرب لتبليغ رسالة التصوف، أو أولئك الغربيين الذين تعرفوا على المدارس الصوفية في المشرق وعادوا لنشر تعاليمهم في بلدانهم؛ فبدأت تبرز في الولايات المتحدة وفي أوربا مجموعة من التنظيمات الصوفية التي اختلفت في رؤاها الدينية ومنظوراتها الفلسفية، مما جعل بعض الباحثين الغربيين يحاولون تصنيفها ضمن مجموعات معينة.

المطلب الثاني: بعض المحاولات لتصنيف المجموعات الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية:

أشارت الباحثة مارسيا هيرمانسن إلى أن حركات التصوف لم تحظ باهتمام كبير في أمريكا بالنظر إلى ضآلة العدد السكاني الذي تستقطبه بالمقارنة مع مجموع الساكنة الإجمالي للمجتمع الإسلامي الأمريكي[3]، ونلاحظ أن هيرمانسن استعملت مصطلح "الحركة" لوصف المجموعات الصوفية بدل مصطلح الطريقة، وذلك لأن مصطلح "الحركة" يدل دائما على

(1) Geoffroy. Erik, «Le Soufisme d'Occident dans le Miroir du Soufisme d'Orient » dans: ANNALES DU PATRIMOINE, n.04, Septembre 2005 p.23.

(2) صوفي موسيقي من الهند استطاع أن يمزج بين جوانب من التصوف الإسلامي مع مفاهيم وممارسات روحية وموسيقية ودينية أخرى.

(3) Hermansen, M. (2000). Hybrid identity formations in Muslim America: The case of American Sufi movements. The Muslim World, 90, 158-197.

كل ما يرتبط بالسياسة أو الإصلاح أو دينامية المجتمع. كما ذهبت الباحثة نفسها إلى أن هناك مجموعة من الحركات التي تأخذ اتجاها صوفيا أو متأثرة بالتصوف الإسلامي لكنها لا تتبع تعاليم الشريعة الإسلامية. نعتت هذه الحركات الصوفية "بالسرمدية" لأنها تؤكد على وحدة الأديان، كما أنها لا تتطلب أحيانا الممارسة الرسمية للإسلام من طرف أعضائها. كل من المجموعات الصوفية "السرمدية"[(1)] والمجموعات الصوفية "التقليدية"[(2)] ما تزال موجودة في الولايات المتحدة، وجلهم يحافظون على العلاقات فيما بينهم بالرغم من اختلافاتهم في العقيدة[(3)]. وقد اختارت هيرمانسن "ورود الحديقة" كعبارات مجازية لتعبر عن حضور التصوف في الولايات المتحدة خاصة والغرب عامة، مقسمة إياه إلى ثلاثة أصناف وفق مشربه الفلسفي والفكري، وهي[(4)]:

1- الورود المهجنة (Hybrids): يُرمز بها إلى المجموعات الصوفية ذات الهوية الإسلامية في الغرب، والتي تشترط التحول إلى الإسلام والمواظبة على ممارسة الشعائر الإسلامية والتطبيق الكلي ما أمكن للشريعة الإسلامية.

---

(1) تسمى بالسرمدية أو الحكمة الخالدة(Perennialism) وهي تلك الرؤية الفلسفية التي تقول بالوحدة المتسامية للأديان، بمعنى أن هناك دين واحد حنيف يظهر في مجموعة من التقاليد الدينية المختلفة، ويُعَدُّ فريثجوف شيوون من رواد هذا المنظور الفلسفي الروحي.

(2) التقليدية" :(Traditionalisme) نزعة ترمي إلى الاستمساك بالماضي ومعارضة التطور والتجديد، ويذهب التقليديون إلى أن التعاليم النقلية أساس المعرفة واليقين". ينظر، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، عالم الكتب، بيروت 1399 هـ - 1979 م، ص 52.

(3) Hermansen, Marcia. (2000). "Hybrid identity formations in Muslim America: The case of American Sufi movements". (Op.Cit), pp: 158-197.

(4) Hermansen, Marcia. "In the Garden of American Sufi Movements: Hybrids and Perennials, " in: New Trends and Developments in the World of Islam, ed. Peter Clarke, London: Luzac Oriental Press, 1997 pp. 155-178. see also:
- Hermansen, Marcia. "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, ed. Eric Geoffroy, Paris: Maisonneuve et Larose, 2005, pp: 481-499.

2- الورود الدائمة (Perennials): إشارة إلى تلك المجموعات التي تقلص أو ترفض نسبتها إلى التصوف باعتباره هوية إسلامية خاصة، وأغلب هذه الجماعات هي تلك التي تؤمن ب"الفلسفة الدائمة": (Perennial Philosophy)و"التدين البدئي "(The Religio Perennis) كما قدمه وفسره ريني غينو، وفريثجوف شيوون، وأناندا كومارا زوامي، وبوركهارت، وغيرهم.

3- الورود المنقولة (Transplants): تمثل تلك المجموعات من الشيوخ الصوفيين التقليديين من العالم الإسلامي الذين انتقلوا إلى الغرب، خاصة الولايات المتحدة، مشكلين هناك حلقات صغيرة من المريدين المتكونة غالبا من الجاليات المهاجرة.

أما أستاذ علوم الأديان بجامعة جورجيا الباحث الأمريكي: ألان **غُدلاس** (Alan Godlas) فقد قسم المجموعات الصوفية في الغرب، بما فيه أمريكا، إلى أربعة أصناف بحسب ارتكازها على الدين الإسلامي من عدمه، وهي[1]:

1- طرق صوفية إسلامية في الغرب.

2- مجموعات أو تنظيمات صوفية شبه إسلامية.

3- مجموعات أو تنظيمات صوفية غير إسلامية.

4- منظمات أو مدارس ذات علاقة بالزوايا الصوفية والتصوف.

نفس عدد الأصناف اعتمده الباحث البريطاني مارك سيدويك (Mark Sedgwick)، ولكن بصيغة أخرى، يقول:

"يمكن عموما تقسيم التصوف الغربي إلى أربع مجموعات:

(1) Godlas, Alan. "Sufism, the West, and Modernity" in website: http: //www.uga.edu/islam/sufismwest.html.

1- طرق المهاجرين: « Immigrants'Tariqas »

2- طرق نمطية: «Standard Tariqas »

3- طرق جديدة: « Novel Tariqas »

4- مجموعات لا إسلامية: « Non-Islamic Groups »[1]؛ فطرق المهاجرين هي فروع الطرق المنتشرة أصولها في العالم الإسلامي والتي حملها معهم المهاجرون إلى الغرب، وهي في الغالب ما تكون أماكن تواجدها سرية ولا يرتادها إلا المهاجرون المسلمون. أما الطرق النمطية فهي تلك الطرق الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي التي تملك أتباعا عديدين في الغرب، وغالبا ما يسير زواياها أتباع غربيون للشيخ الأصلي الموجود في العالم الإسلامي. في حين أن المجموعات "اللا إسلامية" عادة ما تبرز هويتها الشخصية هكذا؛ أي لا إسلامية، فالحركة الصوفية ل" إدريس شاه" على سبيل المثال تحاول البرهنة على أن التصوف منفصل عن الإسلام، والعديد من أتباعها ليسوا مسلمين ولا يعتبرون أنفسهم أبدا كذلك"[2]. أما باقي التنظيمات الصوفية التي لا تنتمي إلى المجموعات الثلاث يصنفها **مارك سيدغويك** ضمن الطرق الجديدة، غير المألوفة في العالم الإسلامي.

أعطى كابي (Gabbay) أيضا وصفا لتاريخ التصوف وتطوره، بما فيه مقدمة للتصوف الأمريكي، لكن الأهم من ذلك أنه أعطى وصفا للمتصوفة الأمريكيين، حيث ملأ مئة وإحدى وثلاثون متصوفا استبيانا لقياس مدى مشاركتهم في التصوف وتأثيره على حياتهم[3].

(1) Sedgwick, Mark " Traditionalist Sufism" in ARIES 22 (1999) p.4.
(2) Ibid, p.3.
(3) Gabbay, T. (1988). A discussion and a description of a sample of American Sufi practitioners. Dissertation Abstracts International, 49 (09), 3987. (UMI No. 8817270).

هذه الأنواع من الدراسات تمكننا من فهم أكبر لزمن التصوف ومكانه في المناطق الأمريكية "الروحية".

المبحث الثاني: مراحل التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية

إن تنوع الطوائف الصوفية وتعدد الفوارق بينها في المعتقدات والمذاهب والطقوس الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية يجعل من الصعب جدا على غير المختص تحديدها أو جمعها في أصناف معينة، وإن كانت جميعها تساهم في صنع تاريخ التصوف في الولايات المتحدة الذي مر بالعديد من المراحل، تحدد غالبا في ثلاث مراحل أساسية، حيث تعتقد الباحثة جيزيلا ويب أن تطور المجموعات الصوفية في أمريكا مر بثلاث مراحل أساسية تتوافق تقريبا مع ثلاث فترات متميزة من التفاعل بين العالمين الأورو-أمريكي والأسيوي في القرن العشرين.

المرحلة الأولى:

الفترة الأولى تبدأ "مع مستهل القرن العشرين وقد تميزت باهتمام الأمريكيين (والأوروبيين) بالحكمة "الشرقية" التي نمت نتيجة احتكاك الأوروبيين بالثقافات الأسيوية خلال المرحلة الاستعمارية، على الرغم مما اتسمت به هذه الفترة من جوانب سلبية كانت تنظر إلى "الشرق كآخر" (Orient-as-Other)، لكن هذا التفاعل/الاتصال بين الثقافات سيؤدي إلى ظهور عدد من المشايخ الذين جمعوا بين التحصيل العلمي التقليدي وبين الدراسة الحديثة في المعاهد الأوروبية، والذين لاحظوا شدة العوز الروحي في الغرب والحنين إلى ملئه، مما جعلهم يحسون بواجب جلب تعاليمهم إلى الغرب. وبالرغم من أن القليل فقط من هؤلاء كانوا شيوخا حقيقيين، إلا أن هذه الموجة من الشيوخ الروحيين الوافدين من "الشرق" كانت تحظى بقبول جماهيري في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من ضمن هذه

الموجة الأولى حضرة عنايت خان مؤسس الطريقة الصوفية (Sufi Order) في الغرب"[1].

في الواقع، لم يعتبر عنايت خان مجموعته طريقة صوفية، بل عمل على خلق حركة روحية عالمية، قالت عنه الباحثة جيزيلا ويب: " آمن حضرة خان بأن القدر دعاه إلى نشر "رسالة عالمية للعصر" والتي تتعهد بأن التصوف لم يكن مرتبطا في الأساس بالإسلام التقليدي وإنما يشمل تعاليم عالمية خالدة مرتبطة بالسلام والانسجام والوحدة الأساسية لجميع المخلوقات"[2].

المرحلة الثانية:

"المرحلة الثانية من النشاط الصوفي في الولايات المتحدة الأمريكية تصادفت مع الحركة الثقافية-المضادة /الهيبي (The Hippie /Counter culture movement) خلال الستينات من القرن العشرين، حيث كانت أعداد كبيرة من شباب الطبقة الوسطى الأمريكيين قد بدأت تستوعب أسباب العنصرية وحرب الفيتنام وشرور التقنوقراطية التي أدت إلى الأزمات الروحية التي فشلت الأديان في أمريكا في إيجاد حلول لها أو معالجتها، بل ساهمت في ازديادها، مما جعل هؤلاء الشباب ينشدون شيوخ الحكمة التقليدية من "الشرق"... بهدف البحث عن نظام علاجي يمكنه أن يقود إلى الخلاص الروحي الفردي، ولِمَا لا الكوني.

بدأت العديد من المجموعات الصوفية تزدهر في الولايات المتحدة الأمريكية خلال هذه الفترة من أواخر الستينات وطيلة السبعينات من القرن

(1) Webb, G. (1995). Sufism in America. In T. Miller, (Ed.), America's Alternative Religions. (Op.Cit).P.251.
(2) Ibid. P.253.

العشرين؛ فشخصيات أمثال فريثجوف شيوون[1] وريني غينو[2] أصبحوا معلمين للحكمة التقليدية وأحيانا أخرى يمارسون التعاليم الصوفية.

على الرغم من أن هؤلاء الأعلام بدأوا الكتابة والتلقين في بداية القرن العشرين، إلا أن تعاليمهم وكتاباتهم لم تلعب دورا كبيرا إلا خلال منتصفه، حيث كان لهم جمهور واسع من القراء في الولايات المتحدة الأمريكية، فكلاهما كان من أنصار الفلسفة التقليدية السرمدية أو الحكمة الخالدة[3].

تختلف المجموعات الصوفية التي تطورت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين فيما بينها حول مدى ارتباطها وولائها للدين الإسلامي؛ فمن بين المجموعات الصوفية التي تنكرت لولائها للإسلام نجد "روحانيات التصوف العالمية" التي صنفها الباحث الأمريكي غودلاس ضمن خانة المجموعات الصوفية غير-الإسلامية [4]، وقد تأسست هذه المجموعة

---

(1) كان شيوون (1907-1998م) مواطنا سويسريا قضى جل وقته في فرنسا ونشر كل أعماله الرئيسية فيها، وقد تمت ترجمت جل أعماله إلى الإنجليزية، وقد كانت مساهمة شيوون بالغة في بروز مجموعة من الأعمال التي تعكس الفكر الفلسفي والروحي الناجم عن اتصال الشرق بالغرب، كان شيوون أيضا معروفا باسم "الشيخ عيسى نور الدين أحمد الشاذلي الدرقاوي العلوي المريمي"، يحكى أنه انتمى إلى الطريقة الصوفية الشاذلية الدرقاوية العليوية وأصبح شيخا لفرعها الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية والمعروف ب"الطريقة المريمية" للمزيد من التفاصيل ينظر:

Schuon, F. Sufism veil and quintessence. (W. Stoddart, trans.) Bloomington: World Wisdom Books(1981).

(2) كان ريني غينو(1886-1951) مثله مثل شيوون، يسافر أيضا على نطاق واسع ويدرس مختلف الأديان، لينتمي في نهاية المطاف إلى طريقة صوفية شاذلية بمصر لكنه مع ذلك سيواصل الكتابة من خلال وجهات نظر متعددة، ولا تزال كتابات غينو وإلى يومنا هذا تمارس تأثيرا كبيرا على الوسط الأكاديمي بالولايات المتحدة الأمريكية يتجلى ذلك من خلال تمحور العديد من كتابات مشايخ التصوف في الولايات المتحدة حول تعاليم غينو وأفكاره.

(3) Guenon, R. (1962). The crisis of the modern world. (A. Osborne & M. Pallis, and R. Nicholson, Trans.). London: Luzac.Guenon, R. (2001). Insights into Islamic Esoterism and Taoism (H.D. Fohr, Trans.). New York: Sophia Perennis.

(4) Godlas, A. (2003). Sufism, the west and modernity. Retrieved September 20, 2004, =

من طرف صاميول لويس (Samuel Lewis) الذي كان في الأصل تلميذا لعنايت خان لكنه استقل بمجموعة من أتباعه، حيث لا يستند في أساليبه التلقينية ومصطلحاته الفقهية إلى أي مذهب صوفي تقليدي، بل يقلد في ذلك الأفكار الكونية التي وضعها خان أولا في النصف الأول من القرن العشرين، وخلال الستينات أنشأ لويس رقصات السلام العالمي التي أصبحت معروفة ب"الرقصات الصوفية" [1].

ارتباطا بهذه المرحلة الثانية، يعدُّ إدريس شاه (Idries Shah)(1924-1996م) أحد الكتاب المتصوفة الأكثر شهرة في الغرب، وكتبه تحقق مبيعات مذهلة للغاية، أنتج عشرات الكتب بداية من الستينات وأغلب كتبه تعتمد على القصص الصوفي الذي يحظى بجمهور عريض في الأوساط الغربية، وقد "تمتع بنفوذ واسع النطاق في أمريكا منذ عقد الستينات من القرن الماضي، وهو ينحدر من أصل هندي أفغاني، وقد أمضى معظم حياته في الغرب بأنجلترا، وعلى الرغم من أن مؤلفاته ظلت على رفوف المكتبات الأمريكية في البداية؛ فقد حاز إدريس شاه شعبية بفضل قصصه الفلكلورية التي تحكي عن حكمة الصوفية من خلال الحكاية والقدوة، ويشكل أتباعه جمعية الدراسات الصوفية" [2].

جماعات أخرى تنتمي إلى هذه المرحلة الثانية، مثل طائفة باوا محيي الدين (Muhaiyadeen Bawa) في فيلادليفا بدأت كمجموعة ذات صلات ضعيفة مع الإسلام، ثم بدأت تتحول تدريجيا إلى التصوف الإسلامي

-

from http: //www.uga.edu/islam/sufismwest.html.

(1) Bagasra Anisah, "A short history of Sufism and Sufi Communities in America" on: 03 July 2009 http: //www.israinternational.com/component/content/article/53-sufi-way/110-a-short-history-of-sufism-and-sufi-communities-in-america.html

(2) الإسلام والمسلمون في أمريكا، تأليف: جين سميث، ترجمة: محمد الخولى(م.س)، ص: 111.

المعهود في الشرق، وتشكل تجربة أتباع باوا محيي الدين نموذجا جيداً للمزج بين الشرق والغرب، أو بين تجارب المهاجرين والسكان الأصليين، وكذلك بين الصوفية التقليدية والأشكال المستجدة والمتطور منها. جاء الشيخ باوا محيي الدين إلى الولايات المتحدة سنة: 1971م بناء على دعوة تلقاها من "فتاة شابة من فيلاديلفيا كانت تراسله على مدار أعوام، وسرعان ما اجتذب عددا من المريدين المخلصين، فقرر أن يبقى لكي يؤدي رسالته في أمريكا"[1]، وتعرف العضوية في مجموعته اليوم ب"The Fellowship" أي"الرفقة".

المرحلة الثالثة:

والمقصود بها؛ "المرحلة الحالية للنشاط الصوفي في أمريكا، وإن كانت تتسم بالضبابية إلا أنها تتميز باستمرارية وجود عدد من المجموعات الصوفية التي تأسست خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين، كما أن عددا آخر من الطرق الصوفية بدأ يصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال توافد موجات المهاجرين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي التي تعتبر التصوف البديل الأفضل لحل المتطلبات المتصارعة بين التقليد والحداثة / أو الأصالة والمعاصرة/"[2].

المبحث الثالث: رؤية نقدية لمرحلة بداية التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية.

ما يلاحظ حول هذا التقسيم الذي يحظى بإجماع جل الباحثين في التصوف بالغرب هو إهمال جيزيلا ويب ومن سار على نهجها لمرحلة

(1) الإسلام والمسلمون في أمريكا(م.س)، ص: 112.

(2) Webb, Gesila."Sufism in America" in America's Alternative Religions, (Op.Cit), p: 252.

أساسية من تاريخ الولايات المتحدة وهي مرحلة العبودية، حيث أعتقد بأن التصوف كسلوك وكطريقة وصل مع العبيد الأفارقة الأوائل الذين حُملوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لعدة أسباب منها:

1- إن أغلب المناطق التي أُسِر منها العبيد كان التصوف سائدا فيها، بل من هذه المناطق من لم تعرف الإسلام إلا في صيغته الصوفية؛ كغانا، والسينيغال، ومالي، ونيجيريا، وموريطانيا، والسودان، وغيرها... حيث كان سكانها المسلمون يتوزعون بين القادرية والتيجانية والشاذلية والمريدية لا غير.

2- إن المخطوطات العربية التي اكتشفت أخيرا في الولايات المتحدة، والتي ترجع إلى مرحلة العبودية الأولى، تفيد بأن من ضمن هؤلاء العبيد من كان ممارسا للتصوف، محافظا على الأوراد، مستعملا السبحة في الأذكار، ولعل من بين هؤلاء نجد محمد بلالي الغيني الذي ولد في أواخر سبعينات القرن الثامن عشر[1]، والذي كان مرتبطا بالطريقة القادرية[2] كما كان شأن صديقيه الشيخ سانا سي من باناما، ومحمد قابا المعروف بـ (Robert Peart) من جامايكا، واللذين تكشف مخطوطاتهما العربية عن صلتهما الوطيدة بالطريقة الصوفية القادرية[3]. حيث تذكر مخطوطة الشيخ

(1) محمد بلالي هو صاحب أول نص فقهي مكتوب باللغة العربية يُكتشف في أمريكا الشمالية، حيث يوجد مخطوطه هذا في ثلاثة عشر صفحة مكتوبة بالخط المغربي ومرتكزة على تعاليم المذهب المالكي، لا سيما رسالة ابن أبي زيد القيرواني والمدونة ومختصر خليل.

(2) اطلعت على المخطوطة وعلى دراسة حولها غير منشورة قام بها الباحث الأمريكي المسلم محمد أهاري، يرتقب أن تنشر الدراسة سنة: 2013م تحت عنوان: الذكريات:
Bilali Muhammad'sMeditations upon the Beliefs of Islam & Calling Upon Your Lord at Morning Prayers :
Volume One.

(3) Bayoumi, M. (2003). "Moving Beliefs: The Panama Manuscript of Sheikh Sana See and African Diasporic Islam." INTERVENTIONS -LONDON- VOL 5; PART 1, pages 58-81.

سانا سي (Sheikh Sana See) التي ترجع إلى ما قبل 1850م الأوراد القادرية، وتحث على الالتزام بها لتحقيق التحرر من السجن المادي والمعنوي[1]؛ فالنظر إلى مخلفات فترة العبودية في أمريكا الشمالية كفيلة بتغيير وجهة نظر العديد من الباحثين في مجال التصوف بأمريكا، والذين يذهبون إلى أن أول صوت صوفي سمع في أمريكا الشمالية كان المرشد عنايت خان.

أعتقد أن عدم التفات الباحثين الأمريكيين إلى هذه الوقائع يرجع، بالإضافة إلى حداثة اكتشاف هذه المخطوطات وترجمتها، إلى حقيقة أساسية مفادها أن حقل الدراسات الصوفية في الولايات المتحدة، كما في أوروبا عموما، كان ينظر إليه وإلى زمن قريب بمعزل عن حقل الدراسات الدينية لا سيما الإسلام، لذلك فالمتخصص في الدراسات الصوفية بالغرب ليس بالضرورة عارفا بتاريخ الديانة الإسلامية في بلده، مع استثناء بعض الباحثين الغربيين المسلمين؛ تقول جيزيلا ويب في هذا السياق: "هناك ميول من طرف الباحثين الأكاديميين وغيرهم إلى تصنيف التصوف ضمن فئة الطوائف الدينية (Cults)، أو الشعبية (Popular) أو ضمن حركة العصر الجديد (New Age) أو الطوائف غير التقليدية (Unorthodox)، نافين بذلك اعتبار التصوف موضوعا أساسيا وجادا في دراسة الدين"[2]. وهذا تفريط جسيم يؤدي إلى ضياع التراث الإسلامي في تلك البلاد وإلى تشويه حقيقته.

---

(1) Ibid, p: 69.
(2) Webb, Gesila. “Sufism in America”, in America’s Alternative Religions, (Op.Cit).P: 249.

الفصل الرابع: أهم الطرق الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية

سيتطرق هذا الفصل لأهم الطرق الصوفية الممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ارتأيت تقسيم هذه الطرق بحسب أصولها إلى:

أولا - طرق صوفية مشرقية الأصول، وهي تلك الطرق التي انتشرت أكثر في شبه الجزيرة الهندية وبلاد الترك وفارس، وفي شبه الجزيرة العربية وبلاد العراق والشام قبل ذلك.

ثانيا: - طرق مغربية الأصول، وهي تلك الطرق التي انتقلت من شمال إفريقيا إلى البلاد الأمريكية في ظروف معينة وبدوافع مختلفة.

المبحث الأول: نماذج من طرق مشرقية الأصول

من أهم هذه الطرق الممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية نجد:

المطلب الأول: طرق تركية/فارسية:

ينتشر التصوف بصورة كبيرة في تركيا، وغالبية الشعب التركي إن لم تكن منخرطة في بعض الطرق الصوفية فهي متعاطفة معها. ويعزو بعض الباحثين[1] هذا الانتشار الكبير للتصوف في تركيا إلى أن الدين الإسلامي وصل للأتراك على أيدي الصوفيين؛ فالناظر إلى طبيعة التدين في المجتمعات التركية يمكنه بسهولة أن يرى آثار التصوف الواضحة فيه، ولعل تفسير هذا يبدو سهلا إذا ما تذكرنا فضل الطرق الصوفية في دعوة الشعوب

---

(1) الدكتور سليمان ديرين أستاذ التصوف في كلية الإلهيات في جامعة مرمرة في إسطنبول، يذكر ذلك في العديد من مقالاته وأبحاثه.

التركية المختلفة من أوزبك وأذريين وكرغز وغيرهم..إلى اعتناق الإسلام من باب التصوف، ولذلك "دأب الأتراك منذ حداثة عهدهم بالدين على حماية التصوف الذي كان بمثابة الحصن المنيع الذي يحتمي به الدين والبلاد معا من شتى الهجمات وسائر المخاطر. حتى أن مؤسسي الدولة العثمانية كانوا يعيشون - في مقاطعات غرب الأناضول - حياة إيمانية محاطة بالقوة المعنوية من جانب رجال العلم والتصوف الذين كانوا يلازمونهم"[(1)].

استطاعت الطرق الصوفية في تركيا الحالية أن تحافظ على وجودها وهويتها الإسلامية، على الرغم من الصعوبات التي مرت بها في ظل الحكم العلماني، ومن أبرز الطرق الصوفية التركية نجد: الطريقة النقشبندية، والقادرية، والخلوتية، والعُشّاقية، والجراحية، والبكتاشية، والمولوية.

أما بلاد فارس فقد وصلها التصوف الإسلامي في وقت مبكر، بل هناك من يربط أصول التصوف في إيران بالصحابي الجليل سلمان الفارسي، وقد أنجبت إيران كبار المتصوفة عبر التاريخ الإسلامي كالحلاج، واشتهرت بشعرائها الصوفيين أمثال حافظ الشيرازي وسعدي. ومن بلاد فارس انتقل التصوف إلى تركمنستان وهراة وغيرهما، لكن نجاح الثورة الإسلامية الشيعية في أواخر سبعينات القرن العشرين أدى إلى تقلص الاهتمام بالطرق الصوفية في إيران، لكنها ظلت نشيطة خارج الحدود. ومن الطرق الإيرانية الشهيرة في بلاد الغرب نجد: طريقة نعمة الله، وطريقة شاه مغسود، والطريقة الأويسية والنوربخشية.

---

(1) "الصوفية في تركيا"، مأخوذ من موقع:
http: //www.islamic-sufism.com/article.php?id=1479.

1 - الطريقة الجراحية-الهلفيتية:

هي طريقة صوفية تركية تعرف أيضا باسم الطريقة الجراحية للدراويش، ترجع أصولها إلى حياة الشيخ نور الدين الجراحي (1678-1721م). عُيّن مؤسس الطريقة الشيخ نور الدين قاضيا عاما على مصر من طرف السلطات العثمانية وهو في سن التاسعة عشر من عمره، وقبيل توجهه إلى مصر التقى بشيخ إحدى فروع الطريقة الخلوتية وهو الحاج علاء الدين القسطنطيني حيث ظل مريدا له إلى وفاة هذا الأخير (1704م)، ومنذ ذلك الحين صار شيخا لهذه الطريقة وعمره حينئذ 26 سنة.

في نهاية السبعينات من القرن العشرين وصلت هذه الطريقة إلى نيويورك بواسطة الشيخ طوزن بيرق الجراحي الهلفيتي (1926م- إلى الآن)، وهو فنان درس في الجامعات الغربية ثم عاد إلى تركيا لاستكشاف تعاليمها الصوفية التقليدية. يعتبر طوزن بيرق الزعيم الروحي لهذه الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك فهو ما يزال يحتفظ بولائه للشيخ الأكبر للطريقة "سفر أفندي" الموجود في أسطنبول بتركيا والذي يزور فروع طريقته في الولايات المتحدة الأمريكية في بعض المناسبات.

لا تختلف الطريقة الجراحية-الهلفيتية عن الطرق الصوفية السائدة في العالم الإسلامي في أغلب تعاليمها؛ إذ تحث على الذكر والخلوة والصيام والتهجد ولزوم الصمت إلا عند الضرورة، لكنها تتميز بأسلوبها في السماع والحضرة معتمدة الأدوات الموسيقية الشديدة الضجيج كالطبل وغيره.

يلعب الشيخ طوزن بيرق(Tosun Bayrak) دورا كبيرا في نشر الطريقة الجراحية-الهلفيتية وإشعاعها في الغرب بفعل نشاطه الدائم في الدعوة وبفعل ترجمته للعديد من المتون الأساسية في الأدبيات الصوفية التقليدية، حيث استطاعت الطريقة جلب العديد من الشباب الأمريكي

المتحول إلى الإسلام، بالإضافة إلى مسلمي جزر الكاريبي الأفارقة الأصول، والمهاجرين لا سيما الأتراك منهم. وتعرف الطريقة امتدادا في العديد من مناطق العالم بفعل تأسيسها لفروع صغرى في كل من كندا والأرجنتين والبرازيل وإسبانيا وبريطانيا، كما تحضر بقوة في دول البلقان، ليس فقط من خلال فروعها، بل أيضا من خلال نشاطاتها في أعمال الإحسان والإسعاف[1].

تنشط هذه الطريقة أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال أتباع الشيخ طوزن بيرق وليكس هكسون (Lex Hixon) (ت.1995م) في نيويورك، وفي كاليفورنيا من خلال أتباع الشيخ روبير فراجر (Robert Frager) الذي ولد سنة: 1940م، وأيضا من خلال الشيخة فرحة فاطمة الجراحية (ولدت سنة:1947م).

2- الطريقة النقشبندية الحقانية:

تعتبر النقشبندية إحدى أكبر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارا وتمثيلا ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل في أوروبا أيضا، حيث ترجع الأصول التاريخية للطريقة النقشبندية إلى الشيخ بهاء الدين محمد نقشبند (1317-1389م) من بخارى. "تأسست الطريقة بداية في آسيا الوسطى، وبعدها انتقلت إلى تركيا وسوريا وأفغانستان والهند؛ ففي آسيا الوسطى لم تعرف الطريقة فقط في المدن الكبرى بل وصلت أيضا حتى إلى المراكز الحضارية الصغرى"[2].

(1) Geaves, Ron, "The Halveti-Jerrahi Order of Dervishes", in New Religions: A Guide, New Religious Movements, Sects and Alternative Spiritualities, edited by: Christopher Partridge, Foreword by: J.Gordon Melton. Oxford University Press(2004).P.130.

(2) K.A.Nezami, "The Naqshabandiyyah Order: The Silsilah and Its Features", in: Islamic Spirituality Manifestations, edited by: Seyyed Hossein Nasr, The Crossroad Publishing Company, New York(1991).p.162.

ستعرف الطريقة النقشبندية تجديدا وإحياء في القرن العاشر الهجري على يد الشيخ أحمد سرهندي (1564-1624م) الذي كان معروفا بمجدد الألفية الثانية، حيث وصلت الطريقة في عهده إلى كل مدن وحواضر الأمبراطورية المغولية، بل وانتقلت إلى تركيا.

خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي ستصل الطريقة النقشبندية تحت زعامة شيخها الهندي المجدد شاه غلام علي (1743-1824م) إلى سوريا وبغداد ومصر والصين. وعبر تاريخها تميزت الطريقة النقشبندية حسب الباحث **نظامي** (K.A.Nezami) بخاصيتين[(1)]:

أولا: الانضباط الصارم للشريعة الإسلامية وللسنة النبوية، وهي خاصية تتشاركها معها معظم الطرق الصوفية.

ثانيا: جهودها الدؤوبة للتأثير في حياة النخبة الحاكمة وفكرها لجعلها قريبة من الدين؛ فهي على عكس طرق صوفية أخرى لم تنهج سياسة الانعزال تجاه السلطة الحاكمة في يوم من الأيام، بل على العكس من ذلك شجعت المواجهة مع القوى السياسية قصد تغيير آرائهم ومواقفهم من الحكام؛ ف"الملك هو الروح والرعية هي الجسد، فإذا ما ضل الملك فالرعية جميعا ستتبعه" كما كان يردد دائما الشيخ أحمد سرهندي.

أما الفرع الحالي للطريقة النقشبندية، والمسمى بالنقشبندية الحقانية، فترجع نسبته إلى الشيخ القبرصي محمد ناظم عادل الحقاني (ولد:1922م-الآن)، وقد حققت هذه الطريقة انتشارا كبيرا في عهده، ليس فقط في قبرص وتركيا وأنحاء شاسعة من آسيا، بل أيضا في أوروبا وشمال أمريكا، كما يذهب إلى ذلك الباحث ديفيد ويسترلند (David Westerlund)، الذي يقر

---

(1) Ibid, p.163.

بأن "الفرع الأكثر استقطابا للنظر في السياق الأوروبي[الغربي عموما] هو الفرع النقشبندي الحقاني لشيخه الأكبر محمد ناظم الحقاني القبرصي الذي استقطب العديد من الأوربيين المعتنقين للإسلام منذ:1970م، وبما أن الشيخ ناظم هو المفتي الأكبر لقبرص فإن العديد من القبارصة الأتراك الذين هاجروا للدول الأوربية هم من أتباعه، كما أن العديد من الأشخاص من مرجعيات إثنية أخرى يعتبرونه شيخهم. ويعتبر سلطان بروناي أحد أتباع الشيخ ناظم من أهم الداعمين الماليين للنقشبندية، ويتميز الفرع النقشبندي الحقاني للطريقة النقشبندية بجلسات الذكر الصامتة المتممة لاجتماعات الذكر الجهرية"(1).

وترجع بداية النشاط الدعوي للشيخ ناظم في الغرب إلى فترة ما بعد وفاة شيخه عبد الله الداغستاني (1973م) مباشرة "حيث كان دائم الزيارات إلى بريطانيا وقد شجعته لقاءاته مع الغربيين على تحفيزه على نشر تعاليم الإسلام في الغرب عبر قاطرة التصوف"(2).

زار الشيخ ناظم الولايات المتحدة الأمريكية سنة1991م، حيث يوجد أزيد من 30 مركزا مخصصا للطريقة الحقانية النقشبندية(3). إن ما يجعل الطريقة النقشبندية تحرز نجاحا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية كما في الغرب عامة هو " الحضور الكاريزماتي للشيخ ناظم، وإصراره على زيارة المراكز المعروفة بجذبها لمريدين شباب يبحثون عن الكمال، ورسالته المفعمة بكونية التسامح هي ما جعل بحق الطريقة الحقانية

(1) Westerlund, David. "The Contextualisation of Sufism in Europe", in Sufism in Europe and North America(Op.Cit), p: 18-19.

(2) Geaves, Ron, "The Haqqani Naqshabandis", in New Religions: A Guide, New Religious Movements, Sects and Alternative Spiritualities, edited by: Christopher Partridge, Foreword by: J.Gordon Melton. Oxford University Press(2004).P.130.

(3) Ibid, P.13.0

النقشبندية ذات حضور بارز ضمن مختلف الطرق الصوفية التي تنشط خارج العالم الإسلامي"[1].

إن نجاح الطريقة النقشبندية الحقانية في الولايات المتحدة والغرب عموما، جر عليها الكثير من انتقادات خصومها من الطرق الصوفية الأخرى، لا سيما فروع النقشبندية بشبه الجزيرة الهندية، حيث نجد أن "هناك اختلافات بينة بين مختلف فروع هذه الطريقة"[2] والذين أسسوا قاعدة لهم بالغرب أيضا، لكنها تتمركز فقط حول المريدين المهاجرين المنحدرين من نفس الإثنية، "أغلب هذه الانتقادات تهم تساهل الشيخ ناظم في قبول المريدين الجدد دون إلزامهم بمنهج العبودية الصارمة، وبالتطبيق الكامل لدقائق الشريعة"[3].

3- طريقة نعمة- الله.

تعتبر طريقة نعمة الله إحدى أشهر الطرق الصوفية في العالم اليوم، إذ "ينتسب إلى هذه الطريقة عدد كبير من المريدين في الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبا وبالخصوص في إيران"[4]. ترجع أصول هذه الطريقة إلى الشيخ معروف الكرخي (ت. 200هـ/16-815 م) ولكنها استمدت اسمها "النعمة - اللهية" من الشيخ نور الدين نعمة الله ولي (731هـ/1331م-834هـ/1431م)، الذي ازداد في سوريا لكنه عاش لسنوات طويلة في

(1) Ibid, P.13.1

(2) Westerlund, David. "The Contextualisation of Sufism in Europe", in Sufism in Europe and North America(Op.Cit), p: 18-19.

(3) Geaves, Ron, "The Haqqani Naqshabandis", in New Religions: A Guide, New Religious Movements, Sects and Alternative Spiritualities, edited by: Christopher Partridge, Foreword by: J.Gordon Melton. Oxford University Press(2004).P.13.1

(4) Nurbakhsh, Javad. "The Nimatullahi", in: Islamic Spirituality Manifestations, edited by: Seyyed Hossein Nasr, The Crossroad Publishing Company, New York(1991). p.144.

إيران[1].

"طريقة نعمة الله هي طريقة شيعية لازالت تحتفظ بموقع هام داخل إيران وإن كان العديد من أتباعها ينتشرون في الكثير من مناطق العالم"[2]. يتشكل أغلب أتباعها في الولايات المتحدة وأوروبا من المهاجرين الإيرانيين الذين يعيشون في المنفى، كما تعرف الطريقة أيضا بشعرائها البارزين وبكتابها المرموقين. يولي شيوخ هذه الطريقة ومريدوها عناية بالغة للانعكاس الذاتي (Self-reflection). ونتيجة لتولي الإسلاميين الشيعة الحكم في إيران سنة:1979م، أُرْغِمَ زعيم طريقة النعمة-اللهية، عالم النفس الدكتور جواد نوربخش الذي درس في طهران وفي جامعة السوربون، على طلب اللجوء السياسي إلى جانب العديد من شيوخها الآخرين[3]. في سنة:1983م سيستقر نوربخش في لندن حيث يوجد الآن المركز الأوروبي لطريقة نعمة-الله، وهذا الفرع نشيط جداً في نشر الكتب الصوفية"[4].

قام جواد نوربخش بأول زيارة له إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة:1974م استجابة للإلحاح المتزايد من طرف عدد من مريديه بأمريكا، وفي 1975م أسس زاوية صوفية نعمة-اللهية في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تبعها بعد ذلك تأسيس مراكز أخرى للطريقة في العديد من المدن الأمريكية، وقد تواصل ازدياد عدد هذه الزوايا خلال العقد

---

(1) Westerlund, Divid. "The Contextualisation of Sufism in Europe", in Sufism in Europe and North America(Op.Cit), p: 19.

(2) Ibid, p: 19.

(3) Ibid, p.19.

(4) -د.محمد هـ. فاغفوري قسم الدين بجامعة جورج واشنطن، في مداخلة بمؤتمر مركز نيكسون، مارس 2004م، بواشنطن ديسي - الولايات المتحدة الأمريكية، تحت عنوان: "فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية"، أعد التقرير: توبياس هيلمستروف(Tobias Helmstrof) وياسمين سينر(Yasmin Sener) وإيميت توهي(Emmet Touhy)، تحرير: زينو باراب(Zeyno Barab)، ترجمة مازن مطبقاني.

الأخير لكن تظل زاوية لندن هي المركز الأم للطريقة في الغرب.

تحمل طريقة نعمة-الله لجواد نوربخش شعار الأخوة والمساواة بين جميع الخلائق بغض النظر عن الاختلافات العقدية والثقافية والقومية، حيث " تتوخى الممارسات الصوفية لهذه الطريقة تجميل مريديها بالأخلاق السامية في الظاهر، وتوجيه قلوبهم للتحلي بالقيم والأخلاق الإنسانية لتحقيق وحدة البصر والبصيرة، فأي نشر للتصوف ينبغي أن يهدف إلى تحقيق حقيقة الإسلام. وهكذا فمبدأ الحب ربما يولّد القدرة على توحيد أتباع مختلف العقائد؛ فبواسطة التصوف يمكن القضاء على الفرقة والاختلافات الطائفية لأن الصوفي يوجه اهتمامه نحو مجال التوحيد، بمفهومه الديني، فيرى من خلال هذا المنظور كل شخص بعين الأخوة والمساواة"[1].

تتوزع السلوكات التأملية لطريقة نعمة-الله المعاصرة إلى خمس ممارسات أساسية:

1- الذكر الخفي.

2- الفكر.

3- المراقبة.

4- الورد.

5- المحاسبة.

يجتمع متصوفة طريقة نعمة-الله مرتين في الأسبوع في أقرب زاوية إليهم للصلاة، يتبعها مجلس للذكر الصوفي يبدأ بالذكر السري ثم القصائد الصوفية لكبار شعراء الفرس المتصوفين كالرومي والشاه نعمة-الله، وترافق

(1) Nurbakhsh, Javad. "The Nimatullahi", in: Islamic Spirituality Manifestations, edited by: Seyyed Hossein Nasr, The Crossroad Publishing Company, New York (1991). p.158.

هذه القصائد ببعض الأدوات الموسيقية أحيانا، حيث يظل السماع عنصرا مهما داخل الطريقة إلى جانب الذكر الخفي (الصامت) الذي يُعَدُّ أهم مرتكز على الإطلاق، وتعقد الطريقة النوربخشية النعمة-اللهية اجتماعات عدة مرات في السنة لممارسة الذكر الجلي (الجهري).

لكن ما يؤخذ بشدة على الشيخ جواد نوربخش، بالإضافة إلى رؤيته الكونية للتصوف وارتمائه في أحضان الشيعة، هو كراهيته الشديدة للعرب واللغة العربية التي يعتبرها ثقافة سفح وقتل وعنصرية، وأن ما أخذه العرب من الإسلام لا يعدو أن يكون قشورا في حين أن الفرس أخذوا بجوهر الإسلام، يقول في هذا السياق: " إن أساتذة الصوفية الذين كانوا يؤمنون بوحدة الخالق وبقيم الفروسية قبلوا الإسلام ولم يقبلوا ثقافة العرب، والسبب في ذلك هو أن ثقافة العرب لم تكن آنذاك أي شيء سوى ثقافة قتل وسلب واغتصاب.. وربما حتى اليوم لم يتغير الأمر كثيرا، لقد أخذنا رحيق الإسلام وألقينا بقشرته إلى العرب"(1).

4- الطريقة البكتاشية:

البكتاشية هي الطريقة التركية التي أسسها الشيخ محمد بن إبراهيم عطا الشهير بالحاج بكتاش، المتوفى في عام 1336م، وهي "خليط من الطرق الصوفية التي تقدمتها مثل القلندرية واليسوية والحيدرية، وهي الطرق التي سايرت البيئة التركية، وفشت فيها بتأثير من العقيدة الشامانية"(2).

✓ <u>فلسفة الطريقة:</u>

---

(1) ينظر حواره مع قناة الجزيرة، برنامج سري للغاية المعنون ب"البحث عن الصوفية" الذي أذيع بتاريخ: 01/04/2004.

(2) ممدوح الزوبي، *الطرق الصوفية: ظروف النشأة وطبيعة الدور*، دمشق، (الأهالي: 2004)، ص: 183.

يرى بعض البحاثة أن الطريقة البكتاشية، هي مزيج من عقيدة وحدة الوجود، ويقول أحمد سري بابا، شيخ مشايخ الطريقة:

"الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين، وقد انحدرت أصولها من سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام، يداً بيد وكابراً عن كابر. وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة؛ وقد وضع الحاج بكتاش كتاباً سماه (مقالات) اتبع فيه فكرة الإثنى عشرية والتولي والتبرئة، وهي من مصطلحات الشيعة"[1].

✓ انتشار الطريقة:

كَثُر أتباع البكتاشية في تركيا، وساعد على انتشارها الأسلوب الذي كان شيوخها يتحدثون به إلى الأتراك، وكانت تعتبر الشيخ اليسوي مرشداً لشيخها، وتنادي بمبادئ هذا الشيخ، ولكن رويداً رويداً استقلت وأصبحت لها مبادئها الخاصة. اتصلت البكتاشية بفرقة الأنكشارية التركية، وقد سار السلطان أورخان التركي (1326 - 1389م) مع فرقة الإنكشارية إلى الحاج بكتاش، وطلب منه أن يباركها فوضع الشيخ يده على رأس أحد جنودها ودعا لهم قائلاً: " فليكن اسمهم إنكشارية، اللهم اجعل وجوههم بيضاء وسيوفهم فواصل، ورماحهم قاتلة، واجعلهم منتصرين قاهرين لأعدائهم"[2].

ومن هنا سمى الإنكشارية أنفسهم بالبكتاشية، وتوثقت العرى بين الطريقة البكتاشية، وأقوى فرقة جيش في تركيا حينها، بل وفي السلطة العثمانية ككل. وكانت التكايا[3] البكتاشية المنتشرة في أرجاء السلطة

(1) نفسه، ص: 183.

(2) نفسه، ص: 184.

(3) المقصود بالتكايا هي الزوايا والمراكز الصوفية.

العثمانية موئلاً للإنكشارية، وكان لكل ثكنة عسكرية إنكشارية مرشد بكتاشي، كما أقيمت تكية بكتاشية قرب كل معسكر للإنكشارية، وبذلك تسلطت البكتاشية على الإنكشارية تسلطاً تاماً إلى أن قضى السلطان محمود الثاني على نفوذ أتباع هذه الطريقة ومشايخها.. عام 1826م، لكن أتباعها أخذوا بنشرها في صفوف الشعب، وقد "لاقت رواجاً كبيراً بسبب ما كان في أشعارها من لذة روحية وسهولة في الأسلوب، ولما امتاز به شيوخها من رقة الحاشية وحلو الحديث والبعد عن الجدل العنيف، وكانت تكاياها مثالاً للنظافة والأناقة مع ما اشتهرت به من السر البكتاشي، والأشعار الميسرة التي كانت تنشد في التكايا، وتعرف بالنفس، وكان من أشهر شعراء البكتاشية الشاعر (يونس أمره)، وكانت لهم تكية في جبل الجيوشي في القاهرة، يرقد بها جثمان الشيخ عبد الله المغاوري، وهو أحد أقطابها وشعرائها، ثم بنيت لهم تكية أخرى في المعادي في القاهرة وآخر شيوخها هو أحمد سري بابا"(1).

وصلت الطريقة البكتاشية إلى أوربا في العهد العثماني حيث انتشرت في ربوع البوسنة والهرسك وألبانيا، ومنها انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومن أشهر فروعها في أمريكا اليوم هو فرع الشيخ بابا رجب (Baba Rexhab) الذي يستقطب، بالإضافة إلى سكان جنوب شرق أوربا، العديد من الأمريكيين المتحولين إلى الإسلام.

المطلب الثاني: طرق هندوباكستانية:

وصل الإسلام إلى بلاد السند والمناطق الممتدة إلى ملتان عام: 811م، ثم امتد، بعد ذلك، إلى بلاد الهند على يد الغزنويين بعد عام 1000م بقليل،

(1) نفسه، ص: 184.

حيث جلب المسلمون معهم العديد من علماء الدين والشعراء والفلاسفة، وقد "أصبحت لاهور أول مركز للحضارة الإسلامية المتأثرة بالحضارة الفارسية، وقد ذكرنا الهجويري الذي ألف عمله المشهور عن التصوف؛ فقد كان ضريحه، الذي لا يزال وجهة الحجاج القادمين من البنجاب ومن المناطق الأخرى، يعتبر "بوابة الهند" بالنسبة لصوفية الأقاليم الغربية الذين كانوا يسألونه الإذن لمواصلة السفر"(1).

لكن تأثير التصوف في هذه البلاد لم يسترع الاهتمام "إلا في نهاية القرن الثاني عشر وإبان القرن الثالث عشر، بعد أن ثبّتت الطرق الصوفية أقدامها في الأقاليم المركزية في الأمبراطورية الإسلامية. وكان أشهر ممثل للحركة الجديدة هو معين الدين جشتي، المولود في سيستان (Sistan) والذي كان تلميذا لأبي نجيب السهروردي لفترة طويلة. وقد وصل دلهي في عام: 1193م واستوطن في أجمير (Ajmer)"(2).

1- الطريقة الجشتية/التشستية:

ترجع أصول الطريقة الجشتية إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد أخذت اسمها من المكان الذي ظهرت فيه وهو مدينة جشت (Chisht) التي تقع حوالي 95 ميلا شرق هراة، أفغانستان حاليا. ويقال إن أبا إسحاق الشامي "السوري" هو أول من جلب التصوف إلى مدينة جشت (3).

تنسب الطريقة من خلال سلسلتها الروحية إلى الإمام الحسن البصري

(1) أنّا ماري شيميل. *الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف*، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، الطبعة الأولى، منشورات الجمل(كولونيا، بغداد: 2006م)، ص: 392.

(2) أنّا ماري شيميل. *الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف* (م.س)، ص: 392.

(3) Rizvi, Sayyid Athar Abbas. « The Chishtiyya », in: Islamic Spirituality Manifestations, edited by: Seyyed Hossein Nasr, The Crossroad Publishing Company, New York(1991).p.129.

(21هـ/642م - 110هـ/728م)، وقد انتشرت في الهند انتشارا كبيرا في عهد الشيخ معين الدين حسن جشتي/تشيستي (ت.633هـ/1236م) الذي عُرف بنشره الإسلام في صفوف الهندوس كما عُرف بالكثير من الكرامات. وقد حدثت وفاته في لحظة وجدانية استغرق فيها في الحال حين السماع، وقد كان ينشد بيتا مضمونه: "شهداء خنجر التسليم، يمنحون من الغيب الحياة كل حين"[1].

تنتشر الطريقة الجشتية/ التشستية بمختلف فروعها الآن في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها تستقطب فقط الهنود والباكستانيين والأفغانيين، فهي طريقة إثنية بالدرجة الأولى. أما أهم الطرق المنسوبة إلى التشستية والتي عرفت نجاحا هائلا في الغرب، بما فيه الولايات المتحدة، فهي الطريقة الصوفية الكونية لعنايت خان.

2- الطريقة الصوفية الكونية لحضرة عنايت خان:

يذهب أغلب مؤرخي التصوف في الغرب إلى أن الزاوية الصوفية لعنايت خان كانت من أوائل المجموعات الصوفية الجديدة التي وفدت إلى الغرب[2] من الشرق، وبالضبط من الهند، موجهة رسالتها الروحية إلى الغربيين أنفسهم، وليس فقط إلى المهاجرين هناك. كما أن عنايت خان يُعَدُّ، حسب الدراسات الراهنة، "أول شخصية صوفية شهيرة في الولايات المتحدة الأمريكية" [3].

---

(1) Ibid, p.129.

(2) Andrew Rawlinson "A History of Western Sufism " DISKUS (op.cit) pp: 45-83

- Sedgwick, Mark. « European Neo-Sufi Movements in the Interwar Period » in Islam in Europe in the Interwar Period: Networks, Status, Challenges, (Op.Cit).

(3) Webb, G. (1995). “Sufism in America”. In T. Miller, (Ed.), America’s Alternative Religions.(Op.Cit). P.253.

تعتبر قصة انتقال عنايت خان إلى الغرب من روائع الأدب الصوفي[1]، ومعلوم أن عنايت خان ولد في مدينة "بارودا" من مقاطعة كوجارات في الهند وذلك في 5 تموز/يوليو من عام 1882م. جده، مولى باكش، كان موسيقيا معروفا لدى القصر، وهو الذي وضع نظام النوتات في الموسيقى الهندية الكلاسيكية... "ينحدر عنايت خان من عائلة مسلمة، وكان منذ الصغر يقيم الأوقات الخمسة للصلاة بانتظام إلى جانب الكبار. في سن التاسعة تلقى عنايت من خاغفارا- مهراجا مدينة بارودا- كنوع من المكافأة عقدا ومنحة لقاء ترتيله الأناشيد الدينية"[2].

لقد بلغ عنايت خان درجات عليا من الشهرة في ميدان الموسيقى وهو لا يزال في سن مبكرة؛ فكان دائم الترحال في مناطق الهند كلها، حيث كانت الأمور تشير إلى أن:

"مصير عنايت هو أن يكون أهم موسيقار في كل الهند؛ لكن يجذبه ذلك اللغز الخفي، الذي يقوم في أساس كل الكون، وفي يوم من الأيام، كما روى فيما بعد عنايت خان نفسه، حدث ما يلي: بينما كان هو مستغرقا في الصلاة وقد مضى عليه فيها عدة ساعات، سمع عند الفجر بوضوح صوت الفقير الذي راح يوقظ الناس داعيا إياهم إلى الصلاة:﴿قم أيها الإنسان، من نومك العميق، أنت لا تعرف أن الموت يتربص بك في كل لحظة؛ أنت لا تكترث كم هو ثقيل الحمل الذي قررت حمله، وكم هو طويل الدرب المقرر لك، انهض أيها الإنسان، لأنه قريبا جدا ستشرق الشمس﴾. لقد أثَّرت في عنايت خان كلمات تلك الأغنية لدرجة أن الدموع سالت من عينيه، وعندما أدرك أنه ليس هناك من مجد دنيوي - الذي يأتي

(1) تطرقت لها بتفصيل في كتابي السابق(التصوف الإسلامي في الغرب: 2008).

(2) عنايت خان، تعاليم المتصوفين، ص:9.

ويذهب - يمكن مقارنته مع ذلك الخلود، الذي يوجد خلف حدود فهمنا، وأن المتع والملذات والنجاح في حقل الغناء والموسيقى لا يفيد في إنقاذ الروح"[1].

انطلق عنايت خان في البحث عن الحكمة الإلهية التي وجدها في التصوف الإسلامي الذي يهدف إلى تطهير القلب وقهر النفس دون تحريم الموسيقى[2] التي كانت تشكل جانبا أساسيا في حياة خان، ذلك أن الموسيقى عند الصوفية هي:

"وسيلة للوصول بالنفس إلى حالة الدهشة الإلهية، وطريقة للتخلي عن الازدواجية، للتقرب إلى الله و"ملامسته"، للتخلي عن الأنا. هذه الحالة تدعى "الوجد"، أو الهول، لقد سبق لعنايت أن جرب حالة الوجد الإلهي تلك، والتي تحل بالإنسان الغارق في بحر من الأصوات الرائعة. وفي يوم من الأيام رأى حلما، كان حاضرا في اجتماع موسيقي، في وسط صوفيين طاهرين عظام رحلوا عن الدنيا منذ زمن بعيد، حيث كان جميع الحاضرين ينشدون: "الله أكبر، الله أكبر". وعندما استيقظ استمر في سماع تلك الموسيقى بوضوح كما في المنام، وتلك الكلمات " الله أكبر". هكذا بدأ دخوله إلى جوهر التصوف "[3].

كانت الخطوة الأساسية التي وجب عليه القيام بها بعد ذلك هي البحث عن مرشد روحي يأخذ بيده إلى عالم الباطن ليقف به في ساحل الوصول والنجاة، فجاءت تلك اللحظة:

"هكذا، بينما كان عنايت يجلس في أحد الأيام في منزل صديق له،

---

(1) عنايت خان، *تعاليم المتصوفين*، ص: 10.

(2) هناك العديد من الصوفية الذين يحرمون الموسيقى؛ سماعا وممارسة.

(3) عنايت خان، *تعاليم المتصوفين*، ص: 11/10.

أيضا متصوف، وهما يتجاذبان الحديث، وإذ بصاحب البيت يضطرب فجأة، ثم نهض وراح يرتب الغرفة على عجل ويضع الوسادة في المكان المخصص للضيوف المحترمين. بعد قليل من الوقت دخل إلى الغرفة شخص أبهرت رؤيته عنايت، خصوصا وجهه - لقد كان نفس الوجه، الذي كان يتردد دائما في أحلام عنايت. بعد أن نظر إلى جميع الحضور، توقفت نظرة الشيخ على عنايت وسأل صاحب البيت: من هذا الفتى؟ فأجاب صاحب البيت أن الفتى هو عازف موسيقى، وأنه يهتم بالتصوف ولكنه يبحث منذ نصف سنة عن هداية دون أن يتمكن من الحصول عليها. عندئذ استدار الشيخ إلى عنايت خان واقترح عليه الدخول في حلقة تلامذته على الفور. وقد كان اسم المعلم الشيخ سعيد محمد مدني، أحد أبرز شيوخ التشستية خلال القرن 20م الذي كان يعود بجذوره إلى عائلة الأسياد - أحفاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ هكذا صار هو المرشد أي المعلم بالنسبة لحضرة عنايت خان "[1].

بعد مضي سنوات من سلوك طريق الإرادة في أحضان الزاوية التشستية دعاه في أحد الأيام شيخها ليكلفه بالرسالة التي سوف يكرس لها كل حياته، إذ " دعاه الشيخ مدني إليه، وأثناء حديثهما على انفراد، قال الكلمات التالية: ﴿هيا انطلق يا طفلي نحو العالم وقم بتوحيد الشرق والغرب بواسطة هارمونيا موسيقاك، قم بنشر الحكمة الصوفية، لأنك موهوب من الله الرؤوف الرحيم﴾ بدء من تلك اللحظة، واستجابة لإرادة مرشده، تحول عنايت خان إلى حامل "الرسالة الصوفية" رسالة عن حرية الروح "[2].

---

(1) عنايت خان، *تعاليم المتصوفين*، ص: 12/11.

(2) نفسه، ص: 12.

سنة:1910م سافر خان من الهند إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد جولة ألقى فيها محاضرات وعروضا موسيقية انتقل من أمريكا إلى أوروبا حيث قضى بقية حياته.

مابين سنتي 1912م و1914م، سافر خان إلى أنجلترا، وفرنسا، وروسيا للقيام بعروض موسيقية هندية ولإعطاء محاضرات في الروحانية والموسيقى معا. العديد من محاضراته كانت تقدم تحت اشراف الجمعية الثيو-صوفية التي أصدرت مؤسسة نشرها الطبعة الانجليزية من مؤلفه: "الرسالة الصوفية للحرية الروحية " والتي ترجمت أيضا إلى الفرنسية والروسية[1].

"كان عنايت خان شيخا، كاتبا ومحاضرا لا يتعب، قضى ما يقارب 17 سنة في السفر وإلقاء المحاضرات المستمرة. أقام مدرسة في فرنسا ومجموعة من المريدين. لكن جدول مواعيده الصعب أضعفه مع مرور الزمن، غادر إلى الهند لرؤية بلدته لأول مرة منذ سبعة عشر سنة. كان يأمل الراحة والتأمل لكن طُلب منه إلقاء محاضرات فوافق كما كان شائعا. توفي سنة 1927م نتيجة زكام حاد"[2] عن سن تناهز:44 سنة، ويوجد ضريحه بقرب ضريح نظام الدين أوليا، ويعتبر محَجًّا للصوفية من كل أنحاء العالم.

على الرغم من كون عنايت خان ينحدر من أسرة مسلمة إلا أن التصوف الذي قدمه للغرب كان غريبا إلى حد ما عن التصوف النمطي السائد في العالم الإسلامي، إذ كان يعتقد بكونية التصوف الذي تتجوهر فيه الحقيقة الباطنية الدينية الواحدة التي تحملها جميع الأديان بالرغم من

(1) Khan, Inayat. Biography of Pir-o-Murshid Inayat Khan (1923) [Germany]: Centrum Universel, 2005 ; e-book, pp: 53-60.
(2) "Hazrat Inayat Khan: Founder of the Sufi Order in the West" in website: http: //www.om-guru.com/html/saints/khan.html.

اختلافاتها الظاهرية، و"يكمن الفضل الأكبر لعنايت خان في أنه أدخل إلى العالم الغربي تلك المنظومة الفلسفية، التي لم تكن فيما مضى سهلة المنال إلّا للمسلمين. فقد أوجد أسلوبا لتغيير طريقة تقديم الأفكار الصوفية إلى العالم الغربي"[1]، وإذا كانت "نسبة من الأوروبيين اليوم تمتلك معرفة معيَّنة عن التصوف، فذلك بفضل عمل **خان** و**شاه** وربما بفضل شعر **الرومي** المؤول على ضوء فهم **خان - شاه** للتصوف "[2].

هذا الفهم للتصوف وإن كان يختلف إلى حد معين مع الفهم المتداول في العالم الإسلامي، إلا أنه قدم بالفعل خدمة مهمة للإسلام وللتصوف الإسلامي الخالص الذي سيجد الأرضية خصبة لزرع شتائله في الغرب بعد عمل خان المتمثل في سعيه الجدي لتخليص الذهنية الغربية من ذلك الشعور بالعداء نحو رسالة الإسلام وصاحبها وبكل ماله علاقة بهما. وبالرغم من أن عنايت خان حاول أن يستعلي بتعاليمه الروحية عن كل الأديان، إلا أنه فرض على أتباعه وعلى المتأثرين به احترام الدين الإسلامي باعتباره رسالة إلهية سماوية، وتكريم نبي الإسلام لكونه مبعوثا إلهيا مقدسا[3]. يقول عنه تلميذه الشهير صاميول لويس: "كان المرشد عنايت خان في دروسه الأولى حول التصوف يضع محمدا كأكمل إنسان في كل العصور"[4]، وذلك لأنه - كما يقول أحد الباحثين- "ظل عنايت خان يؤكد أفضلية وحي محمد ورسالته كسياق مهيمن ودامج لكل الأشكال الدينية

---

(1) عنايت خان، *تعاليم المتصوفين*،(م.س)، ص: 13.

(2) Mark Sedgwick « European Neo-Sufi Movements in the Interwar Period » in Islam in Europe in the Interwar Period: Networks, Status, Challenges, (Op.Cit).

(3) الكبيطي إدريسي عزيز، *التصوف الإسلامي في الغرب، الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا: الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموجا*، مطبعة أميمة فاس، ط.1(2008)، ص.ص: 48-60.

(4) Lewis, Samuel L. Sufi Vision and Initiation: Meetings with Remarkable Beings, (San Francisco, California: Sufi Islamia/Prophecy Publications, 1986), p.219.

والتعابير الروحية"[1].

أعتقد بأن عمل خان يدخل في سياق التدرج الذي نهجه بعض شيوخ التصوف الإسلامي في الغرب لتفادي موجة العداء التي كانت سائدة ولا تزال حول الدين الإسلامي، لكن القدر لم يمهل عنايت خان لاستكمال سياسته التدرجية التي فشل أتباعه وخلفاؤه في فهمها بسبب وفاته المبكرة، وعدم النضج الكامل لمريديه، في حين نجح شيوخ آخرون في هذه السياسة كما هو حال جماعة الشيخ باوا محيي الدين التي سيأتي الحديث عنها.

طريقة عنايت خان المنتشرة في الغرب تعرف باسم: "الطريقة الصوفية الكونية" تأسست سنة:1910م، واستمر مسارها من خلال تلاميذ خان وبعض مريديه، كرابعة مارتن، وصاميول لويس الذي انشق في الأخير عن الطريقة الأصلية ليبدأ في تشكيل مجموعته المستقلة. حوادث انشقاق مماثلة لفروع ومجموعات صوفية بما في ذلك أشخاص ذووا اتجاهات صوفية كفريثجوف شيوون وغينو وإرينا تويدي (Irina Tweedie) وآخرون...، فضلا عن أقارب خان الذين تسببوا في تطوير طرق ومجموعات صوفية مختلفة قائمة على المعتقدات الفردية وتمزج مختلف التقاليد الشرقية والغربية، كالمرشد ولايت عنايت خان (Vilayat Inayat Khan) الابن الأكبر لعنايت خان الذي أصبح شيخا للطريقة الصوفية في الغرب سنة:1956م بعد دراسته في باريس وأنجلترا. يعتبر ولايت خان إلى جانب أبيه عنايت من الكتاب المنتجين كثيرا باللغة الإنجليزية، والكثير من أوائل الكتب التي تناولت التصوف، والمنتشرة في الولايات المتحدة كانت من منشوراتهما. وتناقش كتب المرشد ولايت خان ممارسات التأمل وعلم

(1) Talat Halman, " Sufism in The West: Islam in an Interspiritual Age", in Voices of Islam vol: 5. Edited by: Vincent Cornell & Omid Safi, Praeger Publishers (2007), p.176.

النفس الصوفي والموسيقى[1]. إذ " نُشرت تعاليم عنايت خان في عدة مجلدات من طرف أتباعه وقد تناولت مواضيع جد متنوعة مرتبطة بالروحانية عموما، وبالمعتقدات والأفكار الصوفية على وجه الخصوص"[2].

3- مجموعة الشيخ باوا محيي الدين:

من الطرق الصوفية التي فرضت حضورها المتميز داخل الولايات المتحدة الأمريكية، نجد جماعة الشيخ باوا محيي الدين التي تأسست سنة:1971م بمدينة فيلاديلفيا بولاية بينسيلفانيا. تقوم هذه الجماعة على التعاليم والتأملات الروحية للشيخ باوا محيي الدين الذي توفي سنة:1986م، ويعتبر ضريحه أول مزار صوفي إسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.

لا تتوفر إلا القليل من المعطيات حول مسار هذا الرجل الصوفي، وما يتوفر منها يدل على أنه بدأ تعاليمه الصوفية في الأربعينات من القرن العشرين حينما اكتُشف رجلا زاهدا مُخْتَلٍ بنفسه يعيش في غابات سريلانكا من طرف مجموعة صغيرة من الهندوس الذين طلبوا التلمذ على يديه، حيث استقر باوا بعد ذلك في مدينة جافنا (Jaffna) حيث بدأ يجتمع حوله مريدون مسلمون بعدما أسس لهم مسجداً أسماه: "بيت الله". كانت تعاليم باوا محيي الدين، لا سيما في مراحلها المتأخرة، متأسسة على القرآن والسنة وعلى الممارسة الصوفية الأصيلة، مما مكنه من جلب المسلمين المحافظين إلى طريقته الصوفية التي كان يعلن بأنه وصل فيها إلى مقام القطبية التي ورثها مباشرة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت.1176م) مؤسس الطريقة القادرية، بالرغم من عدم توفره على أية سلسلة تصله بالشيخ عبد القادر

(1) Khan, H. I. (1993). Mastery. New York: Omega. & Spiegelman, J.M., Khan, V.I. & Fernandez, T. (1991). Sufism, Islam and Jungian psychology. Arizona: New Falcon Publications.
(2) Khan, H. I. (1982). The awakening of the human spirit. New York: Omega.

تثبت صحة سنده الروحي.

سنة:1971م سيوافق الشيخ باوا محيي الدين على المجيء إلى الولايات المتحدة الأمريكية بطلب من إحدى مريداته في مدينة فيلاديلفيا، حيث اجتمعت حوله هناك مجموعة من الشباب الأمريكي المتعطش لروحانية الشرق، التي لم يفصح عن مصدرها الإسلامي إلا بعد خمس سنوات من وصوله إلى أمريكا وبالضبط سنة:1976م، حين سن الشيخ لمريديه مجموعة من الأذكار والممارسات الصوفية الإسلامية، بالإضافة إلى شروعه في بناء مسجد يضم إلى جانب أتباعه، الجماعة المسلمة في فيلاديلفيا.

نمت هذه الطائفة بشكل سريع وبلغ عددها ما يقارب ألف عضو خلال حياة الشيخ الذي عاش في الولايات المتحدة وقاد طائفته لمدة: 15 سنة حتى وفاته. استطاعت هذه الطائفة أن تبني مسجدا سنة:1983م في فيلادلفيا، وأصبحت تمارس فيه شعائر الصلاة الجماعية وفقا للشريعة الإسلامية، وإلى يومنا هذا ما زال يجتمع في هذا المسجد للصلاة أتباع الشيخ باوا من الأمريكيين المتحولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين المسلمين سواء كان لهم ولاء للشيخ، أو لا علاقة لهم به وبتعاليمه.

تم تسجيل تعاليم الشيخ وأفكاره بأمانة من طرف أتباعه الذين عملوا على ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها، حيث ساهم ذلك في جذب المزيد من الأنصار والأتباع الجدد الذين أصبح فريق كبير منهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي الكبير.

إن جماعة الشيخ باوا محيي الدين، وبالرغم من مرور ما يقارب ثلاثين سنة من وفاته، تضم آلاف الأعضاء الذين ما زالوا يستلهمون من تعاليم

شيخهم المنبثة في كتبه نبارس للتنوير والتزكية. ويعتبر المسار التدرجي الذي سلكته الحركة الصوفية لجماعة باوا محيي الدين، من جماعة روحية تضم المتحولين الأمريكيين فقط، إلى جماعة منفتحة على المهاجرين المسلمين، ثم لتندمج بعد ذلك في المجتمع الإسلامي الأمريكي بشكل عادي، مثيرا للانتباه لا سيما أن العديد من الحركات الصوفية الشبيهة فشلت في سلوك هذا المسار التدرجي، كما هو حال التنظيم الصوفي الذي أسسه عنايت خان بغاية الوصول به نحو الإسلام، لكن وفاته المبكرة، وانشقاق تنظيمه إلى عدة مجموعات أدى إلى فشل نهجه التدرجي الذي نجح فيه باوا محيي الدين.

المبحث الثاني: نماذج من طرق مغربية الأصول

هي تلك الطرق الصوفية ذات الأصل المغربي، لا سيما من السند الشاذلي للشيخ أبي الحسن الشاذلي، أو من الطرق الكبرى التي تفرعت عنه بواسطة الشيوخ المغاربة الأقطاب؛ كالطريقة الدرقاوية لمولاي العربي الدرقاوي، والتيجانية للشيخ أبي العباس أحمد التيجاني، والإدريسية للشيخ أحمد بن إدريس الحسني، وغيرهم كثير..

المطلب الأول: الطريقة الشاذلية وتفرعاتها:

1- الطريقة الشاذلية الدرقاوية العلوية:

تنسب الطريقة الشاذلية الدرقاوية العلوية إلى الشيخ الجزائري أحمد بن مصطفى العلوي لقبًا (العليوي والعلاوي كنية)، الذي ورث سر دعوته من العارف الصوفي المغربي محمد بن الحبيب البوزيدي، الذي ورثه بدوره من الصوفي المغربي محمد بن قدور الوكيلي، الذي أخذه عن الصوفي أبي يعزة المهاجي، الذي أخذه عن العارف الكبير الشيخ العربي

الدرقاوي صاحب الطريقة الدرقاوية المغربية التي انتشرت في كل أصقاع العالم.

✓ **وصول الطريقة الشاذلية الدرقاوية العليوية إلى الغرب: نظرة تاريخية**

تشير جميع الدراسات الغربية التي تحاول تأريخ ظاهرة التصوف الإسلامي في أوربا إلى أن أول اتصال غربي بالشاذلية، والذي كان له دور مؤثر في نشأة التصوف في الغرب، وقع في مصر عن طريق الرسام السويدي ايفان أغيلي (Ivan Aguili)[1] الذي اعتنق الإسلام سنة 1907م تحت اسم: الشيخ عبد الهادي عقيلي، حيث أخذ النسبة الشاذلية عن طريق الشيخ: عبد الرحمان عليش الكبير وهو شيخ فرع غير معروف للطريقة الشاذلية يسمى: " العربية الشاذلية". وقد عيَّن هذا الشيخ إيفان أغيلي مقدما له بالغرب، بمعنى أنه أصبح يملك بعض السلطات لضم الغربيين إلى التصوف[2].

---

(1) **إيفان غوستاف أغيلي "عبد الهادي"**، 1896-1917م: كان أغيلي رسامًا من المدرسة السويدية (و ما يزال إلى اليوم يُعتبَر أحد رواد الرسم الحديث في السويد)، قَدِمَ إلى باريس من أجل توسيع خبرته وأبحاثه. اعتقلتْه الشرطة الفرنسية بجريمة إيوائه أحد الفوضويين، فأتاح له الحبسُ فسحةً من فراغ درس فيها مختلف العقائد الدينية وتعلَّم اللغتين العبرية والعربية، وفي العام 1905، سافر إلى مصر، حيث التقى الشيخ عبد الرحمن عليش (الذي أهدى إليه غينو كتابَه رمزية الصليب). وفي الجامع الأزهر، اعتنق أغيليي الإسلام على يد الشيخ المذكور متصوفًا وتسمَّى باسم عبد الهادي. ومن يومئذٍ أصبح عبد الهادي "مقدم" التصوف الإسلامي عمومًا، ومقدَّم الشيخ عليش خصوصًا. وفي العام 1912، بعد عودة عبد الهادي إلى باريس من رحلة إلى السويد، بايع غينو بالإسلام ومنحَه "بركة" الشيخ عبد الرحمن.توفي في حادثة سير ببرشلونة باسبانيا في فاتح أكتوبر من سنة: 1917 ليدفن بها، بعد ذلك سوف تحمل بقايا جثته إلى موطنه الأصلي ليعاد دفنه في بلدته "صالا" وفق مراسيم الدفن الإسلامي، في "صالا" يوجد حاليا معرض وحديقة إحياء لذكراه.

(2) عزيز الكبيطي ادريسي، *التصوف الإسلامي في الغرب*.(م.س)، ص: 66

لكن نقطة انطلاق الحضور الصوفي المُشرق في الغرب ستكون مع تحول المفكر الفرنسي ريني غينو إلى الإسلام، وأخذه النسبة الشاذلية بواسطة إيفان أغيلي في باريس سنة: 1912م[1]. يقول عبد الحليم محمود عن إسلامه:

"أما الذي كان إسلامه ثورة كبيرة، هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة؛ فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليكية في فرنسا، وفي سويسرا.. فهو العالم الفيلسوف والحكيم الصوفي ريني غينو الذي يدوي اسمه في أوروبا قاطبة وفي أمريكا.."[2].

هكذا إذن، يوضح الباحث أندريو راولينسن (Andrew Rawlinson) أن:

"الوضعية قبيل انفجار الحرب العالمية الأولى هي أن الزاوية الشاذلية تتوفر فقط على عضوين[3] هما: عقيلي عبد الهادي الذي يملك سلطة تصويف الآخرين، وريني غينو الذي يبدو أنه الوحيد الذي تصوف بالفعل.

---

(1) هناك من يذهب إلى أن ريني غينو أسلم على يدي شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، ينظر ذلك في كتاب: *العارف بالله: سيدي سلامة الراضي رضي الله عنه: الفيلسوف والصوفي والشاعر والأديب*، لفاروق نصر متولي وهبة - الجزء الأول: الصوفي.

(2) عبدالحليم محمود، *قضية التصوف: المدرسة الشاذلية*، دار المعارف - القاهرة 1999م، ص: 300.

(3) يذكر" مارك سيدغويك" غربيا ثالثا تصوف قبل غينو وهو" الرسام والمستشرق الشهير **إيتيان ديني** الذي زار الطريقة الرحمانية في بوسعادة بالجزائر سنة: 1884م حيث استقر هناك وأصبح مسلما سنة: 1913م، وعلى عكس "أيبرهاردت " و"عقيلي" يبدو أن: "ديني" أصبح مسلما ملتزما مواظبا على آداء فرائض الصلاة والحج لكنه ظل أوروبيا رغم إسلامه دائم الذهاب إلى فرنسا وعرض لوحاته في باريس أكثر من ذي قبل " ينظر:

-Sedgwick, Mark. « European Neo-Sufi Movements in the Interwar Period » in Islam in Europe in the Interwar Period: Networks, Status, Challenges, (Op.Cit).

توفي عقيلي سنة:1918م، وغينو كان صوفيا منغلقا، هذا غرس هش وضع بلين"[1].

سنة:1930م، غادر ريني غينو فرنسا باتجاه مصر حيث قضى بقية حياته هناك، مستعملا اسمه الجديد: عبد الواحد يحيى، ملازما لمنزله، حاضرا بعض مجالس الذكر والفكر التي كان يقيمها الشيخ سلامة الراضي شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، يقول الباحث فاروق نصر متولي في مدح شيخ الطريقة الحامدية الذي كان **غينو** من رواد مجلسه:

"إنه فيلسوف صوفي استطاع بما رسمه لنفسه من منهج تميز ببراعة التعامل وعمق الإيمان وصدق العطاء ودقة الكلمة وممارسة الحوار. كل ذلك في قمة من السمو جعلت بعض المستشرقين يحرصون على حضور مجالسه ومتابعة آرائه والاغتراف من فيض علمه، من هؤلاء الفرنسي **ريني** الذي أسلم على يديه وسمي بعبد الواحد يحيى، وإذا علمت أنه كان عالما عرافا ضليعا في الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي، وكم كان حريصا على حضور مجالسه في الوقت الذي كان يمتنع فيه عن مقابلة الكثيرين من الصحفيين الفرنسيين والسويسريين، لتأكد لك إلى أي مدى كان تأثير الشيخ عليه وعلى غيره من المستشرقين"[2].

ظل **غينو** يعيش حياة صوفية منعزلة في مصر لكنه كان دائم الكتابة والنشر في مجلات غربية متخصصة، مما جعل بعض الباحثين عن الحقيقة في الروحانيات الشرقية يلجأون إليه ليدلهم على الوجهة المنشودة، ولعل

(1) Rawlinson, Andrew."A History of Western Sufism " DISKUS, vol(1) no(1) 1993, pp: 45-83

(2) فاروق نصر متولي وهبة، *العارف بالله: سيدي سلامة الراضي رضي الله عنه: الفيلسوف والصوفي والشاعر والأديب*، الجزء الأول: الصوفي ط.1 سنة: 1409هـ/1988م.

من أهم هؤلاء الفيلسوف والرسام السويسري فريثجوف شيوون الذي أرسله غينو إلى أحمد بن مصطفى العليوي شيخ الطريقة العليوية الدرقاوية الشاذلية بالجزائر حيث اعتنق الإسلام وأخذ النسبة الدرقاوية الشاذلية سنة:1932م تحت اسم: عيسى نور الدين أحمد. وفي سنة: 1934 م، بعد وفاة الشيخ العليوي عُين فريثجوف شيوون مقدما للزاوية العليوية الدرقاوية الشاذلية في الغرب من طرف خليفة الشيخ العليوي **عدَّة بنتونس** بوثيقة مكتوبة بخط يده، وقد اعتبر أنصار **شيوون** هذه الوثيقة إجازة ذات دلالة خاصة لكونها تثبت مصداقية **شيوون** وشرعيته الروحية في تأسيس الطريقة الدرقاوية العليوية في الغرب، التي ستتخذ أبعادا مثيرة جدا باستقلالها التام عن مركزها في مستغانم بالجزائر، وتحولها إلى "الطريقة المريمية " فيما بعد. في حين ضعف البعض من مضمون تلك الوثيقة معتبرا إياها مجرد وثيقة عادية لا تعطي **شيوون** أي إذن خاص في الدعوة لنفسه أو لغيره. وأن الدعوة إلى الإسلام الواردة في الوثيقة هي دعوة عامة، يقول مارك سيدغويك في هذا الشأن:

"في الحقيقة، كل الأمور التي أُذن فيها **شيوون** هي أمور لا تحتاج إلى إذن، وهي مفروضة على كل المسلمين كيفما كانوا. من ثمة؛ فـ"الشهادة" هي في شكل تعيين ولكن بدون مادة. إنه لمن الصعب التفكير في السبب الذي جعل **بنتونس** يصدر مثل هذه الوثيقة الفارغة باستثناء أنه، ربما، استجاب تكتيكيا لطلب الإجازة الذي لم يكن يرغب في الإذعان له "[1].

✓ **تأسيس الفرع الغربي للطريقة الشاذلية الدرقاوية العليوية:**

أسس **شيوون** بعد عودته إلى الغرب ثلاث زوايا في كل من:

(1) Sedgwick. Mark. " Traditionalist Sufism" in ARIES 22 (1999), p.5.

(آمين Amiens، باريس Paris ، وبازل Basel) بنفس اسم زاوية مستغانم " الدرقاوية العليوية".

في هذه الفترة وجد **غينو** حليفا له، لم يكن **غينو** مقدمًا لأية زاوية بمعنى لا يمكنه إعطاء النسبة الصوفية للآخرين، لكنه وجد في **شيوون** ما كان يطمح إليه فأصبح يرسل إليه الغربيين الذين قرؤوا كتبه ومقالاته وجاؤوه قاصدين الإرشاد الروحي، و**شيوون** الذي كان مجهولا تماما في ذلك الوقت وجد نفسه مع عدد قليل من الأتباع ولكنه عدد وازن.

في سنة 1934م فقط أصبح ممكنا الحديث عن الفرع الغربي للشاذلية الدرقاوية أو بتعبير أدق العليوية الدرقاوية ملهما من طرف الفرنسي **غينو**، ومقادا من طرف السويسري الألماني **شيوون**، ومُشَكَّلًا كلية من مريدين غربيين.

سيستقطب هذا الفرع بعد ذلك عددا من كبار المستشرقين، كان من أبرزهم **تيتوس بوركهاردت** الذي دخل التصوف في المغرب سنة 1930م سالكا سبيل أحد فروع الدرقاوية، وقد كانت مساهمته رائدة في مجال التأليف حيث خط كتابا هاما سماه:" مدخل إلى العقيدة الصوفية" (Introduction to Sufi Doctrine)، كما ترجم "الرسائل الدرقاوية" للشيخ العربي الدرقاوي، وكانت له إسهامات غنية في الفن والخط والعمارة الإسلامية. بالإضافة إلى مواظبته على نشر الفكر الصوفي التقليدي في مجلة: "دراسات تقليدية" (Etudes Traditionnelles).

بحلول سنة:1939 م كانت الحلقة الصوفية للفرع الدرقاوي الشاذلي في الغرب تضم حوالي مئة صوفي درقاوي مؤطرة فكريا بكتابات **غينو**، ومقادة روحيا بواسطة **فريثجوف شيوون**." ظلت الأمور هادئة طيلة الحرب العالمية الثانية، كما يمكن توقعها، لكن سنة: 1946م وعلى إثر وفاة الشيخ

عدة بتونس، شيخ العليوية الدرقاوية بمستغانم، أُعلن **فريثجوف شيوون** شيخا لها من طرف مُريديه الغربيين فقط "[1] مما أدى إلى تصدع علاقة فريثجوف شيوون وريني غينو.

بحلول سنة:1949م كان كل واحد من الرجلين، غينو وشيوون، قد ذهب في طريق مستقل تماما عن الآخر؛ ظل غينو ممارسا صوفيا مسلما تابعا للشاذلية الحامدية يعيش منعزلا بمصر، مكرسا جميع كتاباته لشرح الفلسفة "التقليدية" التي كان رائدها الأول فوسمت باسمه، بعد ذلك أصبحت تعرف ب"الغينوية"[2]. في حين واصل شيوون الانحراف بالفرع العليوي الدرقاوي إلى صيغة صوفية جديدة تستمد تعاليمها الروحية الغيبية من مريم العذراء، مؤسسا بذلك " الطريقة المريمية العليوية الدرقاوية"[3].

✓ العلوية في الولايات المتحدة الأمريكية:

انتقل فريثجوف شيوون سنة: 1981م من سويسرا إلى إنديانا بالولايات المتحدة، حيث كانت تستقر هناك جماعة من أتباعه يتراوح عدد أفرادها بين 60 و70 شخصا أغلبهم من الولايات المتحدة، وسويسرا وأمريكا اللاتينية، ويقيمون بشكل دائم في المناطق المجاورة لمنزل شيوون[4]. يقول مارك سيدغويك:

"هاجر شيوون- الذي كان يبلغ من العمر73سنة- إلى أمريكا استجابة إلى إشارة غيبية تجهل تفاصيلها، في رسالة إلى أحد أتباعه أوضح شيوون

---

(1) Andrew Rawlinson "A History of Western Sufism " DISKUS (op.cit) pp: 45-83.

(2) هناك دراسات وافية حول الفلسفة الغينوية قام بها الباحث الأمريكي "مارك سيدغويك" لعل أهمها الآن هو كتابه باللغة الانجليزية: *ضد العالم المعاصر: التقليدية والتاريخ الفكري السري للقرن 20م*.

(3) Mark Sedgwick Against the Modern World: Traditionalism and the Secret Intellectual History of the Twentieth Century (Op.Cit), pp: 147-160.

(4) Ibid.

أن السبب الرئيس وراء انتقاله من أوروبا إلى أمريكا كان بهدف تأسيس جماعة بدائية، وهو ما يبرره أتباع شيوون برغبة هذا الأخير في الاقتراب أكثر من دين الأمريكيين الأصليين، كما يجد مبرراته أيضا في كتابات شيوون الأخيرة والتي كانت تهم الطبيعة البدائية للدين الأمريكي المحلي ولدوره البدائي الخاص[1].

وقد نجح فريثجوف شيوون في استقطاب العديد من الأتباع لطريقته في الولايات المتحدة وذلك بفعل فلسفته الروحية التي تؤمن بسمو كل الأديان وبتماهيها، على الرغم من اختلافها في التشريع الذي لا يعدو أن يكون مجرد قشور خارجية لا تمس الجوهر الباطني للرسالة الإلهية الخالدة. وأيضا بفعل العمل الكبير الذي قام به سيد حسين نصر[2] أحد أبرز أتباع شيوون، والذي لا زال يواصل رسالة شيوون بنجاح في الولايات المتحدة، لا سيما بعد أن قام بصياغة فلسفته بطريقة إسلامية جعلتها مقبولة حتى من طرف فئة عريضة من المسلمين أنفسهم.

توفي فريثجوف شيوون في إنديانا بالولايات المتحدة في 5 ماي 1998م، ويعتبر ضريحه إلى اليوم محجا لأتباعه، ولكل المؤمنين بفلسفته من كل أنحاء العالم.

2- الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية:

تنتمي الطريقة الحبيبية الدرقاوية إلى الشيخ المغربي سيدي محمد بن

---

(1) Ibid.

(2) سيد حسين نصر (1933م - الآن) فيلسوف إسلامي معاصر، يعمل أستاذا في قسم الدراسات الإسلامية في جامعة جورج واشنطن، لديه العديد من المؤلفات والمقالات. اشتهر سيد حسين نصر في مجال مقارنة الأديان والصوفية وفلسفة العلم والميتافيزيقيا، تتضمن فلسفته نقدا بارعا ورفضا شديدا للحداثة وتأثيرها السلبي على روح الإنسان، يتحدث حسين نصر الإنجليزية والفرنسية والفارسية والعربية.

الحبيب الأمغاري الحسني (ت.1972)، أحد علماء القرويين البارزين في منتصف القرن العشرين، أخذ الطريقة الدرقاوية المنسوبة إلى مولاي العربي الدرقاوي، دفين جبل بني زروال، على يد الشيخ محمد بن علي، دفين مراكش، الذي أخذها على يد الشيخ العربي الهواري. وتُعْرَف الطريقة الصوفية الدرقاوية على وجه الخصوص بالصرامة في السلوك الصوفي وبخرق العادة، بمعنى تربية المريد على قهر نفسه بأساليب قاسية كلبس المرقعات والتسول في الأسواق. لكن الشيخ محمد بن الحبيب خفف من هذه التعاليم الشديدة على النفس[1] واكتفى بتدريب أتباعه على ترديد أذكار يومية وديوان شعري من إنشائه، مما جعل العديد من الغربيين يجدون في طريقته يسرا وذوقا يجعلهم يلازمون صحبته، ومن هؤلاء الغربيين الذين سيكون لهم حضور فعال في مسار الطريقة الحبيبية نجد الشيخ السكوتلاندي، أيان نيل دالاس (عبد القادر الصوفي) الذي تعرف على التصوف الإسلامي في المغرب، حيث اعتنق الإسلام على يد إمام **مسجد القرويين** الشيخ عبد الكريم الداودي في مدينة **فاس** سنة:1967م، وبعد ذلك ببضعة أشهر، عاد مجددا إلى المغرب ليأخذ النسبة الصوفية الشاذلية الدرقاوية عن طريق الشيخ محمد بن الحبيب الدرقاوي (ولد سنة:1876م) الذي أطلق عليه لقب "الصوفي".. وعن طريق عبد القادر الصوفي ستتوسع الطريقة الحبيبية الدرقاوية لتصل إلى أماكن مختلفة من القارات الخمس.

3- الطريقة الشاذلية الدرقاوية اليشروطية:

الطريقة اليشروطية هي فرع من الطريقة الشاذلية للشيخ المغربي أبي

(1) خفّف منها قبله بعض شيوخ الدرقاوية، أبرزهم سيدي محمد الحراق، الذي اعتمد التربية الجمالية بدل الجلالية التي تُعرف بها الدرقاوية.

الحسن الشاذلي (ت.1258م)، وتنسب الطريقة اليشروطية للشيخ التونسي نور الدين اليشروطي الملقب ب "نور الدين المغربي" الذي أخذ إذن تأسيس طريقته من الشيخ محمد بن الحسن ظافر المدني (ت.1847م) الذي أخذ سره عن الشيخ المغربي مولاي العربي الدرقاوي (ت.1823م) شيخ الطريقة الدرقاوية التي تعتبر أحد أبرز فروع الشاذلية في شمال إفريقيا. وقد "رحل الشيخ نور الدين من تونس، حيث ولد سنة:1791م، إلى مدينة عكا بفلسطين التي قضى فيها بقية حياته التي امتدت لأزيد من 100 سنة، استطاع خلالها استقطاب الكثير من المريدين والأتباع بفعل ما كان يروى عنه من الكثير من البركات والكرامات، وما زالت الطريقة اليشروطية تضم، إلى اليوم، العديد من الأتباع في فلسطين، لبنان، سوريا، وأيضا في شرق إفريقيا وحتى في أقصى جنوب أمريكا. وقد تعاقب على الطريقة اليشروطية بعد وفاة شيخها العديد من المشايخ، من بينهم، فاطمة اليشروطية، ابنة الشيخ نور الدين"(1).

4- الطريقة الشاذلية البطاوية:

أ- سيرة شيخها وتعاليمه:

يمثل هذا الفرع الصغير من الشاذلية في الغرب الشيخ عبد الله نور الدين دوركي(Abdullah Nooruddeen Durkee) الذي يعتبر من رواد التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة. اعتنق دوركي الإسلام سنة:1974م بعد لقائه مع الشيخ الشاذلي الفلسطيني محمد جمال، ليعود في منتصف السبعينات مع مجموعة من أتباعه إلى الولايات المتحدة الأمريكية مؤسسا جماعة إسلامية في نيو-مكسيكو تسمى "**دار الإسلام**"، والتي كانت

(1) Cadavid, Leslie. "Fatima Al-Yashrutiyya: The Life and Practice of a Sufi Woman and Teacher" in: Voices of Islam (Vol.2: Voices of The Spirit), Westport: Praeger Publishers, 2007. P: 176-177.

المؤسسة الأمريكية المسلمة الوحيدة سنة:1979م.

عاد بعد ذلك إلى الشرق الأوسط حيث غاش فترة طويلة في الإسكندرية بمصر صحبة أستاذه في العلوم الشرعية، وشيخه في التصوف الشاذلي "**إبراهيم البطاوي**"[1]، ولم يرجع إلى الولايات المتحدة إلا سنة: 1994م.

يعتبر عبد الله **نور الدين دوركي** حاليا خليفة للشيخ **إبراهيم محمد البطاوي** (1924م-2009م) في شمال أمريكا خاصة، وهو يتصرف وفق إجازة حصل عليها من شيخه المذكور سنة: (1984م/1405هـ)، تخوله الدعوة إلى الإسلام من منظور صوفي لإعطاء الأوراد وإرشاد الخلق، خاصة على المنهج الشاذلي، يقول **إبراهيم بن محمد البطاوي**، شيخ الطريقة البطاوية الشاذلية:

"وابننا نور الدين من الذين أسلموا عن دراسة وفهم للإسلام، بعد أن رأوا قسوة مادية الغرب ودرسوا معظم الديانات المعروفة من سماوية وأرضية ووثنية فوجدوا الخير والنور والهدى في الإسلام من خلال التصوف السني الرشيد؛ فدخل جمعهم من الشباب الغربي رجالا ونساء في دين الله أفواجا، وأتوا إلينا لتصحيح الفهم والعقيدة والعمل بالدين وكان لهم ما أرادوا بسبب تضحياتهم بدنيا اللهو واللعب والمادة من أجل دين الروح والحياة والسعادة والبقاء. وظل يدرس معنا علوم الإسلام وطريق القوم حتى تأهل ليكون خليفة لنا في نشر طريقنا الشرعي بالأمريكتين وكندا وأوربا، بل وفي مصر وقد أجزناه بذلك"[2].

---

(1) هو شيخ الطريقة الشاذلية البطاوية: كان أستاذا للفلسفة الإسلامية في جامعة الأزهر، وهو صاحب كتاب: "مفتاح الاسم الأعظم وطريق الوصول إلى الله"، (القاهرة: دار الإنسان) ط1 سنة: 1978، قدم لهذا الكتاب الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا.

(2) من مقدمة الشيخ إبراهيم بن محمد البطاوي، في كتاب: المدرسة الشاذلية، الجزء الأول: أحزاب =

يعمل الشيخ دوركي جاهدا اليوم على إيصال دعوته إلى أكبر شريحة ممكنة في الغرب عن طريق تأسيسه لبعض المؤسسات الدعوية داخل الولايات المتحدة الأمريكية كمدرسة الجبل الأخضر في فيرجينيا والتي تهدف إلى تعريف الغربيين بالطريقة الشاذلية وأحزابها وصلواتها وأورادها[1]، بالإضافة إلى حضوره المكثف في مختلف التظاهرات الصوفية الدولية كالندوات، والمؤتمرات، والملتقيات الصوفية وغيرها.

يعيش الشيخ نور الدين دوركي إلى اليوم في ولاية فرجينيا، ويعتبر من أبرز النشطاء في الدعوة الإسلامية داخل السجون الأمريكية، كما يعتبر خطيبا متنقلا بين خمسة مساجد محلية في مساحة تقدر بخمسين ميلا لقيامه بخطب الجمعة، ولذلك يلقب نفسه ب"الشيخ السائح"[2].

يحظى الشيخ نور الدين دوركي باحترام أغلب مشايخ التصوف في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة، كما يربط علاقات جيدة مع معظم الهيئات الإسلامية، الصوفية منها وغيرها، بالرغم من عدم تردده في انتقاد الخط الدعوي لبعض الجماعات الصوفية المنتشرة في الغرب، كما هو حاله مع أتباع الطريقة الدرقاوية العليوية المريمية لفريثجوف شيوون (عيسى نور الدين أحمد) الذي صاحبه مدة من الزمن ولكنه انفصل عنه بدعوى أن هذا الأخير لم يكن ملتزما بالشريعة الإسلامية حيث صادفه - كما روى لي - في مركز حضاري بمدينة جنيف يوم جمعة وقت الصلاة، ثم لما دعاه لمصاحبته إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة، أجابه شيوون أنه لا يفعل ذلك وأن مثل

الشاذلية، لنور الدين دوركي، ط: 1991/1 (الاسكندرية).

(1) ينظر الموقع الالكتروني لمدرسة الجبل الأخضر في:
http: //www.greenmountainschool.org/.

(2) Marcia Hermansen, "The 'other' Shadhilis of the West" in: The Shadhiliyya, (Op.Cit), p.492.

هذه الشعائر لا تعني له شيئا[1]. نفس الموقف يتخذه الشيخ عبد الله نور الدين دوركي اتجاه أتباع الشيخ الهندي عنايت خان، حيث اعتبر ولده ولايت خان فارغا روحيا رغم طيبوبته[2]. كما أنه يشكك في السند الروحي لشيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية في الغرب الشيخ عبد القادر الصوفي، بدعوى أن هذا الأخير مأذون من طرف شيخ العليوية في ليبيا حمودة الفيتوري وليس من الشيخ محمد بن الحبيب المغربي الذي يوجد وريثه الحالي مولاي هاشم البلغيتي في مكناس. ثم إن دعوة الشيخ عبد القادر الصوفي هي سياسية بالأساس ولا تناسب الغرب؛ فتبنيه لمسألة الدينار الذهبي ورفضه للعملات المتداولة حاليا جعلت العديد من أتباعه بالولايات المتحدة الأمريكية ينفرون منه[3].

ما يلاحظ حول تعاليم "الشيخ دوركي" أنها لا تختلف كثيرا عن تعاليم الشيخ "نوح حا ميم كلر" شيخ الطريقة الشاذلية الهاشمية، إذ ترتكز على ربط التصوف بالشريعة الإسلامية تنظيرا وتطبيقا، كما يعتمد في تعاليمه على التصوف الحيوي الذي يقوم بدور نشيط في المجال الاجتماعي، كرعاية الأيتام والتخفيف عن المرضى والمساجين، وهو الشيء الذي يشارك فيه دوركي رفقة زوجته الحاجة نورا بفعالية.

أصبح نور الدين دوركي بعد وفاة شيخه إبراهيم البطاوي سنة: 2009م

---

(1) حوار أجريته مع الشيخ نور الدين دوركي يوم الجمعة فاتح غشت 2008م/29رجب1429م، في فندق حياة ريجنسي بمدينة شيكاغو في الولايات المتحدة على هامش لقاء صوفي نظمه المركز الصوفي الشاذلي بمناسبة زيارة الشيخ محمد سعيد الجمال الرفاعي اليشروطي إلى شيكاغو، وقد حضر الحوار مجموعة من الأساتذة منهم مارسيا هيرمانسن، بالإضافة إلى جمع غفير من الحضور.

(2) نفس الحوار أعلاه.

(3) نفس الحوار السابق.

شيخا للطريقة الشاذلية البطاوية في الولايات المتحدة وأوروبا.

ب- مؤلفاته:

- كتاب "المنفى" الذي صدر منه الجزء الخاص ب"اعتناق الإسلام" والذي يحكي فيه قصة إسلامه.

- كتاب في تجويد القرآن الكريم بجميع سوره، وله موقع الكتروني لتعليم تجويد القرآن(1).

- كتاب "**المدرسة الشاذلية**" باللغة الإنجليزية وهو يتضمن أشهر أذكار الشاذلية وصلواتها وأذكارها وأحزابها وأدعيتها(2).

- يشتغل حاليا بترجمة المؤلفات الصوفية الشاذلية لعبد الحليم محمود ولعبد الوفا التفتازاني(3).

- له مجموعة كبيرة من المقالات باللغة الإنجليزية في: الحب الإلهي، والتصوف، وتلاوة القرآن كممارسة روحية، وفي الحوار الإسلامي المسيحي والإسلامي اليهودي.

5- الطريقة الشاذلية الهاشمية:

أ-تقديم

تعتبر الطريقة الشاذلية الهاشمية أحد أبرز فروع الشاذلية الدرقاوية في الغرب، لا سيما في الولايات المتحدة. تنظر تعاليم هذه الطريقة إلى التصوف باعتباره مكونا إسلاميا خالصا لا يمكن أن يؤخذ بمعزل عن الشريعة الإسلامية التي هي الوعاء الوحيد القادر على حمل حقيقته

---

(1) http: //itajweed.org/testing/main.html viewed 10/08/2007.

(2) كتاب: *المدرسة الشاذلية (*The School of the Shadhdhuliyyah*)*، ترجمها وجمعها الشيخ عبد الله نور الدين دوركي، الطبعة الثانية(2005م) بماليزيا(The Other Press).

(3) Marcia Hermansen, "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, (Op.Cit), p.492.

المقدسة. شيخها الحالي في الغرب وفي العالم العربي هو: نوح حا ميم كلر (Nuh Ha Mim Keller).

ب- سيرة شيخها:

ولد الشيخ نوح كلر في بلدة زراعية شمال غرب الولايات المتحدة سنة:1954م من أسرة رومانية كاثوليكية، يقول عن نفسه وهو يسرد قصة اهتدائه إلى الإسلام:

"ترعرعت في أسرة دينية كاثوليكيا رومانيا.. كانت الكنيسة بالنسبة لي عالما روحيا غير قابل للمساءلة في طفولتي كمثل أي شيء مادي حولي، لكن بمجرد أن بدأت أكبر وأقرأ أكثر، خصوصا بعد دخولي الجامعة الكاثوليكية، أصبحت علاقتي مع الدين تميل أكثر فأكثر نحو التساؤل في الاعتقاد والممارسة... أكثر من ذلك، عندما ذهبت إلى الجامعة وجدت أن صحة الكتاب [المقدس] لا سيما العهد الجديد أصبحت موضع شك كنتيجة للدراسات الهيرمينوطيقية (التأويلية) التي قام بها المسيحيون أنفسهم"[1].

شيئا فشيئا بدأت الإشكالات الفلسفية تكبر في ذهنه إلى أن وجد نوح كلر نفسه يميل إلى الإسلام، يقول:

"المسيحية بالتأكيد لها أكثر من جانب إيجابي ولكن يبدو أنها ممزوجة بالتشويشات، ووجدت نفسي أميل أكثر فأكثر للنظر في الإسلام لسماته الأكثر تماما وكمالا"[2]. هكذا، اعتنق كلر الإسلام سنة 1977م في القاهرة التي كان يأخذ في جامعها "الأزهر" دروسا في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، حيث تخصص في الحديث وفي أصول الفقه. وحصل على

(1) Nuh Ha Mim Keller, « Becoming Muslim » in: http: //www.masud.co.uk/ISLAM/nuh/bmuslim.htm viewed: 10/08/2003.
(2) Ibid.

إجازات رفيعة من جامع الأزهر ومن العديد من الشيوخ السوريين والأردنيين الذين أذنوا له في رواية العلوم الفقهية والعقدية"[1].

في سنة:1980م سينتقل إلى عمّان بالأردن حيث سيطول به المقام هناك إلى يومنا هذا. أخذ كلر التصوف الإسلامي من مشربه الشاذلي مباشرة عن شيخه **عبد الرحمان الصغيري** صاحب ديوان: الحدائق الندية في النسمات الروحية الذي ولد في مدينة حمص سنة:1912م من أسرة حُسينية، وغادر إلى دمشق سنة:1922م حيث درس هناك العلوم الإسلامية، وتلقى الإذن الشاذلي في التربية الصوفية من شيوخه: **محمد هاشمي وسعيد الكردي** ومن آخرين. وكان يُعَرِّفُ نفسه باعتباره وريث سر"الطريقة الشاذلية الدرقاوية الهاشمية"، وكان أصحابه يقومون بالحضرة في مسجد النورية بدمشق.

تشير بعض الدراسات إلى أن **الشيخ عبد الرحمان الصغيري** أخذ التصوف الشاذلي من طريقين[2]:

1- من **الشيخ محمد سعيد كردي** الذي ولد في الأردن سنة 1892م، ودرس في دمشق العلوم الإسلامية التقليدية، عاش في مركز صغير بالقرب من مدينة **إربد** التي توفي بها سنة 1972م عن سن تناهز 82 سنة. كان **الشيخ كردي** صوفيا صاحيا أشعري العقيدة، وشافعي المذهب، ملتزما بالسنة وملزما أصحابه بمراعاتها.

2- من **الشيخ هاشمي** (ت:1961م) الذي كان تلميذ الشيخ **أحمد بن**

---

(1) Fatima Harrak, « Le Soufisme Face A La Mondialisation: Cas Des Confréries D'Origine Africaine Aux USA » dans: Confréries Soufis d'Afrique: Nouveaux Rôles: Nouveaux Enjeux, 2004, Actes du Colloque International, Organise par l'Institut des Etudes Africaines Rabat, 2-4 Octobre 2001, p: 194.

(2) Marcia Hermansen, "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, (Op.Cit), p.495.

مصطفى العلاوي شيخ الطريقة العليوية الدرقاوية الشاذلية بمدينة مستغانم الجزائرية.

يعتبر **حا ميم كلر** نموذجا للجيل الأول من المتصوفة الغربيين الذين درسوا المصادر العربية والإسلامية بشكل متعمق، وهو يملك الآن شبكة واسعة من الأتباع في الغرب خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الشرق الأوسط، ويتشكل أغلب أتباعه في الغرب من أبناء المسلمين الذين تربوا هناك، بالإضافة إلى الغربيين الذين تحولوا إلى الإسلام.

ج- تعاليمه الصوفية:

لا تختلف تعاليم الشيخ نوح كلر البتة عن تعاليم الزوايا الصوفية في العالم الإسلامي، فهي لا تنظر إلى التصوف بمنظور كوني كما فعل **عنايت خان**، ولا بمنظور تقليدي أو بدئي خالد كما فعل **غينو وشيوون**. بل تعتبر التصوف "حقيقة الإحسان" الذي لا يُدْرَك إلا من خلال الالتزام ب"الشرع" والتقيد به، مما جعل بعض المؤيدين للمنظور الكوني أو التقليدي يصفون التعاليم الصوفية التي ينقلها **كلر** إلى مريديه ب"الشرعية المتزمتة" أو "تقنو-فقهية"، في حين ينظر إليها آخرون باعتبارها الأسلوب الأكثر صحة إسلاميا لأنه ينبني على تلازم التصوف والشريعة الإسلامية[1].

طريقة كلر في الغرب هي الآن في نمو مطرد وسوف تثير اهتماما أكبر في المستقبل القريب، إذ تشير التقارير إلى أن الآلاف من الناس يحضرون محاضراته التي يلقيها في أوروبا، وكندا والولايات المتحدة[2].

د- أعماله وكتاباته:

من أبرز الأعمال التي أنجزها **نوح حا ميم كلر** ترجمته لمجموعة من

(1) Marcia Hermansen, "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, (op.cit), p.495.
(2) Ibid, p.496.

المتون في الفقه والعقيدة إلى الإنجليزية؛ كالمدونة الفقهية لأحمد بن النقيب المصري "عمدة السالك وعدة الناسك" التي تعدُّ أول عمل فقهي يظهر بلغة أوروبية ويحظى بشهادة تزكية من الأزهر[1]، والمقاصد للإمام النووي وغيرها من المدونات الأخرى.

له أيضا عدد من المقالات التي يمكن تصفحها بالإنجليزية من خلال موقعه الإلكتروني، من بينها نجد:

- الكلام والإسلام.
- كيف أصبحت مسلما: يحكي فيها قصة إسلامه.
- آداب الإسلام.
- آداب السنة.
- فقه السنة.
- المرأة، وهي حكاية رمزية تعلق على الأحداث التراجيدية التي وقعت في 11 شتنبر من سنة2001م بالولايات المتحدة.

لكن إخراجه لأحدث وأفخر وأرقى نسخة من كتاب "**دلائل الخيرات**" للإمام المغربي الصوفي **محمد بن سليمان الجزولي** يعتبر من أجَلِّ أعماله التي سَيُدَوِّنُها له الصوفية، وغيرهم من المهتمين، بمداد من الفخر[2].

المطلب الثاني: طـرق مغربيـة أخرى:

المقصود بالطرق الأخرى هنا، هي تلك المشارب التي تزعم لنفسها الاستقلال عن الأصل الشاذلي، كالطريقتين التيجانية والإدريسية للشيخين أحمد التيجاني وأحمد بن إدريس واللذين، على الرغم من أخذهما التصوف

---

(1) http: //www.masud.co.uk/ISLAM/nuh/default.htm viewed: 10/08/2007

(2) ينظر هذا العمل على الموقع الإلكتروني الذي خصصه كلر. لدلائل الخيرات: http: //www.dalail.co.uk/home.htm

الشاذلي من عدة مشارب، يزعمان أن طريقتيهما هي أحمدية محمدية ولا فضل لأحد عليهما، سوى استمدادهما المباشر من حضرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما الطريقة البودشيشية فوردت هنا بحكم تعدد مشاربها بين النسبة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني، والمشرب الدرقاوي الشاذلي وحتى التيجاني الخلوتي كما توضح ذلك سلسلة السند الروحي للطريقة.

1-الطريقة الإدريسية الأحمدية:

تنسب إلى الشيخ المغربي أحمد بن إدريس (ت.1837م)، الذي رحل شرقا إلى مكة المكرمة التي لبث بها مدة من الزمن قبل الانتقال إلى صبيا باليمن حيث يوجد ضريحه هناك. كان ابن إدريس مدرسة صوفية وعلمية متكاملة تخرج منها العديد من فطاحل العلماء ومشايخ التصوف، الذين نشروا طريقته في كل أنحاء العالم، كما يقول الباحث ركس أوفاهي (R.O'Fahey):

"يُعَدُّ أحمد بن إدريس، المعلم الصوفي المغربي، أحد أعلام الإسلام البارزين في القرن التاسع عشر؛ فقد لعب دورا مؤثرا عبر دعوته وصلواته وأوراده وعبر تلاميذه ومن تتلمذ عليهم. وامتد هذا الدور من شمال إفريقيا إلى ماليزيا وأندونيسيا في الشرق، ومن جنوب يوغسلافيا وإسطنبول في الشمال، إلى ساحل أفريقيا الشرقي في الجنوب"[1].

تحضر الطريقة الإدريسية في الولايات المتحدة الأمريكية في شكل مجموعات صغيرة، تابعة للشيخة الباكستانية باجي طيابة خانوم، أو تلك التي

(1) أوفاهي، ركس شين، *الولي العالم أحمد بن إدريس والمدرسة الإدريسية*، ترجمة: أبي ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة 2007م، ص: 2.

أخذت الأوراد الإدريسية من الأكاديمي الأمريكي المسلم عمر الفاروق عبدالله، أحد ممثلي الطريقة الإدريسية في الولايات المتحدة:

أ- الشيخة باجي خانوم:

الشيخة باجي طيابة خانوم امرأة صوفية بارزة في الولايات المتحدة الأمريكية، تمثل الطريقة الإدريسية الرشيدية، بالإضافة إلى طرق أخرى كما أشارت إلى ذلك الباحثة الأمريكية مارسيا هيرمانسن في إحدى مقالاتها المتخصصة، قائلة: "باجي هي شيخة صوفية قادرية تشستية من باكستان تقود مجموعة صوفية في فيلاديلفيا تضم المسلمين الأمريكيين والمهاجرين معا"(1)، ولكن تركيز الشيخة باجي في تعاليمها على الاستمداد المباشر من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي يجعلها أكثر التصاقا بالمدرسة الإدريسية من غيرها، لما تميز به الشيخ أحمد بن إدريس من شدة التركيز في تعاليمه على الاستمداد المباشر من القرآن الكريم والحديث الشريف، تقول الشيخة باجي في هذا السياق: " كانت تعاليم شيخي ترتكز على إعطاء دروس في القرآن الكريم والحديث النبوي، وأنا الآن عندما أفتح القرآن الكريم وأبدأ في الشرح.. فإن شيخي هو الذي يتحدث عني لأنني لست مثقفة ولم يسبق لي أن قرأت أي كتاب"(2)، وهذه الكرامة تذكِّرنا بتلك التي اشتهر بها الشيخ أحمد بن إدريس وتواترت الروايات عنها في الحرمين الشريفين واليمن؛ إذ "كان إذا سئل عن شئ من القرآن العظيم نظر إلى باطن كفه ثم شرع بما شاء الله من العلوم اللدنية، وإذا سئل عن الحديث الشريف نظر إلى ظاهر

(1) Hermansen, Marcia, "« Neither of the East nor of the West » American Sufi Women: Spirituality, Leadership and Gender Justice without Borders", in: Portraits of Women in Islam: Comparative Perspectives and Challenges Conference Proceedings, Published by: Saint Xavier University, Chicago(2009), p: 53.

(2) حوار الباحث مع الشيخة باجي طيابة خانوم يوم الجمعة: 20غشت 2010م في منزلها بمدينة فيلاديلفيا في الولايات المتحدة.

كفه ثم يقرر من الأسرار الإلهية والمعارف الإلهامية ما يبهر به العقول ويحير أهل المعقول والمنقول؛ فكانت يده رضي الله عنه لوح العلم المكنون"(1).

وينقل الشيخ يوسف النبهاني، في ترجمته للشيخ أحمد بن إدريس، عن شيخه إسماعيل النواب قوله:

"كان يقول[أي الشيخ أحمد بن إدريس]: "و مما وجدت من المنفعة في خدمة المشايخ كان لي حرص عظيم وكنت أظن أني لا أنقطع أبدًا عن صحبة واحد بعد واحد حتى قيل لي من الحضرة الإلهية لم يبق على وجه الأرض أحد تنتفع منه إلا القرآن"، قال رضي الله عنه: "فجلست سنين عديدة لا أشتغل بغير القرآن العظيم ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين القرآن وقال ابد له ما فيك من العلوم والأسرار" فكان رضي الله عنه إذا سئل عن آية من القرآن العظيم يأتي من الحقائق من معانيه ودقائقه بما يبهر به العقول وتعجز دونه الأفكار والنقول، وقد ذكر لنا عنه شيخنا سيدي إبراهيم الرشيد رضي الله عنه غير ما مرة أنه حضر ستة مجالس في ثلاثة أيام في كل يوم مجلسين: مجلسا بعد صلاة العصر إلى المغرب ومجلسا من بعد صلاة الصبح إلى ما شاء الله من النهار وقد سأله بعض الحاضرين بعد العصر عن قوله تعالى: "والذي قدر فهدى" فأتى من علومه وأسراره بما أذعنت له القلوب وابتهجت به الأسماع وأيقنت أنه إلهام قريب عهد بربه، ثم عاد الرجل السائل صبيحة تلك الليلة وأعاد السؤال عن تلك الآية فكمل المجلس في تفسيرها بنمط آخر أبهى وأبهر وأعلى وأفخر مما مضى، ثم جاء الرجل بعد العصر أيضا، وقال: يا سيدي "و الذي قدر فهدى" فشرع رضي الله عنه في تفسيرها بما كان أشد تأثيرا ووقعا في القلوب بنمط عجيب

(1) النبهاني، يوسف بن اسماعيل. جامع كرامات الأولياء، الجزء الاول، دار صادر بيروت(1419هـ)، ص: 344.

غير ما تقدم من الأسلوب الغريب ولم يزل الرجل يسأل عن تلك الآية بعينها إلى أن أكمل المجالس الستة في الأيام الثلاثة، ثم قال رضي الله تعالى عنه: "لو عمرت ولبثت ما لبث نوح عليه السلام في قومه أتكلم على هذه الآية الشريفة في كل مجلس بشرط أن لا أعيد لكم ما سبق ما نفذ وما تم ما مَن الله به علي"[1].

والشيخة باجي نفسها تقرُّ بوراثتها للطريقة الإدريسية الرشيدية، بالإضافة إلى طرق صوفية أخرى كما سيتبين ذلك من خلال ملخص الحوار الذي أجريته معها في منزلها بمدينة فيلاديلفيا يوم الجمعة: 20 غشت 2010م، وحضره الشاعر الأمريكي المسلم دانيال عبدالحي مور.

ملخص الحوار:

"اتصلنا بها هاتفيا يوم الجمعة: 20 غشت 2010م بعد صلاة العصر، حددت لنا موعدا للزيارة الذي لم يكن سوى بضعة دقائق بعد إنهاء المكالمة، توجهنا إليها (كان يرافقني الشاعر الصوفي الأمريكي دانيال مور)، فتحت الباب بنفسها مرحبة بنا بلغتها الإنجليزية البسيطة. الشيخة باجي امرأة غير متزوجة تبدو في نهاية الأربعينيات من العمر. تبدو عليها علامات الصلاح والبساطة والمحبة، تتحدث عن ماضيها دون تردد ولا تهيب، تقول أنها تعلمت الباشتو من صحبة شيخها، الذي كانت تعاليمه الصوفية ترتكز على إعطاء دروس في القرآن الكريم والحديث النبوي، حكت لنا قصتها مع شيخها عبد الرحيم مولفي من باكستان، الذي كانت خادمة في بيته، تكنس وتقوم بأشغال المنزل لمدة 15سنة، لم تكن تعرف ما هو التصوف؟ ولا ما هي البيعة؟ ولم تأخذ التصوف ولا البيعة!! كان كل همها هو خدمة الشيخ

(1) النبهاني، يوسف بن اسماعيل. جامع كرامات الأولياء، الجزء الاول دار صادر بيروت(1419هـ)، ص: 343.

وزوجاته. في أحد الأيام طلب الشيخ عبد الرحيم من زوجته أن تلقن النساء الذكر لكنها رفضت بحجة أنها لا تعرف كيف تقوم بذلك، مما جعل الشيخ يطلب من باجي القيام بذلك بدلا عنها حيث وافقت على الفور استجابة لتكليف شيخها الذي لم تكن لترفض له طلبا، لا التماسا من نفسها القدرة على ذلك، حيث كانت هي الأخرى لا تعرف كيفية القيام بتلك المهمة. بعدها بدأت باجي في تلقين النساء الذكر الذي أُذنت فيه من طرف شيخها. مدة قليلة بعد ذلك، سيأتيها الرجال أيضا لتلقينهم الأذكار، لكن الخوف من الإشاعات في مجتمع بنجابي ذكوري سيجعلها تتردد في قبولهم، لكن بعد استشارة شيخها الذي كان ما زال على قيد الحياة يومئذ، أذن لها في تلقين الجميع بغض النظر عن الجنس، وقال لها أنا وأنت واحد، استمرت الشيخة باجي في تلقين الأوراد وقيادة الأذكار لمدة تتراوح بين عشرة واثني عشر عاما في حياة شيخها.. لكن بعد وفاة شيخها انتقلت باجي إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستقرار في منزل أختها، حيث مضى عليها إلى زمان إجراء هذا الحوار سبع سنوات استطاعت من خلالها استقطاب مجموعة صغيرة من المريدين ذكورا وإناثا، يحضرون مجالسها المخصصة للذكر وتلاوة الأوراد ومدارسة القرآن الكريم والحديث النبوي، ومن بين المواظبين على حضور جلساتها الشاعر المعروف دانيال مور وزوجته مليكة.. ومن بين الإشارات الصوفية التي يجدر التذكير بها هنا، والتي تجسد بعمق ذلك البعد الصوفي في تعاليمها، هو محورية الشيخ المرشد، حيث نصحتني بأن الشيء الوحيد الذي لا ينبغي أن يفارقنا هو النية الخالصة واستحضار الله والنبي صلى الله عليه وسلم والشيخ المربي في كل أعمالنا، لأن الله نور والنبي صلى الله عليه وسلم نور والشيخ له النصيب الأوفر من هذه النورانية؛ فلا يمكننا أن نقترب من الدائرة النورانية إلا بواسطة الشيخ

الذي لا يجب أن يغيب عن أذهاننا ولو للحظة واحدة، وحتى في لحظات الذكر يستلزم استحضار وجوده واستشعار قربه..، وفي الختام طلبت منها الدعاء بالسداد لي فدعت وطلبت مني الدعاء لها فدعوت، ودعتنا عند الباب وهي تقول: أنا صفر، أنا لا شيء، أنا لست شيخة ولا أعرف أي شيء.."[1].

وإلى يومنا هذا، ما تزال الشيخة باجي تعمل بجد على نشر تعاليمها في أوساط الأمريكيين متحولين ومهاجرين، وهي لا تترفع عن الاشتغال في مشروع بسيط لبيع الأغذية الجاهزة، كما أنها تساعد بنفسها في تهيئ طعام الجمعة للذين يقصدون مسجد جماعة الشيخ باوا محيي الدين في ضواحي فيلاديلفيا قصد الصلاة والغذاء.

ب - الصوفي والأكاديمي الأمريكي عمر فاروق عبدالله:

أحد الوجوه الأخرى التي تمثل الارتباط بالطريقة الإدريسية في الولايات المتحدة هو الأكاديمي الأمريكي الشهير الدكتور عمر الفاروق عبدالله الذي اعتنق الدين الإسلامي على يد الشيخ السكوتلاندي عبد القادر الصوفي، ثم أخذه التصوف الدرقاوي الحبيبي منه، لكن اختلافات في وجهات النظر بينه وبين الشيخ عبد القادر ستدفع هذا الأخير إلى عزله عن الجماعة الصوفية الحبيبية في غرناطة، مما جعل عمر فاروق عبدالله يبادر بالرحيل إلى المملكة العربية السعودية التي عمل بها أستاذا في جامعة الملك سعود بالرياض، ومنها توجه إلى إيريتيريا حيث التقى بأحد شيوخ الطريقة الإدريسية هناك، والذي أذَنه في أوراد الشيخ أحمد بن إدريس وأحزابه. وأذن له في تمثيل الطريقة الإدريسية داخل التراب الأمريكي، وهكذا عمل عمر الفاروق عبد الله مدة من الزمن كمقدم للطريقة الإدريسية

(1) ملخص حوار الباحث مع الشيخة باجي طيابة خانوم يوم الجمعة: 20غشت 2010م في منزلها بمدينة فيلاديلفيا في الولايات المتحدة.

داخل الولايات المتحدة. لكن عند احتضار شيخه الإدريسي أمره مجددا بالذهاب للقاء شيخ آخر في العراق والأخذ عنه. والعجيب في الأمر- يذكر عمر عبد الله - أن الشيخ الجديد الذي طلب منه شيخه الاتصال به لم يكن إدريسي الطريقة بل كان قادريا. وما يزال الدكتور عمر فاروق عبد الله إلى يومنا هذا يجمع بين الأوراد الحبيبية والإدريسية والقادرية[1].

2- الطريقة التيجانية الأحمدية:

تنتمي الطريقة التيجانية إلى مؤسسها، دفين فاس، الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التجاني، الذي ولد عام: 1150هـ الموافق لـ 1737م في قرية عين ماضي بالجزائر، ثم انتقل إلى المغرب ليؤسس جماعة صوفية امتد إشعاعها بعد وفاته إلى غرب إفريقيا، ومنها إلى العمق الإفريقي، لتنتقل في فترات متأخرة بعد ذلك إلى أوروبا وأمريكا عن طريق المهاجرين من شمال وغرب إفريقيا أولا، ثم المتحولين إلى الإسلام بعد ذلك، كما سنفصل القول في المبحث الخاص بالتيجانية وأثرها في الولايات المتحدة الأمريكية.

3- الطريقة القادرية البودشيشية:

تنتسب الطريقة القادرية البودشيشية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ظهر في القرن الخامس الهجري. أما لقب البودشيشية فقد اكتسبته بواسطة الشيخ سيدي علي بن محمد الذي حمل لقب "سيدي علي بودشيش" لكونه كان يطعم الناس أيام المجاعة -طعام الدشيشة - بزاويته، والطريقة البودشيشية يوجد

---

(1) ملخص حوار مع الدكتور عمر فاروق عبدالله، شيكاغو، في مقر مؤسسة "النووي"، يوم الاثنين: 24غشت 2010م، حضر اللقاء الأستاذة مارسيا هيرمانسن.

مقرها اليوم بشرق المغرب، وبالضبط في منطقة مداغ بالقرب من مدينة بركان، ومن شيوخ هذه الطريقة نجد: الشيخ سيدي المختار بن محي الدين (ت:1914م) والشيخ سيدي أبو مدين بن المنور (ت:1955م) الذي أخرج الطريقة من مرحلتها التبركية إلى السلوك التربوي، وقد تابع بعده هذه الوظيفة التربوية كل من الشيخ العباس ثم ابنه سيدي حمزة، الشيخ الحالي للطريقة، باعتبارهما الوارثين الروحيين للشيخ أبي مدين؛ وقد عملا على تجديد الطريقة فانتشرت انتشارا متميزا لا سيما في عهد الشيخ سيدي حمزة الذي تولى زمام أمور الطريقة بعد وفاة أبيه الشيخ العباس سنة: 1972م تاركا وصية مكتوبة وموقعا عليها من قبل كبار مسؤولي الطريقة آنذاك تنص على أن وارث سر الطريقة البودشيشية الباطني والمأذون روحيا للاطلاع بدور التربية هو الشيخ حمزة، مبشرا إياه وكل أتباع طريقته بكثرة العلم والصلاح والحال في زمنه وبالانتشار في كل أصقاع العالم [1]. وهو ما حصل بالفعل حيث شهدت الطريقة انتشارا كبيرا في أوساط العمال والنخبة المثقفة طيلة العقدين الأخيرين من القرن العشرين وإلى وقتنا الحالي، وقد وصلت الطريقة البودشيشية إلى أوروبا بداية عن طريق العمال المغاربة المهاجرين، حيث ظلت محدودة الانتشار لا تتجاوز الأوساط العمالية، قبل أن تنتقل الطريقة إلى مرحلة التوسع والانتشار بوصول بعض الطلبة والباحثين المغاربة المنتسبين إلى البودشيشية إلى الديار الغربية، حيث استقطبت العديد من الطلبة والمفكرين سواء من المهاجرين

(1) تنظر الوصية في الموقع الإلكتروني الرسمي للطريقة بالمغرب: www.tariqa.org.

المسلمين أو من المعتنقين الجدد للدين الإسلامي، وقد انطلق إشعاع البودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية مع نهاية القرن العشرين كما سنوضح ذلك في المبحث الخاص بالطريقة البودشيشية في الباب الموالي.

يعود الفضل للشعبية التي تحظى بها البوتشيشية حاليا إلى الرؤية الإصلاحية والتجديدية للشيخ حمزة الذي يلح على أن «طريقتنا قامت على نهج القرآن والسنة»[1]، ويبقى الإسهام البارز للشيخ حمزة في هذا السياق هو تحويله اهتمام الطريقة البودشيشية من طقوس التبرك إلى التركيز على التربية الروحية للمريدين، كما قام أيضا بتغيير أسلوب الذِّكر الذي كان معمولا به فيما قبل عند الطريقة وسعى، ارتباطا بمشروع توسيع دائرة أتباعه، إلى التركيز أكثر على الفئات المتعلمة. يلاحظ الباحث البريطاني مارك سيدغويك (Mark Sedgwick) في هذا السياق:

"مع حلول سنة:2000م، كان هناك ما يقارب النصف من أتباع الطريقة المقدر عددهم بحوالي 25000 "متعلمون". كثير منهم شبان وشابات، وأحيانا منفصلون عن الدراسة. وقد جاء عدد كبير منهم من شعب الدراسات الإسلامية التي تكاثرت في الجامعات المغربية بعد سنة 1979م، ولهذا كانوا من المتعلمين أكثر"[2].

إضافة:

بالإضافة إلى الطرق المغربية أو المشرقية الأصول، تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية طرق أخرى وفدت إليها من بلدان غربية، لا سيما من شرق أوروبا كبلاد البوسنة والهرسك، وهي إن كانت شرقية الأصول إلا أنها

---

(1) أحمد قسطاس، نبراس المريد في طريق التوحيد (فاس: منشورات مجلة المريد، 1993)، 41.
(2) Mark sedgwick, “in Search of a Counter-Reformation, ” 135.

أصبحت اليوم غربية خالصة لكونها تطورت وتفرعت في بلاد أوروبية وتحت إرشاد مشايخ غربيين، كالطريقة العلمية مثلا:

✓ الطريقة العلمية: الطريقة العلمية تأسست في أمريكا في بداية سبعينات القرن العشرين من طرف الشيخ أساف البلقاني الذي تمتد سلسلة وراثته الروحية إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم عبر سند الطريقة الرفاعية والفرع الحياتي للطريقة الخلوتية. المركز الحالي للطريقة في الولايات المتحدة يوجد في واتربورت (Waterport) الواقع على الضفة الجنوبية لبحيرة أنطاريو (Lake Ontario) في نيويورك. أغلب مريدي الطريقة من الأمريكيين السود والبيض ذوي المرجعيات الإسلامية والمسيحية واليهودية على السواء. بالإضافة إلى عدد محدود من المهاجرين من جنوب آسيا[1].

خلاصة: (استخلاص بعض خصوصيات التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية):

من خلال فرصة الاحتكاك بالتصوف في الولايات المتحدة الأمريكية، طرقا ونصوصا إبداعية، التي أتاحها لي هذا البحث، أمكنني استخلاص مجموعة من الخصوصيات التي تميز حقل التصوف في أمريكا عن غيره في العالم الإسلامي، وتعطيه ربما مسحته الثقافية الخاصة به، ويمكن أن أجمل هذه الخصوصيات فيما يلي:

الخصوصية الأولى: ميوعة لفظة التصوف في المجتمع الأمريكي وخروجها عن نطاقها المألوف في العالم الإسلامي، فكل من قرأ قصيدة

---

(1) دراسة مقدمة للنشر تحت عنوان: "Beyond Whirling and Weeping: Tasawwuf in America"، قمت بمراجعتها وتصحيحها لفائدة مجلة: SOAS التابع لجامعة لندن البريطانية.

لجلال الدين الرومي يظن نفسه "صوفيا"، حتى صار لفظ التصوف بمعنى "الرقص" تأثرا بمظهر لا بحال"رقصة الدراويش المولوية"، وصارت حركات "العهد الجديد الروحية"[1] تسمى "حركات صوفية"، وأصبح كل متأمل أو منعزل يسمى "صوفيا"، وصار العشق للمخلوقات ولو كان غريزيا أو شهوانيا "تصوفا"، وأصبحت مدارس العلاج النفسي أو التأمل الفكري مدارسا للتصوف.

الخصوصية الثانية: إحساس الأفراد الأمريكيين بالتفوق والرغبة في التميز والتفرد والوصول إلى الهدف بأقصى سرعة ممكنة، كما يتبين من خلال كلام راولنسن: الذي أرجع ما أصبح يعرف "بالتصوف الغربي" إلى "العبقرية الغربية المتميزة التي اكتشفت التقاليد الشرقية، امتصتها وفي مرحلة ما غَيَّرتها وتغيرت بواسطتها "[2]، هذا الإحساس يدفعهم إلى حب الاكتشاف والريادة مما يؤدي إلى بروز نماذج مشوهة من تجارب "صوفية" تجمع خليط المعتقدات والطقوس الشرقية وتمزج بينها في أشكال وقوالب فريدة لا تكاد توجد إلا في الولايات المتحدة الأمريكية.

الخصوصية الثالثة: طبيعة الأمريكيين التي تميل إلى عدم الاستقرار في كل شيء مما يتناقض مع طبيعة التصوف التي تحتم الاستسلام والسكون

---

(1) مصطلح "عصر جديد New Age "يصف مجموعة واسعة من الحركات شبه-الدينية الروحانية التي ظهرت في أواخر القرن العشرين ضمن إطار الثقافة الغربية، يتميز هذا المنحى الجديد من الحركات بنوع من المقاربة الفردية للقضايا الروحية. يمكننا القول إن حركات العهد الجديد بمجموعها تشكل نوعا ما يشبه الدين الجديد الناشيء، لكن مجموع الحركات ما زالت بعيدة عن بعضها ومفككة فليس هناك من ترابط بين مرشدي الروحانية الجدد أو اتباع الروحانية الجدد. يعزو الكثير من الباحثين ظهور هذه الحركات إلى نوع من اليأس والإحباط تجاه الهيمنة المادية التي تعيشها الحضارة الغربية والتي فشلت في تأمين السعادة للإنسان.

(2) Andrew Rawlinson, "A History of Western Sufism "DISKUS vol(1) no(1) 1993 pp: 45.

إلى الشيخ الصوفي والانقياد له ولتعاليمه انقيادا قد يطول أمده، مما يجعلهم يعجلون الانفصال عن مشايخهم ويعملون بجد على إنشاء مجموعات صغرى حولهم، سرعان ما ينفصلون هم بدورهم ويشكلون مجموعاتهم الخاصة وهكذا دواليك، وهذا ما جعل بعض الطرق الصوفية التي تكرس كاريزمية الشيخ تفشل في ترسيخ قواعدها في الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما إذا كان شيخها ينحدر من الثقافة الغربية، كما هو حال الشيخ عبد القادر الصوفي المرابط الذي كان من أوائل المؤسسين لمراكز صوفية في الولايات المتحدة، لكن مجموعته لم تفلح في البقاء ولا التوسع أو الامتداد على الأراضي الأمريكية إلَّا بشكل ضئيل.

الخصوصية الرابعة: تقلد المرأة لمناصب "الزعامة الروحية" في الطرق الصوفية في الولايات المتحدة منذ وصول التصوف إليها مع بداية القرن العشرين، حتى صارت "المشيخة النسائية" ظاهرة أمريكية محضة، وهذا ما دفع إحدى الباحثات إلى تأليف كتاب حول المرأة الصوفية في أمريكا[1]، وإن كانت اقتصرت فيه على محاورة سبع نساء من طريقة واحدة وهي الطريقة النقشبندية الحقانية، إلا أنها بكتابها هذا لفتت الانتباه إلى الحضور النسائي المتميز في التصوف بالولايات المتحدة الأمريكية.

يرجع تاريخ هذا الحضور إلى بداياته الأولى حين عيَّن "حضرة عنايت خان" حوالي سنة: 1920م امرأة خليفة له على الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهي رابعة مارتن، التي ستعين بدورها امرأة أخرى وهي: إيفي دوس (Ivy Duce) لخلافتها على شؤون التنظيم الصوفي العالمي لعنايت خان سنة: 1948م.

---

(1) Bakhtiar, Laleh. Sufi Women of America: Angels in the Making, Published by: The Institute of Traditional Psychoethics and Guidance, Distributed by: Kazi Publications, Inc.(1996).

الشيخ باوا محيي الدين بدوره قدم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتكون مركز دعوته الصوفية بناء على طلب ملح من إحدى مريداته، وهي: جوندولين زهرا سيمونس (Gwendolyn Zohra Simmons) التي تترأس حاليا الجماعة في فيلاديلفيا، وتنشط في مجال الحركات النسائية[(1)].

أما الطريقة الجراحية الهلفيتية التركية الأصل التي وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر سبعينات القرن الماضي من خلال الشيخ الإسطنبولي مظفر أوزاك (Muzaffer Ozak)، فإنها ستنقسم في أمريكا إلى فرعين، بعد وفاة شيخها سنة: 1985م:

- فرع معروف باسم "عشقي-جراحي" تتزعمه الشيخة فرحة فاطمة الجراحي (ولدت:1947م) وهو فرع نشيط في نيويورك. وفرع آخر ينشط في منطقة بيي في سان فرانسيسكو تحت زعامة: روبيرت فراجر (Robert Ragib Frager) ولد سنة: 1940م. و"تدل السيرة الذاتية للشيخة فرحة على أنها أعطيت مشيخة الطريقة من طرف الشيخ مظفر أوزاك قبيل وفاته سنة:1985م، وهي أول زعيمة روحية نسائية في الطريقة التي نشأت منذ أكثر من 300 سنة"[(2)].

من أنشط النساء في المجال الصوفي بالولايات المتحدة الأمريكية نجد كميل آدمز هيلمنسكي (CamilleAdams Helminski) وهي باحثة في التصوف، من أبرز كتبها نجد[(3)]: (Women of Sufism: A Hidden Treasure) ومعناه: "نساء التصوف: الكنز المستور"، بالإضافة إلى ترجمتها للعديد من أشعار الطريقة المولوية وكتبها. تتزعم كاميل هيلمنسكي اليوم

(1) Hermansen, Marcia, "« Neither of the East nor of the West » American Sufi Women: Spirituality, Leadership and Gender Justice without Borders", (Op.Cit), p: 52.
(2) Ibid, p: 49.
(3) Camille Adams Helminski, Women of Sufism: A Hidden Treasure, Shambhala Boston & London(2003).

أحد فروع هذه الطريقة في الولايات المتحدة، حيث "تدير مؤسسة ثريشود (Threshold Society) في كاليفورنيا، وهي منظمة روحية ترتكز على التعاليم المولوية"[1] للشيخ جلال الدين الرومي.

الشيخة باجي طيابة خانوم تقود مجموعة صوفية في ضواحي فيلاديليفيا وتلقن أوراد مجموعة من الطرق كالإدريسية، والجشتية، والقادرية، ولها أتباع من كلا الجنسين[2].

نساء أخريات يلعبن أدورا طلائعية في مجال التصوف بالولايات المتحدة الأمريكية، منهن على سبيل المثال: الشيخة مريم كبير فايي، كاتبة أمريكية بيضاء ومتحدثة نشيطة في مواضيع تتعلق بالإسلام والتصوف في الولايات المتحدة الأمريكية، من أشهر كتبها: (Journey Through Ten Thousand Veils: The Alchemy of Transformation on the Sufi Path) ومعناه: " رحلة عبر عشرة آلاف حجاب: كيمياء التحول على الطريقة الصوفية"[3]، ولدت في هوليود بكاليفورنيا من عائلة يهودية ليبرالية، تقول عن نفسها:

"ولدت في هوليود من أسرة يهودية، وأصبحت ممثلة في سن الخامسة وبقيت أمارس التمثيل لمدة عشرين عاما. عندما كان عمري 12 سنة، وبينما أنا أعمل ممثلة لشركة المسرح في سان فرناندو فالي (the San Fernando Valley) أعطاني مساعد المدير لفيفة من الورق البردي، صنعها من أجلي، مكتوب عليها: "ابحثي والحقيقة ستجعلك حرة" هذه الرسالة أصابت روحي

(1) Hermansen, Marcia, "« Neither of the East nor of the West » American Sufi Women: Spirituality, Leadership and Gender Justice without Borders", (Op.Cit), p: 50.

(2) حوار الباحث مع الشيخة باجي طيابة خانوم يوم الجمعة: 20غشت 2010م في منزلها بمدينة فيلاديلفيا في الولايات المتحدة.

(3) Maryam Kabeer Faye, Journey Through Ten Thousand Veils: The Alchemy of Transformation on the Sufi Path, Tughra Books (2009).

بصدمة كهربائية، وأوحت لي بشكل واضح المغزى من حياتي والهدف منها"[1].

تواصل قصة تحولها إلى الإسلام وعثورها على مرشدها الروحي الأول، قائلة:

"ذهبت إلى بيركلي سنة: 1960م، ومنها توجهت إلى الهند والنيبال ومختلف الأديار[2] في أوربا، بعدها توجهت إلى القدس والخليل، وهناك بعيد ضريح "الخليل إبراهيم" بخمس دقائق، التقيت مع مرشدي الصوفي الأول، كان رجلا مهيبا ومقدسا جدا، وفي قدسية ذاك اللقاء اعتنقت الإسلام بطريقة أكثر طبيعية وجمالية"[3].

منذ ذلك الحين والشيخة مريم كبير فايي تعمل بجد على نشر تعاليم الإسلام الصوفية في صفوف الأمريكيين وغيرهم، كما أنها تدرس القرآن الكريم واللغة العربية في أمريكا وفي غيرها من بلدان إفريقيا السوداء.

نجد أيضا الدكتورة ناهد أنغا (Nahid Angha) وهي ابنة شيخ صوفي إيراني: شاه مغسود (ت.1980) تقود حركة صوفية موسومة ب"الجمعية الدولية للتصوف" وتتوخى تشكيل شبكة دولية للنساء الصوفيات، تحت مسمى: المنظمة النسائية الصوفية[4] (The Sufi Women Organization).

كذلك الباحثة الأمريكية الإيرانية لالاه بختيار صاحبة كتاب[5]

---

(1) Maryam Kabeer Faye, "My path from Judaism to Sufism", Washington Post, MAY 9, 2010, http://newsweek.washingtonpost.com/onfaith/guestvoices/2010/05/my_path_from_judaism_to_sufism.html.

(2) جمع دير وهو كنيس اليهود.

(3) Maryam Kabeer Faye, "My path from Judaism to Sufism", Washington Post, MAY 9, 2010, http://newsweek.washingtonpost.com/onfaith/guestvoices/2010/05/my_path_from_judaism_to_sufism.html.

(4) http: //www.sufiwomen.org.

(5) Bakhtiar, Laleh. Sufi Women of America: Angels in the Making, Published by: The Institute of Traditional Psychoethics and Guidance, Distributed by: Kazi Publications, Inc.(1996).

(Sufi Women of America: Angels in the Making) التي ترتبط بمجموعة من الطرق الصوفية كالنقشبندية والجراحية الهلفيتية، وتدير دارا لنشر الكتب الصوفية خصوصا والإسلامية عموما[1] (Kazi Publications Inc).

الخصوصية الخامسة: الاهتمام الأكاديمي الكبير بالتصوف في الجامعات الأمريكية؛ إذ لا يمكن للمرء مناقشة التصوف في أمريكا دون الإشارة إلى بعض الشخصيات الأكاديمية الرئيسية على مدى نصف القرن الماضي، والتي أثَرت في التصوف الأمريكي من خلال كتاباتهم وتدريسهم؛ إذ لعبوا دورا مهما في نشر معلومات حول التصوف في عموم الغرب، لا سيما بين الأجيال الشابة من الأمريكيين؛ من هؤلاء نذكر: سيد حسين نصر[2] وفيكتور دانر[3] (Victor Danner)، وهما من بين الجيل القديم من الأساتذة الذين ساعد تدريسهم في الجامعة الأمريكية على تشكيل الفهم الأمريكي للتصوف.

هناك ثلاثة باحثين آخرين ليسوا أمريكيين أو أساتذة بالكليات الأمريكية، ولكن تأثيرهم قوي على التصوف بأمريكا منهم:

---

(1) http: //www.kazi.org/.

(2) حسين نصر في الأصل هو وزير التربية والتعليم في إيران قبل الثورة الإيرانية، قام بالتدريس في العديد من المعاهد، وهو مؤلف لعشرات الكتب والمقالات بلغات متعددة. تناولت أغلب أبحاثه ودراساته مواضيع تهم التصوف والصوفية. كما أسهم في استقطاب مئات من الطلاب الشباب للانضمام إلى الطرق الصوفية في الولايات المتحدة وفي أوربا.

(3) فيكتور دانر(Victor Danner) ولد في المكسيك سنة: 1926م وحصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد(Harvard University) بعد أن شارك في شبابه في الحرب العالمية الثانية، عمل أستاذا في جامعة إنديانا(Indiana University) لأكثر من عقدين من الزمان في موضوعات الصوفية والإسلام والتصوف وكذلك اللغة العربية. ألف كتباً قليلة ومقالات كثيرة ساهمت في الأدبيات المتوفرة في التصوف؛ إذ كانت دوراته التعليمية في التصوف شعبية للغاية خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي.

البريطاني مارتن لينغز (Martin Lings)، والسويسري تيتوس بوركهاردت (Titus Burckhardt)، والألمانية أنيماري شيميل (Annemarie Schemmel) الباحثة اللغوية التي ألفت ما يزيد عن خمسين كتابا حول الإسلام والتصوف ومواضيع تهم جنوب آسيا، ولكتبها شعبية كبيرة جدا في الولايات المتحدة الأمريكية.

كل كتابات هؤلاء الباحثين الثلاثة لها أهمية كبرى بالنسبة للأمريكيين، وكذلك الطلاب الغربيين المهتمين بالتصوف، وما زالت نصوصهم مصادر موثوقة لكل مهتم بالتصوف والإسلام بشكل عام.

في حين يشمل الجيل الشاب من الأكاديميين الذين يدرسون التصوف في الولايات المتحدة، كلا من: وليام تشيتيك (William Chittick) وزوجته ساشيكو موراتا (Sachiko Murata) وكلاهما من الطلبة السابقين لحسين نصر، ومارسيا هيرمانسن التي تعتبر من ورثة العالم الباكستاني الشهير فضل الرحمن (Fazlur ar-Rahman) وهي تعتبر اليوم مصدرا أساسيا في دراسة التصوف في الولايات المتحدة، إلى جانب بريس لاورنس (Bruce Lawrence)، وكارل إرنست (Carl Ernest) من جامعة نورث كارولينا (North Carolina)، وألان غدلاس (Alan Godlas) من جامعة جورجيا (Georgia University)، وفانسنت كورنل (Vincent Cornell) صاحب الكتاب الشهير (Realm of The Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism)، ولاليه بختيار (Laleh Bakhtiar) باحثة مستقلة تعيش في شيكاغو بولاية إيلينوز (Illinois)، وآخرين منتشرين في أنحاء البلاد وفي كليات متعددة وفي جامعات ومؤسسات فكرية ومهنية أخرى.

هذا الجيل الجديد من الباحثين يؤثر على المتصوفة الأمريكيين وعلى مختلف الطوائف الصوفية بفعل قدرتهم على الوصول إلى جمهور كبير من

غير المتصوفة في المحيط الأكاديمي، وذلك من خلال أعمالهم الغزيرة من ترجمة لأعمال صوفية، ونشر لموضوعات حول التصوف باللغة الإنجليزية. ولا يمكننا أن نتحدث عن التأثير الأكاديمي في حقل التصوف بأمريكا دون الإشارة إلى مساهمة التصوف المغربي في تشكيل الفهم الغربي عموما، والأمريكي خصوصا، للتصوف الإسلامي، من خلال عملية ترجمة التراث الصوفي المغربي من العربية إلى الإنجليزية. ويكفي أن نذكر في هذا السياق العمل الرائد الذي تقوم به المترجمة الأمريكية عائشة بيولي (Aicha Bewley) التي ترتبط بالتصوف المغربي من خلال تجربة السلوك مع الطريقة الدرقاوية الحبيبية، ومن خلال الإنتاج الإبداعي والتأليفي، لا سيما من خلال ترجمتها للعديد من المتون المغربية الصوفية، والفقهية والعقدية. فمن هي عائشة بيولي؟ وما قصة إسلامها؟ وما هي أبرز أعمالها؟

وُلدت عائشة بيولي في الولايات المتحدة الأمريكية سنة: 1948م، من أسرة مسيحية متشددة اعتنقت الإسلام سنة:1968م تحكي عن كيفية دخولها الإسلام، ما يلي:

"كانت أسرتي مسيحية متشددة، ولكنني كنت أشعر تدريجيا بأن هناك شيئا مفقودا في المسيحية مما دفعني أن أنخرط في البوذية لعدد من السنين، حيث كانت مرحلة تمكنت خلالها من إدراك أن الدنيا ليست حقيقية أو دائمة كما تبدو، ومن تفكيك المقاربة البنيوية للوجود أيضا. وفي الوقت نفسه، كنت أقرأ الكثير من الفلسفة، بدءا من نيتشه (Nietzsche) وشوبنهاور (Schopenhauer) مرورا بكانط (Kant) وهيغل (Hegel)، وغيرهم.. في محاولة للحصول على فهم مغزى وجودنا. وكان الشيء الوحيد الذي بقي معي دائما هي تلك الطريقة الإيجابية التي ألمح بها نيتشه إلى الإسلام، في حين شرع في هدم الصرح الذي تمر به المسيحية اليوم... عندما قرأت أخيرا

بعض الكتب عن الإسلام، عرفت على الفور أن هذا هو ما كنت أبحث عنه"[1].

عائشة عبد الرحمان بيولي حاصلة على إجازة في اللغة الفرنسية وماستر في اللغات الشرقية من جامعة بيركلي (Berkeley) بكاليفورنيا. قضت سنة كعضوة (fellowship) في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، كانت خلالها تحضر حلقات دراسية حول الفلسفة الإسلامية والتصوف في دار العلوم بالقاهرة، كما درست كتب الشيخ الأكبر ابن عربي على يد الشيخ المغربي فضول الهواري في مدينة فاس، بالإضافة إلى تتلمذها على يد الشيخ السكوتلاندي المسلم عبد القادر الصوفي (Ian Dallas) الذي لقبها بالترجمانة لكثرة الأعمال التي قامت بترجمتها.

أعمالها المنشورة:

1- **طواسين الحلاج** (ديوان بريس 1974)

- The Tawasin of Mansur al-Hallaj, Diwan Press (1974)

2- **الكتاب الإسلامي حول الميت** (حديث الجنة والنار)، (1977)

- The Islamic Book of the Dead ،Diwan Press (1977)

3- **معاني الإنسان**، علي العمراني (الجمل) ، (سنة: 1977)

- The Meaning of Man by 'Ali al-Jamal of Fez, Diwan Pess, (1977)

4- **معرفة-النفس** (شروحات على القصائد الصوفية)، (1978)

- Self-Knowledge (Commentaries on Sufic Songs), Diwan Press,

5- **الطريقة الدرقاوية** (رسائل مولاي العربي الدرقاوي):(1979)

- The Darqawi Way (Rasa'il Mawlay al-'Arabi ad-Darqawi),Diwan Press

6- **دواوين درقاوة**: محمد بن الحبيب، محمد الحراق، حمودة الفيتوري، وأحمد بن مصطفى العليوي، ديوان بريس (1980)

- The Diwans of the Darqawa, Diwan Press (1980)

---

(1) Bewley, Aicha. "About me", on: http: //www.sunniforum.com/forum/showthread.php?40215-Who-is-Aisha-Bewley.

7- **العالم الذري في القرآن**، ديوان بريس(1980)

- The Subatomic World in the Qur'an, Diwan Press (1980)

8- **أذكار الشيخ العلوي**، ديوان بريس(1980)

- The Invocations of Shaykh al-'Alawi, Diwan Press (1980)

9- **فصوص الحكم**، ابن العربي، بريس ديوان (1980)

- The Seals of Wisdom (Fusus al-Hikam) by Ibn al-'Arabi, Diwan Press (1980)

10- **علامات في الآفاق**: الشمس، القمر، النجوم، دار نشر الزهراء (1981)

- Signs on the Horizons: The Sun, the Moon, the Stars, Zahra Publications (1981)

11- **الموطأ** ، مالك بن أنس، ديوان بريس(1982)

- Muwatta' of Imam Malik (joint translation with Ya'qub Johnson), Diwan Press (1982)

- ونسخة أخرى منقحة سنة: 1989 عن دار النشر (Kegan Paul International)

- New revised edition , Kegan Paul International (1989)

12- **الشفا في التعريف بحقوق المصطفى**، القاضي عياض، مدينة بريس(1991)

- Muhammad Messenger of Allah, Madinah Press (1991)

13- **نساء المدينة**، العدد:8، طبقات ابن سعد، طه بريس(1995)

- Women of Madina, Vol. 8 of Tabaqat Ibn Sa'd, Taha Press (1995)

14- كتاب **الإسلام والإيمان والإحسان** (ترجمة كتاب **أصول الدين** و كتاب **علوم المعاملات** لعثمان فوديو)، ديوان بريس(1980)

- Handbook on Islam, Iman, Ihsan, Diwan Press (1980)

15- **العواصم من القواصم**، القاضي أبو بكر بن العربي، المدينة بريس(1996)

- Defence Against Disaster, Madinah Press (1996)

16- **رجال المدينة**، العدد:7، طبقات ابن سعد، طه بريس(1997)/

- Men of Madina, Vol. 7 of Taha Press (1997)

17- **قاموس المصطلحات الإسلامية**، طه بريس(1998)/

- Glossary of Islamic Terms, Taha (1998).

التَّصَوّف الإسْلَاميّ

في

الولايات المتّحِدَة الأَمْريكيَّة

مَظاهِر حضُور التَّصوّف المغربيِّ وَتأثيراته

تأليف

الدكتور عزيز الكبيطي إدريسي

الجُزْء الثاني

الباب الثالث

مظاهر حضور الطرق الصوفية المغربية في الولايات المتحدة الأمريكية ومجالات تأثيراتها

تقديم

يستدعي الحديث عن التصوف في أمريكا بالضرورة التذكير بريادة التصوف المغربي، وإسهامه الجاد في نشر الإسلام بشريعته وحقيقته في هذا العالم الجديد، وبحضوره الملفت في حقل الدراسات الأكاديمية الأنجلوأمريكية. بالإضافة إلى حضوره الفعلي على أرض الواقع من خلال مجموعة من الطرق الصوفية المغربية الأصول، لا سيما الأحمدية التيجانية، والدرقاوية الحبيبية، والقادرية البودشيشية.

استطاعت هذه الطرق الصوفية أن تستقطب العديد من الأتباع الأمريكيين إلى جانب المهاجرين المسلمين، وأن تفرض حضورها من خلال وسائل الإعلام الأمريكية، ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية، ومن خلال اللقاءات والمنتديات الصوفية، وأيضا من خلال أنشطة مراكزها الدعوية؛ حيث أثبتت قدرتها على التكيف مع الأوساط الثقافية والعرقية المتنوعة داخل الولايات الأمريكية، متجاوزة بذلك مستوى الحضور الذاتي إلى مستوى التأثير الفعلي في مختلف الحقول الإبداعية والثقافية والفنية على التراب الأمريكي كما سيتبين ذلك من خلال الباب الموالي من هذا العمل.

الفصل الأول: ريادة التصوف المغربي عالميا وحضوره الأكاديمي في الدراسات الأنجلوأمريكية

كانت صورة المغرب عبر العصور وما تزال إلى يومنا هذا ترتبط بالتصوف، الذي صار مكونا أساسيا من مكونات الهوية المغربية، كما يصرح بذلك، الباحث الأكاديمي المغربي في جامعة ييل الأمريكية، مختار غامبو[1]:

" إن صورة المغرب باعتباره أمة مسلمة حديثة تدين بالكثير إلى التصوف، ذلك التقليد الإسلامي الروحي المتسامح الذي يرجع إلى الصدر الإسلامي الأول والذي وطد التلاحم الديني، والاجتماعي والثقافي للمجتمع المغربي لقرون من الزمان... يمارس أغلب المغاربة سواء كانوا شبابا أو شيوخا التصوف بشكل أو بآخر. يستقطب التصوف، باعتباره مكونا من الهوية المغربية، كل عناصر المجتمع بغض النظر عن السن أو الجنس، أو الوضعية الاجتماعية أو التوجه السياسي"[2].

المبحث الأول: الدور الرائد للمغرب في نشر التصوف الإسلامي عبر العالم

إن التحام التصوف بالهوية المغربية أعطى للمغرب مكانة متميزة في نشر القيم الصوفية الإسلامية عبر العالم؛ حيث أضحى كل مطَّلع على الشأن الصوفي يدرك مركزية الحضور المغربي وأهميته من خلال شيوخه الكبار

---

(1) مختار غامبو، أستاذ الدراسات ما-بعد- الاستعمارية في جامعة ييل (Yale University)، وهو مؤسس ورئيس المعهد المغربي الأمريكي(AMI).

(2) GhambouMokhtar, “Sufism as Youth Culture in Morocco”, in: “THE WASHINGTONPOST”.http: //onfaith.washingtonpost.com/onfaith/guestvoices/2009/03/sufism_as_youth_culture_in_mor.html?referrer=emaillink, ON: MARCH 3, 2009.

الذين صنعوا رجالا كان لهم الكلمة في تاريخ الأمة الإسلامية، ليس فقط بإنتاج الصلاح بل بالمساهمة الفعالة في البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أحيانا، ولعله ليس من باب المبالغة أن نذكر أن أمبراطوريات ودولا نشأت نتيجة أخذ مباشر واتصال بالتصوف المغربي، كما هو حال الشيخ أحمد بن إدريس والمدارس المتفرعة عنه، أو الشيخ أحمد التيجاني وتأثيره في العمق الإفريقي، أو غيرهما... ويكفي أن نذكر أن أهم المشارب الصوفية المنتشرة اليوم في العالم تنبع من أقطاب مغاربة أمثال: الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش، وتلميذه الفذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي، مرورا بالشيخ أحمد زروق صاحب "قواعد التصوف" الذي ما يزال تأثير مشروعه الإصلاحي قائما وحيًا في بلاد كانت مجهولة في حياته كالولايات المتحدة الأمريكية، تعريجا على الإمام الجزولي صاحب "دلائل الخيرات" الكتاب الأكثر تداولا في العالم والذي ترجم إلى العديد من اللغات الكونية، نزولا إلى العصر الذهبي للشيخ أحمد التيجاني الذي أسر أفئدة ثلث سكان إفريقيا السوداء وما زال يمارس س[ح]ـره النبوي في مناطق متفرقة من العالم إلى اليوم، وقوفا عند الشيخ أحمد بن إدريس ومدرسته الرائدة التي تخرج منها فطاحل الرجال الذين تركوا بصمات خالدة في تاريخ بلدانهم، صعودا إلى دفين جبال بني زروال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وما تفتق من مشربه الدرقاوي من منابع صافية ما تزال تسقي الظمأى إلى التزكية الروحية في كل بقاع العالم، وصولا إلى شيوخ القرن العشرين الذين شاع فضلهم ولانت لهم قلوب كانت تعتنق الكفر فارتوت من معين سرهم وتمسكت بنهجهم، كالشيخ سيدي محمد بن الحبيب دفين مكناس الذي أصبحت طريقته الحبيبية منتشرة في كل ركن من أركان المعمور بفضل تلاميذه الغربيين الذين يشيدون اليوم حصنا تليدا للإسلام في أوروبا وأمريكا

وحتى آسيا، وقطب المغرب المعاصر الشيخ سيدي حمزة القادري بودشيش الذي سيكون لطريقته البودشيشية الأثر البيِّن ليس فقط في انتشار الإسلام في أوروبا والأمريكتين وحتى الفيتنام في عمق آسيا، بل أيضا سيكون لها حضور مؤثر في مختلف مجالات الحياة الأدبية والفكرية في المستقبل القريب وفق ما تؤشر على ذلك المعطيات المتوفرة.

إن ريادة المغرب في مجال التصوف لم تعد تلفت أنظار الباحثين المغاربة المحتكين بالتجربة الصوفية عن كثب، كما هو حال الباحث المغربي منير القادري بودشيش، الذي يقول: "إن الطريقة [البودشيشية]، بصفة خاصة، والمغرب بصفة عامة، لهما دور ريادي في مجال العمل من أجل إشعاع القيم الروحية والأخلاق العالية، ومن أجل تواصل الحضارات وحوار الأديان"[(1)]. بل اليوم جميع العارفين بالشأن الصوفي باتوا يدركون شموخ المغرب وأهله في مجال الولاية والصلاح حتى صارت مقولة ابن قنفذ القسنطيني: "أرض المغرب الأقصى تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ"[(2)] تتردد على جميع الألسنة، وخير دليل على هذا ذلك التصريح المُدَوِّي ل (دانيال مور) أحد شعراء أمريكا البارزين اليوم معترفا بفضل أهل المغرب في هذا المضمار، قائلا:

"وجدنا في كل أسفارنا إلى المغرب وزيارتنا لأهله، إلى جانب الجمال الطبيعي للبلد نفسه الزاخر بوديان الخزامى وبالسهول الخضراء المتدفقة وبثقافته الغنية والمتنوعة، أن هناك حكمة عميقة ونوعا من البراءة

(1) جريدة الصباح، عدد: 2786 بتاريخ 26مارس2009م، حوار مع منير القادري بودشيش، أجراه: جمال بورفيسي.

(2) أحمد الخطيب القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، بعناية محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965، ص: 42.

تسري بين سكانه، هناك جوهر وجمال في الناس وبالتأكيد ذلك نابع من التقليد العميق للتصوف الإسلامي الذي يشكل بكل تجلياته أكثر من جزء في المغرب، حيث ما يزال هذا التقليد حيا عبر الأولياء والشيوخ والعلماء الأحياء، وأيضا عبر الطرق الصوفية التي تقود إلى الله وإلى الحقيقة المطلقة عن طريق الإذن الصحيح والسند السليم الصادر من شيوخ المعرفة الحقيقيين والذين يوجد منهم اليوم العديد من النماذج الحية والرائعة"(1).

شهادة أخرى لا تقل أهمية وعلمية هي تلك التي أوردها الباحث الفرنسي المرموق إيريك جوفروا (Eric Geoffroy) في أحد المؤتمرات الأكاديمية المتخصصة التي نظمتها جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث خصص حيزا هاما من مداخلته للحديث عن الدور الريادي المتميز للمغرب في ميدان التصوف، ولأهمية تلك الشهادة وعلو كعب صاحبها وقيمة السياق الذي جاءت فيه، فقد ارتأيت أن أترجمها وأوردها كاملة. يعترف إيريك جوفروا قائلا:

"يلعب المغرب دورا طلائعيا بارزا في الحضور الفعال للتصوف في أوروبا[كل الغرب]، بفعل قربه وتاريخه المشترك مع فرنسا على وجه الخصوص. إن هذا الجزء من العالم العربي يعمل وإلى مدى معين، كجسر للتبادلات الروحية مع أوروبا، وذلك بفضل تقاليد التسامح والانفتاح على الأديان الأخرى التي تميزه، مما جعل المغرب يتمتع بمكانة رائدة ومتميزة"(2).

يواصل قائلا:

---

(1) THE ECSTATIC EXCHANGE: ON THE LIFE AND POETRY OF DANIEL ABDAL-HAYY MOORE, An INTERVIEW WITH AZIZ AL-KOBAITI IDRISSI — 8/22/2010.(حوار الباحث معه في منزله في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة)

(2) Eric Geoffroy, A "Clash of Civilizations"? The influence of Sufism in Europe, Conference at Columbia University.

"هذه التقاليد لم تُقَوَّض أبدا في التاريخ لأن الإسلام المغربي، على وجه التحديد، كان مشربا للقيم الروحية والقدسية. ودعنا نتذكر أن العديد من اليهود الإسبان المضطهدين من طرف الغزو الكاثوليكي (the Catholic Reconquista) في القرن 16م، لجأوا إلى المغرب. كما أن المغرب، بالرغم من خضوعه للحماية الفرنسية، رفض وصم سكانه اليهود بالدونية والعار خلال نظام حكم فيشي الفرنسي الذي تعاون مع النازيين الألمان. ومن ثمة، لا تزال هذه الروحانية الخيرة قوة ساطعة في أوروبا. وبصرف النظر عن الطريقة العليوية الدرقاوية، تعتبر الطريقة القادرية البودشيشية اليوم [و القول دائما للباحث الفرنسي] إحدى أهم الطرق الصوفية الحاضرة في أوروبا. بحيث تعتبر هاتين الطريقتين الصوفيتين الأكثر نشاطا على مستوى الدعوة إلى الإسلام؛ إذ يقفان معا وراء تحول العديد من الأوروبيين إلى الإسلام. ولكن ما هو رائع فيهما هو امتدادهما الدولي حتى بين غير المسلمين، إنهما يعتبران بحق بمثابة جسور حقيقية بين الديانات والثقافات؛ كلاهما يشارك بفعالية في الحوار بين الأديان، وخلق التظاهرات الثقافية والفنية القائمة، بطبيعة الحال، على الروحانية في كل من أوروبا والمغرب؛...أما المجموعات الصوفية المغربية الأخرى المنحدرة من الدرقاوية أو التيجانية، وعلى الرغم من قلة أتباعهم، إلا أن حضورهم ما يزال بارزا في المشهد الصوفي الأوروبي. تدرك السلطات المغربية جيدا أن التصوف، بوصفه شكلا من أشكال الصفاء الباطني واليقظة الروحية، هو الترياق الحقيقي لمناهضة مختلف أشكال التطرف... الشيء الذي لم تكتشفه بعض الأنظمة، في العالم الإسلامي، إلا في وقت متأخر"[1].

(1) Eric Geoffroy, A "Clash of Civilizations"? The influence of Sufism in Europe, Conference at ColumbiaUniversity.

وما يمكـن استخلاصـه ممـا سبق أن رجال الصلاح في المغرب اليوم مـازالوا محـافظين علـى الـدور الرائـد الـذي قـام بـه أسـلافهم منـذ القـديم فـي إيصال رسالة الإسلام كاملة بحقيقتها وشريعتها إلى أماكن نائية عن العالم الإسلامي في ذلك الوقت، كما كان الحال في إفريقيا السوداء مع تعديل بسيط اليوم في مسار الدعوة الذي أضحى يقصد كل الاتجاهات القارية الخمسة، لا سيما أوروبا وأمريكا الشمالية بفعل الظروف الجديدة التي خلقتها سياقات العولمة وما أفرزته من تقدم في وسائل النقل والتواصل والاتصال التي جعلت العالم عبارة عن مجتمع مصغر. وقد لفت تطور الحركة الصوفية في المغرب انتباه علماء الغرب فبادروا إلى اعتناقه دراسة أو ممارسة، كما تقول الباحثة الألمانية أنيماري شيميل:

"و خير مثال لتطور هذه الحركة [الصوفية] نجده في شمال افريقيا، وخاصة المغرب.. وحتى إلى عصرنا هذا يمكن للمرء أن يقابل من حين لآخر شخصيات ارتفعت في تقاليد طرقها إلى درجات روحية عليا، وأسهمت في جذب اهتمام علماء الغرب والهواة من جديد بتقاليد الطريقة"(1).

كانت ريادة التصوف المغربي وقيمته الروحية مصدر اهتمام العديد من الباحثين الأنجلوأمريكيين الذي درسوا التصوف المغربي؛ شيوخا وطرقا صوفية كما يُبيِّن ذلك المبحث الموالي.

المبحث الثاني: التصوف المغربي في الأبحاث والدراسات الأكاديمية المكتوبة بالإنجليزية: شيوخ وطرق

سأعمد في هذا المبحث إلى تجميع أهم الكتب والمقالات

(1) أنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف(م.س)، ص: 273.

والأطروحات التي تناولت التصوف المغربي شيوخا وزوايا باللغة الإنجليزية، دون اعتماد أي ترتيب زمني أو تصنيف أبجدي لأن المقصود هو إظهار كيفية وحجم ذلك الاهتمام لتيسير الأمور على الباحثين المغاربة وغيرهم الذين يريدون الغوص في مجالات متخصصة من التصوف المغربي أو طرق صوفية بعينها. وقد يتاح لنا أو لغيرنا في أبحاث أخرى تجميع ببليوغرافيا جامعة حول التصوف المغربي في الكتابات الأنجلوساكسونية مع القيام بدراستها وتحليلها.

من بين الكتب التي عنيت بدراسة التصوف المغربي نجد كتاب الكسندر كنيش[1] (Alexander Knysh) الذي صدر سنة 2000م، تحت عنوان: (Islamic Mysticism: A Short History) والذي تحدث في فصله التاسع عن أهم الطرق الصوفية في المغرب وذكر منها: الشاذلية والدلائية والجزولية والتيجانية والدرقاوية والعيساوية وأشار إلى الطريقة الادريسية للشيخ أحمد بن إدريس والذي تفرع منه العديد من الطرق الهامة التي أسسها مريدوه والتي ساهمت في مقاومة الاستعمار في ليبيا والصومال وفي نشر الإسلام في إفريقيا والعديد من أطراف آسيا[2].

❖ الشيخ أبو الحسن اليوسي:

كان التصوف المغربي ورجالاته محور بحث من طرف علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين الذين حاولوا نبش العلاقة بين السلطة السياسية والدينية في المغرب من خلال دراسة بعض شيوخ التصوف ورجاله الكبار أمثال أبي الحسن اليوسي الذي كان محور عملين كبيرين أنجزهما كل من

(1) أستاذ الدراسات الإسلام ية بجامعة ميشيغن بالولايات المتحدة الأمريكية.

(2) Alexander Knysh, Islamic Mysticism: A Short History, Koninklijke Brill, Leiden(2000), p: 245-250.

كليفورد كيرتز[1] (Clifford ،Geertz) سنة:1968م وهنري مانسن[2] (Henry Munson) سنة:1993م.

❖ الشيخ أحمد بن إدريس المغربي وطريقته الإدريسية:

من الشيوخ المغاربة الذين كانت لهم اليد الطولى في نشر التصوف عبر العالم والذين كان سيطالهم حيف الإهمال الأكاديمي لولا تلك الدراسات الغربية، خاصة الأنجلوساكسونية منها التي أماطت اللثام عن رسوخ قدم الرجل في التصوف وسائر العلوم الشرعية، بالإضافة إلى مجهوداته التي لا يمكن التغاضي عنها في تخريج رجال من مدرسته ساهموا في صنع التاريخ البشري إن دينيا أو اجتماعيا أو سياسيا. ويكفي هنا أن أورد اقتباسا من العمل الرائد للباحث النرويجي ركس أوفاهي (R.O'Fahey) عن الشيخ أحمد بن إدريس:

"يُعَدُّ أحمد بن إدريس، المعلم الروحي المغربي، أحد أعلام الإسلام البارزين في القرن التاسع عشر؛ فقد لعب دورا مؤثرا عبر دعوته وصلواته وأوراده وعبر تلاميذه ومن تتلمذ عليهم. وامتد هذا الدور من شمال إفريقيا إلى ماليزيا وأندونيسيا في الشرق ومن جنوب يوغسلافيا وإسطنبول في الشمال إلى ساحل أفريقيا الشرقي في الجنوب، وتعاظم هذا الدور بدرجة كبيرة خاصة عبر تلاميذه علي بن محمد السنوسي ومحمد عثمان الميرغني وإبراهيم الرشيد، وساهمت مدرسته في نشوء دول مثل ليبيا والصومال. واستمرت الطريقة الختمية التي أنشأها الميرغني تلعب دورا كبيرا في

---

(1) Geertz, Clifford, Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, New Haven: Yale University Press(1968).
(2) Munson, Henry.Religion and Power in Morocco, New Haven: Yale University Press (1993).

السياسة في السودان ذلك القطر المنقسم"[1].

يعتبر الباحث جون فول (john ،Voll) من أوائل من تطرق إلى حياة الشيخ أحمد بن إدريس ومدرسته الصوفية في سياق بحثه الذي تناول أحد أشهر الطرق الصوفية ببلاد السودان والمتفرعة بشكل مباشر عن الشيخ أحمد بن إدريس وهي الطريقة الميرغينية الختمية التي أسسها محمد عثمان الميرغيني (ت.1268هـ/1852م) أحد أبرز أتباع الشيخ ابن إدريس[2].

كما يُعَدُّ كتاب: *الطرق الصوفية في الإسلام* (The Sufi Orders in Islam) للباحث سبينسر ترمنغهام (Trimingham,J.Spencer) الذي صدر سنة:1971م[3] من الدراسات المرجعية الأولى التي تناولت حياة الشيخ أحمد بن إدريس والطرق الصوفية المتفرعة عنه كالسنوسية، والميرغينية، والرشيدية وغيرها، وستشكل هذه الدراسة نقطة تمهيد أساسية للأعمال والبحوث التي ستأتي بعدها وتتناول حياة الشيخ أحمد بن إدريس المغربي بتفصيل وتعمق كما هو حال أطروحة الباحث: (R.S. O'Fahey) الموسومة بـ:(Enigmatic Saint Ahmed ibn Idriss and the Idrisi Tradition)[4] التي ترجمت إلى العربية من طرف الدكتور أبي ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، وصدرت في أواخر 2007م، تحت عنوان: الولي العالم أحمد بن إدريس والمدرسة الإدريسية[5].

---

(1) أوفاهي، ركس شين، *الولي العالم أحمد بن إدريس والمدرسة الإدريسية*، ترجمت من طرف: أبي ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة 2007م، ص: 2.

(2) Voll, john. A history of the khatmiyyah tariqa in the Sudan.(harvard1969).

(3) Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press(1971), pp.114-121.

(4) R.S. O'Fahey, Enigmatic Saint Ahmed ibn Idris and the Idrisi Tradition, North Western University Press, Evanston, Illinois (1990).

(5) أوفاهي، ركس شين، *الولي العالم أحمد بن إدريس والمدرسة الإدريسية*، ترجمت من طرف: أبي ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة 2007م.

تُرجمت رسائل الشيخ أحمد بن إدريس إلى الإنجليزية من طرف نخبة من الأكاديميين الغربيين، وقد صدر الكتاب في 184 صفحة، ممهدة بتقديم عام تحدث عن تصوف الشيخ أحمد بن إدريس وعن المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تم اعتمادها في الحصول على رسائل الشيخ الموجهة لمريديه ولعلماء عصره، وقد تضمن الكتاب بالإضافة إلى الرسائل المترجمة إلى الإنجليزية النسخ العربية من الرسائل أيضا، مما أضفى على الكتاب طابعا خاصا يجعله ذا إفادة نوعية للباحث العربي والأجنبي على حد سواء[1]. يقول أحد الباحثين عن هذه الرسائل: " إن رسائل أحمد بن إدريس هي في المقام الأول مجموعة من المخاطبات بين الصوفي المغربي أحمد بن إدريس (ت 1837م) وبعض من تلاميذه، ومن المسلم به على نطاق واسع أهمية ابن إدريس في تاريخ التصوف، وإن كانت طبيعة دوره التاريخي ظلت غير مفهومة حتى الزمان الحاضر .فقد اشتهر بوصفه أستاذا لمؤسسي الطرق الصوفية لا سيما السنوسية والختمية، فضلا عن تأثيره في العديد من الطرق الصوفية الأخرى في شمال شرق إفريقيا وذلك على الرغم من أن ابن إدريس لم يعرف كمؤسس لأية طريقة متميزة خاصة به... تشير هذه المجموعة من الرسائل إلى الأدوار والمسؤوليات المختلفة التي كان يطلب فيها الأتباع من الشيخ ابن إدريس تحملها في شؤون حياتهم اليومية، بالإضافة إلى استفساره عن مجموعة من القضايا والأمور الشرعية والفقهية" [2].

(1) Ibn Idris, Ahmad.The Letters of Ahmad Ibn Idris (رسائل أحمد بن إدريس), edited, translated and annoted by: Albrecht Hofheinz, Ali Salih Karrar, R.S.O'Fahey, Bernd Radtke and Einar Thomassen, Northwestern University Press, Evanston, Illinois(1993).

(2) Glen W. McLaughlin, "BOOK REVIEWS" in: The International Journal of African Historical Studies, Vol. 28, No. 3 (1995), p. 698, Published by: Boston University African Studies Center Stable URL: http: //www.jstor.org/stable/221222, Accessed:

كتاب آخر بالإنجليزية تناول حياة الشيخ أحمد بن إدريس والمدارس الصوفية المتفرعة عنه، لا سيما تلك التي انتشرت بالسودان، لصاحبه الباحث صالح كرار، صدر في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان:[1] (The Sufi Brotherhoods in the Sudan).

الدور الاصلاحي الذي لعبه الشيخ أحمد بن إدريس داخل الحقل الصوفي لمواجهة خصوم التصوف من أعراب الوهابية، تمت مناقشته في الفصل الأول من كتاب (Sufis and Anti-Sufis: The Defence، Rethinking and Rejection of Sufism in the Modern World)، حيث قارنت الباحثة إليزابيت سيرييه (Elizabeth Sirriyeh) بين الرؤية الإصلاحية لأبرز شيوخ القرن الثامن عشر كأحمد بن إدريس (1750م أو60-1873م) وشاه ولي الله الدهلوي (1703-1762م) وعثمان دان فوديو (1754-1817م) مبرزة موقف الشيخ ابن إدريس من الحركة الوهابية وزعيمها، وموقفه المعتدل من كتابات محيي الدين بن العربي، ومن إسهامه الكبير في ازدهار التصوف وإشعاعه من خلال خريجي مدرسته التربوية[2].

نُوقشت الطريقة الإدريسية أيضا في مسارها التاريخي وفعالية شيخها في التأثير على العلماء وتخريجهم من مدرسته، في كتاب الباحث جميل أبو نصر الموسوم ب:(Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life) الذي صدر عن مطبعة جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة[3]. كما كانت هذه الطريقة محور أطروحة

=

19/08/2010 01: 57.

(1) Karrar, Ali Salih. The Sufi Brotherhoods in the Sudan, Series in Islam and society in Africa, Evanston, Illinois, Northwestern University Press(1992).

(2) Sirriyeh, Elzabeth. Sufis and Anti-Sufis: The Defence, Rethinking and Rejection of Sufism in the Modern World. G.Britain: Curzon Press (1999), pp: 4-13.

(3) Abun-Nasr, Jamil.Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Rrligious Life, Columbia University Press, New York(2007), pp.143-146.

تقدم بها الباحث البريطاني "مارك سيدغويك"(Mark Sedgwick) في 334 صفحة، شتاء 1999م إلى جامعة بيرجن النرويجية (Bergan University) لنيل شهادة الدكتوراه، وكانت تحت عنوان:

(The Heirs of Ahmad Ibn Idriss: The Spread and Normalization of a Sufi Order, 1799-1996).

هكذا نخلص مع الباحث الأمريكي: زكريا رايت (Zachary Wright)، كما ذهب إلى ذلك غيره من الباحثين، أن الشيخ المغربي أحمد بن إدريس: "عُرف بشكل كبير عبر الأثر الذي تركه على العديد من تلامذته أكثر مما عرف كزعيم لأية حركة مشهورة... حيث أثرت تعاليمه على كل من محمد السنوسي، مؤسس الطريقة السنوسية في شمال افريقيا، ومحمد الميرغيني مؤسس الطريقة الميرغنية أو الختمية في السودان، وإبراهيم الرشيد، الذي كان مصدر إلهام لثلاث مجموعات: الصالحية في الصومال، والدندراوية في السودان ومصر وسوريا. والرشيدية أو الأحمدية في أجزاء من آسيا والشمال الشرقي الإفريقي"[1].

❖ الشيخ علي بن ميمون الغماري:

الشيخ الصوفي المغربي أبو الحسن علي بن ميمون الغماري كان محور أطروحة جامعية تقدم بها الباحث: ماثيو ويلي سيمونس (Matthew wiley Simonds) لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الشرقية من جامعة بيركلي كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، سنة: 1998م، تحت عنوان:

(Ali b. Maymun: An early 16th Century Sufi saint and critic of the Ulama with an edition of Alwan al-Hamawi's Mujli al-huzn an al-mahzun fi manaqib al-shaykh al-sayyid al-sharif Abi al-Hasan Ali b. Maymun)، ومن فصول هذه الأطروحة بالإضافة إلى

(1) Wrigh, Valentine Zachary. On the Path of the Prophet: Shaykh Ahmad Tijani (1737-1815) and the Tariqa Muhammadiyya. African-American Islamic Institute, 2005.

المقدمة، ونظرة كرنولوجية حول حياة الشيخ علي وتنقلاته، نجد: - بلاد غمارة - فاس - المنافسة على الزعامة - في البحث عن الطريقة المحمدية - ولي في سوريا - أعمال الشيخ علي بن ميمون، ثم ترجمة مجلي الحزن لعلوان الحموي. وتقع هذه الأطروحة في 687 صفحة.

❖ الشيخ أحمد بن عجيبة التطواني:

من الصوفية المغاربة الذين حظوا بعناية وافرة في الدراسات الإنجليزية، لا سيما باهتمام الباحثين الأمريكيين منهم، نجد الصوفي المغربي أحمد ابن عجيبة (1747-1809م) الذي اشتهرت فهرسته وسيرته الذاتية[(1)]، التي صدرت سنة:1999م، بفضل عمل الأمريكي ديفيد ستريت (David ،Streight) والفرنسي جون لوي ميشون (Jean-Louis ،Michon).

عشر سنوات بعد ذلك، أي سنة:2009م قام الباحث الأمريكي المسلم ميكاييل عبد الرحمن فيتزجيرالد (Michael Abdurrahman Fitzgerald) رفقة محمد فؤاد أرسموك بترجمة أجزاء من تفسيره للقرآن الكريم المسمى ب"البحر المديد" إلى اللغة الإنجليزية[(2)]، وقد همت هذه الترجمة آيات من سورة الرحمان والواقعة والحديد.

لكن أول عمل تُرجم لأحمد بن عجيبة التطواني كان كتابه الموسوم ب"الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية" الذي ناله حظه من الترجمة إلى اللغة الإنجليزية سنة:1998م[(3)]. وما زال كتابه إيقاظ الهمم في

(1) Ibn `Ajibah, Ahmad ibn Muhammad, The autobiography of the Moroccan Sufi Ibn Ajiba, translated by: Michon, Jean-Louis.; Streight, David.Louisville, KY: Fons Vitae, (1999).

(2) Ibn `Ajibah, Ahmad ibn Muhammad, The Immense Ocean: Al-Bahr al-Madid: A Thirteenth Century Quranic Commentary on the Chapters of the All-Merciful, the Event, and Iron, Translated by: Mohamed Fouad Aresmouk, and Michael Abdurrahman Fitzgerald, Louisville, KY: Fons Vitae, (2009).

(3) Ibn `Ajibah, Ahmad ibn Muhammad, The Basic Research, Translated by: Abdalkhabir al-Munawwarah and Haj Abdassabur al-Ustadh, ed.Shaykh Abdalqadir as-Sufi (Cape

=

شرح الحكم العطائية لم يخرج إلى القارئ الإنجليزي في شكل مطبوع، وإن كانت ترجمته قد تمت سنة:2003 م من طرف الشيخ أحمد فاضل إبراهيم من جنوب إفريقيا، وهو الآن متداول بين القراء الأنجلوساكسونيين في نسخته الإلكترونية المنقحة الثانية[1].

❖ الطريقة الحمدوشية:

من الطرق المغربية المنسوبة إلى التصوف والتي شكلت أرضية خصبة للدراسات السوسيولوجية، والتي كانت في غالب الأحيان تصل إلى استنتاجات أبعد ما تكون عن طبيعة التصوف الإسلامي المقيد بالكتاب والسنة، حيث درست الطريقة الحمدوشية من طرف بريان موريس (Brian Morris) في كتابه: الدين والأنثربولوجيا: مدخل نقدي[2] (Religion and Anthropology: A Critical Introduction). كما حضرت هذه الطريقة في كتابات فانسنت كربانزانو (Vincent Crapanzano) الذي بحث في أصول الطريقة باعتبار منبعها الصوفي، ثم في نظامها المبتكر من الاعتقادات والطقوس الممارسة التي تطرد الجن وتشفي الأمراض الباطنية والنفسية والتي أعطت لهذه الطريقة شعبية وسط عموم الشعب المتأزم باعتبارها مصدرا للعلاج، لكن هذه السمة لم تكن أبدا لتكسبها توسعا على مستوى الاستقطاب الصوفي لا سيما في المدن، كما أنها تظل أبعد ما تكون عن

= Town: Madina Press, 1998).

(1) Ibn `Ajibah, Ahmad ibn Muhammad, The Awakening of the Aspirations: A Commentary of "The Maxims of Ibn 'Ataullah", A revised and interpretive translation by: Ustadh, As-Shaikh Ahmad Fazel Ebrahim, Electronic Version viewed on July 30thon: http: //www.islam.co.za/khanka/Awakening%20of%20the%20Aspirations%20-%20Translation%20with%20additional%20introduction.pdf.

(2) Morris, Brian, Religion and Anthropology: A Critical Introduction, Cambridge University Press, US(2006), P: 102.

تشكيل أي خطر سياسي في سياق علاقتها بالسلطة على مرور الزمان[1].

❖ الطريقتان العيساوية والجيلالية:

كانت الموسيقى الصوفية لجيلالة محور رسالة للدكتوراه في جامعة نيويورك سنة 1991م، تحت عنوان:[2] (The music of the Jillala: a repertoire of spirits).

حضرت المراسم الصوفية العيساوية أيضا في الكتابات الأنجلوأمريكية من خلال كتاب الباحث أريز تيكسون (Tucson، Ariz) الموسوم بالطقوس الصوفية العيساوية المراكشية بالمغرب، الذي صدر سنة: 1997م في ولاية أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية[3].

❖ زاوية أحنصال:

كانت زاوية أحنصال محور أحد أقدم الأبحاث (صدر سنة: 1969م) الذي تناول موضوع الشرف والتصوف في المغرب، لا سيما في منطقة الأطلس الشهيرة بسكانها البربر، وقد كانت هذه الدراسة مستفيضة وموسوعية، إذ استغرقت 317 صفحة قام بها الباحث إرنست جلنر (Ernest Gellner) من خلال كتابه (أولياء الأطلس: Saints Of the Atlas) الذي حاول من خلاله التعرض إلى أولياء المغرب خصوصا أولئك الذين هم من أصول بربرية، مستندا بشكل خاص إلى دراسة زاوية أحنصال من خلال تاريخها وأوليائها وموقعها الجغرافي وسلسلة نسبها وسندها الصوفي[4].

---

(1) Crapanzano, Vincent, « The Hamadsha », in: Scholars, Saints, and Sufis, edited by: Nikki R.Keddie, University of California Press(1972), pp.327-348.

(2) Yarmolinsky, Benjamin.The music of the Jillala: a repertoire of spirits, Dissertation: Thesis (Ph. D.)City University of New York, 1991.

(3) Tucson, Ariz.Aissaoua Sufi ceremonyMarrakesh, Morocco, Celestial Harmonies (1997).

(4) Gellner, Ernest. Saints of the Atlas, Weidenfeld & Nicolson, The Trinity Press,
=

صُنِّفت الزاوية الحنصلية لشيخها سعيد بن يوسف الحنصلي (ت.1702م) من طرف الباحث سبنسر تريمنغام (Spencer Trimingham) ضمن الطرق الصوفية المغربية الشاذلية الجزولية الأصل، وذلك في كتابه: الطرق الصوفية في الإسلام (The Sufi Orders in Islam)، إلى جانب الطريقة العيساوية لصاحبها محمد بن عيسى المختار (1465م-1524م) دفين مكناس، والزاوية الدلائية التي تأسست في نهاية القرن السادس عشر من طرف أبي بكر المجاطي الصنهاجي (1526م-1612م) في منطقة تادلة، وزاوية حمادشة لعلي بن حمدوش وهي متفرعة عن زاوية شرقاوة بأبي الجعد لمحمد بن أبي القاسم الشرقي (ت.1010هـ/1601م)(1).

❖ الطرق الخضيرية الدباغية والمهاوشية والحبيبية والتباعية:

تطرق سبنسر أيضا ضمن كتابه المذكور آنفاً للطريقة الخضيرية لسيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ صاحب الإبريز، والذي أخذ الورد مباشرة من الخضر عليه السلام، ليتحقق فتحه في باب الفتوح بفاس سنة: (1125هـ/1713م). ثم لزاوية أبي بكر أمهاوش مريد الشيخ أحمد بن ناصر، ثم للزاوية الحبيبية لأحمد بن الحبيب بن محمد اللمطي (ت.1752)؛ فالتباعية لمؤسسها عبدالعزيز التباع، خليفة الشيخ الجزولي، المتوفى حوالي (1508م)(2).

حضرت الطريقة الخضيرية للشيخ عبد العزيز الدباغ في الكتابات الأنجلوأمريكية من خلال الاهتمام بكلام الشيخ المغرق في باطنيته والموسوم بالإبريز الذي نقله تلميذه أحمد بن مبارك اللمطي حوالي سنة: 1720م، في مؤلفه الشهير: "الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ" الذي

=

London(1969).

(1) Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press(1971), p.176.

(2) Ibid, p.177.

تمت ترجمته إلى الإنجليزية تحت عنوان:[1] (Pure Gold from the Words of Sayyidi Abd Al-Aziz Al-Dabbagh) من طرف جون أوكين (Jhon O'Kane) وبيرن رادكي (Bernd Radtke) ونشر سنة:2007م من طرف منشورات بريل في جامعة لايدن الهولندية.

❖ الطريقة الزروقية والشيخ أحمد زروق:

كان الشيخ أحمد زروق محور العديد من الأبحاث، منها تلك الدراسة النقدية الشهيرة التي نشرتها جامعة إنديانا بالولايات المتحدة للباحث كوغل ألان سكوت (Scott Alan Kugle) تحت عنوان: (Rebel Between Spirit And Law: Ahmad Zarruq، Sainthood، And Authority in Islam)، ومعناه: "التمرد بين الشريعة والروح: أحمد زروق، الولاية والمرجعية في الإسلام"[2].

دراسة نقدية أخرى باللغة الإنجليزية أنجزها الباحث الليبي خاشم علي فهمي تحت عنوان: "الصوفي زروق: مرشد في الطريق وزعيم إلى الحق: دراسة نقدية وسيرية لزاهد من شمال إفريقيا"[3].

أُنْجِز عمل أكاديمي آخر رائد حول مواقف زروق وطريقته من السلطة والمخزن في مقارنة دقيقة مع محمد بن سليمان الجزولي وطريقته الجزولية تضمنها كتاب الباحث الأمريكي اللامع "فانسنت كورنل" المعنون ب[4]

(1) Aḥmad ibn al-Mubārak Sijilmāsī, Pure Gold from the Words of Sayyidi Abd Al-Aziz Al-Dabbagh Translated by: John O'Kane, Bernd Radtke, © 2007 by Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.

(2) Kugle, Scott, Rebel Between Spirit and Law: Ahmad Zarruq, Sainthood, and Authority in Islam, Indiana University Press(2006).

(3) Khashim, `Ali Fahmi, Zarruq, the Sufi: a guide in the way and a leader to the truth: a biographical and critical study of a mystic from North Africa, Tripoli, Libyan Arab Republic: General Company for Publication ; London: distributed by the Outline Series of Books, (1976).

(4) Cornell, Vincent.Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, (Austin, Texas: University of Texas Press, 1998).

(Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism)، ومعناه: "مملكة الولي: السلطة والمرجعية في التصوف المغربي "الذي صدر سنة:1998م، ولقي استحسانا كبيرا في الأوساط الأكاديمية الأمريكية حتى قيل عنه: إنه "الدراسة الأهم للطريقة الصوفية في الإسلام خلال العقدين الأخيرين"[1].

❖ الطريقة الدرقاوية وشيوخها:

شيخ الطريقة الدرقاوية، الصوفي المغربي مولاي العربي الدرقاوي حضر أيضا من خلال ترجمات رسائله إلى اللغة الإنجليزية من طرف الصوفي السويسري تيتوس بوركهاردت[2]، أو من طرف الأمريكية المسلمة: عائشة عبدالرحمن بيولي[3] التي ترجمت أيضا العديد من أعمال صوفية المغرب؛ مثل رسائل مولاي علي العمراني الملقب بالجمل[4]، وديوان سيدي محمد بن الحبيب شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية[5]، وديوان سيدي محمد الحراق تحت عنوان: **دواوين درقاوة** (The Diwans of the Darqawa)، والذي ضم إلى جانب ديوان الشيخ محمد الحراق، قصائد صوفية لكل من الشيخ سيدي محمد بن الحبيب والشيخ أحمد بن مصطفى العلوي والشيخ حمودة الفيتوري[6].

---

(1) Cornell, Vincent edit.Voices of Islam, Vol: I (Voices of Tradition), Praeger Publishers(2007), p.xiii.
(2) Al-`Arabi ad-Darqawi, Letters of a Sufi master: the Shaikh al-`Arabi ad-Darqawi ; translated by Titus Burckhardt. Publication: London: Perennial books, (1973).
(3) Al-`Arabi ad-Darqawi, The Darqawi way: letters from the shaykh to the fuqara, translated by: Aicha Bewley.Norwich, Diwan, 1981, ©1979.
(4) ‘Ali al-Jamal al-‘Amrani, The Meaning of Man: The Foundations of the Science of Knowledge, translated by: Aicha ‘Abd ar-Rahman at-Tarjumana from the original text edited by: ‘Abd al-Kabir al-Munawarra, Diwan Press, England(1977).
(5) Muhammad Ibn al-Habib, The Diwan of Shaykh Ibn al-Habib, Translated by: Aicha Bewely, Madinah Press (2001).
(6) The Diwans of the Darqawa, Translated by: Aicha Abdar-Rahman (Bewley), Diwan Press (1980), pp: 137-240.

علاقة الطريقة الدرقاوية بالسلطة في كل من المغرب والجزائر أثيرت من طرف الباحث سبنسر ترمينغام في كتابه (The Sufi Orders in Islam)[(1)].

كما كتب الباحث ف.دي جونغ (F. De Jong) مقالة جد هامة تحت عنوان: (Materials Relative To The History Of The Darqawiyya Orderand its Branches) تناولت تاريخ الطريقة الدرقاوية وفروعها وامتداداتها، بالإضافة إلى التطرق إلى أهم الكتابات التي تناولتها أو صدرت عن شيوخها ومريديها باللغة العربية، من تفاسير للقرآن الكريم وكتب في فقه التصوف بالإضافة إلى الشروحات والصلوات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقصائد[(2)].

❖ الطريقة الناصرية وشيوخها:

حظيت الطريقة الناصرية باهتمام الباحثين الأمريكيين في العديد من دراساتهم، من ذلك نجد أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة (Johns Hopkins University) سنة: 2001م، تحت عنوان:[(3)] (Between God and men: the Nasiriyya and economic life in Morocco، 1640-1830)، ومعناه: "بين الإله والناس: الناصرية والحياة الاقتصادية في المغرب (1640م -1830م)"

كما أنها كانت موضوع دراسة تحت عنوان: (The Path Is Easy and the Benefits Large: The Nāṣiriyya، Social Networks and Economic Change in Morocco، 1640-1830) أي: "الطريق سهل

(1) Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press(1971), pp.111-114.
(2) F. DE JONG, "Materials Relative To The History Of The Darqawiyya Order and its Branches"in: Arabica, T. 26, Fasc. 2 (Jun., 1979), pp. 126-143.
(3) Gutelius, David, Between God and men: the Nasiriyya and economic life in Morocco, 1640-1830, Dissertation: Thesis (Ph. D.) Johns Hopkins University, (2001).

والمنافع كبيرة: الناصرية، الشبكات الاجتماعية والتغير الاقتصادي في المغرب مابين: 1640-1830م" قام بها الباحث: ديفيد جتليوس (David P. V. Gutelius)[1].

❖ الزاوية الوزانية وشيوخها:

كانت زاوية وزان بدورها موضوع أطروحة للدكتوراه نوقشت في جامعة كاليفورنيا سانتا باربارا سنة: 2005م تحت عنوان: "الأولياء، الصوفية والسلاطين: زاوية وزان، طريقة صوفية مغربية"[2].

تحضر زاوية وزان أيضا في الأدبيات الإنجليزية من خلال السيرة الذاتية ل"شريفة" وزان الإنجليزية إيميلي كين (Emily Keen)، الموسومة ب: قصة حياتي (My Life Story) التي تعتبر من أقدم الكتب التي تناولت زاوية وزان من الداخل والتي نشرت مع مطلع القرن العشرين[3].

❖ الطريقة التيجانية:

لعل من أهم الطرق الصوفية المغربية التي كان لها قصب السبق في البحوث الجامعية والأكاديمية بالولايات المتحدة الأمريكية نجد الطريقة التيجانية التي نوقشت في أطروحة جامعية للباحث الفلسطيني محمد جميل أبو نصر (Muhammed Jamil Abu Nasr)، وصدرت كتابا معنونا بالطريقة التيجانية (The Tijaniyya order) سنة:1961 م عن مطبعة جامعة أكسفورد الشهيرة، تلتها بعد ذلك دراسة حول الطريقة التيجانية وخصائصها في كتاب:

---

(1) David P. V. Gutelius, "The Path Is Easy and the Benefits Large: The Nāṣiriyya, Social Networks and Economic Change in Morocco, 1640-1830" in: The Journal of African History, Vol. 43, No. 1 (2002), pp. 27-49.

(2) Rhimou Bernikho-Canin.Saints, Sufis and sultans: theZawiya of Wazzan, a Moroccan Sufi order (1792-1892)Dissertation: Thesis (Ph. D.) University of California, Santa Barbara, (2005).

(3) Keen Emily, My Life Story, edited by: S.L.BENSUSAN, Prefaced By: R.B.CUNNINGHAME GRAHAM, THIRD IMPRESSION, LONDON, EDWARD ARNOLD(1912).

"الطرق الصوفية في الإسلام" لسبنسر تيرمنغام[1].

تحدث جميل أبو نصر أيضا عن التيجانية، ولكن باقتضاب هذه المرة، في كتابه الآخر:[2] (Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life). بعد ذلك توالت العديد من الأبحاث والدراسات التي ناقشت الطريقة التيجانية وامتداداتها عبر العالم، ومن الجدير بالملاحظة هنا أن أتباع الطريقة التيجانية أنفسهم بدأوا بالتأليف في التعريف بالطريقة التيجانية وسندها وأهمية اتِّبَاعِها من خلال كتاب أحد أبرز المنتسبين لها اليوم في الولايات المتحدة؛ وهو زكريا رايت[3] الذي صدر له سنة:2005م كتاب تحت عنوان: *على صراط النبي: الشيخ أحمد التيجاني والطريقة المحمدية* (On The Path of the Prophet: Shaykh Ahmad Tijani and the Tariqa Muhammadiyya)، وجمع كتابا آخر يتضمن أقوال خليفة الشيخ التيجاني إبراهيم إنياس، تحت عنوان: *لآلئ من الفيضة الإلهية: خطب مختارة من شيخ الإسلام إبراهيم إنياس* (Pearls From the Divine Flood: Selected Discourses from Shaykh al-Islam Ibrahim Niass)، مع مقدمة بقلم الشيخ حسن علي سيسي وقد ترجمه إلى الإنجليزية: زكريا رايت (Zakariya Wright) وشارك في تحريره: يحيى ويلدون (Yahya Weldon).

كانت الطريقة التيجانية أيضا موضوع أطروحة الباحث زكريا رايت لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة نورث وسترن (Northwestern University) سنة:2010م، تحت عنوان:

---

(1) Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press(1971), pp.107-110.

(2) Abun-Nasr, Jamil.Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life, Columbia University Press, New York(2007), pp.

(3) Wrigh, Valentine Zachary. On the Path of the Prophet: Shaykh Ahmad Tijani (1737-1815) and the Tariqa Muhammadiyya. African-American Islamic Institute, 2005.

(Embodied Knowledge in West African Islam: Continuity and Change in the Gnostic Community of Shaykh Ibrahim Niasse).

❖ الطريقة الكتانية وشيوخها:

درس زكريا رايت في كتابه "الدين والسلطة" في المغرب (Religion and Power in Morocco) الطريقة الكتانية من خلال بعض شيوخها في سياق علاقتهم بالعلماء من جهة ومع السلطان من جهة أخرى[1]. الطريقة الكتانية أيضا كانت موضوع أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة سنة:2002م، بعنوان: "المرجعية والسلطة الصعبة في مغرب ما قبل الحماية: الشيخ محمد الكتاني والطريقة الكتانية"[2]. الشيخ محمد بن جعفر الكتاني (ت.1927م) وكتابه سلوة الأنفاس كان موضوع مقالة تحليلية حول السلطة الدينية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[3].

إن حضور التصوف المغربي في العالم الأنجلوأمريكي لم يقتصر فقط على حقل الدراسات الأكاديمية، بل أثبت وجوده الفعلي أيضا من خلال الحضور المادي المحسوس على التراب الأمريكي كما سيتبين من خلال المبحث الموالي.

(1) Munson, Henry.Religion and Power in Morocco, New Haven: Yale University Press (1993).p: 56-100.
(2) Bazzaz, Sahar, Challenging power and authority in pre-protectorate Morocco: Shaykh Muhammad al-Kattani and the Tariqa Kattaniyya, Thesis (Ph. D.)Harvard University, 2002.
(3) Dennerlein, Bettina. "Asserting Religious Authority in Late 19th/Early 20th Century Morocco: Muhammad B.Ja'far Al-Kattani and his Kitab Salwat al-Anfas", in Speaking For Islam: Religious Authority in Muslim Societies, edited by: Gudrun Kramer & Sabine Schmidtke, Brill, Leiden.Boston(2006), pp.128-152.

الفصل الثاني: الحضور المؤثر لبعض الطرق الصوفية المغربية في الولايات المتحدة

من المعلوم أن الطريقة الشاذلية المغربية الأصل قد رحلت مبكرا في اتجاه الشرق نحو تونس ومصر على عهد مؤسسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والدرقاوية استمرت في السير مع شيوخها الأقطاب حتى وصلت إلى أطراف آسيا، والطريقة التيجانية أخذت مسارا في اتجاه الجنوب نحو أعماق إفريقيا في عهد الخلفاء الأوائل للشيخ أحمد التيجاني، لكن ما لا ندركه بشكل جلي هو تلك الرحلة التي قادت التصوف المغربي، خاصة الشاذلي، شمالا نحو أوروبا وغربا عبر المحيط الأطلسي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما سيتجلى ذلك من خلال المباحث الموالية.

المبحث الأول: الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة الأمريكية

الطريقة التيجانية من بين الطرق الصوفية المغربية التي امتد إشعاعها خارج المغرب، حيث تبرز كإحدى أهم الطرق الملحوظة عالميا بضمها لما يقارب 250 مليون مريد موزعين داخل أربعين دولة[1]. وقد أظهرت الطريقة التيجانية مسارا تاريخيا جد متميز؛ إذ نجحت بشكل كبير في الحفاظ على وحدتها العقدية بينما الطرق الأخرى انقسمت إلى عدد من الفروع تحمل أسماء مغايرة في بعض الأحيان، كما أن التيجانية وعلى الرغم من تغلغلها

(1) These numbers are provided by the organizers of the International Sufi Conference held in Morocco 7 July 2007. See http: //www.dailymotion.com/video/x2f9fm_tariqa-tijaniya_politics broadcast on Moroccan National TV, but are impossible to verify. It can be said though that the majority of tijanis probably live now in West Africa, especially in northern Nigeria, Senegal and the Gambia and can be counted in the millions.

وسط شعوب وأصقاع مختلفة في العالم إلا أنها تحافظ على خصوصيتها الأساسية وهي: الولاء للشيخ المؤسس أحمد التيجاني باعتباره هرم الأولياء وخاتمهم في كل العصور والأزمان، ويتمثل هذا الولاء في التشبث بالأذكار والصلوات والأحزاب التي سنها لمريديه دون تعديل أو تغيير، وفي الحفاظ على نهجه الصوفي الذي رسمه لأتباعه دون اجتهاد أو تجاوز. ومهما علا شأن الشيوخ الذين خلفوه فلا يمكنهم أن يزاحموه في مقامه الصوفي أو مرتبته في الولاية إلا أن يكونوا فيضة من بحره.

للحديث عن حضور الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة الأمريكية يلزمنا بدءً الحديث عن سند هذه الطريقة وخصوصيتها التي تميزها عن سائر الطرق الصوفية الموجودة.

المطلب الأول: الشيخ المؤسس أبو العباس أحمد التيجاني:

مؤسس الطريقة التجانية هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، الذي ولد عام 1150هـ/الموافق لـ 1737م في قرية عين ماضي بالجزائر، وحفظ القرآن الكريم كما درس العلوم الشرعية مرتحلا بين فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة ، ومكة، والمدينة المنورة و بغداد.

لم يكتف الشيخ أحمد التيجاني بالرصيد الفقهي والصوفي الذي حصل عليه بمسقط رأسه في المغرب الأوسط (الجزائر)، فشد الرحال إلى مدينة فاس سنة 1171هـ الموافق لـ 1758م، وبهذه المدينة الإدريسية ذات الأهمية العلمية، والرمزية التاريخية، والشحنة الروحية القوية، كان أحمد التجاني يحضر مجالس العلم ويحاور كبار علماء المدينة، وإن كان اهتمامه انصب على الجانب الروحي أكثر من أي شيء آخر.

في عام 1196هـ، أنشأ طريقته في قرية أولاد نمي، وبعد ذلك صارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها انتشر إشعاعها إلى عموم إفريقيا، وأوربا وأمريكا في مراحل لاحقة.

المطلب الثاني: خاصية مميزة للتيجانية: الحفاظ على وحدة الأصل وعدم التفرع

من أهم الخصائص التي ميزت الطريقة التيجانية عن أغلب الطرق السائدة هي عدم تفرعها إلى طرق مختلفة تحمل أسماء متفرقة، بل حفاظها على اسمها الأصل، وفي ذلك احتفاظ بالولاء الأول للشيخ أحمد التيجاني الذي يعتبر خاتم الولاية، وممد كل الأولياء الذين يأتون بعده، في نظر أتباعه، لذلك فلا غرو إن حافظت الطريقة عبر الأزمنة والعصور وفي مختلف الأمكنة على التعاليم التي جاء بها الشيخ أحمد التيجاني، وعلى الأذكار والأوراد التي سنها الشيخ بنفسه أو بأوامر غيبية، فمهما علا شأن الشيوخ الذين ورثوه فلا يمكنهم منافسته على مقامه، بل لا تعدو وظيفتهم في الوجود إلا أن تكون خلافة عنه أو فيضا من فيوضات أنواره.

هذه الخاصية، جعلت جميع التيجانيين في العالم متوحدون حول رمزهم الأول الشيخ أحمد التيجاني، وهو ما حدا بأحد أكبر شيوخ التيجانية وأكثرهم تأثيرا في إفريقيا، وهو الفيضة التيجانية، الشيخ إبراهيم إنياس إلى القول:"و ليشهد الثقلان أننا بحبل السنة المحمدية متمسكون، وإلى نهج سيد الأولين والآخرين منتسبون، وعلى ضوء تعاليمه سائرون، وفي هديه العاصم من القواصم متنافسون. والطريقة إنما هي مدرسة من مدارس التزكية والتربية والتهذيب، والحمد لله الذي وفقني للتمسك بها والتأدب بآدابها، والاقتباس من أنوارها، والاستفادة من بركاتها، والتعاون مع رجالها وأبطالها؛ ففيها أحيى وعليها أموت وأبعث مع سيدي أبي العباس أحمد بن

محمد التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه وعنى به آمين"[1].

هذه الخصوصية هي التي دفعت الشيخ حسن علي سيسي حفيد الشيخ إبراهيم إنياس، وأحد أبرز شيوخ التيجانية في الولايات المتحدة، إلى الاعتراف بأن جده "صاحب الفيضة لم يحد قيد أنملة عن تعاليم الشيخ التجاني ويصرح دائما أن هذا الإقبال ودوام سريان المدد من مدد الشيخ التجاني رضى الله عنه"[2].

المطلب الثالث: انتشار الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة الأمريكية:

تعتبر الطريقة التيجانية المغربية الأصل والمشرب من أكثر الطرق انتشارا ونشاطا في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصلت إلى هذا الجزء الجديد نسبيا من العالم عبر جهود مشايخ التيجانية ذوي الأصول الإفريقية، ومن أبرزهم، كما ذهب إلى ذلك الباحث: شيخ أنتا بابو (Cheikh Anta Babou) أستاذ التاريخ بجامعة بينسلفانيا (University of Pennsylvania)، الشيخ حسن علي سيسي، حفيد الشيخ إبراهيم عبدالله إنياس، والشيخ أحمد سي، حفيد الحاج مالك سي، حيث يقول: "استمر إرث إبراهيم عبدالله إنياس بواسطة حفيده الشيخ حسن سيسي الذي كان رفقة سيدي أحمد سي، حفيد الحاج مالك سي[3]، في طليعة الجهود التي بذلت لتعزيز مكانة

(1) نص مداخلة الشيخ أمام المؤتمر العالمي للتيجانية في فاس 2007.

(2) نفسه.

(3) ولد مالك سي سنة: 1855م في فوتوتورو (Fuuto Tooro) من أسرة تيجانية، حيث تم تلقينه الورد التيجاني في سن 18 بواسطة عمه الذي أخذه بدوره من الحاج عمر تالو (Elhaj Umar Tall) ومولود فال (Mawlud Fal)، عُرف كعالم بارع وكشيخ صوفي، وقد قام عند نهاية القرن التاسع عشر برحلة إلى مكة لأداء فريضة الحج حيث نال هناك سمعة أستاذ مرموق، حيث منحه مقامه هذا رأسمال روحي ورمزي سيستثمره في بناء شبكة ممتدة من الأصدقاء الذين ينتمون إلى =

التيجانية عالميا"[1].

ويعتبر الشيخ حسن علي سيسي من أوائل الشيوخ الذين قدموا بالطريقة التيجانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما تذهب إلى ذلك رواية الحاجة عاشاقي طه سيسي، إحدى النساء الأمريكيات البيض المنتسبات إلى الطريقة التيجانية، والتي تحكي عن هذه الفترة:

"للحديث عن الطريقة التيجانية في أمريكا، لا بد أن أتكلم عن الشيخ **حسن علي سيسي** من مدينة **باي كاولاك** (Baye Kaolack)، بالسنغال؛ فمن خلال كتابه المعنون:"الشيخ **إبراهيم إنياس**: محيي السنة"(Shaykh Ibrahim Niass: Revivalist of the Sunnah)، يكون الشيخ **حسن سيسي** قد قدم للمسلمين الأمريكيين شخصية جده شيخ الإسلام الحاج **إبراهيم إنياس**، الشخصية الإسلامية البارزة"[2].

=

النخبة السياسية والتجارية في كل من سان لويس وداكار السنغاليتين، وقد عرف مالك سي بعلاقاته الوطيدة مع الزاوية التيجانية في المغرب. وقد ارتكزت استراتيجية مالك سي في نشر التيجانية على مقاربتين: الأولى تكديس أفضل أوراق اعتماده كشيخ تيجاني، وثانيا: استخدام شعبيته كأستاذ مرموق لتدريب مقدمين قادرين على توزيع الورد التيجاني في السنيغال وغامبيا، وقد كان الشيخ مالك سي حريصا على تحصيل الإجازات فقد جمع عشرات الإجازات التي تربطه بزوايا السنيغال وموريطانيا، بل حتى بزوايا المغرب التي تنحدر بشكل مباشر من الشيخ أحمد التيجاني ومن أقرب أتباعه كعلي تاماسين. وهكذا تمكن الشيخ مالك سي خلال مدة حياته (1895م-1922م) من تأسيس فرعه التيجاني الأكبر في السنيغال، ومن ثمة المساهمة في جعل التيجانية الطريقة الصوفية الأولى في السنيغال. وإلى اليوم لازال حفيده وابن حفيده يواصلان قيادة أقوى جماعة تيجانية في السينيغال وغامبيا التي يقارب عدد أتباعها الثلاثة ملايين مريد.

(1) Cheikh Anta Babou, "Globalizing Mystical Islam from Below: Exploring the Historical Roots and Modern Expansion of the Tijaniyya Order".Paper to the UCLA symposium North African Sufism in World Context, 12 February 2009.

(2) الحاجة عاشاقي ها.طه- سيسي "مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا" مداخلة قُدّمت في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية 28 يونيو2007م، ترجمة:

=

إن إقناع الأمريكيين السود بالانتماء إلى الطريقة التيجانية في سبعينات القرن العشرين لم يكن أمرا يسير التحقق لأسباب متعددة توضحها الحاجة عاشاقي طه سيسي، قائلة:

"و لكي ندرك تماما ونقدر أهمية حضور الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه من الضروري أن ننظر أولا في حالة المجتمع الأمريكي المسلم خلال منتصف السبعينات من القرن العشرين عندما جلب شيخنا المحبوب **حسن علي سيسي** الطريقة لأمريكا؛ ففي عام 1976م، كانت الجماعة المسلمة الأمريكية تتكون عمليا من الأمريكيين الأفارقة. ولم يبدأ ظهور مسلمي أمريكا الأوروبيين الأصل إلا بعد عشرين سنة من ذلك الوقت، حيث بدأوا يدخلون الطريقة التيجانية على يد الشيخ **حسن علي سيسي** عشر سنوات بعد ذلك"[(1)].

المطلب الرابع: الطبيعة الأفرو-أمريكية للتيجانية بالولايات المتحدة:

يتبين مما سبق، أن المنتسبين الأوائل للطريقة التيجانية في الولايات المتحدة كانوا يتشكلون في مجملهم من الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية، الذين كانوا يعيشون في النصف الأخير من سبعينات القرن العشرين معاناة اغتيال زعيمهم الحاج مالك شاباز (مالكوم إكس)، بالإضافة إلى تصاعد الأعمال العدائية والصراعات العنيفة بين أتباع "المسلمين السنة" و"أمة الإسلام" الأكثر انتشارا بين الأمريكيين السود. وقد أفرزت هذه الأحداث مشاعر اليأس وفقدان الثقة عند السكان المسلمين الأمريكيين-الأفارقة الذين

- عزيز الكبيطي إدريسي(ينظر الملحق).

(1) نفسه.

أحسوا بأنهم كانوا عرضة للخداع والخيانة من طرف زعمائهم، مما جعل معظمهم يتعهدون بعدم تسليم زمام أنفسهم لأي زعيم آخر، والتنزه عن فكرة اتباع أي شخص مرة أخرى وللأبد. وانضاف إلى هذه المعاناة، تجربتهم (أي السكان الأمريكيون الأفارقة) مع المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في أمريكا، والتي كانت عادة محفوفة بالازدراء والعنصرية. وقد تفاعلت هذه العوامل مجتمعة مع "إحدى أكثر الأعراض المدمرة لما- بعد الصدمة الملازمة للاسترقاق، والمتمثلة في عدم احترام أي شيء له علاقة بإفريقيا وانخفاض قيمته، مما أنتج مناخا معاديا ومقاومة شرسة لأي فكرة تتعلق بقبول الطريقة واتباع شيخها، لا سيما إذا كان إفريقيا"[1]. ومع ذلك "استطاع الشيخ حسن علي سيسي بخلقه النبوي وبسره التيجاني أن يقنع العديد من الأمريكيين الأفارقة بمبايعته على الطريقة التيجانية في كل من شيكاغو ونيويورك وديترويت"[2].

تذهب الباحثة مارسيا هيرمانسن إلى أن الطريقة التيجانية في أمريكا تتشكل من حوالي: 80% من المسلمين المهاجرين الأفارقة، وحوالي 20% من المسلمين الأفرو-أمريكيين[3]، وأنه إلى جانب الشيخ حسن علي سيسي، والشيخ مالك سي، هناك شيخ آخر هو أحمد التيجاني بن عمر، الغاني الأصل، الذي يتصرف باعتباره مقدما للطريقة التيجانية في مدينة شيكاغو التي تعقد بها اجتماعات أسبوعية للذكر في المسجد الإسلامي النيجيري تحت إشراف الإمام شاكر الناصر، ويغلب على أتباع هذه الطريقة الالتزام بالتصوف الإسلامي أكثر من الاتجاه الكوني الذي يطبع العديد من الطرق

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) Hermansen, Marcia. « Hybrid Identity Formations in Muslim America », p: 172.

الصوفية الأخرى[1].

المطلب الخامس: مظاهر حضور الطريقة التيجانية في الولايات الأمريكية:

تحضر الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة من خلال:

1ـ زواياها:

تنقسم فروع الطريقة التيجانية النشيطة في أمريكا إلى فرعي حسن علي سيسي ومالك سي، حيث تنتشر زواياهما في شتى المدن والولايات الأمريكية. تعرف التيجانية ازديادا دائما لعدد مريديها بفعل حيوية أتباعها في الدعوة وسط المسلمين السود، وبفعل اعتناق عدد من الأمريكيين الإسلام عن طريقها، وأيضا بفعل عملية الازدياد الطبيعي الناشئة عن انتقال الطريقة من الآباء إلى الأبناء. وقد لعب الشيخ حسن علي سيسي دورا كبيرا في نشر الطريقة التيجانية عبر أرجاء أمريكا، يقول عن نفسه:

"و نحن بدورنا تحدثنا بنعمة الله كما قال جل وعلا: "وأما بنعمة ربك فحدث" فقد أَدْخَلْتُ الطريقة التجانية إلى أمريكا وفي شتى ولاياتها؛ فى نيويورك، وواشنطن، وأطلنطا، وشيكاغو، ودترويت، وكاليفورنيا، ومنفيس تنس، وحتى إلى برمودا، وترنداد وغيرها.. حيث أخذت الزوايا تنتشر فى كل هذه الأماكن والحمد لله أولا وآخرا"[2].

2 - كتبها ومؤلفاتها:

يعمل مريدو الطريقة التيجانية الأمريكيون الأصل على ترجمة بعض المصادر التيجانية إلى اللغة الإنجليزية، إذ يعتبر "تدريب وتوجيه الباحثين

---

(1) Ibid, p: 172.

(2) الشيخ حسن علي سيسي: "الطريقة التيجانية: الخصائص والمميزات"، مداخلة قُدّمت في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية 28 يونيو2007م.

الأمريكيين التيجانيين تحت إشراف الشيخ حسن سيسي وإرشاده إحدى أهم المساهمات الأساسية في بناء مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا. هذه العملية قد بدأت بالفعل لجعل المتون الأساسية للطريقة متوفرة باللغة الإنجليزية. المثال على هذا العمل الحيوي هو كتابان صدرا حديثا، تمت كتابتهما أو ترجمتهما وتحريرهما بواسطة الأمريكيين التيجانيين:

- الأول عنوانه:(On the Path of the Prophet: Shaykh Ahmed Tijani and the Tariqa Muhamidiyya)، "على صراط النبي: الشيخ أحمد التيجاني والطريقة المحمدية"، بواسطة الباحث الأمريكي زكريا رايت. والثاني عنوانه: *لآلئ من الفيضة الإلهية: خطب مختارة من شيخ الإسلام إبراهيم إنياس* (، Pearls From the Divine Flood: Selected Discourses from Shaykh al-Islam Ibrahim Niass)، مع مقدمة بقلم الشيخ حسن علي سيسي، وقد ترجم من قبل زكريا رايت، وشارك في تحريره: يحيى ويلدون"[1].

كانت الطريقة التيجانية أيضا موضوع أطروحة تقدم بها زكرياء رايت لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة نورث وسترن (Northwestern University) سنة: 2010م، تحت عنوان:

(Embodied Knowledge in West African Islam: Continuity and Change in the Gnostic Community of Shaykh Ibrahim Niasse)

من الواضح، أن كل هذه العناصر الهامة تشير إلى مستقبل مشرق وحيوي للطريقة التيجانية في أمريكا، إن شاء الله.

3ـ دراسات أكاديمية:

تحضر الطريقة التيجانية أيضا بقوة على ساحة الدراسات الأكاديمية؛ إذ

---

(1) الحاجة عاشاقي ها.طه- سيسي "مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا"(م.س).

نوقشت في أطروحة جامعية للباحث الفلسطيني محمد جميل أبو نصر (M.Jamil Abu Nasr)، وصدرت ككتاب معنون بالطريقة التيجانية (The Tijaniyya order) سنة:1961 م عن مطبعة جامعة أكسفورد الشهيرة، تلتها بعد ذلك دراسة حول الطريقة التيجانية وخصائصها في كتاب: "الطرق الصوفية في الإسلام" **لسبنسر تيرمنغهام**[1].

جميل أبو نصر تحدث أيضا عن التيجانية، ولكن باقتضاب هذه المرة، في كتابه[2]:

(Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life)

قدّم الشيخ حسن سيسي أيضا من خلال المؤتمرات الإسلامية التي يعقدها أو يشارك فيها داخل الولايات المتحدة وجهة النظر الصوفية للإسلام التي تعارض العقائد السلفية والوهابية، حتى يتم فهم التصوف، وعلى نطاق أوسع، بأنه الترياق الأمثل ضد التأويلات السامة للإسلام، والتي يتم الترويج لها من طرف بعض المسلمين، حيث يتم استغلالها بشكل كبير من قبل وسائل الإعلام الأمريكية[3].

4 - مدارس قرآنية:

إن عناية أتباع الطريقة التيجانية بغرس تعاليم القرآن في الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام دفعهم إلى تأسيس بعض المدارس القرآنية كوسيلة من وسائل نشر المعرفة الدينية الإسلامية التي تتغياها الطريقة التيجانية منذ تأسيسها [4]، بالإضافة إلى إرسال أبنائهم لحفظ القرآن في دول غرب إفريقيا

---

(1) Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press(1971), pp.107-110.

(2) Abun-Nasr, Jamil.Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life, Columbia University Press, New York(2007), pp.

(3) الحاجة عاشاقي ها.طه- سيسي "مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا" (م.س).

(4) تنظر مداخلة زكريا رايت في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية =

كالسنيغال، تقول الحاجة عائشة عاشاقي طه سيسي:

"إن مستقبل الطريقة في أمريكا مضمون أيضا بواسطة أبناء وأحفاد الرواد التيجانيين الأوائل في السبعينات من القرن الماضي الذين أرسلوا أطفالهم إلى الشيخ حسن علي سيسي لحفظ القرآن في مدينة (باي كاولاك) السنغالية، حيث يعيشون فيها ويتعلمون كجزء من هذا المجتمع التيجاني التاريخي. بإذن الله، هذا الامتداد بين تعدد أجيال الطريقة داخل الولايات المتحدة والذي يتم تغذيته وتلقينه من الشيخ حسن علي سيسي سوف يستمر في الازدهار عبر أجيال المستقبل"[1].

المبحث الثاني: الطريقة الحبيبية الدرقاوية في الولايات المتحدة

المطلب الأول: الطريقة الحبيبية الدرقاوية بين التأسيس والامتداد:

تنتمي الطريقة الحبيبية الدرقاوية إلى الشيخ المغربي سيدي محمد بن الحبيب الأمغاري الحسني (ت.1972)، أحد علماء القرويين البارزين في منتصف القرن العشرين، أخذ الطريقة الدرقاوية المنسوبة إلى مولاي العربي الدرقاوي، دفين جبل بني زروال، على يد الشيخ محمد بن علي، دفين مراكش، الذي أخذها على يد الشيخ العربي الهواري.

استطاع الشيخ محمد بن الحبيب الدرقاوي أن يضمن لطريقته الانتشار خارج المغرب عن طريق استقطابه للعديد من الأوروبيين والأمريكيين الذين وجدوا في تعاليمه يسرا وذوقا جعلهم يلازمون صحبته، ومن أبرز هؤلاء الغربيين الشيخ السكوتلاندي، أيان نيل دالاس (عبد القادر الصوفي) الذي

=

28 يونيو2007م.

(1) الحاجة عاشاقي ها.طه- سيسي "مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا"(م.س).

تعرف على التصوف الإسلامي في المغرب، حيث اعتنق الإسلام على يد إمام **مسجد القرويين** الشيخ عبد الكريم الداودي في مدينة **فاس** سنة: 1967م، وبعد ذلك ببضعة أشهر، عاد مجددا إلى المغرب ليأخذ النسبة الصوفية الشاذلية الدرقاوية عن طريق الشيخ محمد بن الحبيب الدرقاوي (1876م/1972م) الذي أطلق عليه لقب "الصوفي".

بعدها، سيتم تعيين الشيخ عبد القادر الصوفي مقدما من طرف الشيخ ابن الحبيب لتمثيله في الغرب ولتأسيس زاوية في بلده الأصلي **ابريطانيا**، لكن بعد وفاة شيخ الطريقة الحبيبية سنة:1972م، سيواصل عبد القادر الصوفي سفره الباطني رفقة بعض من شيوخ الحبيبية الدرقاوية كالشيخ فضول الهواري الصوفي الفاسي[1] والشيخ محمد بلقرشي[2]. سيتوجه الشيخ عبد القادر الصوفي، بعد ذلك، مجددا إلى شمال إفريقيا بحثا عن مصدر نوراني آخر لاستكمال طاقته وتهيئه الروحي؛ إذ سيعثر على ضالته في مدينة بنغازي بليبيا ورفقة الشيخ **حمودة الفيتوري**، شيخ العليوية الدرقاوية وأحد الورثة المباشرين للشيخ أحمد بن مصطفى العليوي، حيث سيقضي إلى جانبه هناك مدة توجت بخلوة وجيزة سيعلن بعدها الشيخ حمودة الفيتوري تعيينه **للشيخ عبد القادر** وريثا لفرعَي الدرقاوية الحبيبية والعليوية اللتين يعتقد أنهما سيتوحدان تحت إمرته[3].

(1) 'The Collected Works' by Ian Dallas.

(2) من قدماء أتباع الشيخ محمد بن الحبيب، كان يعيش بمنطقة توروك قرب مدينة الرشيدية بالمغرب، ويسري اعتقاد سائد وسط أتباع الحبيبية بأنه وارث سر الشيخ محمد بن الحبيب بالرغم من عدم تصريحه المباشر بذلك، توفي يوم الأربعاء 29 غشت 2012م.

(3) Abdul Wahab el-Affendi, « A False Dawn » in Inquiry Magazine (January 1998): p.54

المطلب الثاني: كاريزمية الشيخ عبد القادر الصوفي: الشخص والرمز:

1- الشخص:

أيان نيل دالاس (عبد القادر الصوفي): هو شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية في أوروبا وأمريكا وجنوب إفريقيا، ومؤسس الحركة العالمية للمرابطين، وكاتب للعديد من المؤلفات حول الإسلام والتصوف والنظرية السياسية، ولد سنة:1930م في إسكوتلاند. كان أيان دالاس في يوم ما رئيس تحرير جريدة:(The International Times). عمل أيضا كاتبا مسرحيا ولعب دور الساحر في فيلم المخرج **فيليني** الذي كان يحمل عنوان: "الثامنة والنصف".

اعتنق عبد القادر الصوفي الإسلام سنة 1967م في مسجد القرويين بمدينة فاس على يد الشيخ عبد الكريم الداودي بحضور الزعيم السياسي علال الفاسي، بعد ذلك بفترة بسيطة أخذ الطريقة الصوفية الدرقاوية الحبيبية من شيخها سيدي محمد بن الحبيب الأمغاري الحسني في مكناس الذي أطلق عليه لقب: "الصوفي" وعيَّنه مُقَدَّمًا له في العالم الغربي، ومنذ ذلك الوقت والشيخ عبد القادر الصوفي يعمل بنشاط لنشر الإسلام في أوروبا وأمريكا وحتى إفريقيا السوداء.

بعد وفاة الشيخ المغربي سيدي محمد بن الحبيب (سنة:1972م) بأربع سنوات أعلن عبد القادر الصوفي نفسه شيخا للطريقة الحبيبية الدرقاوية، حيث يوجد أتباعه الآن في جميع أنحاء العالم ويُقَدَّر عددهم ببضعة آلاف، يعيشون في جماعات منظمة تنشط على الخصوص في إسبانيا، وأنجلترا، وألمانيا، وروسيا، والمكسيك، والولايات المتحدة، وجنوب إفريقيا، وماليزيا وأندونيسيا.

يستقر الشيخ عبد القادر حاليا في رأس الرجاء الصالح بجنوب إفريقيا، حيث يدير أمور جماعته من هناك، كما يعقد اجتماعات دورية للذكر والحضرة، ويترأس كل سنة "موسمه العالمي" الذي ينظمه أتباعه برأس الرجاء الصالح، ويكون فرصة لعقد أكبر تجمع لمريديه عبر العالم، ويبتدئ هذا الموسم في الأسبوع الثاني الموالي لشهر رمضان ويكون متبوعا في الغالب بندوة حول المذهب المالكي.

ـ تعاليمه وأفكاره:

يؤيد الشيخ عبد القادر الصوفي الانتماء إلى مدرسة الفقه الإسلامي الأصلية المتمثلة في عمل أهل المدينة التي دونها الإمام مالك بن أنس، وقد ناقش ذلك بتفصيل في كتابه (التربية الإسلامية الأصيلة) (Root Islamic Education)، حيث يعتبر أن عمل أهل المدينة ينقل الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامي الأول، وهنا تكمن أهميته والحاجة إليه في إعادة بناء الأمة الإسلامية في العصر الحالي.

يؤكد الشيخ عبد القادر الصوفي في تعاليمه على ضرورة ملازمة العقيدة الأشعرية لأنها تعكس آراء أهل السنة والجماعة، ولأنها السبيل الأمثل لتنزيه الله في زمن كثر فيه التجسيم والجسارة على تفسير صفاته بحسب الأهواء.

كما يقول بضرورة اتخاذ التصوف طريقا إلى الله وسلوكا تربويا يوميا باعتباره ثلث الإسلام، لا سيما التصوف الجنيدي الذي يلتزم بالشريعة ولا يعاني من أية انحرافات باطنية.

هكذا، كان الشيخ عبد القادر وراء تأسيس العديد من المساجد في مختلف أنحاء العالم، أهمها ثلاثة مساجد هي:

- مسجد إحسان في نوريتش قرب لندن بابريطانيا.

- مسجد غرناطة في إسبانيا.

- مسجد الجمعة في رأس الرجاء الصالح بجنوب إفريقيا.

كما كان الشيخ عبد القادر وراء تأسيس كلية دالاس في كيب تاون بجنوب أفريقيا سنة:2004م كمعهد يتوخى تربية جيل من الزعماء المسلمين في مختلف مجالات العلم، والسياسة، والاقتصاد والأدب.

ـ التأليف:

- حصل الشيخ عبد القادر الصوفي سنة 2001م على دكتوراه فخرية في الآداب من جامعة سانس ماليزيا (The University Sains Malaysia) على أعماله الأدبية التي كتبها طيلة حياته.

- في فترته الأولى أشرف الشيخ بنفسه على ترجمة مجموعة هامة من المتون الإسلامية لأول مرة إلى اللغة الإنجليزية، ومنها: الموطأ لمالك ابن أنس، والشفا للقاضي عياض، وديوان الشيخ محمد بن الحبيب المغربي، وديوان الشيخ حمودة الفيتوري البنغازي، وكتاب"الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية" لابن عجيبة التطواني.

ـ أبرز مؤلفات الشيخ عبد القادر الصوفي بالإنجليزية:

1- The Book of Strangers, SUNY Press 1972.

2- The Way of Muhammad, an existential exposition of the pillars of Islam from the perspective of Sufism (Diwan Press, 1975.

3- Indications From Signs, Diwan Press, June 1980.

4- The Hundred Steps, a classic work on key steps in the path of Sufism (Portobello Press).

5- Qur'anic Tawhid.

6- Letter to An African Muslim, Diwan Press, 1981.

7- Kufr - An Islamic Critique, Diwan Press, 1982.

8- Root Islamic Education, written on the school of the people of Madinah under the leadership of Imam Malik (Madina

Press, June 1993).

9- The Sign of the Sword (Norwich: Diwan Press, 1984) , an examination on the judgements on jihād in the light of classical works of fiqh, particularly al-Qawanin al-fiqhiyyah of Ibn Juzayy al-Kalbi, relating it to the contemporary situation and the global dominance of world banking and usury finance.

10- The Return of the Khalifate, a historical work on the Ottomans, their demise and its causes and an exposition of a route to the recovery of the khalifate (Madinah Press, 1996).

11- The Technique of the Coup de Banque: on the modern age since its inception in the French Revolution. (Kutubia Mayurqa, 2000).

12- Sultaniyya: is a modern statement on leadership in Islam. Abdalqadir surveys Islam under the chapter headings Deen, Dawla (polity) , Waqf, Trade, the Sultan - personal rule - and Tasawwuf. (Madinah Press, Cape Town, 2002).

13- The Time of the Bedouin (Bulgate Press, 2007).

14- The Book of Tawhid (Madinah Press, 2006).

15- The Book of Hubb (Madinah Press, 2007).

16- The Book of 'Amal (Madinah Press, 2008).

وقد ترجمت كتبه إلى مختلف اللغات الحية كالفرنسية، والإسبانية، والألمانية، والأردية وغيرها..

2- الرمــــز:

يعتبر الشيخ السكوتلاندي أيان نيل دالاس (عبد القادر الصوفي)، في وقتنا الراهن، أحد أبرز المفكرين الغربيين المسلمين، ليس فقط بفعل مواقفه الفكرية والاقتصادية المثيرة للجدل في الأوساط الغربية، ولكن بفعل نجاحه الهائل في استقطاب بضعة آلاف من الأتباع والمريدين من مختلف أنحاء العالم، وإقناعهم بضرورة اعتناق الدين الإسلامي وبتبني المذهب المالكي في الفقه والمنهج الأشعري في العقيدة والطريقة الصوفية في السلوك، مما يجعله ظاهرة فريدة في الغرب الحديث؛ فهو الغربي الوحيد الذي استطاع

أن يجمع بين صفة المفكر الألمعي والشيخ الصوفي والعالم الديني المجدد.. ولعل نقده الشديد للحضارة الغربية في جانبها الأخلاقي والاقتصادي ومعارضته لبعض الأنظمة السياسية العربية الإسلامية واتهامها بتقويض الإسلام من خلال إهمال العمل بأحد أركانه الخمس؛ وهو ركن الزكاة، بالإضافة إلى هجوماته اللاذعة على الحركات السلفية المتشددة كالوهابية وإخراجها من دائرة أهل السنة والجماعة، وجعل طائفة الشيعة على قدم المساواة مع الخوارج في الزيغ عن تعاليم الإسلام الحقة، كل ذلك جرَّ عليه الكثير من الانتقادات الحادة التي ترفض آراءه وتعادي مبادئ حركته، سواء من داخل العالم الإسلامي أو خارجه. ومما زاد من تضييق دائرة المتعاطفين مع أفكار الشيخ عبد القادر الصوفي وحركته، إيمانه الجازم بأن التعاليم الإسلامية الحقة لا تتحقق اليوم إلا في ظلال ثلاثية المنظومة المغربية للتدين، والتي يوضحها عبد الواحد بن عاشر في أرجوزته الموسومة ب"المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" والمعروفة **بمتن ابن عاشر**[1]، التي يقول في مقدمتها:

(و بعدُ) فالعون من الله المجيد — في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك — وفي طريقة الجنيد السالك

هكذا، يرى الشيخ عبد القادر أن الإسلام في أصالته وجوهره انتقل

(1) **عبدالواحد بن عاشر**: (990 - 1040هـ) (1582 - 1631 م) هو عبدالواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الانصاري، الأندلسي، المالكي (أبو محمد).عالم مشارك في القراءات والنحو والتفسير وعلم الكلام والفقه وأصوله وغيرها. نشأ بفاس، وتوفي بها في 3 ذي الحجة. من تصانيفه: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، الكافي في القراءات، فتح المنان المروي بمورد الظمآن في رسم القرآن. شرح على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، والإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم الباقي من قراءات الأئمة السبعة الاعيان.
عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الجزء: 6 ص: 205.

إلى بلاد المغرب، حيث تم الحفاظ عليه نقيا خالصا في الفقه والعقيدة والسلوك دون تعديل أو تسطيح كما حدث في الشرق؛ يقول في هذا السياق:

"ذهبت التعاليم الإسلامية الأصيلة غربا نحو شمال إفريقيا - وهذا جد مهم-، وأقصد بالتعاليم: الجوهر الأساسي للإسلام؛ فالإسلام الذي نتحدث عنه لم يذهب شرقا إلى نيسابور ولم يذهب غربا إلى العراق، لقد ذهب غربا إلى إفريقيا وهذه حقيقة تاريخية طمست من طرف بنية السلطة المتعاقبة"(1).

المطلب الثالث: دخول الطريقة الحبيبية إلى أوروبا وأماكن انتشارها:

انطلقت دعوة الشيخ عبد القادر الصوفي من مدينة "نوريتش" بابريطانيا التي أسس بها أول نواة إسلامية صوفية في أوربا تتكون لأول مرة في التاريخ الإسلامي، على حسب المعطيات المتوفرة لدي، من نخبة من الغربيين المتحولين إلى الإسلام.

ومن ابريطانيا ستنطلق دعوته باتجاه كل أوروبا، وباتجاه أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وباتجاه آسيا وافريقيا لاحقا، وكانت أول وجهة انتشرت فيها الطريقة الحبيبية الدرقاوية بعد ابريطانيا هي إسبانيا؛ ففي سنة 1975م، نفس السنة التي مات فيها فرانكو، توجه إلى بريطانيا ثلاثة من الشباب الأندلسي من بلدة بورتيانو (مقاطعة قلعة رباح) بمنطقة قشتالة مانشا، واعتنقوا الإسلام وأصبحوا من أتباع الشيخ عبد القادر الذي أمرهم بالتوجه لقرطبة وتأسيس جالية إسلامية بها.

(1) Abdal Qadir As-Sufi, Root Islamic education, Summary -Part One -, Madina Press, London(1993)P: 150.

في سنة 1977م توجه أعضاء الجماعة إلى قرطبة، واستأجروا بيتًا قديمًا سكنوا فيه جميعًا مع أزواجهم وأبنائهم، وعملوا في مهن متواضعة كباعة متجولين لإعالة أنفسهم، وحرصوا - رجالاً ونساءً- في تلك الحقبة على ارتداء الزي الإسلامي. انضم إليهم عدد من الأندلسيين، وغيرهم من الإسبان، زاد على الأربعين. وارتكزت فلسفة الجماعة على كونهم يعيشون في مجتمع كافر، يجب الخروج عنه، فكان على كل من يعتنق الإسلام أن يترك أهله وعمله، لينضم إلى الجماعة.

في سنة 1979م قررت الجماعة الانتقال إلى إشبيلية، آملة أن تجد مجالاً أفضل للدعوة. فأقامت لأول مرة الصلاة في حديقة جامع المنصور، وصعد أحد أفرادها إلى أعلى مئذنة المسجد (لاخيرالدا) وأذن. وحاولت الجماعة الحصول من بلدية إشبيلية على المسجد الذي بناه المغرب في معرض دولي قبل الحرب العالمية الثانية، فرفض طلبهم.

بعد هذا الحادث، انتقلت الجماعة إلى غرناطة، تحت اسم "جمعية عودة الإسلام إلى إسبانيا"، كما أسمت نفسها في بعض مناشيرها "جماعة المسلمين الإسبان". لتتبنى بعدها اسم "الجمعية الدينية لنشر الإسلام في إسبانيا"، حيث استأجرت الجماعة عمارة في شارع سرابيا، وأقامت فيها مسجدها ومكاتبها ومشاريعها الاقتصادية. وقرر زعماؤها أن يرتدي رجالها الزي الأوروبي عوضًا عن الزي الإسلامي لتسهيل قبولهم من طرف المجتمع الغرناطي.

قامت الجماعة بأول نشاط علني لها في غرناطة، عندما أذن لها فرانسسكو سانتشس رولدان، القيِّم على قصر الحمراء، بإقامة صلاة عيد فطر سنة 1400هـ=1980/8/13م في حدائقه. فحضر الصلاة حوالي مائتي شخص، من بينهم بعض الطلبة العرب والعمال الباكستانيين. وبعد صلاة

العشاء جماعة، قدم العشاء للجميع في جو ديني واجتماعي جميل، كان له أحسن الأثَر على المجتمع الغرناطي، وساعد على التعريف بالجماعة وانضمام أعداد جديدة من العائدين إلى الإسلام إليها.

وفي عيد الأضحى الذي تلاه طلبت الجماعة من انفانتي فلوريدو- مطران قرطبة- الإذن لها بإقامة صلاة العيد في المسجد الأعظم، فرفض المطران هذه المرة الطلب خطيًا، مدعيًا أن ذلك يؤدي "إلى تخوفات وانشقاقات وحتى إلى الفضيحة"، وصحبت ذلك الرفض حملة ضد المسلمين الإسبان في الصحافة الأسبانية. وردّ أحد ممثلي الجماعة على هذه الحملة قائلاً: "ليس الإسلام ملكًا للعرب؛ فاعتناق الإسلام لا يعني أن الإنسان أصبح عربيًا. نحن مثلاً مسلمون إسبان، كما أن هناك مسلمون روسيون وفلبينيون.. إلخ.. ومن أجل ذلك ليست لنا علاقة مع البلاد الغنية بالبترول، إلا علاقة المسلم مع أخيه المسلم، ليس أكثر". وكان مطران قرطبة قد أذن سنة 1979م للمشاركين الأجانب في مؤتمر حول الحضارة الإسلامية بالصلاة في المسجد.

وفور وقوع هذه الأحداث، أخذت أعداد أفراد الجماعة تتضاعف، فابتدأت الجمعية ترسل وفودًا إلى البلاد العربية، منها إلى دول الخليج في غشت عام 1980م، والمغرب في دجنبر عام 1980م. وشرعت الجمعية في إقامة المشاريع الإسلامية؛ من أهمها مسجد في حي البيازين، حيث حصلت الجمعية على مساندة المجلس البلدي لبنائه، إذ كتب لها أنطونيو خارا أندرو -عمدة غرناطة- رسالة بتاريخ 1980/11/7م قال فيها: "أيها الأصدقاء، في هذا التاريخ، استقبلت في المجلس البلدي السيد عمر عبد الحق كوكا دومينغز، والسيد عبد الكريم كراسكو، اللذين فسرا لي باختصار فكرة جاليتهما في بناء مسجد في حي البيازين من هذه العاصمة، وأريد أن أوضح

في هذه الرسالة مساندة المجلس البلدي، الذي أتشرف برئاسته، لهذا المشروع، ومساندتي الشخصية بالطبع، آملين أن نفرح بإنجاز هذا المشروع".

وسرعان ما اشترت الجمعية أرضًا بحي البيازين مساحتها 2.140 مترًا مربعًا لبناء المسجد. لكن المشروع لم ينجز. كما اشترت الجمعية بيتًا كبيرًا في حي البيازين بشارع سان غريغوريو، وحولته إلى زاوية، ومدرسة ومركز إسلامي. وحصلت الجمعية على أرض حولتها إلى مقبرة للمسلمين في غرناطة.

ابتدأت الجمعية بإنجاز مشاريعها الاقتصادية، معظمها في المركز المؤجر في شارع سرابيا بغرناطة، منها مشروع "نور الأندلس" لنشر الكتب، وتوزيعها، ولطبع الأفلام والأشرطة عن الإسلام، مع التركيز على القرآن الكريم، ومشروع تأسيس مدرسة إسلامية للكبار والصغار، ومستوصف للطب الطبيعي، والصحة العقلية، و"دكان الحكيم" لتهيئ الأغذية الطبيعية والأعشاب، كما فتحت الجمعية مخبزة إسلامية وملحمة. وباختصار حاولت الجمعية إنشاء المؤسسات الثقافية والاقتصادية التي يحتاجها مجتمع متكامل مستقل بنفسه.

تكاثر أعضاء الجمعية إلى عدة مئات، وأخذ الطابع الإسلامي يظهر بوضوح في غرناطة، خاصة في حي البيازين التاريخي منها. ونظمت الجمعية مؤتمرين مهمين في الفقه المالكي، حضرهما نخبة من علماء المسلمين. عقد المؤتمر الأول سنة 1982م في زاوية الجامعة بالبيازين، والثاني بين7 و1983/11/11م في قاعة "مانويل دي فالا" التي سمحت بها بلدية غرناطة لمنظمي المؤتمر، وقد مولت هذا المؤتمر دولة الإمارات العربية المتحدة. وفي 1984/5م، أرسلت رئاسة محاكم أبو ظبي الشرعية،

على حسابها معلمين موريطانيين لتعليم الجماعة المبادئ الإسلامية.

ونشطت الجماعة في مجال النشر، فنشرت كتبًا باللغة الأسبانية، كما أصدرت الجماعة مجلة شهرية اسمها "البلاد الإسلامية".

وقد حظيت هذه الجماعة في رمضان 1413هـ/2012م بالحصول على دعم مالي من ملك المغرب محمد السادس لشراء قطعة أرضية تقدر بثمان هيكتارات لبناء مدرسة ومركز إسلامي في ضواحي مدينة غرناطة إثر استقباله لأمير الجماعة في إسبانيا مالك رويث (Malik Ruiz) على هامش الدروس الحسنية الرمضانية.

انطلاقا من إسبانيا وبريطانيا توسعت الجماعة الدرقاوية الحبيبية للشيخ عبد القادر إلى بقية أنحاء أروبا، حيث يوجد لها اليوم مركزان هامان في ألمانيا في كل من حنيف وبوتسدام، ومراكز أخرى في البرتغال وسويسرا والدانمارك وإيطاليا وفرنسا والسويد وروسيا وغيرها من الدول. بل وانتقلت من أوروبا في اتجاه آسيا، حيث ينتشر أتباع الشيخ عبد القادر اليوم في ماليزيا وأندونيسيا وتركيا واليابان، بل وحتى في اتجاه إفريقيا مثل: نيجيريا وبوتسوانا وجنوب إفريقيا التي أصبحت اليوم مركز إشعاع دعوة الطريقة الحبيبية بفعل انتقال الشيخ عبد القادر الصوفي وثلة من أتباعه إلى العيش بها منذ سنة: 2002م وإلى يومنا هذا.

المطلب الرابع: البدايات الأولى للطريقة الحبيبية الدرقاوية في الولايات المتحدة: "التقعيد المذهبي والعقدي وأبرز الأتباع":

يمكن إرجاع الانطلاقة الفعلية للطريقة الحبيبية الدرقاوية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سنة: 1970م حين زار السكوتلاندي أيان نيل دالاس (عبد القادر الصوفي) الذي كان يتصرف في ذلك الوقت بصفته مقدما للشيخ محمد بن الحبيب المغربي الدرقاوي، مدينة بيركلي في كاليفورنيا، حيث

التقى بمجموعة من الشباب الأمريكي النشيط في بعض الميادين الفنية والموسيقية، كالشاعر والمسرحي: دانيال مور، والموسيقي: حكيم أرتشوليطا، وروبيرت لونغو..، الذين أقنعهم بسحر منطقه بضرورة اعتناق الإسلام وتبني طريق التصوف الدرقاوي، كما يحكي ذلك أحد أولئك الأوائل الذين دخلوا إلى الحبيبية الدرقاوية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الشاعر دانيال مور:

"ثم، بفضل الله، تَهَيّأَت مجموعة من الظروف المتشابكة الرائعة، حيث جاء السكوتلاندي أيان دالاس الذي كان شهيرا بين أبناء جيله في أنجلترا إلى بيركلي للقائي، وكان حينئذ يتصرف مقدما للشيخ محمد بن الحبيب (رحمه الله) الذي كان يعيش في ذلك الوقت ويدرس في زاويته بمدينة مكناس في المغرب...و هكذا، في سنة **1970**م، وفي سن الثلاثين عاما وبعد لقائي بهذا الرجل الرائع جدا والذي كان مفوضا ممثلا لشيخ صوفي مستنير.. دخلت الإسلام على يديه وتغيرت حياتي وإلى الأبد"[(1)].

شكّلت هذه المجموعة الأولى من المريدين أول رباط صوفي حبيبي في مدينة بيركلي الكاليفورنية بالولايات المتحدة الأمريكية مع بداية السبعينات من القرن العشرين. بعدها، ستنتشر هذه الرباطات في جميع أنحاء الولايات المتحدة تقريبا (تيكساس، جورجيا، واشنطن العاصمة، نورث كارولينا..)، خصوصا بعد انضمام شخصيات بارزة إليهم، كالأمريكي نور الدين دوركي[(2)] الذي أسس بتنسيق مع الشيخ عبد القادر الصوفي

---

(1) THE ECSTATIC EXCHANGE: ON THE LIFE AND POETRY OF DANIEL ABDAL - HAYY MOORE, An INTERVIEW WITH AZIZ AL-KOBAITI IDRISSI - 8/22/2010 (حوار الباحث معه في منزله في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة).

(2) هو الشيخ الحالي للطريقة الشاذلية البطاوية في أوروبا وأمريكا.

جماعة إسلامية في نيو-مكسيكو تسمى "دار الإسلام"، والتي كانت المؤسسة الأمريكية المسلمة الوحيدة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة: 1979م[1]، لكنه اختلف بعد ذلك مع الشيخ عبد القادر الصوفي، خاصة بعد إبراز هذا الأخير لموقفه السياسي والإقتصادي من القوى الغربية، بالإضافة إلى إعلانه عن نفسه صراحة وريث سر الشيخ محمد بن الحبيب وإذنه في التربية والسلوك، الأمر الذي لا يراه الشيخ دوركي صحيحا، بل "يشكك في هذا السند الروحي بدعوى أن هذا الأخير مأذون من طرف شيخ العليوية في ليبيا حمودة الفيتوري وليس من الشيخ محمد بن الحبيب المغربي الذي يوجد وريثه الحالي مولاي هاشم البلغيتي في مكناس، ثم أن دعوة الشيخ عبد القادر الصوفي هي سياسية بالأساس ولا تناسب الغرب فتبنيه لمسألة الدينار الذهبي ورفضه للعملات المتداولة حاليا جعلت العديد من أتباعه بالولايات المتحدة الأمريكية ينفرون منه"[2].

انضمام الشيخ العراقي الأصل فضل الله حاري[3] إلى مجموعة الشيخ عبد القادر ستكون إضافة نوعية وكمية للطريقة الحبيبية الدرقاوية في الولايات المتحدة، حيث سيتم افتتاح مركز ديني في سان أنطونيو بطكساس يموله الشيخ فضل الله، لكن زيارة الشيخ عبد القادر الصوفي إلى هذا المركز في بداية الثمانينات وتركيزه على ضرورة الالتزام بالمذهب المالكي السني والعقيدة الأشعرية سيجعل الشيخ فضل الله حاري ينفصل بمجموعة من

---

(1) Marcia Hermansen, "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, (Op.Cit), p.492.

(2) نفس الحوار أعلاه.

(3) هو الشيخ الحالي للطريقة الجعفرية الشاذلية، للمزيد من التفاصيل ينظر كتاب: الكبيطي إدريسي عزيز، *التصوف الإسلامي في الغرب، الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا: الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموجا*، مطبعة أميمة فاس، ط.1(2008)، ص.ص: 125-129.

أتباعه عن الشيخ عبد القادر الصوفي ويدعو لنفسه[1].

وإذا كان الموقف العقدي والفقهي للشيخ عبد القادر هو سبب انفصال الشيخ فضل الله حاري عنه، فإنه، على عكس ذلك، كان سبب تعارف وتوافق بينه وبين أكاديمي أمريكي مسلم مرموق كالدكتور عمر فاروق عبد الله[2] الذي اعتنق الإسلام سنة:1970م بعدما اكتشفه عن طريق قراءته لرحلة مالكوم إكس إلى الحج بعدها سينتمي إلى الطريقة الحبيبية وسيؤمن بعمق بأفكار الشيخ عبد القادر الصوفي، لا سيما بمواقفه الفقهية من المذهب المالكي، حيث كانا معا يتشاركان الاهتمام بمذهب عمل أهل المدينة الذي شكل اطروحة الدكتوراه التي حصل عليها عمر فاروق عبدالله من جامعة شيكاغو سنة: 1978م والموسومة ب (أصول الشريعة الإسلامية: مفهوم مالك حول العمل على ضوء النظرية الشرعية المالكية): (The origins of Islamic Law: Malik's Concept of 'Amal in the Light of Maliki Legal Theory)

في الوقت نفسه، كان الشيخ عبد القادر يعمل على بناء قواعد عقدية ومذهبية لجماعته والتي سيوضحها من خلال كتابه: "التربية الإسلامية الأصيلة"(Root Islamic Education)[3] وهي عبارة عن محاضرات تقعيدية في الفقه المالكي قدمها الشيخ عبد القادر لأتباع طريقته في بلانكو بتكساس

(1) حوار أجريته مع الأمريكي المسلم: داود والي ناصر الذي كان حاضرا حينئذ في النقاش الذي أثاره الشيخ عبد القادر وأدى إلى انفصال فضل الله حاري عنه، جرى الحوار في فاس بتاريخ: 20/08/2009.

(2) أستاذ جامعي ومدير مؤسسة النووي في مدينة شيكاغو الأمريكية، ولد في أسرة كاثوليكية سنة: 1948م في كولمبوس بنيبراسكا (Columbus, Nebraska) في الولايات المتحدة، اعتنق الإسلام سنة: 1970م.

(3) First edition: Diwan Publications, Norwich(1982); Second Edition: Madinah Press, London(1993).

(TX ،Blanco) بالولايات المتحدة خلال بداية الثمانينات من القرن الماضي، وكان الدكتور عمر الفاروق من الحاضرين فيها والمتحمسين لها.

في سنة: 1982م، سينتقل الدكتور عمر فاروق عبد الله مع الشيخ عبد القادر الصوفي إلى غرناطة بإسبانيا لتأطير أعضاء جماعته هناك، وفي إسبانيا ستحدث قطيعة بين الشيخ عبد القادر الصوفي والدكتور عمر عبد الله الذي سيُطرد من الجماعة لأسباب ترجع بالأساس إلى رغبة الشيخ عبد القادر في توحيد الجماعة تحت زعامته الشخصية[1]، حيث سيتوجه الدكتور عمر عبد الله سنة: 1984م إلى جدة بالسعودية ليعمل أستاذا في جامعة الملك عبدالعزيز إلى غاية سنة: 2000م حيث سيقرر الرجوع إلى الولايات المتحدة ليعمل مديرا مقيما في مؤسسة النووي للدراسات الإسلامية في شيكاغو، وما زال يمارس عمله هناك محاضرا ومؤطرا إلى يومنا هذا.

جلب نشاط الجماعة الأولى للطريقة الحبيبية في الولايات المتحدة الأمريكية أحد أبرز الوجوه الدينية في أمريكا اليوم وهو الشيخ حمزة يوسف هانسن (مارك هانسن) الذي وصفته الجريدة البريطانية الذائعة الصيت "الغارديان" بأنه: " أحد العلماء المسلمين الأكثر تأثيرا في الغرب"[2]. كما صنفه مركز الدراسات الإستراتيجية الإسلامية الملكية في الأردن ضمن لائحة الخمسين شخصية مسلمة الأكثر تأثيرا في العالم، حيث جاء ترتيبه الثامن والثلاثين[3] متقدما على العديد من الشخصيات الإسلامية البارزة

---

(1) حوار أجريته مع الدكتور عمر فاروق عبدالله، شيكاغو، في مقر مؤسسة "النووي"، يوم الاثنين: 24غشت 2010م، حضر اللقاء الأستاذة مارسيا هيرامانسن.

(2) Jack O'Sullivan, The Guardian, Monday 8 October 2001.

(3) The 500 most influential Muslims in the world, edited by John Esposito and Ibrahim Kalin, 1st Edition(2009) Published by: The Royal Islamic Strategic Studies Centre, on: http: //www.scribd.com/doc/22652672/The-500-most-influential-Muslims-in-the-world.

كالكاتب العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي إكمال الدين إحسان أوغلو، ومحمد ناظم الحقاني القبرصي شيخ الطريقة النقشبندية الحقانية التي تنتشر في كل أنحاء العالم، والفيلسوف الصوفي الشهير الدكتور سيد حسين نصر، والدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري السكرتير العام للمنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم والتربية (الإيسيسكو).

هكذا، سيعتنق حمزة يوسف هانسن الإسلام عبر المريدين الغربيين للشيخ محمد بن الحبيب في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين، وبالضبط سنة: 1977م على يد الأكاديمي الأمريكي روبيرت لونغو[1]، الذي كان من أوائل الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام على يد الشيخ عبد القادر في بيركلي مع بداية 1970م. بعد ذلك، سيحظى حمزة يوسف بمكانة مقربة من الشيخ عبد القادر الصوفي الذي سيتزوج من أخت الشيخ حمزة يوسف. وبحسب بعض المقربين من الشيخ عبدالقادر[2] فقد كان حمزة يوسف أمين سر الشيخ عبدالقادر، مصاحبا له في كل خطواته، إلا أن أسبابا تظل مبهمة أدت إلى انفصال حمزة يوسف عن الشيخ عبد القادر سنة: 1983م، ربما كان طلاق هذا الأخير من أخت الشيخ حمزة أحد تلك الأسباب. وعلى الرغم من أن العلاقة بينهما اليوم تمر بمرحلة الصفاء والثناء المتبادل[3] إلا أن لكل واحد منهما خط دعوي ومنهج تربوي يميزه عن الآخر.

---

(1) أحد أبرز أتباع الشيخ عبد القادر الصوفي إلى يومنا هذا، وهو يعيش الآن رفقته في كيب تاون بجنوب إفريقيا، ويعمل مدرسا للأدب الإنجليزي بكلية دالاس التابعة للطريقة الحبيبية الغربية في جنوب إفريقيا. توفي في غشت 2012م.

(2) حوار أجريته مع الإسباني "عبدالحسيب كاستيينيرا" بتاريخ: 31 دجنبر2010م في مدينة فاس.

(3) أخبرت من مصادر موثوقة مقربة من الشيخ عبد القادر بأن الرجلين تبادلا مؤخرا رسائل امتنان ومجاملة وشكر وثناء.

المطلب الخامس: موقف الشيخ عبد القادر الصوفي من إمارة المؤمنين والملكية بالمغرب

1 - موقف الشيخ عبد القادر الصوفي من إمارة المؤمنين بالمغرب:

ينطلق موقف الشيخ عبد القادر الصوفي من إمارة المؤمنين من مبدأ إسلامي أساس هو مبدأ البيعة الذي ذكر في القرآن الكريم وفي العديد من الأحاديث النبوية، فمن القرآن نجد: ﴿إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه اللهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:10). ومن الحديث النبوي؛ فقد ورد عن عبادة بن الصامت قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله جماعة من أصحابه: "تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفي فأجره على الله ومن أصاب منكم شيئا فعوقب به فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه [1]. أما عن أبي نخيلة البجلي فقال: قال جرير أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع فقلت: يا رسول الله ابسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم، قال: "أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين" [2]. والبيعة في الإسلام عامة وخاصة، فأما البيعة العامة فهي تلك التي عرفت ببيعة الخلافة الإسلامية أو بيعة الحكام، وفيها يبايع المسلمون خليفتهم أو حاكمهم على السمع والطاعة في مقابل أن يحكمهم بما فيه مصلحة الأمة وعلى أساس الكتاب والسنة المطهرة. والطاعة في هذه البيعة واجبة بنص قوله تعالى:

---

(1) - صحيح مسلم ج: 3 ص: 1333 برقم 1709.

(2) السنن الكبرى ج: 4 ص: 428 برقم 7800.

﴿أَطيعوا اللهَ وَأَطيعوا الرَّسولَ وأولي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(1). وأما البيعة الخاصة فهي تلك البيعة التي بايع بها الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم الشرك بالله، أو عدم الفرار وقت الزحف، أو الجهاد في سبيل الله، أو البيعة على فراق المشرك... وهي لا تعنينا في هذا السياق. لأن المبايعة المقصودة من كلام الشيخ عبد القادر هي تلك البيعة العامة التي يبايع فيها المسلمون من يقوم على شؤون دنياهم في وفاق تام مع شريعة الله، وهكذا يعتبر الشيخ عبد القادر الصوفي في كتابه الموسوم ب: "الأمير المسلم" أن البيعة أمر واجب على الرعية نحو الأمير في الإسلام، يقول في هذا السياق:

"إن تقديم عهد الولاء (البيعة) هو قانون أساسي للجماعة المسلمة لأن بواسطته يمكن للعالم أن يرى أن كل الناس ملتزمون باتباع طريق محمد صلى الله عليه وسلم، سواء في الأشياء العظيمة أو الصغيرة، في الحقيقة هما معا يمكن رؤيتهما مع المنفعة الروحية لأن الأمة المسلمة تؤمن بصيغة السلوك والجودة. وهذا لا يعني أنه علينا أن نتصور ولو للحظة بأن أميرنا سوف يكون كاملا، وخدعة الشيعة أنهم يحملون في خيالهم فكرة الحاكم الكامل والنموذجي من أجل إفقاد الحاكم الحقيقي أهليته في الحكم الدنيوي ومن ثمة إسقاطه من الحكم لأنه ناقص غير كامل... الحكم ينبغي أن يقبل كمبدأ بغض النظر عن زعامة هذا أو ذاك... إن البيعة لا سيما لأولئك المحيطين بالأمير هي حماية للأمير نفسه ضد النفاق وتمثل وثاقا ورباطا مع المجتمع ومع السنة، يقول الله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه اللهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(2).

---

(1) القرآن الكريم، النساء: 59.

(2) Shaykh Dr. Abdalqadir as-Sufi, The Muslim Prince, 1st Edition, Madina Press, Cape Town(2009), pp.35-36.

يظل نموذج بيعة أمير المؤمنين في المغرب، حسب الشيخ عبد القادر، هو النموذج المثالي الذي ينبغي أن يحتذى به في بقية الأقطار الإسلامية، كما يتضح ذلك من خلال موقفه من الملكية المغربية.

2- موقف الشيخ عبد القادر من الملكية المغربية:

يعتبر الشيخ عبد القادر أن الملكية المغربية تحظى بشرعية المبايعة الدينية، بل لا يتوانى على التصريح أن الملكية المغربية هي النظام الأكثر شرعية في العالم اليوم، لأنها تستمد أصالتها من الدين الإسلامي[1]، ورؤية الشيخ عبد القادر هذه تنبع من قناعة جازمة يحاول غرسها في نفوس كل أتباعه عبر العالم، كما يعترف بذلك الباحث والمترجم الإرلندي عبد الصمد كلارك، أحد أقدم وأبرز أتباع الشيخ عبد القادر في ابريطانيا، في إحدى محاضراته الموسومة بـ:

"Islamic Tasawwuf in the West: The Crystallization of Events around a Light Source"

ومعناها: "التصوف الإسلامي في الغرب: تبلور الأحداث حول مصدر النور" قائلا:

"هكذا يمكن بسهولة ملاحظة الدور الكبير الذي لعبه المغرب الأقصى في قصتنا، إن الإنجاز العظيم للإسلام في الغرب بشكل عام يجد أصوله متجدرة في السنة كما يوضحها حديث جبريل عليه السلام الملقب بأم الأحاديث والذي يرسم الطبيعة الثلاثية للدين الإسلامي وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، أو الفقه والعقيدة والتصوف في توازن كامل. وقد أضاف إليها الإسلام المغربي بعض العناصر التي تتوافق واقعيا، كالبيعة

(1) تصريح الشيخ عبد القادر أثناء لقائه بالوفد الملكي المغربي الذي زاره في رأس الرجاء الصالح بجنوب إفريقيا في دجنبر2007م.

للملك والمحبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته. ومن ثمة فإن الرجال من هذه الأرض [أرض المغرب] أنتجوا الأعمال الأربعة الرائدة حول محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي: كتاب الشفا للقاضي عياض، وقصيدة البردة للإمام البوصيري، ودلائل الخيرات للإمام الجزولي، والصلاة المشيشية لمولاي عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنهم أجمعين"[1].

ينتقل الباحث، بعد ذلك، إلى تفسير المرجعية السياسية لجماعة الشيخ عبد القادر والمستمدة بدورها من موقف أهل التصوف المغاربة الموالي للشرعية الملكية بالدعم الروحي من خلال الدعاء بالسداد والرشاد لأولي الأمر والنصح لهم، والمادي بالجهاد والمؤازرة أثناء الأزمات والحروب، يقول في هذا الشأن:

"سياسيا، عندما اعتنقت الإسلام في بداية أمري رفقة عدد من مريدي الشيخ سيدي محمد بن الحبيب (رحمه الله) لفت انتباهي ذكرهم الطيب للملك الحسن الثاني (رحمه الله) والدعاء له بإخلاص واضح. بالنسبة لنا نحن الذين قدمنا إلى الإسلام من مرجعيات أوربية وأمريكية كان هذا الأمر متعسرا على أفهامنا، لأن السياسة في دولنا كانت وصمة عار لأنها كانت واجهة تخفي وراءها التعاملات الربوية المصرفية.....و هكذا، وحتى نصل نحن إلى فهم هذه النقطة، كان ضروريا على الشيخ الدكتور عبد القادر الصوفي أن يبذل جهدا كبيرا في العمل على تفكيك التاريخ والسياسات،

(1) عبد الصمد كلارك في محاضرته الموسومة ب: (التصوف الإسلامي في الغرب: تبلور الأحداث حول مصدر النور) التي ألقاها في جامعة سيدي محمد بن عبدالله كلية الآداب، ظهر المهراز، بتاريخ: **الخميس 11نونبر2010م**، في قاعة: **شعبة اللغة العربية**. (ترجمة الباحث: عزيز الكبيطي إدريسي).

ليجعلنا جميعا نصل إلى النقطة التي أدركنا فيها عمق الحكمة في أن هناك موقفا سياسيا سنيا، كما تبرز ذلك بوضوح متون العقيدة الصحاح والتي تدفعنا دون أدنى تردد إلى أن نطيع الملك محمد السادس هنا في المغرب. وعلى الرغم من أننا لسنا محظوظين في العيش تحت راية ملكه (حفظه الله وحفظ دولته) مما يجعلنا نلتجئ إلى شيخنا الدكتور عبد القادر الصوفي ليرى ما يناسب سياستنا بالضبط، ولو حتى قبول الحكم الشكلي للملكية المسيحية في المملكة المتحدة بالنسبة لنا"[(1)].

- الملكية المغربية استثناء أمثل أمام الأنظمة السياسية العربية الفاسدة:

في مقالة الشيخ عبد القادر الصوفي المعنونة ب"المرحلة الأخيرة من العار العربي"[(2)] (The Last Phase Of Arab Shame) التي نشرها في موقعه الإلكتروني الرسمي بتاريخ: 2009/01/01م، حاول الشيخ تحليل الأنظمة السياسية العربية ومواطن الخلل فيها، حيث أبرز ضعف أنظمة مجموعة من الدول العربية الإسلامية، مثل: تونس، والجزائر، والسعودية، ومصر وسوريا.. لينتقل بعد ذلك إلى المغرب موضحا بأنه هو الاستثناء الوحيد ضمن جميع الأنظمة السياسية العربية الإسلامية، وذلك بسبب خصوصيته المتمثلة في نظامه الملكي القوي المقاوم لكل أشكال الهيمنة السياسية والاقتصادية التي تسعى إلى فرضها الأنظمة الرأسمالية، الخاضعة بدورها إلى الضغوطات المصرفية، والتي تتوخى إضعاف سلطاته، يقول في هذا السياق:

"يبقى المغرب هو الدولة الإسلامية الوحيدة التي لا تزال تقاوم ذلك

---

(1) عبد الصمد كلارك، التصوف الإسلامي في الغرب: تبلور الأحداث حول مصدر النور، (م.س).

(2) Shaykh Dr. Abdalqadir as-Sufi, "The Last Phase Of Arab Shame", on website: http: //www.shaykhabdalqadir.com/content/articles/Art087_01012009.html.

الضغط الهائل ليصبح 'ديمقراطيا' وهذا يعني، أن يصير محكوما من طرف النظام المصرفي الذي تم منحه مهلة وجيزة بسبب انهيار النظام الربوي نفسه على النطاق العالمي. الملك يحتاج إلى توخي الحذر حتى لا يسرق منه وضعه الملكي عن طريق التدمير اللين للمذاهب السياسية التي تهدد حكمه الشخصي وعدالته الطبيعية"[1].

يقول الشيخ عبد القادر الصوفي في تقديمه لكتاب: (Sufis and Sufism: A Defence) وهو الترجمة الإنجليزية لكتاب عالمين مغربيين من علماء القرويين هما: عبد الحي عمراوي وأحمد مراد، وهما في هذا الكتاب يدافعان عن الشيخ الصوفي محمد علوي المالكي الحسني المكي [2] ضد الهجوم الذي تعرض له من طرف زعماء الوهابية المتشددين:

"من خلال قراءتنا لهذا الكتاب لا يمكن للمرء إلا أن يكون ممتنا لله تعالى الذي حفظ لهذه الأمة علماء من ذوي الاشراقات الفكرية والقدر

(1) Ibid.

(2) محمد علوي المالكي الحسني المكي (1367 هـ - 1425 هـ)، عالم دين مسلم يُلقب بمحدّث الحرمين، ينحدر من أسرة علمية عريقة، مما جعله يتوجه تلقائيا إلى تحصيل العلوم الإسلامية حتى أضحى من أهم علماء الحديث في عصره. تنقّل بين الكثير من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ليأخذ العلوم الإسلامية عن كبار العلماء، ولم يكن على وفاق دائم مع المؤسسة الدينية داخل السعودية، إلا أنه استطاع أن يواصل مسيرته العلمية ناشراً الموروث العلمي الذي أخذه بالسند عن أسلافه علماء الحجاز خاصةً وأن علاقته الشخصية جيدة بالملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز حالت دون إقصائه من قبل المؤسسة الدينية الرسمية. له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقه المالكي وواقع العالم الإسلامي، ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه العلوم الإسلامية، علي الجفري وعبد الله فدعق. توفي السيد محمد علوي المالكي في بيته بمكة المكرمة فجر الجمعة 15 رمضان في سنة 1425 هـ.و قد صلي عليه صلاة العشاء في المسجد الحرام ودفن في مقبرة المعلاة في جنازة مهيبة، كما حضر مراسم الدفن والعزاء الكثيرين من وجهاء البلاد وأصدقاء الشيخ وتلاميذه، وقد قام الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد بتعزية أسرته شخصيًا ونيابة عن الملك فهد بن عبد العزيز.

العالي من الجودة واللطف كما هو حال مؤليفينا، فهما لا يمثلان فقط فخرا لهذا الدين بل هما أيضا نعمة وحجة على حيوية المملكة المغربية الشريفة المعظمة. نحن ندعو الله لتحقيق استمرارية هذا التقليد النبيل وأن يحمي الله جلالة الملك محمد السادس ويقويه، وندعو له بالتوفيق في حماية الهوية الإسلامية للمملكة بنفس حكمة وشجاعة والده المغوار الحسن الثاني، رضي الله عنه وجزاه خير الجزاء عن دفاعه البطولي ضد أعداء الإسلام.. آمين"[1].

يواصل الشيخ عبد القادر الصوفي حديثه عن المغرب وعما ينبغي أن تقوم به المؤسسة الملكية خاصة، قصد الحفاظ على تلك الصورة المشرقة التي رسمها الملك الراحل الحسن الثاني في الدفاع عن الأمة الإسلامية وفي الحفاظ على أركان الدين، لا سيما ركن الزكاة الذي تهاوى الاهتمام به في أغلب الدول الإسلامية، حتى كاد أن يصير مفقودا، وأن المغرب بإعادة الاعتبار لهذا الركن سيرقى إلى مكان الريادة في العالم الإسلامي وسيجنب البلاد محنة الوقوع في الشَّرك الوهابي الذي يستهدف تدمير القيم الإسلامية الأصيلة، واستبدالها بمظاهر فاسدة لا تساير الزمان، بل تقف حجر عثرة في مسار تقدمه، يقول مفسرا:

"لتوضيح وضعية اليوم، إذا ما أرادت هذه المملكة الشريفة العظيمة أن تبقى على قيد الحياة سيكون من اللازم على محمد السادس أن يواصل دور والده وأن يملأ ما أعلن عنه والده.. في السنة التي سبقت وفاة الحسن الثاني رحمه الله، قدَّمت بعثة من الأوروبيين المسلمين من غرناطة إلى الملك الراحل قطعة نقدية ذهبية "الدينار الإسلامي" قاموا بسكها، وما زلنا إلى

(1) Shaykh 'Abdu'l-Hayy al-'Amrawi and Shaykh 'Abdu'l-Karim Murad, Translated by: Aicha bewley(2001). Madina Press(2004), p.14.

اليوم نحتفظ بتلك الصورة المباركة للملك مع ممثلنا الشخصي وهو يفحص تلك العملة التي احتفظ بها[1]... في اليوم الموالي أعلن الملك الحسن الثاني نيته في إصلاح الطريقة القانونية لجمع الزكاة من ساكنة المغرب، وعزمه على اختيار فريق العلماء لتصميم طرائق عملها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية.. إن هذا الإصلاح لركن الزكاة المتهدم سوف يرفع المغرب إلى مكان الريادة في العالم الإسلامي"[2].

ليخلص في الأخير بأن: "هذا يسمح لنا بأن نستنتج بأن حماية التصوف والصوفية سوف يقوي الشريعة ويحمي الدولة الإسلامية لساكنة المغرب"[3].

هكذا نجد الشيخ عبد القادر الصوفي لا يتردد في الدعاء إلى ملك المغرب الحالي محمد السادس[4]، أو إلى الترحم على الملك الراحل الحسن الثاني، مما ينم عن محبة عميقة لهذا الشيخ في الملوك المغاربة، منزهة عن أية أطماع دنيوية أو رغبات مادية سوى المحبة في الله والنصح إلى أولياء الأمور الذي يفرضه واجب القيام بالدين؛ ففي إحدى محاضراته التي ألقاها في ذكرى رحيل الشيخ عبد القادر الجيلاني، خلال يوليوز 1999م في

(1) تنظر الصورة ضمن مرفقات هذا الملف، وعليها تعليق باللغة الإنجليزية، قمت بترجمته إلى العربية.

(2) Shaykh ‘Abdu’l-Hayy al-‘Amrawi and Shaykh ‘Abdu’l-Karim Murad, Translated by: Aicha bewley(2001). Madina Press(2004), p.15.

(3) Shaykh ‘Abdu’l-Hayy al-‘Amrawi and Shaykh ‘Abdu’l-Karim Murad, Translated by: Aicha bewley(2001). Madina Press(2004), p.15.

(4) في المؤتمر العالمي الثاني عشر للفقه المالكي، الذي عقد في رأس الرجاء الصالح بجنوب إفريقيا، أيام: 17و18و19 من أكتوبر: 2009م، افتتح الشيخ عبد القادر الصوفي كلمته بالدعاء للملك محمد السادس بالتوفيق والسداد وبالتأييد على الأعداء وبالحفظ من شر المتربصين به وبحكمه. ولم يدع لأحد من الزعماء العرب أو العجم، وكنت أنا من ضمن الحاضرين في هذه الندوة.

مسجد (Cheetham Hill Mosque) بمدينة مانشستر بأنجلترا، نجد الشيخ عبد القادر يختم كلامه بإهداء الفاتحة إلى روح الملك الحسن الثاني والدعاء له قائلا:

"الفاتحة... نسألك يا الله أن تنزل شآبيب رحمتك على روح ملك المغرب الحسن وأن تكلأه بمغفرتك الواسعة لدفاعه عن الإسلام ولدعمه إياه ضد جميع المحاولات لتمزيق عروة الإسلام في دولته. ونسألك يا الله أن تقوي ولده وأن تجعله حاميا لشعبه وحصنا لهم من شرور الديمقراطية.. الفاتحة لملك المغرب"[1].

إن أهمية الشيخ عبد القادر الصوفي وقيمته في الغرب اليوم لا تنبع فقط من كونه مفكرا مشاكسا، ومنظرا اقتصاديا، وشيخا صوفيا وعالما مسلما مجددا، بل ترجع أيضا إلى كثرة أتباعه كمًّا ونوعا في العديد من دول العالم، مما أدى إلى قوة جماعته الصوفية وتحكمها في العديد من المؤسسات الإسلامية الغربية كهيئة علماء اتحاد مسلمي أوروبا، واتحاد المحامين المسلمين الأوروبيين، ناهيك عن توفر جماعته على شبكة قوية من الوسائط السمعية البصرية ووسائل الإعلام المكتوبة بمختلف اللغات الأوروبية، ونشاطها الكبير على مستوى ترجمة المتون الإسلامية الأساسية في الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية والطريقة الصوفية.. الأمر الذي يجعل موقفه من إمارة المؤمنين ومن الملكية المغربية موقفا رائدا يستحق الأخذ بعين الاعتبار سواء في الدراسات الدينية أو السياسية أو الأكاديمية البحثية داخل المغرب لإبراز الوجه الحضاري والديني المشرق لهذا البلد.

(1) Shaykh Dr. Abdalqadir as-Sufi, Discouse on The Ocassion of the Urs of Mawlana Abdalqadir al-Jaylani, Cheetham Hill Mosque, Manchester (July 1999), P: 25.

المبحث الثالث: الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية

المطلب الأول: الطريقة الصوفية البودشيشية: ظاهرة التصوف المغربي أواخر القرن العشرين:

أصبحت الطريقة البودشيشية منذ أربعة عقود من الزمن "ظاهرة" بالفعل، بالمفهوم السوسيولوجي للكلمة، وأخذت هذه الظاهرة تفرض نفسها على الدارسين والمتتبعين يوما بعد يوم، حتى شكلت في السنوات الأخيرة محورا للعديد من الرسائل والأطروحات فضلا عن المتابعة الإعلامية الواسعة، وذلك بفعل الانضمام المتزايد لأعداد كبيرة من المريدين إليها من مختلف الشرائح، وخصوصا فئة الشباب والمثقفين الكبار من داخل المغرب وخارجه، حيث تجاوز انتشارها وإشعاعها المغرب ليمتد إلى كثير من البلاد الإسلامية، بالإضافة إلى أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، وقد أرجع الباحث منير القادري بودشيش، الانتشار الذي تعرفه الطريقة في أوروبا إلى الفراغ الروحي الذي يعاني منه الغربيون، يقول في هذا السياق:

"الإشعاع الصوفي للطريقة نابع من الفراغ الروحي الذي يعيشه المجتمع الأوروبي الواقع تحت هيمنة الماديات وإقصاء البعد الروحي، وبذلك يفتقد الإنسان الغربي السعادة والتوازن. والطريقة، بصفة خاصة، والمغرب بصفة عامة، لهما دور ريادي في مجال العمل من أجل إشعاع القيم الروحية والأخلاق العالية، من أجل تواصل الحضارات وحوار الأديان، بدون أن ننسى الدور الذي تلعبه الطريقة بالخارج في تأطير الجالية المغربية وتحصينها من التيارات الهدامة"(1).

(1) جريدة الصباح، عدد: 2786 بتاريخ 26مارس2009م، حوار مع منير القادري بودشيش، أجراه: =

توجد زوايا فرعية للطريقة البودشيشية يرتادها المريدون ويقيمون فيها شعائر التصوف، ورغم غياب إحصاءات دقيقة عن عدد المنتمين للطريقة إلا أن بعض التقديرات تؤكد أن عددهم يفوق مائة ألف؛ ففي سنة 2002م قُدّر عدد الذين حضروا مراسم الاحتفال بذكرى المولد النبوي في الزاوية البودشيشية ب 15000 شخص[1]. ومع متمّ سنة 2009 ارتفع هذا العدد إلى 100 ألف حسب تقديرات الصحافة [2].

المطلب الثاني: الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة: البدايات الأولى والأنشطة:

ومن ضمن البلدان التي تشهد اليوم إقبالا خاصا على الطريقة البودشيشية، إن على مستوى السلوك الصوفي أو على مستوى الاهتمام الأكاديمي، نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي وصلتها الطريقة القادرية البودشيشية مع مستهل ثمانينات القرن العشرين بواسطة بعض المهاجرين المغاربة، حيث تم تأسيس أول اجتماع لها مع بداية التسعينات في ولاية كونيكتيكيت (the State of Connecticut) الذي كان يسيره حينئذ الأستاذ أحمد قسطاس باعتباره مقدما للشيخ سيدي حمزة، وكان يحضره بالإضافة إلى المهاجرين المغاربة مهاجرون من شبه الجزيرة الهندية، وبعض الأمريكيين المتحولين إلى الإسلام. بعد ذلك توسعت قاعدة الطريقة القادرية البودشيشية في أمريكا لتنتقل إلى مدن وولايات أخرى مثل: كاليفورنيا، نيومكسيكو، سان فرانسيسكو، نيويورك، فيرجينيا، إنديانابوليس،

-

جمال بورفيسي.

(1) الأسبوع الصحفي، ماي 2002م.

(2) الصباح، 20 مارس، 2009.

فيلاديلفيا، نيوجرزي، لاس فيكاس واشنطن وبوسطن، حيث تضم هذه المدن الثلاث الأخيرة أكبر تجمع لمريدي الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة، وهو ما جعل أغلب الأنشطة ترتكز فيها، لا سيما الاعتكافات السنوية التي تكون فرصة للقاء والتواصل وتجديد المعارف بين مريدي الطريقة في الولايات المتحدة، حيث أقيم اعتكاف سنة: 2006م في مدينة: لاس فيكاس، واعتكاف 2007م في مدينة نيومكسيكو، و2008م في لاس فيكاس، وواشنطن سنة:2009م، وآخر في نفس السنة في لاس فيكاس، وسنة:2010م في واشنطن حيث حضره ما يقارب 60 شخصا من مريدي الطريقة ومحبيها ذكورا وإناثا، في حين عُقِد اعتكاف سنة2011م في غرب فيرجينيا مابين 19و22 ماي.

بالإضافة إلى الاعتكافات السنوية، يعقد أتباع الطريقة البودشيشية اجتماعات أسبوعية في مدنهم[1]، وأحيانا مرة في كل أسبوعين لا سيما إذا كان عدد المريدين قليلا في تلك المدن أو يبتعدون عن بعضهم البعض بمسافات كبيرة. وتكون هذه الاجتماعات فرصة لترديد أذكار الطريقة والاستماع إلى درس خفيف ثم تخصص فسحة للسماع الصوفي. وما يميز اجتماعات الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة هو أن بعضها كان يضم في حلقة واحدة الذكور والإناث معا[2]. إن أنشطة الطريقة القادرية البودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية لا تقتصر فقط على الاعتكافات واجتماعات الذكر والسماع، بل تمتد إلى مجال الدعوة الإسلامية، حيث ينشط بعض الفقراء البودشيشيين في تصميم المواقع الإلكترونية الموجهة

(1) يجتمعون في نيوجرزي مرة كل سبت، وأغلب مرتادي هذا المجلس هم من الأفرو- أمريكيين المتحولين إلى الإسلام، ومهاجر مغربي وأمريكي أبيض.

(2) نقلا عن إحدى المريدات المغربيات التي تحضر اجتماعات فيرجينيا إلى جانب الرجال.

إلى دعوة الأمريكيين على وجه الخصوص إلى الإسلام من باب التصوف، ومن أشهر هذه المواقع: www.sidihamza.us وhttp://www.sufione.org/. والزاويا البودشيشية في الولايات المتحدة حاضرة اعلاميا عبر الاستجوابات التي يجريها أعضاؤها مع مختلف وسائل الإعلام الأمريكية[1].

المطلب الثالث: حضور أكاديمي للطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة:

1 - حضور البودشيشية في الدراسات الأكاديمية الإنجليزية للدارسين الغربيين:

البودشيشية الآن من بين أهم الطرق الصوفية المغربية التي تجلب إليها أنظار الباحثين الجامعيين والمتخصصين في الدراسات الدينية أو الأنتربولوجية أو السوسيولوجية، حيث دُرست في العديد من المقالات المتخصصة من طرف باحثين أنجلوساكسونيين؛ فمثلا نجد في كتاب: *التصوف و"الحديث" في الإسلام* (Sufism and the « Modern » in Islam) مقالة لباتريك هاني (Patrick Haenni) ورفاييل فوا (Raphael Voix) تحت عنوان: « God by All Means...Eclectic faith and sufi resurgence among the Moroccan bourgoisie » حاولا من خلالها مناقشة أسباب انجذاب النخبة البورجوازية الناطقة بالفرنسية في المغرب إلى الطريقة البودشيشية كنمط

(1) أذكر منها حوار ذاكرة بيزلي مع الراديو الصوفي الذي تديره الصوفية الأمريكية (Wendy McLaughlin) إحدى مريدات الشيخ سيدي محمد جمال الشاذلي المقدسي، وفي هذا الإستجواب تحدثت الأمريكية بيزلي عن اعتناقها الإسلام وأخذها النسبة الصوفية من الشيخ سيدي حمزة القادري البودشيشي، حيث كان الشيخ حمزة رضي الله عنه، في السبعينات من القرن الماضي، يتنبأ بوجود الآلاف من الأتباع للطريقة في حين لم تكن الطريقة منتشرة إلا وسط عدد محدود من الأتباع وتحدثت عن الآف المريدين والمريدات الذين يقصدون الزاوية الآن مما أثبت صدق فراسة الشيخ.

لإبراز تدينهم الحداثي، هذا الانجذاب الذي لا تفسر أسبابه بالرجوع إلى الأصل أو العودة إلى الجدور لأسباب عدة منها أن هذه النخب تنحدر في مجملها من أسر علمانية تفتقد إلى أية مرجعية دينية، كما أنهم درسوا في المعاهد العلمانية الفرنسية، وأن انجذابهم يرجع بالأساس إلى تأثرهم بالخطاب الحداثي حول التصوف بشكل خاص أو الروحانية بشكل عام، وبالرغم من محاولة الباحثين الاستعانة بنماذج في تحليل معطياتهما إلا أنهما وقعا رهينة التعميم، ليخلصا في الأخير أن خطاب الباحث الأنثربولوجي فوزي الصقلي -أحد منتسبي الطريقة البودشيشية- مثلا يكون أكثر تأثيرا في نفوس هؤلاء النخبة من الشيخ نفسه، وهذا يتناقض مع ما ذهبا إليه في البداية من أن أسباب امتداد الطريقة -واستقطابها للنخب إنما يرجع إلى الإصلاح الذي عرفته الطريقة في سياق تحولها من طريقة "تبركية" إلى "طريقة تربوية"، كما ينم عن جهلهما لأبسط قواعد التصوف التربوي الذي يدور محوره حول مركزية "الشيخ المربي" باعتباره رمزا وفي الآن ذاته قدوة حية ينبغي استحضارها، بل والتماهي فيها ومعها خلال السفر الروحي للمريد السالك(1).

تحليل آخر شبيه ولكنه أكثر اعتدالا وتوازنا نجده في مقالة الكاتب مارك سيدغويك المعنونة:

« In Search of a Counter-Reformation: Anti-Sufi Stereotypes and the Budshishiyya's Response »

نشرت له سنة: 2004م في كتاب: *إصلاح إسلامي؟* (An Islamic Reformation ?)، والتي يناقش فيها ما يسميه "بالإصلاح

(1) Patrick Haenni & Raphael Voix, "God by All Means...Eclectic faith and sufi resurgence among the Moroccan bourgoisie" in: Sufism and the « Modern » in Islam, edited by: Martin Van Bruinessen & Julia Day Howell, Published by I.B.Tauris & Co Ltd, London, New York (2007), pp.241-256.

المضاد" الذي قامت به بعض الطرق الصوفية كرد فعل على ما يسمى بحركة "الإصلاح" التي سادت القرن العشرين، حيث يذهب الباحث إلى أن الطريقة البودشيشية تعتبر من الطرق الصوفية القليلة التي تمكنت من استقطاب عناصر من النخب العربية المفكرة بالرغم من الحملات الشعواء ضد التصوف التي قادتها كل من الحركات الإصلاحية، والسلفية، والوهابية، والحركات القومية، والإيديولوجية ومن الأحزاب السياسية الفتية في العالم العربي خلال منتصف القرن الماضي، ومثله مثل باتريك هاني ورفاييل فوا[1] يذهب سيدغويك إلى أن مرحلة الاستقطاب في هذه الطريقة بدأت مع الشيخ العباس البودشيشي (ت.1972) الذي استطاع أن يقنع عبد السلام الوالي أحد المثقفين الاشتراكيين الذي أخذ على نفسه بدافع إيديولوجي مسؤولية الحد من امتداد الطريقة البودشيشية بمقابلة شيخها العباس لإقناعه بتعديل مساره لكن عوض ذلك سيتراجع عبد السلام الوالي عن اشتراكيته بعد الحديث إلى الحاج العباس وسينتمي إلى الطريقة البودشيشية، سيتبعه بعد ذلك عدد من معارفه السياسيين الذين ينتمون إلى النخبة الفرنكفونية[2]. ستعزز الطريقة البودشيشية في عهد شيخها الحالي حمزة القادري بودشيش بانتساب عدد آخر من أبرز المفكرين في المغرب والعالم العربي مثل الفيلسوف: طه عبدالرحمن، والمؤرخ والأديب أحمد التوفيق، والأنثربولوجي فوزي الصقلي، بالإضافة إلى العديد من الأساتذة الجامعيين والأطر العلمية التي يتحمل بعضها مسؤولية تسيير شؤون الطريقة في مدينته كمقدمين عن الشيخ حمزة [3].

(1) Ibid, p.245.
(2) Sedgwick, Mark. "In Search of the Counter-Reformation: Anti-Sufi Stereotypes and the Budshishiyya's Response" in: Charles Kurzman and Michael Browers, eds, An Islamic Reformation? Lanham, Md: Lexington Books, (2004), p.134.
(3) Ibid, p..135

على عكس باتريك هاني ورفاييل فوا، يؤكد مارك سيدغويك أن نجاح البودشيشية في استقطاب العديد من المريدين لا سيما المثقفين منهم ترجع إلى شخصية الشيخ نفسه والتي يُقِرُّ أغلب أتباعه بجاذبيته الخاصة وبقدسيته الكاريزماتية، وأيضا بمهارته في الحد من تكبر المثقفين[1].

يفسر مارك سيدغويك نجاح الطريقة البودشيشية في امتصاص المواقف العدائية للتصوف بالنهج الحداثي الذي يعتمده الشيخ حمزة في تسيير طريقته، والذي يقوم على تكوين المريدين تكوينا شرعيا متينا بحكم تأكيده على أن طريقته مبنية على الكتاب والسنة، وأيضا من خلال تشجيعه للجامعة الصيفية التي تعقد في الزاوية بمداغ صيف كل سنة لتدارس وتدريس مختلف العلوم الدينية والفكرية، والتي تستقطب عددا كبيرا من الشباب والأطفال ذكورا وإناثا، وأيضا من خلال تعدد المحاضرات والندوات التي يقوم بها علماء الطريقة المغاربة على امتداد السنة عبر ربوع المغرب، بالإضافة إلى توفر الطريقة على مجموعة من المنابر الإعلامية كجريدة الإشارة، والمواقع الالكترونية خاصة تلك الموجهة إلى النخب الفرنكفونية. وعدم تشدد الطريقة في أمور اللباس الشرعي لا سيما مع المريدين الجدد ومع المتحولين إلى الإسلام جعلتها تستقطب بعض المثقفات الحداثيات كزكية زوانات[2] مثلا [3].

بالرغم من حداثة الطريقة البودشيشية مقارنة مع الطرق الصوفية المغربية الأخرى إلا أنها أصبحت تحظى بحيز هام من الدراسات الأكاديمية، لا سيما

---

(1) Ibid, p..139

(2) أنتروبولوجية مغربية (1957-2012م)، عُرفت بأعمالها حول التصوف المغربي.

(3) Sedgwick, Mark. "In Search of the Counter-Reformation: Anti-Sufi Stereotypes and the Budshishiyya's Response". (Op.Cit), p..136

الجامعية منها؛ فهناك العديد من الرسائل والبحوث التي تنجز حول هذه الطريقة الظاهرة وانتشارها في الغرب[1]، ولعل أحدث ما نوقش في المجال رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه باللغة الإنجليزية من جامعة لندن، قسم الدراسات الإفريقية والشرقية، أعدتها الباحثة الإسبانية: مارتا دومينغيز دياز (MartaDominguez Diaz)[2]، وهي محاولة من الباحثة لدراسة التغيرات عبر-القومية التي طرأت على الطريقة البودشيشية في سياق انتشارها في أوروبا الغربية حاليا، عبر استعانتها بتحليل المعطيات التي جمعتها من خلال استطلاع آراء مريدي الطريقة البودشيشية لا سيما العنصر النسوي منهم، بالإضافة إلى ملاحظاتها الشخصية التي استقتها مما شاهدته من زياراتها المتعددة للزوايا البودشيشية في كل من فرنسا، بريطانيا، إسبانيا وبلجيكا. وقد كانت بعض الخلاصات التي استقتها الباحثة من هذه الرسالة موضوع مقالة[3] شاركت بها في مؤتمر دولي بلندن[4]، وخلالها تعرضت إلى التنوع في أسباب الإقبال على الدخول إلى الطريقة البودشيشية في الغرب، هذا التنوع يجسده تصنيف مريدي الطريقة في أوروبا الغربية إلى أصناف أربعة:

- الصنف الأول: ويمثله العمال المغاربة المهاجرون، لا سيما من

---

(1) أعرف اثنين منهم في الجامعات الأمريكية، وثالثة بإحدى الجامعات الفرنسية.

(2) Marta Dominguez Diaz, "Revisiting Moroccan Sufism and Re-Islamicising Secular Audiences: Female Religious Narratives in the Tariqa Qadiriyya Budshishiyya in Morocco and Western Europe Today" (unpublished Phd thesis, School of Oriental and African Studies, 2010).

(3) Marta Dominguez Diaz, "Maping a European Branch of the Qadiriyya: Local Embodiments of a Global Sufi Order" in the 2008 International Conference.Organized by INFORM and CESNUR in association with ISORECEA at the London School of Economics, 16-20th April 2008, Under the title of: Twenty Years and More: Research into Minority Religions, New Religious Movements and 'the New Spirituality'.

(4) الباحثة نفسها شاركت أيضا في ندوات أخرى بمحاضرات حول الطريقة البودشيشية في الغرب، ومن مداخلاتها نجد:

- Spanish Budshishiyya: Local Embodiment of a Global Sufi Order
- Imagining the Umma and striving for legitimation: the conflictual interaction between the Būdshīshiyya and its European context(s).

شمال المغرب، والذين ترجع عوامل اختيارهم البودشيشية إلى رغبتهم في الحفاظ على القيم المغربية الأصيلة في التدين ونقلها إلى الأجيال الموالية، وهذا الصنف قليل التواصل مع الصنف الموالي بحسب الباحثة.

- الصنف الثاني: ويمثله خاصة الفرنسيون المتحولون إلى الإسلام والذين يؤمنون بالفلسفة التقليدية (Traditionalism) أو السرمدية (Perrenialism)؛ أي أولئك المتأثرون بأفكار ريني غينو وفريثجوف شيوون. وتذكر الباحثة أن هذه المجموعة كان لها دور كبير في تأسيس الوجود البودشيشي ليس فقط في فرنسا بل وفي أوربا كلها، وأشارت إلى أن من رواد البودشيشية في المغرب من هو متأثر بالفكر الغينوني[1] وكان له دور كبير في نشره وتعميمه على نخبة الطبقة المتوسطة والعليا من المجتمع المغربي.

- الصنف الثالث: هو ما أسمته الباحثه ب"الزهاد"، أي أولئك الذين يقصدون من وراء اتخاذ طريق التصوف تحقيق نوع من الكمال الروحي واختبار التواصل الوجداني مع الإله، ويفوق هذا الصنف بقية الأصناف عددا، كما يعرف بالالتزام الثابت في تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا تاما، وبعدم الخروج قيد أنملة عن تعاليم شيخ الطريقة سيدي حمزة الذي يكنون له الولاء والطاعة الكاملة.

الصنف الرابع والأخير يتكون - حسب الباحثة- من أولئك الأوروبيين ذوي الأصول الإسلامية والذين يسميهم علماء الاجتماع بـ"المرتدين: Reverts"، وهم أولئك الذين ولدوا مسلمين ولكن دون أن يكتسبوا أية قناعة أو مرجعية دينية وهم يقصدون التصوف لتعويض ذلك الإحساس.

---

(١) أجمع كل الدارسين للطريقة البودشيشية المشار إليهم في هذه الدراسة إلى أهمية شخصية فوزي الصقلي في هذا المسار تأثيرا وتأثرا.

أطروحة أخرى قدمت إلى جامعة برمنجهام، ثمان سنوات قبل ذلك، للحصول على درجة دكتوراه في الفلسفة، من طرف الباحث أيان مصطفى دريبر، تحت عنوان[1]:" نحو تصوف ما بعد الحداثة: الانتقائية، الاعتمادات والتكيف في الطريقتين النقشبندية والقادرية في المملكة المتحدة"،

(Towards A Postmodern Sufism: Eclecticism, Appropriation and Adaptation In A Naqshbandiyya and a Qadiriyya Tariqa In The UK)

تناولت هذه الأطروحة سردا إثنوغرافيا للطريقتين: الحقانية النقشبندية للشيخ ناظم الحقاني في شمال قبرص، والقادرية البودتشيشية للشيخ سيدي حمزة القادري بودشيش في المغرب.

فيما يتعلق بالطريقة القادرية البودشيشية، حاول الكاتب في محاور أطروحته إعطاء نظرة شاملة عن مسار هذه الطريقة التاريخي من خلال التطرق إلى مشائخها، انطلاقا من مؤسس القادرية الإمام عبد القادر الجيلاني، وصولا إلى فرعها البودشيشي المغربي الذي يتزعمه حاليا الشيخ سيدي حمزة القادري بودشيش، الذي يعتمد اسلوب الإكثار من ذكر الله كوسيلة لتهذيب النفس والوصول بها إلى الحقيقة المطلقة، لينتقل بعدها إلى إبراز مدى تفاعلها وتكيفها مع السياقات الثقافية الخاصة للمملكة المتحدة، بل ومع جوانب الثقافة المعاصرة ككل، ومع بيئة ما بعد الحداثة أيضا.

تناول الباحث، بعد ذلك، بالدرس والتحليل حضور الطريقة البودشيشية الراهن في أوروبا، موضحا كيف أن شعبيتها أصبحت متزايدة أكثر من أي وقت مضى، حيث استطاعت الطريقة البودشيشية أن تضمن لها عددا هاما ومتزايدا من الأتباع في عاصمتي أوروبا: باريس وبروكسيل، بل

(1) Draper, Mustafa. Towards A Postmodern Sufism: Eclecticism, Appropriation and Adaptation In A Naqshbandiyya and a Qadiriyya Tariqa In The UK. (Unpublished doctoral dissertation). The University of Birmingham, UK. 2002.

وفي الولايات المتحدة، بالإضافة إلى مالي بإفريقيا وحتى ماليزيا بآسيا.

ثم انتقل الكاتب بعد ذلك، لدراسة حضور هذه الطريقة في المملكة المتحدة حيث بَيَّنَ أن تأسيس هذه الطريقة في المملكة المتحدة يرتبط بالشيخ السكوتلاندي عبد القادر الصوفي الذي كان السبب المباشر في تحول العديد من البريطانيين إلى الإسلام، والذين وجدوا بعد ذلك في الطريقة البودشيشية وشيخها سيدي حمزة موردهم الروحي، مشيرا إلى أن المجموعات الرئيسية التي تشكل مراكز الطريقة في المملكة المتحدة توجد في لندن، وبرادفورد ونوتنغهام، وتُعرَف بتنوع خلفيات أتباعها بين العرب والباكستانيين والمتحولين الغربيين.

تطرق الباحث بعد ذلك، إلى تنظيم هذه الطريقة في المملكة المتحدة، واصفا إياها ب"المحكمة التنظيم"، حيث إن لكل منطقة بالمملكة المتحدة "مُقَدَّمًا" يتم تعيينه من قبل المجموعة، والذي صادق عليه المقدم الرئيسي للمملكة المتحدة الذي يرجع في قراراته إلى المقدم المتواجد بالمغرب، وتحتفظ الطريقة في المملكة المتحدة بعلاقات وطيدة جدا مع فروع الطريقة بباريس وبروكسل باعتبارها أساسا جزء من الفرع الأوروبي.

بعد مناقشة الباحث حضور الطريقة البودشيشية في المملكة المتحدة على وجه الخصوص، انتقل لإبراز وضعها في أوربا ككل بشكل عام، حيث بَيَّن أن المركزين الرئيسين للطريقة في أوروبا يوجدان في باريس وبروكسل التي تتوفر على زاوية واسعة جدا. مشيرا إلى أن المجموعة الفرنسية تتكون من شقين، أحدهما مغربي يضم المهاجرين المغاربة فقط، والآخر يتكون من المتحولين الفرنسيين، وهما يختلفان تماما عن بعضهما البعض، بحكم تعليمات الشيخ سيدي حمزة الموجهة إلى الفقراء الفرنسيين المتحولين بضرورة تطوير نظرة مميزة للطريقة قصد تسهيل عملية انتشارها في الأوساط

الفرنسية.

هكذا، ختم الباحث محوره الخاص بالطريقة البودشيشية داخل السياق البريطاني المعاصر بالتأكيد على أنه بالرغم من أن البودشيشية تتكون من مجموعات صغيرة داخل المملكة المتحدة تشكل نسبة محدودة، لكنها ذات دينامية وحركية أكبر على صعيد أوروبا تجعلها ذات أهمية خاصة ومتميزة.

2- حضور أكاديمي للبودشيشية في الولايات المتحدة من خلال مريديها المغاربة والأمريكيين:

حضور الطريقة البودشيشية في حقل الدراسات الأكاديمية في الغرب الأنجلوساكسوني عامة وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص لا يقتصر على الأبحاث والمقالات والرسائل والمحاضرات التي يقوم بها الغربيون فقط، بل نجد أن من داخل مريدي الطريقة، سواء كانوا مغاربة أو أمريكيين من أصبحت له إصدارات ومشاركات هامة تقرب الأمريكيين أكثر من معرفة هذه الطريقة، كما يكون الهدف من ورائها الدفاع عن الطريقة وعن التصوف بشكل عام، ويدخل في هذا السياق المحاضرات والعروض التي يقدمها مسؤولوا الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ نذكر على سبيل المثال: أحمد قسطاس، مقدم سابق للطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية الذي قدم العديد من المحاضرات والعروض حول التصوف بشكل عام ومبادئ الطريقة البودشيشية بشكل خاص[1].

لعل من أبرز الفاعلين الآن في المجال الأكاديمي المرتبط بالبودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية، نجد الباحث المغربي الواعد عبد الإله

(1) ينظر النص العربي لإحدى محاضرته التي ألقاها في ندوة: "وحدة المسلمين" المنعقدة بلوس أنجلوس أيام 8 إلى 12 غشت 1996م في: مجلة المريد، العدد: 8، سنة: 1996م، صص: 60-64.

بوعسرية، أحد المنتسبين للطريقة البودشيشية، الذي أصبحت مساهماته في محاولة دراسة الطريقة خصوصا من وجهة نظر سوسيولوجية تجد صداها في الوسط الأكاديمي الناطق باللغة الإنجليزية، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، فأطروحته لنيل رسالة الدكتوراه من جامعة واشنطن هي الآن قيد الطبع، كما أنه سبق وأن أصدر كتابا باللغة الإنجليزية تحت عنوان: (Master and disciple: Morocco's authoritarianism or the other face of Islam)، ومعناه: "الشيخ والمريد سلطوية المغرب أو الوجه الآخر للإسلام"، ومن خلال هذا الكتاب يحاول عبد الإله بوعسرية الرد على الباحث الأنتربولوجي المغربي عبد الله حمودي صاحب كتاب (الشيخ والمريد).

أصبح عبد الاله بوعسرية يتحدث عن الطريقة البودشيشية في العديد من المنابر الأكاديمية حيث سبق أن شارك في ندوة نظمها مركز دراسات الشرق الأدنى خلال شهر فبراير من سنة:2009م، حول موضوع: تصوف شمال إفريقيا في سياقه العالمي (North African Sufism in World Context) بمداخلة تحمل عنوان: الطريقة البودشيشية المغربية أو سياسات الحضور (The Moroccan Boutchichi Order or the Politics of Presence)، تناول فيها بالتحليل تطور الطريقة البودشيشية من حركة اجتماعية غير سياسية المصدر إلى مرحلة الانتماء الحكومي، مما وضعها في خط معارض لجماعة العدل والإحسان التي كان زعيمها ومرشدها الروحي عبد السلام ياسين مريدا بودشيشيا. في هذه المداخلة أيضا تطرق الباحث إلى جذور الطريقة وتساءل عن روابطها مع الطريقة التيجانية، ثم حاول استكشاف استراتيجية تغيير اسم الطريقة وغيرها من الخطوات التكتيكية في فسيفساء التصوف المغربي، وقد ركز الباحث بشكل أساسي على العلاقة بين النظام

الحاكم والطريقة القائمة على المساعدة المشتركة. ومن خلال نماذج من كتابات مريديها وصل إلى فكرة مفادها أن الطريقة تمثل حركة سلمية تامة[1].

المطلب الرابع: حضور ميداني للبودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية:

1 - حضور في الملتقيات الصوفية داخل الولايات المتحدة:

تحضر الطريقة البودشيشية في أمريكا ليس فقط كتبا أو أبحاثا أكاديمية أو محاضرات عامة، وإنما تحضر أيضا في سياق آخر أكثر تعمقا وتجدرا في النفس، وذلك باعتبارها تجربة خاصة ورحلة حية لا يقف البعد الجغرافي ولا شساعة المحيط الأطلسي حاجرا دون سفر أرواح مريديها إلى مرشدها الروحي، كما هو حال الأمريكية البيضاء البشرة ذاكرة بيزلي، التي حكت رحلتها المادية والمعنوية إلى شيخ الطريقة البودشيشية حمزة القادري في المؤتمر الصوفي[2] الذي انعقد في كاليفورنيا من: 16 إلى 19 أكتوبر2008م.

يمكن عدُّ ذاكرة بيزلي نموذجا لهذا الحضور البودشيشي السلوكي النشيط في الولايات المتحدة؛ إذ هي إحدى النساء الأمريكيات النشيطات داخل الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب زوجها فال بيزلي، فهما معا يديران اجتماعا للفقيرات والفقراء ينعقد مرة كل أسبوع في مدينة فيرجينيا، وكانت **ذاكرة** قد بدأت مسارها الصوفي سنة: 1972م من خلال تأثرها بتعاليم حضرة عنايت خان والمرشد صاميول لويس. وفي خريف سنة 2001 م كانت تستعد للدخول في خلوة مع زملائها لكن

(1) Bouasria, Abdelilah."The Moroccan Boutchichi Order or the Politics of Presence" in: A symposium on Sufi movements from North Africa and their influence in a global context.orgnized by: Center for Near Eastern Studies • Los Angeles, CALIFORNIA; (Thursday, February 12, 2009).

(2) ينعقد هذا المؤتمر كل سنة ويحضره متصوفة من أمريكا وأوروبا ومهتمون من كل مكان, يكون تحت عنوان: "احتفال بالحكمة والحب الصوفي"، ويشرف عليه ضياء [حفيد] عنايت خان.

تخلفهم عن المجيء سبب لها توترا كبيرا، ومع ذلك قررت أن تخوض التجربة بنفسها فدخلت الخلوة وأخذت في ترديد الأدعية والصلوات العميقة، وفي ذلك اليوم شاهدت رؤيا للشيخ حمزة القادري البودشيشي الذي لم تكن تجمعها به أية روابط، بالرغم من أنها كانت قد سمعت به من قبل، بعد ذلك أدركت أنها بحاجة إلى شيخ حي وأن الطريقة البودشيشية هي أفضل نموذج حي يمكن أن يتخذ في سلك هذا المسار، وبالفعل التحقت بزوجها في أخذ البيعة عن الشيخ، الذي لم تتمكن من رؤيته والجلوس إليه إلى بعد رحلات متكررة إلى مقر الطريقة في مداغ شرق المغرب.

حكت ذاكرة **بيزلي** رحلتها إلى الشيخ سيدي حمزة بتأثر عميق بدا عليها، وعلى الحضور الذين تابعوا بشغف كيف أصيبت بحالة وجدانية معقدة وهي وسط الفقيرات البودشيشيات في فاس تناجي ربها من الأعماق، وكيف أنها ستستجيب بعسر لعدم تداول أي أذكار أخرى كي لا تزداد أوضاعها الروحية تعقدا، وكيف ستصل في النهاية إلى بر الأمان بلقاء الشيخ حمزة والتحدث إليه.

إن حكاية ذاكرة بيزلي تنقلنا إلى عالم آخر أكثر عمقا وتجوهرا إنه عالم التصوف بخصوصياته التي تتجاوز الحدود الأكاديمية وحتى المنطقية إلى حدود مطلقة منفتحة على الباطن والروح.

2 - حضور في وسائل الإعلام الأمريكية والمواقع الإلكترونية:

تحضر الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة إعلاميا عبر الاستجوابات التي يجريها أعضاؤها مع مختلف وسائل الإعلام الأمريكية، نذكر منها حوار **ذاكرة بيزلي** مع الراديو الصوفي (KWMR) الذي تديره الصوفية الأمريكية **ماكويندي** إحدى مريدات الشيخ جمال الشاذلي المقدسي، شيخ الطريقة الشاذلية اليشروطية. حيث تحدثت الأمريكية بيزلي

في هذا الاستجواب[1] عن اعتناقها الإسلام وأخذها النسبة الصوفية من الشيخ سيدي حمزة القادري البودشيشي في التسعينيات من القرن العشرين، وكيف كان الشيخ حمزة يتنبأ بانتشار الطريقة واستقطابها لآلاف الأتباع في الوقت الذي لم تكن الطريقة منتشرة حينئذ إلا وسط عدد محدود من الناس، كما تحدثت عن حشود هائلة من المريدين والمريدات الذين يقصدون الزاوية في وقتنا الحاضر مما أثبت صدق فراسة الشيخ.

تحضر الطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة أيضا، من خلال مجموعة من المواقع الإلكترونية، منها: http://www.sufione.org/، وكذلك:http://www.sidihamza.us الذي يضم بطاقة تعريفية بالطريقة وبشيوخها السابقين وبمختلف أنشطتها داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

لتقريب المسافة بين فقراء الطريقة البودشيشية داخل الولايات الأمريكية المترامية الأطراف؛ فقد أصبحوا يلجأون إلى توظيف التكنولوجيا الحديثة كالإم إس إن (MSN) والسكايب(Skype) والهواتف النقالة للاجتماع على الوظيفة والأذكار[2]. وهي طريقة ستكون ناجعة في المستقبل للم شمل كل فقراء الطريقة وتوحيدهم في اجتماعات ذكر كبرى لا يحول البعد الجغرافي دون تحققها.

أما فيما يخص التأثير الأدبي سواء في جنسه النثري أو الشعري، فإنه يصعب الجزم بوجود أثر بودشيشي كبير في الولايات المتحدة الأمريكية سوى شظايا من بعض القصائد الشعرية وبعض القصص القصيرة التي

---

(1) ينظر الإستجواب على الموقع التالي: http: //www.sufiradio.com/archive04.html

(2) حضرت ذكر الوظيفة عبر هاتفي النقال من مدينة شيكاغو يوم الأربعاء، 20 تموز/يوليوز، 2011م، في حين أن الاجتماع كان في مدينة فيرجينيا. وحضرت مرار بنفس الطريقة كذلك، وعلمت أن هناك من يحضر الاجتماع عبر السكايب مباشرة.

تحكي رحلات بعض هؤلاء الأمريكيين لاكتشاف التصوف الإسلامي في أحضان القادرية البودشيشية، ومردُّ تلك الندرة يعزى إلى حداثة هذا الحضور في الولايات المتحدة الأمريكية، فهو يرجع إلى منتصف التسعينات من القرن العشرين.

خلاصة: (استخلاص بعض خصوصيات التصوف المغربي في علاقته مع طبيعة المجتمع الأمريكي العرقية والثقافية)

استطاعت أغلب الطرق الصوفية المغربية الأصل أن تتكيف مع طبيعة المجتمع الأمريكي المتعدد الخصوصيات - الاجتماعية والثقافية - وإن بأشكال مختلفة.

بالرغم من خصوصية وحدة الأصل وعدم التفرع التي ميزت الطريقة التيجانية، إلا أن اصطدامها مع الخصوصية الثقافية الأمريكية أفرزت بعض الاستثناء في هذه القاعدة، ومن هذه الاستثناءات نذكر تفرع طريقتين صوفيتين شبه مستقلتين عن التيجانية، هما: "الطريقة المصطفاوية" للشيخ مصطفى جايي حيدر (Moustapha Gueye Haidar) وطريقة "الراشدون" للشيخ هارون الفقير؛ فالطريقة المصطفاوية هي طريقة صوفية أمريكية تفرعت عن الطريقة التيجانية، وهذه الطريقة الحديثة العهد يرجع أصلها إلى الشيخ مصطفى جايي حيدر (Moustapha Gueye Haidar) الذي ولد سنة:1926م، وتوفي سنة: 1989م، وهو الابن الأكبر لولي الله العالم السنغالي صعيب الذي كان معروفاً بسيرين صامبا جايي (Serigne Samba Gueye)، الذي كان شيخا للتيجانية، حيث ورثه ابنه مصطفى الذي - كما يزعم - تلقى ورده الخاص مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة:

1966م، والذي أعطى بذلك ميلاد طريقة جديدة تسمى ب"المصطفاوية"[1].

خلف الشيخ مصطفى في تسيير أمور الطريقة، بعد وفاته، نجله الأكبر سيرين محمد سعدا (Serigne Mohammad Saada)، كما نشأ عن هذه الطريقة فرع آخر في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم: "الراشدون" يتزعمه الشيخ هارون الفقير الذي يهدف إلى نشر الإسلام في أمريكا من خلال نهج صلحاء التصوف[2].

وتنتشر الطريقة المصطفاوية في العديد من المدن الأمريكية مثل: كلومبيا (COLUMBIA)، وفريجينيا (VIRGINIA)، وفيلاديلفيا (PHILADELPHIA)، وواشنطن (WASHINGTON)، وشارلوط (CHARLOTTE) وبوفور (BEAUFORT)، ومونكس كونر (MONCKS CORNER)، وبورتلاند (PORTLAND) وأرانجبورغ (ORANGEBURG).

بدأت الطريقة المصطفاوية تنشط في مجال الدعوة خاصة بين صفوف الأفرو-أمريكيين، وأيضا نجحت في استقطاب العديد من النساء؛ إذ تعتبر الشيخة الأمريكية البيضاء مريم كبير فايي من أبرز أتباع الطريقة المصطفاوية، حيث تترأس فرع الطريقة في مدينة فيلاديلفيا وتنشط في مجال الدعوة، وتدريس اللغة العربية، والقرآن الكريم والعلوم الدينية الأساسية.

من أبرز إصدارات الطريقة إلى حد الآن كتب شيخها مصطفى، خاصة كتابيه: البحر المحيط، والورد المصطفاوي، بالإضافة إلى ديوان لأهم قصائده الصوفية النبرة.

---

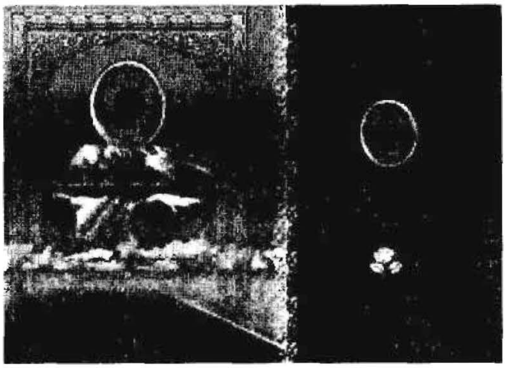
(1) ينظر موقع الطريقة المصطفاوية في: http: //www.fuqarainternational.com/.

(2) ينظر موقع الطريقة المصطفاوية في: http: //www.fuqarainternational.com/.

بعض إصدارات الطريقة المصطفاوية التيجانية:



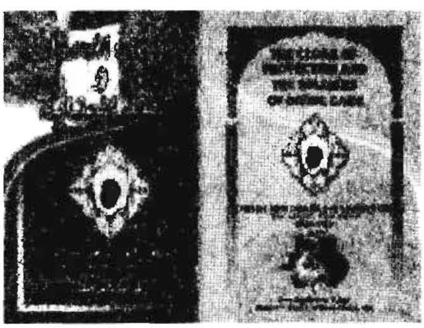
كتاب:The Mustafawi Wird -
الورد المصطفاوي
By Sheikh Moustapha



The Vast Ocean -
كتاب البحر المحيط



Oh Allah! Answer all of Our Prayers,
the Soldiers of Divine Care
By Sheikh Moustapha



The Cloak of Protection and
O Allah! - Ya Mustafa Amali
-
By Sheikh Moustapha



Sending Blessings Upon the Possessor of the Qur'an - By Sheikh Harun Al-Faqir As Senegali



The Ode of the Unvelier
- Kashif -
By Sheikh Moustapha

على الرغم من البداية المشرقة للطريقة الحبيبية الدرقاوية في أمريكا على يد نخبة من المفكرين والأدباء والموسيقيين الأمريكيين، إلا أنها تعرف اليوم خفوتا كبيرا، يمكن إرجاعه إلى عدم تلاؤم التصوف الدرقاوي المنضبط بشكل صارم لقواعد الشريعة الإسلامية، والمشحون بأفكار سياسية واقتصادية مثيرة للجدل كما قدّمه الشيخ عبد القادر مع طبيعة الأمريكيين التي تميل إلى عدم الاستقرار في كل شيء مما يتناقض مع خصوصية التصوف الإسلامي نفسه، التي تحتم الاستسلام والسكون إلى الشيخ الصوفي والانقياد له ولتعاليمه انقيادا قد يطول أمده، مما يجعلهم يعجلون الانفصال عن مشايخهم ويعملون بجد على إنشاء مجموعات صغرى حولهم، سرعان ما ينفصلون هم بدورهم ويشكلون مجموعاتهم الخاصة وهكذا دواليك... وهذا ما جعل بعض الطرق الصوفية التي تكرس كاريزمية الشيخ تفشل في ترسيخ قواعدها في الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما إذا كان شيخها ينحدر من الثقافة الغربية، كما هو حال الشيخ عبد القادر

الصوفي المرابط الذي كان من أوائل المؤسسين لمراكز صوفية في الولايات المتحدة، ولكن مجموعته لم تفلح في البقاء ولا التوسع أو الامتداد على الأراضي الأمريكية، وما بقي من أتباعه في أمريكا لا يتجاوز بعض الجماعات القليلة التي ما تزال تكن المودة للشيخ عبد القادر، وهي عبارة عن ثلة صغيرة من الأمريكيين الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام على يديه والذين إما رحلوا للعيش بجواره في جنوب إفريقيا أو ظلوا في الولايات المتحدة يحاولون لمَّ شملهم واستقطاب جيل آخر من الأمريكيين الإسبان أو الأفارقة الأصول.

أما أغلب أتباعه، لا سيما من الأمريكيين البيض، إما انسحبوا مشكلين مجموعات مستقلة كما هو حال الشيخ حمزة يوسف ونور الدين دوركي، أو غَيَّرُوا طريقتهم بغية التجريب كالشاعر دانيال مور والأكاديمي عمر الفاروق عبد الله..، أو فضلوا الاشتغال بأشكال مستقلة كالطبيب النفسي والموسيقي حكيم أرشوليطا، وأيان وايتمان.. وغيرهم كثير.

يمكن فهم هذا التحول في سياق إحساس الأفراد الأمريكيين، لا سيما البيض منهم، بالتفوق والرغبة في التجريب والتميز والتفرد والوصول بأقصى سرعة ممكنة إلى الهدف، كما يتبين من خلال كلام الباحث أندرو راولنسن الذي أرجع ما أصبح يعرف "بالتصوف الغربي" إلى "العبقرية الغربية المتميزة التي اكتشفت التقاليد الشرقية، امتصتها وفي مرحلة ما غَيَّرتها وتغيرت بواسطتها"(1).

في حين أن أتباع الشيخ عبد القادر من الأمريكيين السود، توزعوا إلى فريقين، فريق أول يكنُّ الولاء التام للجماعة ويؤمن بكاريزمية الشيخ

(1) Andrew Rawlinson, "A History of Western Sufism "in: DISKUS, vol(1) no(1) 1993 p: 45.

عبد القادر وبقطبانيته في التصوف والتجديد الديني والإصلاحي السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وأغلب عناصر هذا الفريق الأول يعيشون في جماعة منظمة في مدينة أطلانطا، في حين أن الفريق الثاني لا يرتبط بالشيخ عبد القادر بشكل وثيق، بل منهم بعض المجموعات التي انفصلت عن الشيخ عبد القادر تماما، كما حدث لجماعته في مدينة نورك (Newark ; NJ) مع بداية القرن الواحد والعشرين والتي انشقت عنه لأسباب غامضة، يرجعها الإمام المغربي الإسباني علي العراقي[1]، إمام مسجد الجماعة حينئذ وخطيبها هناك، إلى أسباب ترتبط بطبيعة الأمريكيين السود الذين يرفضون إعطاء ولائهم وتسليم زمام أمورهم بالكامل إلى زعيم أبيض من أصول أوربية، لما لذلك من ارتباط بمعاناتهم النفسية الناتجة عن فترات الاضطهاد التي تعرضوا لها من طرف الرجل الأوروبي الأبيض طيلة عهود ممتدة من العنصرية[2].

أما الطريقة البودشيشية فقد نجحت إلى حدود اللحظة في استمالة أفئدة الأمريكيين السود والبيض معا، لدعوتها القائمة على التيسير والاعتدال في كل شيء، إلا أنها استجابت بشكل أو بآخر للضغط الذي تمارسه تلك الثقافة الأمريكية عليها. يتضح ذلك من خلال فتح جلسات أذكارها أمام الجنسين معا في حلقة واحدة[3] دون حائل بينهما، كما هو الحال في الزاوية

(1) هو إمام وقاضي الجماعة اليوم في مدينة نوريتش بأنجلترا، التحق بجماعة الشيخ عبد القادر في منتصف الثمانينات في إسبانيا، بعدها عمل فقيها مؤطرا، وإماما، وخطيبا للجمعة في العديد من المساجد التابعة للطريقة في إسبانيا وجنوب إفريقيا والولايات المتحدة وبريطانيا حاليا، ترجم العديد من المتون الفقهية المالكية إلى الإسبانية والإنجليزية.

(2) حاورته في هذا الأمر على هامش الملتقى العالمي الثاني عشر للفقه المالكي، في كيب تاون بجنوب إفريقيا، بتاريخ: 17 أكتوبر: 2009م.

(3) حذر شيخ الطريقة البودشيشية سيدي حمزة من مغبة هذا الاختلاط لأنه يخرق الشريعة التي =

الأم أو فروعها في المغرب، بالإضافة إلى استعمالها لوسائل الاتصال الحديثة قصد الحضور في اجتماعات الذكر والحضرة بدل الحضور الذاتي كما هو معهود في البلاد الإسلامية. إلا أن الطريقة البودشيشية تملك قدرة أكبر على الملاءمة بين الخصوصيات الثقافية والاجتماعية الأمريكية والتصوف الإسلامي بحكم خاصية المرونة التي تتميز بها.

=

يجب أن تطبق بغض النظر عن الزمان أو المكان في شريط مصور، حصلت على نسخة منه.

الباب الرابع
التأثيرات الصوفية المغربية في الفكر والأدب والفن الأنجلوأمريكي

تقديم

يسعى هذا الباب إلى إبراز كيف أن هذا الوجود الصوفي المغربي على الأرض الأمريكية تجاوز مستوى مظاهر الحضور الطرقي إلى مجالات التأثير في الأدب الأنجلوأمريكي بجنسيه النثري والشعري، وفي الفنون الموسيقية والمسرحية والتشكيلية بالولايات المتحدة، بل حتى في فن العلاج التقليدي وفي الاهتمام بالطب النبوي؛ إذ تم التمثيل لكل نوع من الأجناس والفنون المذكورة بنموذج أو نموذجين لبحث طبيعة هذا التأثير، ولإظهار مدى مساهمة التصوف المغربي، بشكل صريح أو ضمني، في صياغة الإبداع الأنجلوأمريكي بمختلف أصنافه.

إن قوة التصوف المغربي جعلت بعض رجالاته كالشيخ أحمد زروق نبراسا يهتدى به ويقتفى أثره في مشاريع إصلاحية دينية تتوخى الرقي بأحوال الأمة الإسلامية، ليس في أمريكا فقط بل في كل العالم الإسلامي، كما هو حال مشروع الشيخ الأمريكي الشهير حمزة يوسف الذي يردد صدى أفكار الشيخ زروق في مشروعه الإصلاحي.

بالإضافة إلى الشيخ زروق يحضر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من خلال مؤلفه دلائل الخيرات بقوة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يُعدُّ هذا المؤلَّف من بين أشهر كتب الصلوات المتداولة عند الصوفية

الأمريكيين، الشيء الذي انعكس على عملية ترجمته المتكررة إلى اللغة الإنجليزية، وإلى دراسته في أبحاث أكاديمية؛ بل وإلى العناية بمتن الكتاب نفسه من خلال إعادة طبعه وتخريجه في حلة فاخرة من طرف أحد أبرز شيوخ التصوف الأمريكيين المعاصرين "نوح حاميم كلر".

الفصل الأول: تأثير أعلام ومتون صوفية مغربية في الولايات المتحدة الأمريكية: الشيخ أحمد زروق ومؤلّف دلائل الخيرات نموذجين

إن أهمية المشروع الإصلاحي للشيخ أحمد زروق جعلته نموذجا يحتذى به، لا سيما من زعماء التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية، الذين يستلهمون من تعاليمه وأفكاره مسلكا لتحرير العالم الإسلامي من الأزمة التي هو بصددها؛ لذلك نجد زعماء مسلمين ذوي الولاءات الصوفية كالأمريكي حمزة يوسف (مارك هانسن) يلتزمون بمشروع لإعادة بناء "إسلام متكامل" مع إحالة واضحة وجلية على مرجعية أحمد زروق وشرعيته النصية.

الشيخ أحمد زروق ليس الصوفي المغربي الوحيد الذي أثَّر في مشايخ التصوف في الولايات المتحدة، بل نجد أيضا الشيخ محمد بن سليمان الجزولي يحضر بقوة في الأوساط الصوفية والأكاديمية الأمريكية من خلال كتابه "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار"، الذي أثَّر بقوة في تعاليم الأمريكي نوح حاميم كلر، شيخ الطريقة الشاذلية الهاشمية، وفي اهتماماته بطبع هذا الكتاب وإخراجه في أبهى حلة تليق بمضمونه الصوفي السَّنِي.

المبحث الأول: تأثير أفكار الشيخ أحمد زروق في المشروع الديني الإصلاحي للشيخ الأمريكي حمزة يوسف هانسن

يعتبر الشيخ أحمد زروق[1] من أكبر مشايخ التصوف المغاربة الذين

(1) ولد شهاب الدين أبو الفضل أحمذ بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي (من قبيلة البرانس =

حظوا بحيز هام في حقل الدراسات السوسيوتاريخية[1] والأنتروبولوجية[2] والدينية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، ومن بين الأبحاث الأكاديمية العميقة التي تناولت الشيخ أحمد زروق وناقشت مشروعه الإصلاحي الديني نجد تلك الدراسة النقدية الشهيرة التي نشرتها جامعة إنديانا للباحث سكوت ألان كوغل (Scott Alan Kugle) تحت عنوان: التمرد بين الشريعة والروح: أحمد زروق، الولاية والمرجعية في الإسلام[3] (Rebel Between Spirit And Law: Ahmad Zarruq، Sainthood، And Authority in Islam)، بالإضافة إلى عمل الباحث الليبي **خاشم علي فهمي** تحت عنوان: "الصوفي زروق: مرشد في الطريق وزعيم إلى الحق: دراسة نقدية وسيرية لزاهد من شمال إفريقيا"[4]. عمل أكاديمي رائد أنجز حول مواقف زروق

=

الزناتية بضواحي تازا) الفاسي المالكي، الشهير بزروق الفقيه، والمحدث، والعلامة الصوفي، في فاس في 28 محرم846هـ/7يونيو1442م، خلف أحمد زروق جملة من المصنفات أكثرها في التصوف وما يتعلق به، تنظر في كتابه:

- أحمد زروق. *قواعد التصوف*، تحقيق وتقديم: عبد المجيد الخيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003)، صص: 10-12.

(1) في دراسة جد مهمة عن السلطة والمرجعية في التصوف المغربي، تطرق الباحث الأمريكي فنسنت كورنل لمقارنة بين الجزولية والوزانية في علاقتها بالسلطة السياسية والمخزن وبالإصلاح الديني والاستقطاب الصوفي، ينظر كتاب:

- Cornell, Vincent. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, Austin, Texas: University of Texas Press, (1998). (especially chapters: 6, 8, 9).

(2) يعتبر كليفورد كَيتز(Geertz,Clifford) من أكبر الأنتربولوجيين الأمريكيين الذين تخصصوا في دراسة التصوف المغربي، ينظر كتابه:

- Geertz, Clifford. Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, New Haven: Yale University Press(1968).

(3) Kugle, Scott, Rebel Between Spirit and Law: Ahmad Zarruq, Sainthood, and Authority in Islam, Indiana University Press(2006).

(4) Khashim, `Ali Fahmi, Zarruq, the Sufi: a guide in the way and a leader to the truth: a biographical and critical study of a mystic from North Africa, Tripoli, Libyan Arab Republic: General Company for Publication; (London: 1976).

وطريقته من السلطة والمخزن في مقارنة دقيقة مع ابن سليمان الجزولي وطريقته الجزولية تضمنه كتاب الباحث الأمريكي فانسنت كورنل المعنون ب"مملكة الولي: السلطة والمرجعية في التصوف المغربي"[(1)] (Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism) الذي صدر سنة: 1998م.

يأتي الاهتمام بالشيخ زروق لكونه أولا: شيخ صوفي مجدد عمل على إحياء الطريقة الشاذلية في المغرب، ولكونه ثانيا: فقيه أصولي متبحر في مختلف العلوم الشرعية، ولكونه ثالثا: صاحب مشروع إصلاح ديني متكامل ينادي بضرورة التوفيق بين السلطة الشرعية الفقهية والسلطة الدينية الروحية لخلق الانسجام في الأمة الإسلامية، حيث يرى زروق أن الفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على الأحكام الإلهية وحقوق الله. ومحاولة أحمد زروق في تحديد الصلة بين التصوف والفقه، وضبط مسائل التصوف على تشعبها بقواعد من أصول الفقه[(2)] هي محاولة أصيلة لا نجد صداها يتردد بشكل واضح عند الذين سبقوه، لكن الأهمية الفعلية والمساهمة الأساسية لأحمد زروق تكمن في كونه: "لم يقف من أزمة عصره موقف المتأمل والواصف، بل تعدى ذلك إلى الفعل وتقديم تصور غايته تجاوز هذه الأزمة والخروج من نفقها المعتم، وما تسميته لوظيفته "بسفينة النجاة" إلا كناية عن البحث عن أداة الاعتصام من طوفان الفتن ووسيلة الوصول إلى بر السلامة. وقد مهد لمشروعه هذا في "النصيحة" وهو في طريق عودته إلى المغرب، وبسطه في "القواعد" أيام استقراره به، وظل يذكر به بعد خروجه منه في "الإعانة"

(1) Cornell, Vincent. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, Austin, Texas: University of Texas Press, (1998).

(2) ينظر كتاب: أحمد زروق، قواعد التصوف، تحقيق وتقديم: عبدالمجيد الخيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003).

و"العدة""[1]، لذلك فلا غرو أن يكون قد تجاوز بقرون من الزمان العديد من الزعماء المسلمين الذين نادوا بالإصلاح والتجديد؛ ف "أحمد زروق وأتباعه كانوا هم المبادرين إلى حركة الإصلاح قرنين من الزمن قبل حركة الإصلاح التي حدثت خلال القرن الثامن عشر"[2].

المطلب الأول: أحمد زروق: المصلح الكبير وأثره في أوربا والولايات المتحدة:

إن أهمية المشروع الإصلاحي لأحمد زروق جعلت منه نموذجا يحتذى به لا سيما من زعماء التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية الذين يستلهمون من تعاليمه وأفكاره مسلكا لتحرير العالم الإسلامي من الأزمة التي هو بصددها، كما يصرح بذلك الباحث سكوت كوغل قائلا:

"إن بعض المرجعيات المُسْلمة لا تزال تستخدم شرعية زروق للتوفيق بين المواضيع الأخلاقية الصعبة في الوقت الراهن؛ لذلك نجد زعماء مسلمين ذووي الولاءات الصوفية كالشيخ حمزة يوسف (مارك هانسن) يلتزمون بمشروع لإعادة بناء "إسلام متكامل" مع إحالة واضحة وجلية على مرجعية أحمد زروق وشرعيته النصية"[3].

هذا "الإسلام المتكامل" يراه الشيخ حمزة يوسف في ضرورة إرجاع الحياة الروحية للأمة المسلمة إلى جانب الممارسات الشعائرية، بمعنى

---

(1) نجمي، عبدالله، "بين زروق ولوتر: في الإصلاح الديني والعصور الحديثة" ضمن كتاب: *الرباطات والزوايا فى تاريخ المغرب: دراسات تاريخية مهداة للاستاذ ابراهيم حركات*، منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء(1997)، ص: 113.

(2) Kugle, Scott, Rebel Between Spirit and Law: Ahmad Zarruq, Sainthood, and Authority in Islam, Indiana University Press(2006).p: 223.

(3) Ibid, p: 3.

الجمع بين التصوف والفقه، وهو في هذا الموقف إنما يردد أفكار المشروع الإصلاحي للشيخ زروق، والشيخ حمزة يوسف لا ينكر ذلك، بل لا يتردد في الاستشهاد بآراء زروق وقواعده، يقول في هذا السياق: "أعتقد شخصيا بأن الرسالة الأساسية والأصلية في الإسلام هي أنها ترفض خلق ذلك المنطق القائل بانفصام باطن المرء عن ظاهره...في الحقيقة ما يحاول الإسلام القيام به كما هو حال بقية الأديان الروحية، وإن كانوا من وجهة النظر الإسلامية قد فشلوا في ذلك، هو الجمع بين ذلك العنصرين بطريقة منسجمة ومتوازنة، لذلك فإن التصوف الإسلامي كان دائما جزء من المناهج الدراسية الإسلامية التقليدية في كل الجامعات الإسلامية، وأعرف أنه لا توجد فترة في التاريخ الإسلامي لم يكن فيها التصوف يُدرَّس في الجامعات ويُنظَر إليه كجانب هام وأساسي من دين الإسلام..."[1].

ولعل أثر الصدمة التي خلفتها هجومات حادي عشر شتنبر2001م، جعلت الصوفية الأمريكيين يأخذون على عاتقهم مسألة الإصلاح الديني لمواجهة العصبية الوهابية وتزمت بعض الطوائف السلفية، وقد وجدوا في النموذج المغربي، لا سيما في مشروع زروق، محاور إلهام واستلهام، يقول الباحث سكوط كوغل في هذا السياق: "يمكننا أن نجد في أمريكا الشمالية أمثلة لكيفية تطبيق أفكار زروق في نطاقها الواسع. هنا، الضغط الإصلاحي على المثاليات الصوفية يصير أقوى بواسطة الحصول على التربية في "الجامعات العلمانية" التي تؤطر تعليم السلوك التربوي بدراسة اللغة العربية والفقه والفلسفة والأدب، الأمر الذي يولّد احترام الإنسانية جمعاء. يمكن، في هذه البيئة[أي: الولايات المتحدة الأمريكية]، أن يلتزم زعماء التصوف

(1) محاضرة ألقاها الشيخ حمزة يوسف في جامعة ستانفورد (Stanford University) في 4 ماي 1997م، وهي منشورة على موقع: : .http: //sunnah.org/events/hamza/hamza.htm

بمشروع إصلاحي شبيه إلى حد كبير بذلك الذي تخيله زروق، ومن ثمة؛ فإننا نسمع تردد أصداء عميقة لتعاليم زروق وشخصيته في مطالبة زعماء صوفية كحمزة يوسف بضرورة استعادة الصوفية للمرجعية الدينية باعتبارهم أيضا فقهاء الإسلام وزعماء المجتمع"[(1)].

المطلب الثاني: قراءة في المشروع الديني للشيخ حمزة يوسف وأفكاره الإصلاحية المستلهمة من زروق:

يعتبر الشيخ حمزة يوسف " أحد العلماء المسلمين الأكثر تأثيرا في الغرب"[(2)]. حيث صنفه مركز الدراسات الاستراتيجية الإسلامية الملكية في الأردن ضمن لائحة الخمسين شخصية مسلمة الأكثر تأثيرا في العالم، إذ جاء ترتيبه الثامن والثلاثين[(3)] متقدما على العديد من الشخصيات الإسلامية البارزة.

إن قراءة متأنية في كتاب هذا الشيخ الموسوم بـ (Agenda To Change Our Condition) أي: "برنامج عمل لتغيير أوضاعنا" كفيل بإزالة اللبس عن مدى عمق تأثير الشيخ زروق في زعماء الإسلام الأمريكيين، لا سيما في مشروع الشيخ حمزة يوسف، حيث يعرض هذا الكتاب إلى الخطوات الإجرائية التي ينبغي على المسلمين اتباعها لتغيير أوضاعهم وتحسين أحوال أنفسهم والرقي بها، ومن ثمة تحقيق الرقي الاجتماعي المأمول، وتنطلق هذه الخطوات من مراعاة **الأركان الخمسة**[(4)]

---

(1) Kugle. Scott, (2006), p: 228.
(2) Jack O'Sullivan, The Guardian, Monday 8 October 2001.
(3) Esposito, John and Ibrahim Kalin, (ed).The 500 most influential Muslims in the world, 1st Edition(2009), Published by: The Royal Islamic Strategic Studies Centre, on: http: //www.scribd.com/doc/22652672/The-500-most-influential-Muslims-in-the-world.
(4) Hamza, Yusuf and Zaid Shakir, Agenda To Change Our Condition, Zaytuna Institute (2008), p..27

ثم القيام **بالدعوة النشيطة**(1) التي تستهدف غير المسلمين، والتي لا يجب أن تقتصر على القول فقط، بل على المساهمة الفعالة في بناء المجتمع، هذه المساهمة التي يمكن أن **تنطلق من الفرد الواحد**(2) الذي يجب أن يركز الرؤية ويخلص الفعل والنية حيث يستدعي ذلك الإخلاص خلقا آخر لخدمة ذلك الهدف، ومن ثمة، الانتقال إلى **مرحلة التعاون**(3) بين المؤمنين الذين يشكلون الأمة، حيث ينبغي التنبه إلى أن السبل إلى الله كثيرة ولذلك لا يجب النظر إلى المسلمين الآخرين، سواء كانوا أفرادا أو جماعات، على أنهم خصوم أو منافسون، بل اعتبارهم إخوة والتعاون معهم أوعلى الأقل العمل بمعزل عنهم ولكن في سياق علاقات ودية معهم، لأن المجتمع الإسلامي يعاني من المنافسة غير الصحية حيث ينظر إلى فشل الآخر على أنه نصر لنا في حين يجب الدعاء والتضرع من أجل نجاح أي نشاط يكون ذا طبيعة خيرة ويتماشى مع أهداف الشريعة(4).

إن مشروع الشيخ حمزة يوسف لا يكتمل بمجرد الحفاظ على **الأركان الخمسة للدين والتركيز في مجال الدعوة**(5) والتعاون على التماس الخير للجميع، بل يحتاج إلى **أخلاق كريمة**(6) تحكم حياتنا اليومية ومعاملاتنا سواء مع المسلمين أو مع غيرهم، ومن هذه الأخلاق التي تحظى في مشروع الشيخ الأمريكي بالأولوية **خلق صلة الرحم**(7) في ظل مجتمع غربي

(1) Ibid, p..27

(2) Ibid, p..28

(3) Ibid, p..29

(4) Ibid, p.29.

(5) Ibid, , p..31

(6) Ibid, p..31

(7) Ibid, p..32

مفكك الأوصال اجتماعيا، والإحسان إلى الأقارب انطلاقا من الاعتناء بالزوجة والأسرة، ثم **بذل المعروف**[1] حيث يتم تخصيص جزء من الثروة يتم التبرع به بشكل دوري في أعمال الخير والبر مع الحفاظ على ركن الزكاة، وذلك لتقليص الارتباط القلبي بالعالم الدنيوي وتهيئ المرء للقاء ربه، هذا اللقاء الذي يجب الاستعداد له بالإكثار أيضا من **قراءة القرآن**[2] وختمه مرتين في السنة على أقل تقدير وحفظ ما تيسر منه إلى جانب **حفظ بعض الأحاديث النبوية** التي ترسخ في السلوك السنة النبوية الشريفة مع التحذير من مغبة استنباط الأحكام منها دون أن يكون المسلم متمكنا من العلوم الأخرى التي تأهله للاجتهاد أو على الأقل دارسا لما قاله العلماء المرشدون في معاني تلك الآية أو ذلك الحديث. حيث يشترط في المسلم أن يرعى قلبه بالتواضع أمام قدسية النص القرآني أو الحديث الشريف حتى لا يزيغ في مزالق هوى النفس والشيطان، اللذين يجب مواجهتهما **بالإكثار من ذكر الله**[3] بشكل جدي ومستمر لما له من تأثير عميق على ملء القلوب بمحبة الله ورسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم، حيث ينبغي تخصيص وقت في الليل وبعد الفجر لذكر الله وإظهار الامتنان له، وهذا يدفع حتما إلى **ضرورة معرفة قواعد الائتمار بالخير وتجنب الشر**[4] التي يجب مراجعتها في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الذي ترجمه إلى اللغة الإنجليزية الشيخ الأمريكي نوح حا ميم كلر.

---

(1) Ibid, p..32

(2) Ibid, p..33

(3) Ibid, p..34

(4) Ibid, p..34

من أهم هذه القواعد **التحلي بالتعاطف**[1] مع الآخر وتجنب النظر إليه بعين الازدراء أو تتبع عوراته أو إصدار الأحكام الجاهزة عنه، بل بدل ذلك يجب النظر إلى عيوب النفس ونواقصها وطلب إصلاحها، أو الثناء على الله في حالة نجاتك من عيوب ابتلي بها غيرك امتثالا لوصايا الرسول عليه السلام.

كما يجب **الإكثار من الدعاء**[2] بشكل يومي ومُلِح مع كل الإخوان والأخوات عبر العالم، لا سيما أولئك الضعفاء كالنساء والأطفال، واللجوء إلى حماية الله القوي للجميع وطلب تحقق وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن الجزاء يوم الحساب.

إن الاهتمام بوعد الآخرة لا يجب أن يفهم بترك أمور الدنيا كلية، إذ ينبغي **العناية بالصحة الجسدية**[3] وتقويتها بممارسة الرياضة وبتجنب كل ما يضر بها من مأكل ومشرب، امتثالا لأمر الرسول عليه السلام: "المؤمن القوي خير، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"[4].

إن الصحة البدنية والروحية يجب أن تؤطر في سياق **تجديد الالتزام بدين الله ونبيه محمد**[5] صلى الله عليه وسلم؛ فالهدف من الحياة كلها هو ابتغاء وجه الله فقط، إن هذا الالتزام يتحقق من خلال **الاستثمار الجيد**

(1) Ibid, p..35

(2) Ibid, p..35

(3) Ibid, p..35

(4) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الذُّهْلِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ جَمِيلٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلانَ، عَنْ رَبِيعَةَ بْن عُثْمَانَ، عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، واحْرِصْ على مَا يَنْفَعُكَ ولا تَعْجَزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وإِيَّاكَ ولَوْ؛ فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" ورد في صحيح مسلم.

(5) Ibid, p..36

للزمان والتوظيف الحكيم للوقت[1] الذي يعتبر التفريط فيه ذنباً يحاسب عليه المرء يوم القيامة. فكل لحظات المرء يجب أن تستغل في المعرفة والمحبة وخدمة الله وتكريم الآباء وهو **المبدأ**[2] الذي خُلق الإنسان على أساسه والذي يلزم أن يكون القصد منه هو **تحقيق التقوى**[3] التي هي غاية المرامي، والتي لن تتأتى إلا من خلال الحفاظ على الصلاة وصيانة اللسان والبصر والسمع والبطن والأيدي والأقدام والمستور من الأعضاء عن ارتكاب المعاصي والآثام[4].

نلاحظ من خلال هذه الخطوات الإجرائية التي يقترحها المشروع الإصلاحي للشيخ حمزة يوسف أنها تردد صدى أفكار الشيخ أحمد زروق، ولا أدل على ذلك أنه ذيل وثيقته الإصلاحية بعدة فقرات مترجمة من كتب الشيخ زروق، من بينها رسالة هذا الشيخ في أصول الطريق والتي يبين فيها أن رأس الأمر كله هو التقوى كما يذهب إلى ذلك الشيخ حمزة يوسف، مستشهدا بقول الإمام أحمد زروق، في بداية رسالته:

"أصول طريقتنا خمسة أشياء: 1. تقوى الله في السر والعلانية. 2. اتباع السنة في الأقوال والأفعال. 3. الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار. 4. الرضى عن الله تعالى في القليل والكثير. 5. الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء. فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة، وتحقيق السنة بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق عدم الاعتماد على الخَلْق بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضى عن الله بالقناعة والتفويض، وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر في

---

(1) Ibid, p..36

(2) Ibid, p..37

(3) Ibid, p..38

(4) Ibid. pp.40-56.

السراء واللجوء إليه في الضراء"[1].

أورد الشيخ حمزة يوسف أيضا في وثيقته الإصلاحية نصائح الشيخ زروق دون غيره من أئمة التصوف لأن مشروعه يستمد شرعيته من تعاليم زروق، حيث قام بترجمة فقرات من كتابيه: القواعد[2] والإعانة[3]، هذا الكتاب الأخير الذي قام الشيخ حمزة يوسف بترجمته ثم بشرحه وتدريسه لتلامذته، وتسجيله في ستة عشر شريطا صوتيا مضغوطا يقوم بالترويج له وتوزيعه في سياق أوسع عبر موقعه الإلكتروني:

http://www.sandalaproductions.com/Products/123-the-poor-mans-book-of-assistance.aspx

وقد قام أحد طلاب الشيخ حمزة يوسف بالتعليق على كتاب الشيخ زروق قائلا:

"ينصح الشيخ زروق بكيفية تطهير القلب المريض خطوة بخطوة، تماما كالطبيب الذي ينصح مريضه، إنه يزودك بالمنهج الإجرائي لتتبعه في سفرك لتحقيق مقامك الخاص في العبودية"[4]، ويضيف معلقا: "و التعاليم الحيوية للشيخ حمزة تُرجع، في الحقيقة، الحياة لهذا الكتاب، لأنها تفيد الطالب بالتطبيقات العملية التي يمكن تنفيذها هنا ومنذ اللحظة"[5].

إن تأثير مشروع الشيخ أحمد زروق التوفيقي، بين المرجعية الفقهية

---

(1) أحمد زروق، *رسالة أصول الطريق*، مخطوط، يمكن تنزيله من موقع: http: //www.aslein.net/showthread.php?t=9024&page=1

وتنظر ترجمته إلى الإنجليزية في كتاب: Hamza Yusuf & Zaid Shakir, Agenda To Change Our Condition, Zaytuna Institute(2008),pp.66-72.

(2) Ibid, pp.77-79.

(3) Hamza Yusuf & Zaid Shakir, Agenda To Change Our Condition, Zaytuna Institute(2008), pp.74-77.

(4) ينظر التعليق في: http: //www.sandalaproductions.com/Products/123-the-poor-mans-book-of-assistance.aspx.

(5) Ibid.

والسلطة الروحية في الأوساط الدينية عبر العالم، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، يحتاج إلى وقفة أطول وتأمل أكبر. لكن الإشارات التي وردت في هذا الفصل تكفي لأن نخلص مع الباحث **سكوط كوغل** إلى أن نموذج الشيخ الأمريكي حمزة يوسف هانسن هو "أحد النماذج فقط لتوضيح كيف أن شخصية زروق ومثالياته هي عناصر حاسمة في هذا المشروع الإصلاحي المتجدر في الممارسة الصوفية وفي الولاء الإسلامي المعتدل وغير المتعصب"(1).

المبحث الثاني: تأثير دلائل الخيرات في الأوساط الصوفية والأكاديمية بالولايات المتحدة

حظي كتاب "دلائل الخيرات" باهتمام كبير من طرف أهل التصوف في مختلف بلاد المعمور، وذلك لما لمسوه فيه من بركة، ومن تعلق بمحبة الجناب النبوي الشريف؛ فاجتهدوا في قراءته، وأكثروا من شروحاته والتحشية عليه؛ يقول الشيخ يوسف النبهاني في تقريض هذا الكتاب:

"إن من أنفس ما جمعه العارفون بالله في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب دلائل الخيرات، وهو غني عن التعريف، وهو كتاب دأب على قراءته ملايين المسلمين أفرادا وجماعات، في الشرق والغرب، وتلقاه المسلمون بالقبول، وما ذلك إلا لإخلاص مؤلفه سيدي الشيخ الإمام العامل الولي الكبير العارف المحقق أبو عبدالله محمد بن سليمان الجزولي السملالي الشريف الحسني رحمه الله"(2).

---

(1) Kugle, Scott, Rebel Between Spirit and Law: Ahmad Zarruq, Sainthood, and Authority in Islam, Indiana University Press(2006).p: 228.

(2) يوسف النبهاني، الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات، نسخة مكة المكرمة (1428هـ/2007م)، ص: 08.

المطلب الأول: اهتمام الغربيين بكتاب "دلائل الخيرات": أسباب ودوافع:

مؤلَّف "دلائل الخيرات" الآن من أكثر كتب الصلوات تداولا لدى الصوفية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ لا يمكن مقارنته مع أي كتاب آخر سواء في حجم الاهتمام به أو قراءته بلغته العربية أو ترجمته إلى الإنجليزية أو الدراسات التي أقيمت حوله. وترجع أسباب الاهتمام بكتاب "دلائل الخيرات" إلى تأثر المتصوفة الغربيين بنظرائهم في العالم الإسلامي. بالإضافة إلى العمل الذي تقوم به شبكات الطرق الصوفية الإسلامية عبر العالم، لا سيما القادرية والشاذلية والنقشبندية في التعريف بمؤلَّف "دلائل الخيرات.." وتعميم قراءته بين صفوف أتباعهم الموزعين في كل أرجاء المعمور بما في ذلك البلدان الأوروبية والأمريكية. لكن هناك أسباب أخرى ترتبط بطبيعة الكتاب نفسه وما يملكه من جاذبية على مستوى البناء اللغوي والإيقاعي المتميز الذي جعل أحد الباحثين الأمريكيين أدم لارسن (Adam Larson) يلتفت إلى ذلك قائلا:

"القليل جدا من الكتب التي حازت ذيوع دلائل الخيرات وسموه، إنه النص المحوري للجزولية الشاذلية...كل قسم منه يضم أمداحا متنوعة وأذكارا ومرجعيات شعرية مترابطة بسلاسة في وحدة متدفقة، ألحانه ولغته الإيقاعية تساعد المريد على حفظه وعلى تحقيق الحضور القلبي أثناء تلاوته. كما أن عباراته الرائعة الجمال تعبر عن محبة فائقة وإخلاص للنبي المختار عليه الصلاة والسلام"[1].

(1) Adam Larson, "Dala'il Khayrat: The Story of a Text" in: Islamica Magazine, Issue 14, Page 86.

هذه العبارات الرائقة، وهذا اللحن المتفرد في الأداء جعلا شاعرا أمريكيا شهيرا من حجم دانيال مور، يختار مقاطع منه ليؤديها بلغة شعرية إنجليزية ممزوجة بكلمات التوحيد (لا إله إلا الله) أمام جموع غفيرة من الأمريكيين في العديد من المنابر والمؤتمرات، كذلك الملتقى السنوي الذي يعقد في مدينة شيكاغو احتفاءً بالمولد النبوي الشريف والذي تنظمه المؤسسة النقشبندية للدراسات الإسلامية[1].

طبيعة أخرى لكتاب "دلائل الخيرات" تتجاوز مستوى بنائه اللغوي والإيقاعي وتضمن له صنفا آخر من المأسورين بجاذبيته في الغرب كما في الشرق، وهو إشراق مضمونه المغرق في كثرة الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم النابعة من تهتك صاحب الكتاب في محبة الجناب المحمدي، مما يضفي على النص طابعا قدسيا تبركيا، تمتد بركته الظاهرة والباطنة لتلف كل من يدور في فلك الكتاب؛ يقول **آدم لارسن** في هذا السياق:

"ذاع صيت دلائل الخيرات بسرعة فائقة بفعل بركاته الهائلة، التي جعلته ينتشر خارج حدود المغرب..إن بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امتدت لتشمل الكتاب نفسه.. ومن بركات هذا الكتاب أن أحد الخطاطين الأتراك أُمر من طرف النبي عليه السلام في رؤيا أن يكرس حياته لنسخ دلائل الخيرات، وقد قام بذلك 17 مرة وبضربات محبة من قلمه"[2].

إن بركات هذا الكتاب هي التي جعلت العديد من الأمريكيين المتصوفة ينشدون الاستسقاء من معانيه وتلمس أنواره من خلال ترجمته

(1) Moulud in English by Daniel Abdal Hayy Moore, American Muslim Poet., recited at International Mawlid un Nabi Conference 1998, UIC, Chicago.Sponsored by Naqshbandiya Foundation for Islamic Education (www.nfie.com).

(2) Adam Larson, "Dala'il Khayrat: The Story of a Text" in: Islamica Magazine, Issue 14, Page 86.

إلى لغتهم الإنجليزية (Translation)، أو حتى الحفاظ عليه بلغته العربية ولكن بكتابتها بحروف لاتينية (Transliteration) حتى يسهل على من لا يعرف الخط العربي قراءته بلغته الأم التي وضع بها، مع ترجمة معانيه إلى اللغة الإنجليزية ليسهل الفهم أيضا.

المطلب الثاني: ترجمة دلائل الخيرات إلى اللغة الإنجليزية:

إلى جانب قصيدة البردة والدعاء الناصري يُعَدُّ "دلائل الخيرات" من أكثر المتون الصوفية التي خضعت لعملية الترجمة إلى مختلف لغات العالم، وحظيت اللغة الإنجليزية بقسط غير يسير من هذه العملية، حيث قامت الباحثة الأمريكية المسلمة عائشة عبدالرحمان بيولي (Aicha Bewley) بترجمته إلى اللغة الإنجليزية وذلك استنادا إلى النسخة المغربية الشهيرة للسهيلي، ولتوسيع دائرة قرائه قامت الباحثة والتي هي من أشهر المترجمين للمتون الإسلامية وأكثرهم إنتاجا، بنشره على شبكة الإنترنيت[1].

ظهرت ترجمة أخرى بالإنجليزية لكتاب **دلائل الخيرات** في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان: (Guide to Goodness: Imam Jazuli's Dalail al-khayrat)[2] قام بإنجازها أندري حسن روزوسكي (Andrey Hassan Rosowsky) وقد نشرت في مدينة شيكاغو من طرف مؤسسة كازي بوكس (KaziPublication Inc) التي تشرف عليها الباحثة الأمريكية الإيرانية "للاه

(1) تنظر ترجمة الكتاب كاملة على الموقع الإلكتروني التالي: http: //bewley.virtualave.net/dalail1.html.

(2) Muhammad al-Jazuli, Guide to Goodness: Imam Jazuli's Dalail al-khayrat. Translated by: Andrey Hassan Rosowsky, edited by: Muhammad Nur Abdus- Salam ; Seyyed Hossein Nasr (series editor), Published by Kazi Publications, Chicago USA.

بختيار"، وقد تَمَّ طبع الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية معا، وهو موجه في الأصل إلى أتباع الطريقة النقشبندية الحقانية الذائعة الصيت في أمريكا بشكل عام وفي مدينتي شيكاغو وميشيغين بشكل خاص. وقد أوضح المترجم في بداية الكتاب أنه: "اعتمد نسخة دلائل الخيرات الأكثر انتشارا في تركيا وشبه الجزيرة الهندية والتي تختلف بعض الشيء عن النسخ السائدة في المغرب ومصر، ويهم هذا الاختلاف نص الدلائل نفسه من جهة، والنصوص الأخرى التي تضاف إليه تقليديا إما قبله أو بعده، وهي: حزب البحر الشاذلي، والصلاة المشيشية ودعاء الاستغفار الكبير لأحمد بن إدريس..من جهة أخرى"[1]، والكتاب أيضا متاح عبر شبكة الإنترنيت لمن أراد الاطلاع عليه أو قراءته[2]. ترجمة أخرى للدليل أنجزت من طرف الإنجليزي جون بيرزن (John B.Pearson) وقام بتصحيحها وتقديمها نذير النقشبندي (Nazir Naqshbandi)، وقد نُشر هذا العمل من طرف دار نشر باكستانية: (Paak Company).

ومن مركز ميشيغين النقشبندي الأمريكي قام الباحث: نورجان ميرأحمدي (Nurjan Mir Ahmadi) بترجمة دلائل الخيرات إلى اللغة الإنجليزية (Translation) وفي نفس الوقت كتابته بالحروف اللاتينية (Transliteration)، وهي طريقة تفيد الذين لا يعرفون اللغة العربية من قراءة الدليل بصيغة عربية تحقق البركة المرجوة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن توظيف لغة القرآن المباركة، اللغة العربية، في حين تفيد الترجمة الإنجليزية فقرة تلو أخرى من تفهم المعاني في الوقت نفسه[3].

---

(1) Ibid, p.V.

(2) تنظر ترجمة الكتاب على الموقع الإلكتروني التالي: http: //www.deenislam.co.uk/dalail.htm.

(3) It is published by: Naqshabandi Center Michigan- Dalailul Kairat, As-Sayed Nurjan Mir Ahmadi, on: www.nurmuhammad.com, Last printed: 4 January2006.

المطلب الثالث: تأثير "دلائل الخيرات" في الأوساط الصوفية الأمريكية:

يرتبط تأثير دلائل الخيرات في الأوساط الصوفية الأمريكية على وجه الخصوص بالطرق الصوفية لا سيما بفروع الشاذلية والنقشبندية؛ إذ يعتمد العديد من شيوخ هذه الطرق في الولايات المتحدة على "الدلائل" وردا يوميا لتربية مريديهم، ومن هذه الطرق نذكر:

- **الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية:**

وهي تنتشر في أجزاء مهمة من الولايات المتحدة كأطلنطا، ونيويورك، وكاليفورنيا ونيومكسيكو، ويحضر الدليل ورداً أسبوعياً عند أتباعها يتلى كل جمعة بشكل جماعي، والطريقة الحبيبية تحضر من خلال أتباع الشيخ السكوتلاندي (أيان نيل دالاس) أو عبد القادر الصوفي كما لقبه بذلك الشيخ المغربي محمد بن الحبيب، والذي يعد أتباعه بالآلاف ويتوزعون في مناطق متعددة من العالم لا سيما في أوروبا وأمريكا. كما تحضر الحبيبية من خلال أشخاص انفصلوا عن الشيخ عبد القادر ولكنهم ما زالوا يعتمدون الطريقة الحبيبية للشيخ محمد بن الحبيب ويحافظون على أورادها وعلى قراءة الديوان ودلائل الخيرات بشكل مستقل، كما أن الطريقة الحبيبية بدأت الآن تنشط في الولايات المتحدة من خلال فرعيها القرشي[1] والهاشمي البلغيتي[2]، وإن كان مستوى تمثيلهما ما يزال ضعيفا.

- **الطريقة البودشيشية:**

دلائل الخيرات يتلى يوميا في عدة مدن أمريكية يتوزع فيها فقراء

---

(1) نسبة إلى سيدي محمد بلقرشي، أحد مقدمي سيدي محمد بن الحبيب، يعيش في منطقة الراشدية بجنوب المغرب.

(2) نسبة إلى مولاي هاشم البلغيتي الذي يقول بوراثة المشيخة من سيدي محمد بن الحبيب.

الطريقة البودشيشية مثل: واشنطن العاصمة، لاس فيغاس، وفرجينيا، ونيويورك، ونيوجرزي، وكاليفورنيا وبوسطن. حيث يعتمد الدليل كورد يومي يتلى بشكل منفرد وبشكل جماعي في الاعتكافات والاجتماعات الدورية، ولتسهيل عملية تداوله بين المريدين فقد تم نشر الدليل على الموقع الإلكتروني الرسمي للطريقة البودشيشية في الولايات المتحدة صوتا وصورة وبجودة عالية(1).

●الطريقة النقشبندية الحقانية:

تهتم الطريقة النقشبندية بمختلف مشاربها اهتماما خاصا ب"دلائل الخيرات"، حيث تحث مريديها على الإكثار من تلاوته والعناية به، ومن أبرز فروع هذه الطريقة اليوم في الغرب "الطريقة الحقانية للشيخ ناظم القبرصي" الذي عرفت النقشبندية في عهده انتشارا كبيرا ليس فقط في قبرص وتركيا وأنحاء شاسعة من آسيا بل أيضا في أوروبا وشمال أمريكا، كما يذهب إلى ذلك الباحث ديفيد ويسترلند الذي يقر بأن "الفرع الأكثر استقطابا للنظر في السياق الأوروبي [الغربي عموما] هو الفرع النقشبندي الحقاني لشيخه الأكبر محمد ناظم الحقاني القبرصي الذي استقطب العديد من الأوربيين المعتنقين للإسلام منذ: 1970م، وبما أن الشيخ ناظم هو المفتي الأكبر لقبرص فإن العديد من القبارصة الأتراك الذين هاجروا للدول الأوربية هم من أتباعه"(2).

يشجع الشيخ ناظم أتباعه على الاعتناء ب"دلائل الخيرات"، حيث أذن لعدد من مريديه الأمريكيين بترجمة نص الدليل إلى اللغة الإنجليزية ووضعه

---

(1) ينظر الموقع الإلكتروني للطريقة: http: //www.efaqir.com/ أو: http: //www.sidihamza.us/.

(2) David Westerlund, "The Contextualisation of Sufism in Europe", in Sufism in Europe and North America edit: David Westerlund -2004 - Routledge Curson - London &New York, p: 18-19.

إلى جانب النص العربي في كتاب خاص، وهو ما تم بالفعل في بداية التسعينات على يد أندري حسن رزوسكي (Andrey Hassan Rosowsky)، ونتيجة نفاذ الكتاب أعيد طبعه سنة: 2001م[1]، كما صدرت عن نفس الطريقة طبعة أخرى للكتاب بالإنجليزية ترجمها: سيد أحمد درويش [2]تحت اسم:

'Guide of Good Deeds and the Brilliant Burst of Light in the Remembrance of Blessings on the Chosen Prophet'

النص الصوتي للدلائل كاملا يوجد على واجهة أحد المواقع الإلكترونية للطريقة النقشبندية[3]، كما أن ضريح الجزولي يعتبر محجًّا مفضلا لمريدي النقشبندية وشيوخها[4].

•الطريقة الحدادية الباعلوية:

الطريقة الباعلاوية للشيخ الحداد في الغرب، لا سيما في شمال أمريكا، اهتمت بدورها بترجمة دلائل الخيرات إلى اللغة الإنجليزية ليستفيد منه مريدوها الأجانب، وقد قام بترجمة العمل وتقريضه الباحث عثمان نور محمد[5].

•الشيخ حمزة يوسف:

كتاب دلائل الخيرات أيضا من أهم الركائز الأساسية التي يعتمدها الشيخ الأمريكي حمزة يوسف في تعاليمه، حيث يلح على ضرورة قراءته

---

(1) Muhammad al-Jazuli, Guide to Goodness: Imam Jazuli's Dalail al-khayrat. Translated by: Andrey Hassan Rosowsky, edited by: Muhammad Nur Abdus- Salam ; Seyyed Hossein Nasr (series editor), Published by Kazi Publications, Chicago USA, p.V.

(2) تنظر النسخة الإلكترونية المترجمة إلى الإنجليزية بواسطة: سيد أحمد درويش في: http: //www.naksibendi.org/delail.pdf.

(3) http: //www.naksibendi.org/hayrat.html.

(4) تنظر صورة الشيخ هاشم القباني صهر الشيخ ناظم الحقاني وخليفته على الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وهو يتضرع بجوار ضريح الشيخ الجزولي في مراكش. على الموقع الإلكتروني: www.naksibendi.org

(5) http: //www.iqra.net/Salawaat/dalaail/dalaail1.htm.

بشكل دائم ومستمر. كما أنه يتداوله مع جماعة من محبيه وأتباعه في معهد الزيتونة للدراسات الإسلامية الذي أسسه في منطقة باي سان فرانسيسكو بكاليفونيا[1]. وهذا الشيخ متأثر جدا ليس فقط بدلائل الخيرات بل بكل التراث الصوفي المغربي، فهو الذي قام بترجمة كتاب الإعانة لأحمد زروق إلى الإنجليزية، وبترجمة بردة الإمام البوصيري والدعاء الناصري وقام بتسجيلهما كاملين على أقراص مغناطيسية لترويجهما وسط المتصوفة وهواة السماع الصوفي الأمريكيين[2].

•الطريقة الشاذلية الهاشمية الدرقاوية للشيخ الأمريكي نوح كلر:

شيخ أمريكي آخر معروف بشدة اهتمامه بكتاب دلائل الخيرات، وهو الشيخ نوح حاميم كلر، الذي يعتبر أول أمريكي قام بإعادة طبع هذا المؤلف مع إعطائه إذنا عاما لجميع قراء الدلائل الذي أشرف على تخريجه وطباعته، يحكي نوح كلر كيف بدأت قصة طبع دلائل الخيرات قائلا:

"بدأنا في يونيو سنة: 2003م باستطلاع 95 مخطوطة من الدلائل في مختلف الدول، والتنوع الطفيف بين تلك النسخ جعلنا نرجع إلى العمل القيم والتفسير المفصل لمطالع المسرات للإمام محمد المهدي الفاسي (ت.1698م) بسبب مقارنته الشاملة مع النسخ الرئيسية الأولى خصوصا الساهلية المنقحة، التي قرئت على الإمام الجزولي سبع سنوات قبيل وفاته من طرف مريده محمد الصغير السهيلي والتي تتداول على أنها الأكثر صحة لأن المؤلف - أبا عبد الله سليمان الجزولي- قد يكون أدخل بعض التغييرات الطفيفة حين قرئت عليه جهرا، وربما الاختلافات مقارنة مع

(1) حديث مع بعض الطلبة الأمريكيين الذي ن يدرسون في معهد الزيتونة، وتأكدت من هذا من خلال مصادر متعددة وحوارات تتضمنها صفحات المرفقات.

(2) ينظر ذلك في موقعه الإلكتروني: http: //sandala.org/store/cds/page/2/.

النسخ الأقدم منها ترجع إلى هذا السبب. لقد حققت النسخة الساهلية شهرة أكبر بالمقارنة مع النسخ الأخرى لأنها صححت من طرف المؤلف نفسه، ونسختنا هذه إنما هي طبق الأصل من الساهلية دون استثناء"(1).

لم تقتصر خطوات نوح حاميم كلر على الجوانب البحثية التي تعنى بكيفية إخراج نص قديم بطريقة علمية حديثة، بل تجاوزتها إلى مستوى تقني تخصصي من خلال عملية البحث عن الخطاط الناسخ، التي يصفها قائلا:

"بحثنا في سوريا، والأردن، والعراق، وتركيا، والعربية السعودية والمغرب عن الخطاط الذي يمكن أن تعكس خطوطه العربية ولاية ونور وجمال العمل، بينما تكون سهلة القراءة. وقد قادنا ما رأيناه من نماذج لخطوط منسوخة تستعمل غالبا الكتب العربية المنسوخة إلى الاتصال بالأستاذ السوري عثمان طه الذي يعتبر من أشهر الخطاطين العرب في الوقت الراهن... وعندما زرناه في منزله بالمدينة المنورة وجدناه رجل دين وصدق، وهو الذي كان قد كتب القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة بخط يده"(2).

لقد استغرقت العناية بالدلائل لإخراجه في نسخة راقية تليق بحجم الرجل المغربي الشيخ الجزولي وبمؤلفه ما يقارب 25 شهرا، حيث صار جاهزا للنشر بعد طبعه في يوليوز سنة: 2005م، لكن مهمة الشيخ الأمريكي حا ميم نوح كلر لم تقف عند هذا الحد بل سارع أيضا لتحصيل الأذونات والإجازات الروحية لتمكين قرائه من نيل بركات قراءة الدلائل، يقول في هذا الشأن:

"للحصول على بركة "دلائل الخيرات" سعينا أيضا في الحصول على

---

(1) ينظر تقديم الكاتب للنسخة باللغة الإنجليزية على الموقع الإلكتروني المخصص للكتاب: http: //www.dalail.co.uk/this.htm.

(2) نفسه.

السند أو الإجازة الروحية المأذونة لقراءة الدلائل، وكنا قد حصلنا على إجازة شخصية في الدلائل من طرف الشيخ العلوي المالكي في مكة المكرمة، وأيضا من حبيب مشهور بن حافظ في حضرموت، ولكن الآن ننشد السند العالي والذي يعني ذلك السند المتصل بالمؤلف دون الكثير من الوسائط، حيث تمكنت أسابيع بعد ذلك من الحصول على الإذن من ملكة ليبيا السابقة "فاطمة الشفاء" التي تتصل بالإمام الجزولي من خلال سنوسية ليبيا، ومن خلال إجازتها فنحن نوجز القراء أيضا في قراءته إذ ستطبع الإجازة مع المؤلِّف"[1].

المطلب الرابع: حضور الدلائل في البحوث والندوات الأكاديمية الأمريكية:

1- البحوث والدراسات:

من ألمع علماء الاجتماع الأمريكيين الذين درسوا التصوف المغربي بعمق واضح الباحث الأمريكي فانسنت كورنل، خاصة في كتابه الموسوم ب: "مملكة الولي: السلطة والمرجعية في التصوف المغربي"[2] حيث تحدث فيه عن السلطة والمرجعية في التصوف المغربي، لا سيما في العهد المريني مع التركيز على الطريقة المحمدية للجزولي والزروقية لأحمد زروق، حيث أبرز مظاهر الاختلاف الذي وسم خصوصية التصوف المغربي في علاقته بالسلطة عند كل منهما، وكان كتاب "دلائل الخيرات" للإمام الجزولي محور المقارنة واستخلاص خاصية التصوف الجزولي، بل حاول من خلال البحث في محتويات كتاب الدلائل استكشاف الفترات الغامضة من حياة الجزولي

(1) نفسه.
(2) Cornell, Vincent. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, (Austin, Texas: University of Texas Press, 1998).

وأيضا مصادر تأثيراته، حيث استبعد الباحث الأمريكي ما ذهب إليه الصوفي اليمني محمد مرتضى الزبيدي (ت.1207هـ/1791م) عند شرحه لإحياء علوم الدين حين ذكر أن صوفيا مجهولا من مدينة شيراز الإيرانية وضع كتيبا في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يماثل تقريبا كتاب "دلائل الخيرات" للجزولي، إلا أن الله سبحانه وتعالى أعطى ميزان القبول والشهرة لكتاب الجزولي ما لم يعطه لغيره. وعلى الرغم من أن فانسنت كورنل استبعد مثل هذا الرأي القائل بتأثر الجزولي بالتصوف الفارسي إلا أنه أقر بأن "دلائل الخيرات" يظهر تأثر الجزولي بصوفية الشرق، يقول في هذا السياق: "بالرغم من أن زعم الزبيدي بأن مصدر دلائل الخيرات هو شيرازي قد يكون خاطئا، إلا أن عقائد التصوف الجزولي هي متأثرة بوضوح بتعاليم غير مغربية"[(1)]، هذه التعاليم التي أرجعها إلى السنوات التي قضاها الجزولي بمصر صحبة الشيخ الأزهري عبدالعزيز العجمي، بالإضافة إلى ورود الصلاة الصغرى لمولاي عبد القادر الجيلاني ضمن أحزاب دلائل الخيرات، لا سيما حزب يوم الأربعاء، هذه الصلاة التي يحتمل أن يكون الجزولي تعلمها حين دراسته في "مسجد السادات القادرية" بمصر. ومن خلال هذه الفرضيات يصل الباحث الأمريكي إلى خلاصة ينفي فيها أن يكون كتاب دلائل الخيرات قد تم إنهاؤه قبل سفر الجزولي إلى الشرق الذي قضى فيه سبع سنوات، يقول في هذا السياق: "السيناريو الأكثر منطقية هو أن الجزولي بدأ تأليف "دلائل الخيرات" بعد عودته إلى المغرب سنة:857هـ/1453م حيث قام بمراجعته في الفترة التي كان يعمل فيها على تنظيم الطريقة الصوفية الجزولية...هذه النظرية تفترض أيضا أن كتاب دلائل

(1) Cornell, Vincent. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, (Op.Cit).p.176.

الخيرات هو نتاج تجربة صوفية طويلة الأمد أكثر من كونه معجزة ناضجة العقيدة"[1].

2- الندوات والمؤتمرات:

من أشهر الباحثين الأكاديميين الأمريكيين الذين يستحضرون بشكل مستمر كتاب دلائل الخيرات والمشروع الجزولي في مختلف الندوات واللقاءات العلمية نجد فانسنت كورنل الذي شارك في ندوة نظمتها جامعة كاليفورنيا في فبراير2009م، في موضوع: "التصوف الشمال-إفريقي في سياقه الكوني"، حيث وسم الباحث محاضراته ب: "North African Sufism and Global Islam: The Case of the Jazuliyya Sufi Order and Dala'il al-Khayrat" أي:" تصوف شمال إفريقيا والإسلام الكوني: الطريقة الصوفية الجزولية ودلائل الخيرات كنموذج"[2]، حيث أوضح الباحث في هذه المداخلة تأثير التصوف الشمال إفريقي في أنحاء شاسعة من العالم الإسلامي من خلال نموذج الطريقة الصوفية الجزولية (ق.15-17م) ومن خلال الامتداد العالمي لدلائل الخيرات، حيث بدأ في الفصل الأول من مداخلته بالحديث عن مهنة محمد بن سليمان الجزولي، كاتب "الدلائل" والذي وصفه الباحث بالصوفي المجاهد الذي ارتبطت طريقته باثنين من أهم المشارب الصوفية العالمية اليوم وهما: الشاذلية والقادرية.

أما في الفصل الثاني فقد ركز فانسنت كورنل على "الإيديولوجية" الصوفية الجزولية "للطريقة المحمدية"، هذه العقيدة التي تتوخى الإصلاح الاجتماعي والفردي والتي نشأت وتطورت في المغرب ثم امتدت خلال

---

(1) Cornell, Vincent. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, (Op.Cit).p.177.

(2) Vincent J. Cornell, "North African Sufism and Global Islam: The Case of the Jazuliyya Sufi Order and Dala'il al-Khayrat", Paper to the UCLA symposium North African Sufism in World Context, University of California, 12 February 2009.

القرن 16م عبر أرجاء الأمبراطورية العثمانية. ليخصص الفصل الأخير من محاضرته لمناقشة الانتشار الكبير لكتاب دلائل الخيرات عبر كل ربوع العالم بواسطة شبكة الطرق الصوفية القادرية والشاذلية، ولكن باعتباره مشروعا إصلاحيا لا مجرد صلوات تبركية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم[1].

محاضرة أخرى قام بإلقائها فانسنت كورنل في مدينة شيكاغو سنة: 1996م، وكانت تحت عنوان:

" Sufi Tradition in Morocco,Imam al-Jazuli & Dalail al-Khairat "

أي:"التقليد الصوفي في المغرب: الإمام الجزولي ودلائل الخيرات"، حيث تحدث عن قيمة "الدليل" وعن وظيفته التعبدية وما تساهم به في غرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس المكثرين من الصلاة عليه، وأيضا وظيفته الاجتماعية والإصلاحية التي تدخل في سياق مشروع الشيخ الجزولي الذي كان يتوق إلى إصلاح الأوضاع السياسية المتردية والاجتماعية المتفككة في عهده، بإعادة ربط الأفراد بالدين عن طريق إعادة وثاق المحبة مع شخص النبي عليه السلام والتي تستلزم تمثل نموذجيته في السلوك[2] صلى الله عليه وسلم.

هكذا نلاحظ أن كتاب دلائل الخيرات يتداول في الغرب الأنجلو أمريكي ليس فقط على مستوى الحضور النوعي الملفت لقرائه والمهتمين به من داخل شبكة الطرق الصوفية المنتشرة هناك، كالشاذلية، والقادرية

---

(1) Ibid.

(2) Vincent J. Cornell, "Sufi Tradition in Morocco, Imam al-Jazuli & Dalail al-Khairat": A lecture delivered at International Mawlid-un-Nabi Conference 1996, UIC, Chicago, sponsored by Naqshbandiya Foundation for Islamic education (www.nfie.com).

والنقشبندية. بل أيضا على مستوى التأثير في الأمريكيين أنفسهم الذين اعتنوا به عناية فائقة وحرصوا على إعادة طبعه في نسخ محققة مع تحصيل الإذن في تلاوته، وأيضا من خلال تعدد ترجمته إلى الإنجليزية. بالإضافة إلى اتخاذه موضوعا للدراسة الأكاديمية، ليس باعتباره فقط كتابا بكاريزمياته الخاصة، بل باعتباره أيضا مشروعا إصلاحيا يسعى إلى تخليق المجتمع والفعل السياسي عن طريق توثيق الصلة بين عالمي الشهادة والغيب من خلال محبة النبي صلى الله عليه وسلم الجسر الأمين والمأمون.

الفصل الثاني: التأثير الصوفي المغربي في الأدب الأنجلوأمريكي النثري والشعري

تجاوز التأثير الصوفي المغربي في أمريكا مستوى الحضور الطرقي وحضور أعلام التصوف المغاربة بمنظوراتهم الإصلاحية ومتونهم التأليفية، إلى مستوى أكثر عمقا يهم التأثير في صميم الحياة الثقافية والأدبية الأمريكية، إذ سيتطرق هذا الفصل إلى نماذج معينة وشواهد من الأدب الأنجلوأمريكي بجنسيه الشعري والنثري متحت من معين التصوف الإسلامي المغربي المشرب، لتؤثر في المشهد الأدبي في بلادها. مما أدى إلى ظهور بعض الأجناس الأدبية الجديدة التي لم تكن معروفة في الغرب كأدب "الرحلة الحجازية" و"قصص الاهتداء". كما أفرز ذلك ظهور أنماط جديدة من القصيد الصوفي الإنجليزي، كأشعار الأمريكي دانيال مور الذي يزاوج بين تجربته الصوفية الإسلامية العميقة وبين النفس الشعري الإنجليزي ليفتح آفاقا جديدة من الإبداع الانساني.

المبحث الأول: التأثير الصوفي المغربي في الأدب النثري الأنجلوأمريكي

أفرز امتداد روحانية التصوف المغربي إلى البلاد الأنجلوأمريكية تطوراً في الإبداع الغربي، بل أسهم في إبداع أجناس أدبية لم تكن معروفة من قبل في الأدب الغربي، أذكر منها: أدب "قصص الرحلة الحجازية"؛ أو ما يمكن الاصطلاح عليه بأدب: "الرحلة التشوقية"؛ والمقصود بها ذلك القصص

الذي يحكي بأسلوب أدبي رحلة المتصوفة الغربيين إلى الشرق، لا سيما إلى الديار المقدسة، حيث تسبقهم أشواقهم وحنينهم إلى مقام النبوة، وأدب "قصص الاهتداء والبحث عن المرشد الروحي"، حيث يحكي هذا النوع من الأدب مسار أشخاص اقتنعوا بالدين الإسلامي وخاضوا تجربة البحث عن مشايخ التصوف لإرشادهم في سفرهم الباطني، ومن بين هذه الكتابات نجد:

أ - الرحلة الحجازية:

1- كتاب:(The Difficult Journey) لأحمد طومبسن وهو كتاب كبير الحجم يقع في 325 صفحة، يحكي قصة رجل في طريقه إلى مكة لأداء مناسك الحج بعد إسلامه بأربع سنوات، ولكنها رحلة ليست فقط لمعرفة الإسلام أو محبة في السفر، بل أيضا بقصد الحج والقيام بمناسكه على أفضل وجه والتي يصفها الكتاب بكل تفاصيلها[1].

2- كتاب: (The Way Back) لأحمد طومبسن عن نفس دار النشر ونفس سنة الطبع: 1994م، وهي بنفس الصيغة تحكي قصة العودة من مكة بعد آداء مناسك الحج، حيث سيعود عبر تبوك وعمان بالأردن، ثم دمشق، وحمص، وحلب وسوريا، ثم قونيا، وإسطنبول بتركيا، وأثينا باليونان، فروما وباريس إلى أن يصل إلى لندن بأنجلترا، فهي قصة حقيقية لكنها كتبت بأسلوب أدبي صوفي مشوق[2].

ب - أدب قصص "الاهتداء" و"البحث عن المرشد الروحي":

هذا نوع آخر من أدب الرحلة ظهر حديثا في أوربا وأمريكا، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه ب"رحلة الاهتداء"، وهي التي يتحدث فيها أصحابها

---

(1) Thomson Ahmad, The Difficult Journey, Ta-Ha Publishers LTD (1994), London, 1st Edition.

(2) Thomson Ahmad, The Way Back, Ta-Ha Publishers LTD (1994), London, 1st Edition.

عن قصة بحثهم عن الحقيقة الروحية التي يجدونها في التصوف الإسلامي، حيث سيعتنقون الإسلام بعد أن يجدوا ضالتهم الروحية فيه، ومن نماذج هذه الرحلة، كتاب الشيخ الصوفي الأمريكي نور الدين عبد الله دوركي الموسوم باعتناق الإسلام (Embracing Islam)، و" كتاب الغرباء"(The book of Strangers) للشيخ عبد القادر الصوفي، شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية الذي سنورد نماذج مترجمة منه.

المطلب الأول: نموذج من الأدب الأنجلوأمريكي المتأثر بالتصوف الإسلامي

كي نصدر حكما على نوعية قصص ما بأنه متأثر بالتصوف، يلزم بدءا معرفة خاصيات القصص الصوفي التي تميزه عن بقية الأنواع الأخرى من السرد؛ ف"بينما تكون التوقعات العادية من أي قصة من قصص التقاليد الشفوية، هي: التسلية أولا، وتقديم الجواب أو الحل الأخلاقي ثانيا، فإن وظيفة قصة التعاليم الصوفية تختلف عن ذلك. في بعض الأحيان تملك القصة الصوفية نوعا من الدعابة الشائكة، ولكن لا تقدم الحل الأخلاقي بأي حال من الأحوال. وعلى العكس من ذلك، القصة التربوية الصوفية تكون ذات نهاية مفتوحة تعتمد على أنواع من التأويلات بحسب كل شخص من الجمهور، وعلى عكس أغلب القصص، تصبح القصة الصوفية وسيلة أكثر من غاية؛ لأن دلالات مثل هذه القصص تتوخى تغيير شكل التفكير"(1).

بالإضافة إلى الاختلاف في الوظيفة وكيفية العرض، فإن الحكاية الصوفية "تملك قدرة فريدة على البقاء تتعلق في جزء منها بالتكيف مع أي وسط سواء كانت في الشرق الأوسط، كما في أوربا أو أفريقيا أو أمريكا،

(1) Hardin, Nancy Shields. "The Sufi Teaching Story and Doris Lessing" in: Harold Bloom (ed) Modern Critical Views Doris Lessing. New York: Chelsea House Publishers (1986), p: 121-122.

لأنها لا تعتمد على أي إطار ثقافي معطى. ظلت القصص الصوفية حية أيضا نتيجة لشكلها، الذي يتخذ غالبا شكل أقوال وأفعال رجل حكيم. لكن هذا الرجل الحكيم يكون في قناع رجل عادي، أو حتى رجل معتوه. وهكذا يكون قادرا على انتقاد أنماط من السلوك وصيغ من التحامل المسبق. هذه القصص تستعمل كثيرا من طرف الصوفية ليس فقط بسبب أنها "طرق اقتصادية للغاية تمكن من التقاط جوانب من الحالة الانسانية، ولكن أيضا بفعل شكل سردها الوجيز للحكاية الصوفية، حيث يكون الصوفية قادرون على نقل المعرفة بسرعة وبكفاءة أكثر من تفسيرها بشكل فلسفي أو منطقي استطرادي. بل الأكثر من ذلك أن الشخص العادي يميل إلى التفكير في أنماط مشروطةو يجد صعوبة في التكيف مع وجهة النظر المختلفة، وقيمة الحكاية الصوفية التي يمكن العثور عليها في التجاور غير المتوقع بين الأفكار، الذي يهدف إلى رَجِّ ذهن القارئ أو المستمع من نمط الفكر الجامد والأكثر إراحة له"[1].

إن من بين أقوى النماذج الأدبية التي يمكن أن نستدل بها في سياق تأثير القصص الصوفي على الأدبيات الأمريكية، نجد أعمال الكاتبة البريطانية دوريس ليسينغ[2] (Doris Lessing) المتوّجة بجائزة نوبل للآداب، وعلى الرغم من أنها ليست أمريكية الأصل إلا أن أعمالها المكتوبة في الأصل باللغة الإنجليزية تجعلها تحظى بمكانة الريادة في الولايات المتحدة

(1) Hardin, Nancy Shields. “The Sufi Teaching Story and Doris Lessing” in: Harold Bloom (ed) Modern Critical Views Doris Lessing. New York: Chelsea House Publishers (1986), p: 122.

(2) دوريس ليسينغ: (Doris Lessing)؛ ولدت في 22 أكتوبر 1919م تحت اسم دوريس ماي تايلر (Doris May Tayler) هي كاتبة وروائية بريطانية ذائعة الصيت، ولدت في مدينة كرمان شاه في إيران، وقد توجت أعمالها الأدبية بأكبر الجائزات العالمية، على رأسها جائزة نوبل للآداب عام 2007م.

الأمريكية، بل في كل العالم، بما في ذلك العالم العربي، حيث بدأت مجموعة من أعمالها الأدبية تخرج إلى الأسواق بلغة الضاد، كما أن بعض الكتابات والمؤلفات الحديثة بدأت تتخذها نموذجاً للدراسة؛ منها كتاب صدر مؤخرا عن دار أزمنة في الأردن بعنوان *مدخل إلى دوريس ليسينغ*، قام بإنجازه وترجمته مجموعة من الباحثين العرب كعلاء أبو زينة، وموفق ملكاوي، وأحمد خريس، وسعاد فركوح، وحنان شرايخة، وغيداء الفيصل، حيث يقدم هؤلاء الكتاب مجتمعين "صورة متكاملة عن حياة دوريس ليسينغ بكل ما فيها من أحداث وتحولات مفرقية، وآراء جريئة لا تتهرب صاحبتها عن الجهر بها، مثل معتقداتها الصوفية وإيمانها بوجود عالم آخر محجوب. ولعل من أكثر الجوانب الرائعة التي يبرزها الكتاب عن حياة ليسينغ بالإضافة إلى نزعتها الصوفية، إحساسها بعدمية الأشياء، وامتلاكها لفضيلة الاستغناء. تحكي ليسينغ عن كونها لم تمتلك بيتا إلا من وقت قريب، كما توصف بأنها تعيش كما لو أنها على أهبة الرحيل؛ فهي تزدري عناصر الأمان التقليدية، ويعود ذلك لإحساسها بأن حياتها أشبه بنبتة اقتلعت من تربتها وغرست في مكان آخر، لقد ظلت تحس بالغربة طوال حياتها، وهي ترى في ذلك شرطا بنيويا في طريقة عيشها وتفكيرها. إذا كان البعض يستلذ العيش ويستكين إليه، فإن ليسينغ لا تمانع بأن تحمل حوائجها وتخيم في الخارج، حتى في داخل منزلها نفسه"[1].

تُؤثر معاني العديد من قصص وروايات دوريس ليسينغ بالشكل الذي يجعلها تشترك العديد من الصفات مع التعاليم الصوفية؛ فقد "وضعت ليسينغ خطا تحت فكرة التجربة الصوفية كسلسلة من الرؤى الموهمة

---

(1) مجموعة من الباحثين والمترجمين، *مدخل إلى دوريس ليسينغ*، الأردن: دار أزمنة (2009).

بالتناقض والتي ليست فقط روحية بل تطبيقية. ومثل الحكاية الصوفية، تعرض قصص ليسينغ للقارئ بشكل مستمر فرصة للعمل بفكره ليمكنه من استعمال القصة وفي نفس الوقت تمثلها"(1).

تأثُّر دوريس ليسينغ بالقصص الصوفي لا ينبع من مصادفات تلقائية، بل يرجع إلى تجربة ذاتية أيضا خاضتها دوريس ليسينغ في صحبة شيخها المتصوف إدريس شاه، الذي تعتبر كتبه الأكثر مبيعا في الولايات المتحدة بعد شعراء الفرس المتصوفة كجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي، تقول إحدى الدراسات:

"إن دوريس ليسينغ نفسها شاركت في التصوف لسنين عديدة، وهي أحد أبرز تلامذة الصوفي إدريس شاه، وبين الفينة والأخرى تستخدم القصة التربوية الصوفية لتقديم مقطع ما لإحدى رواياتها كما هو الحال في رواية (The Golden Notebook).. ونادرا ما تلبي قصة ليسينغ توقعات التسلية الخالصة، كما هو حال القصص الصوفي؛ فقصصها عادة ما تحفِّز الخيال"(2).

المطلب الثاني: نموذج من الأدب الصوفي الأنجلو أمريكي المتأثر بالتصوف المغربي:

على الرغم من تجربة دوريس ليسينغ الصوفية، إلا أن إنتاجاتها الأدبية لا تعدو أن تحمل سمات التأثر بالأدب الصوفي ولا يجدر بنا تصنيفها ضمن جنس "الأدب الصوفي" الذي يعتبر رائده الأول في الأدب الأنجلوأمريكي، حسب ما توصلت إليه خلال بحثي، هو الشيخ

(1) Hardin, Nancy Shields. "The Sufi Teaching Story and Doris Lessing" in: Harold Bloom (ed) Modern Critical Views Doris Lessing. New York: Chelsea House Publishers (1986), p: .124

(2) Ibd, p: 124.

السكوتلاندي أيان نيل دلاس، شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية، الذي انغمس إلى حدود الغرق في التجربة الصوفية ليشكل بذلك منطلقا جديدا في الأدب الصوفي الإسلامي بالغرب الحديث. ويكفي أن نقرأ مقاطع مختصرة من عمله الأدبي الفذ *كتاب الغرباء* لنعلم يقينا أن الشيخ يمتح في نَفسه الأدبي من بحار أهل التصوف. وهنا أيضا نجد اليد الطولى لشيوخ التصوف المغاربة في تغيير مسارات الابداع عبر العالم، إذ لم يعد خفيا على أحد، أن الشيخ أيان نيل دالاس دخل الإسلام في المغرب وتشرِّب معين التصوف المغربي من خلال شيخه محمد بن الحبيب الدرقاوي الذي كان مفتاح أيان دالاس الذي ولج منه إلى عالم الحقيقة، حيث الإبداع يكتب بالقلب، وحيث الكلمة تحمل معنى وذوقا خاصا يمتع الجميع ولا يدري ألغازه إلا من ترك نفسه وجاء مجردا إلى النص.

المطلب الثالث: نموذج من مقاطع أدبية مترجمة من قصة كتاب الغرباء (The Book of Strangers):

تعتبر قصة *كتاب الغرباء* (The Book of Strangers) أول نص أدبي صوفي يكتبه متحول بريطاني إلى الإسلام أواخر ستينات القرن العشرين. ويشكل نقطة تحول مهمة في الأدب الأنجلوأمريكي على وجه الخصوص، لأن النص يمتلك خاصية الجمع بين أدب الرحلة وأدب الاهتداء، ويحكي ذلك في نمط سردي يجمع بين الواقعية المطبوعة بفسحة من الخيال المبدع الجميل، وهذه المقاطع المترجمة منتقاة من هذه القصة الموسومة ب"كتاب الغرباء"، حيث يروي الشيخ عبد القادر الصوفي[1] قصة لقائه مع مرشده

(1) الاسم الذي سيحمله أيان نيل دالاس بعد اعتناقه الإسلام سنة: 1968م، ولقائه بشيخه الصوفي محمد بن الحبيب الدرقاوي (ت.1972م).

الروحي واللحظات الأولى لاعتناقه الإسلام بلغة أدبية يهيمن عليها الأسلوب الصوفي المشرق، المفعم بروح الإحساس الإيماني حيث تختمر الروح بلذة الذكر فيطغى الوجدان ويفيض على اللغة فتتدفق كأنهار من العسل المصفى، أو جداول رقراقة من الماء العذب الزلال. يسرد قصة تحوله إلى الإسلام وما شابها من مد وجزر لمشاعر تبحث عن هوية موطن للاستقرار، قائلا:

" بدا الشوق القلق في قلبي ساكنا، ربما كانت لحظة الصلاة هي التي منحتني تلك السكينة، لكني الآن وبشكل عام أحسست بعذوبة وسكينة بداخلي، لأول مرة يحدث هذا الأمر في حياتي.. لأول مرة. عندما تذكرت السبب الأول حينئذ فقط تحرك الاضطراب القديم بداخلي ثم اندفعت خارج الفندق ومشيت في السوق، كنت أتجول بين الاحتمالات بشكل عشوائي.. وبينما أنا أتجول كان الاستياء يكبر بداخلي، تسلقت هضبة خارج سور المدينة، ونظرت إلى غروب الشمس كانت الأضواء مشتعلة فوق المآذن معلنة عن دخول وقت صلاة المغرب. انطلق الآذان من ثلاث مئة وخمسة وستين مسجدا، صوت يندمج داخل صوت في تذبذب آسر للقوى الأخروية، كنت مليئا بالحزن وأحسست بأسف شديد عندما تفكرت في قدري، ماذا فعلت؟ هل غيرت ديانة بأخرى فحسب؟ أكيد أن الديانة الجديدة امتازت ببساطتها المطلقة في شريعتها وفي شعائرها"[(1)].

يُلْزِم الانتقال من مقام القلق إلى مقام الاطمئنان الصوفي بعبور مدارج الجذب، حيث يرقى الفهم من عالم الشهادة إلى الغيب، قبل تحقق

(1) Dallas, Ian. The Book of Strangers. In: The Collected Works of Ian Dallas. Cape Town: Budgate Press (2005). P: 748.

الاستواء؛ فيصير عالم الغيب مشاهدا في الصحو، ويخفت عالم الشهادة في السكر، يواصل في هذا المعنى سرده قائلا:

"لم أكن قد جربت شيئا خارج مملكة الفكر والإحساس، لأنه لم يسبق لي أن دخلت من قبل إلى معبد روحي للمعرفة، لم يكن لي شيخ، ولم أَنْتَمِ لأية جماعة تنشد الحكمة ..وأنا نازل تلك الأدراج الشديدة الانحدار، عائدا إلى المدينة، إذا برجل نازل السلالم يمر على مقربة مني، مرتديا قميصا أبيض متدليا، يتموج تماشيا مع حركاته، لم تبد عليه سمات القوة، بدا هائما في الأفق، كان مكشوف الرأس، شعره أسود مجعد محلوق حديثا، حاملا شيئا ما بيده اليمنى وكأنه حريص على أن يقدمه لشريك خفي، بدا جميل المحيى، تنبعث منه موجات من رجفات البهجة العارمة. عند وصوله إلى الهضبة غفل تماما عني. وعلى الرغم من أنه بدا غير مدرك للأدراج إلا أنه صعدها بثبات، كانت عيناه متوهجتان تحدقان نحو الأمام. أول فكرة خطرت ببالي هي أنه في حالة سكر دلّت على ذلك تلك الرجفات الخفية لغيابه في قلب وجوده، وما إن اقترب حتى غيَّرت فكرتي عنه؛ فلم أعد أراه معربدا بل أحمق. وأنا أحدق في تفاصيل وجهه الشاخص الفارغ، خطر ببالي كلمة "مشلول"، وبعدما تجاوزني، أحاطت بي قوة مشعة شبيهة بتدفق المطر، أدركت حينها أنه ليس أحمقا، رأيت ما كان بيده وسمعت صوته العميق والمُلِح، كان يحمل سبحة ذات خرزات خشبية يمررها عبر يديه، ينقر بإبهامه على كل خرزة مرددا: الله الله الله الله الله، تشوش سكوني، واختفى غسق رفاهية الرحمة، وهناك مجددا ثارت بداخلي تلك القوة المتمردة التي أبعدتني عن عملي وأصدقائي ومسكني، كأنها سفينة ضخمة أبحرت بجانب مركبي الصغير فُقدنا على آثارها ثم تُرِكنا بدون توازن في مواجهة أمواج خلّفها تدافعها وانحدارها، أسرعت إلى المسجد ثم توضأت، بدأت برش

الماء البارد على وجهي عَلي أستطيع العودة إلى رشدي "[1].

يواصل بنفس صوفي يلتقط الإشارات ويفهم ما وراء العبارات، ويتلذذ بالخطاب من جميع النواحي، ويهيم بالفكر في بواطن أعمال الجوارح؛ فيبدو الكل منسجما مهللا لوحدانية الأحد الصمد، يقول:

أنهيت سجدات الفريضة، وجلست القرفصاء متكئا بظهري على أحد أعمدة المسجد مواجها المحراب، كنت أحاول أن أهدئ من الثورة بالنظر إلى الأعمدة العالية، غير أنه لم تكن لدي القدرة على ضبط أفكاري التي تثير الضوضاء في رأسي كجيش ينتشر برقعة المدينة. تملكني إحساس شبيه بطعنة من ذاك الرجل الذي التقيته في الدرج وسرى السم عبر الجرح المفتوح.ردِّدَتْ:"السلام عليكم" وقبل أن أعلم أن السلام ألقي علي، أجبت "و عليكم السلام" مضيفا: "و رحمة الله"، كان من ينظر إلي، رجل ذو ابتسامة عذبة متجردة كأنما يبتسم لشيء في حلمه، يرتدي عمامة ملفوفة وله لحية قد حلقت خلال أيام قليلة، بدت عيناه باهتتان كأرمد أو كأنهما ظلتا تبكيان لمدة طويلة. وهو محرك أصبعه مشيرا إلي: "أنت غافل... لكن عندما تصلي"- حرّك إبهامه إلى الأعلى "الله"، "يمكنني أن أرى أي صنف من الناس كنت عندما صليت... عندما تصلي كل حركة، كل كلمة فقط هكذا، الله أكبر". صرَّح بالاسم الإلهي بنوع من الخشوع، تاركا المقطع الثاني يهتز في صمت قبل أن يتم التكبير، ثم وضع يداه خلف أذنيه، كانت أصابعه ممدودة ومتفرقة، ثم خفضهما إلى فوق صدره" يجب أن تكون مجهولا، خفيا، كن الصلاة، ابتعد عن نفسك"[2].

وما بعد الحيرة وفهم لذيذ الخطاب والعثور على الكبريت الأحمر

(1) Dallas, Ian. The Book of Strangers (Op.Cit). P: 749.
(2) Ibid. P: 150.

والمرشد الحي الذي يمدُّ الباطن بالفهم إلَّا الهيام في المحبوب، للوصول إلى معنى الحب الفطري، يبدأ سفره الباطني في تصميم قائلا:

أمسكت يده باندفاع وامتنان، فربت على كتفي كطفل، بعد برهة أخبرته عن ذاك الصبي الأحمق الذي شهدته في الهضبة، فانحنى برأسه بعدما تكلمت وأغمض عينيه قائلا: "مجذوب وليس بأحمق ولا متشرد"، ضحك ليتم كلامه قائلا: "إنه في حالة سكر، سكر بالحب، اغتسل في الخمرة المتبلورة في العسل، مجذوب" كان يردد الكلمات بشيء من الرضا والحبور مما أسَرني وشدَّ انتباهي "كم هو حقير حبنا! أو يمكننا أن نسميه حبا؟ ليس ببعيد وسوف ننزل البحر ألست بخائف؟ لا؟ آه! بل يجب عليك ذلك "[1].

المبحث الثاني: التأثير الصوفي المغربي في الشعر الأمريكي الحديث

أبدع الصوفية في كل مناحي الحياة الثقافية والأدبية، فألفوا في التفسير والفقه والصلوات على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، والشروح، والمناقب وغيرها..، لكن أشهر ما عُرف به الصوفية في الغرب هو اهتمامهم بالشعر والموسيقى والفن، حيث "كان الشعر الصوفي أول ما أثار المستشرقين الأوروبيين الأوائل الذين "اكتشفوا" التصوف عند نهاية القرن الثامن عشر، وأقنعهم بأن ما وجدوه هو من أروع الأشياء في ثقافة الشرق"[2]، "و بالتأكيد، فإن اكتشاف الأدب الصوفي تطلب عزله عن سياقه الإسلامي الموصوف بالصرامة في الانضباط للشرع، حيث تم بداية تأويل الشعر الصوفي وفق المعايير الرومانسية الكونية بقصد إرجاعه إلى مصادر

(1) Ibid. P: 151.
(2) Ernest Carl, The Shambhala Guide To Sufism, Shambhala Publication, Boston(1997), p.147.

هندية أو إغريقية ومسيحية"[1].

المطلب الأول: حضور الشعر الصوفي في الغرب الأنجلوأمريكي.

أثَّـر الشعر الصوفي في كبار الأدباء الغربيين كالألماني الشهير غوتيه، والأمريكي إيمرسون الذين سُحروا بأشعار حافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي، التي ترجمت من الفارسية بواسطة وليام جونز (William Jones) وفريدريك روكير (Friedrich Ruckert)، حيث ظلت المناقشات الأدبية خلال القرن التاسع عشر مستمرة حول: هل ينبغي أن تفسر معاني الحب والخمرة في سياقها الحرفي أم في معناها الرمزي؟[2] مما دفع أحد الباحثين المرموقين في المجال إلى القول إن" قوة الشعر الصوفي ترسخت وانتشرت ليس فقط بفعل أنصاره المخلصين في سياقاته الدينية، وإنما أيضا بالمناقشات العميقة والعاطفية التي أحاطت بتأويله من طرف الباحثين الغربيين منذ "اكتشاف" التصوف الأدبي قبل قرنين من الزمان"[3].

حظي الشعر الصوفي المكتوب باللغة الفارسية بالحصة الكبرى من الاهتمام في سياق ترجماته إلى اللغات الغربية، ولم يلتفت الباحثون الغربيون إلا مؤخرا لأهمية الشعر الصوفي المكتوب باللغة العربية، حيث تكونت في الغرب مدارس تعنى بترجمة الشعر الصوفي من اللغة العربية إلى لغات أخرى، منها على سبيل المثال: "-مدرسة شيكاغو- لدراسة الشعر الصوفي العربي التي أسسها (Jaroslav Stetkevych) والتي تضم باحثين متميزين أمثال: ميكايل سيلز (Michael Sells) وإيميل هومرين

(1) Ibid, p.147.
(2) Ibid, p.147.
(3) Ibid, p..149

(Th.Emil Homrin)، وقد أنتجت هذه المدرسة ترجمات جديدة وقوية تفتح آفاقا جديدة لإدراك القوة الفنية والجمالية للشعر الصوفي العربي"[1].

ومن أكثر أنواع القصيد الصوفي تداولاً الآن في الغرب والذي يحظى بالإقبال وبالدراسة نجد أشعار: محيي الدين ابن عربي، سواء تلك التي تضمنتها كتبه الشهيرة كالفتوحات المكية وفصوص الحكم، أو تلك الواردة في دواوين خاصة كترجمان الأشواق الذي ترجمه رينولد نيكلسون إلى الإنجليزية[2]. كذلك قصائد الحلاج تُرْجِمَت ودُرِسَت أيضا من طرف لويس ماسينيون[3]. أيضا عمر بن الفارض نال حقه من الترجمة والدراسة[4].

المطلب الثاني: حضور الشعر الصوفي المغربي في الترجمات الإنجليزية:

حظي الشعر الصوفي العربي الذي أبدعه الصوفية المغاربة بنصيبه من الترجمة والدراسة في الولايات المتحدة، فقد قام الباحث الأمريكي فانسنت كورنل بعمل رائد حين جمع قصائد أبي مدين الغوث في ديوان شعري وعمل على ترجمته ونشره تحت عنوان: طريق أبي مدين[5] (The Way of Abu Madyan)، كما ترجمت أشعار محمد الحراق[6]، لكن قصائد ديوان الشيخ محمد بن الحبيب الموسوم ب: *بغية المريدين السائرين وتحفة العارفين السالكين* تظل أكثر القصائد الصوفية المغربية حضورا في العالم

(1) Ibid, p..152
(2) Muhyiddin ibn al-'Arabi, The Tarjuman al-Ashwaq, A Collection of Mystical Odes, ed.&trans. Reynold A.Nicholson (London, 1911; Reprint ed., London: Theosophical Publishing House Ltd, 1978).
(3) Louis Massignon, Le Diwan d'al-Hallaj, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris(1955).
(4) Homerin, Emil, From Arab Poet to Muslim Saint: Ibn al-Farid, His Verse, and His Shrine, Columbia SC: University Of South Carolina Press(1994).
(5) Cornell Vincent, The Way of Abu Madyan, pp.150-75.
(6) The Diwans of the Darqawa, Translated by: Aicha Abdar-Rahman (Bewley), Diwan Press (1980), pp: 137-240.

الغربي بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، بفعل انتشارها بين صفوف المريدين الأوروبيين والأمريكيين التابعين للشيخ محمد بن الحبيب، حيث يقول الشيخ السكوتلاندي عبد القادر الصوفي في هذا السياق:

"هناك عنصر جديد تم إدخاله إلى الممارسة الصوفية بفضل ديوان محمد بن الحبيب، من قبل كانت قصائد الديوان تغنى فقط في مجالس السماع. اليوم، صارت هذه القصائد شعيرة حبيبية درقاوية لا تمارس في مجالس السماع فقط، وإنما تنشد في جميع لقاءاتهم ولو لتناول كأس شاي؛ لقد أصبح ديوان محمد بن الحبيب معروفا ومحبوبا...حيث يغنى من طرف الصوفية في مختلف أنحاء العالم، سمعناه ينشد في مكة، وفي إندونيسيا، وفي أمريكا الغربية كما في أنجلترا "[1].

المطلب الثالث: تأثير التصوف المغربي في الشعر الأمريكي الحديث: الشاعر الأمريكي المسلم دانيال مور نموذجا:

تجاوز حضور قصائد الشيخ محمد بن الحبيب مستوى تداولها بين المريدين الغربيين في جلسات صوفية جد خاصة إلى مستوى أعمق يصل إلى التأثير في شعراء أمريكيين آخرين أمثال: روبرت لونغو[2] ودانيال مور الذي سنتطرق له ولأعماله بتفصيل في المطالب الموالية.

1- سيرة حياة:

ولد دانيال جمس مور سنة: 1940م في أوكلاند (Oakland) بكاليفورنيا، يقول عنه الأديب العربي، منير العكش:

"في الستينات كان مور من أبرز شعراء "بيركلي" الحالمة بأمريكا أكثر

(1) As-Sufi, ‘Abdalqadir. “Preface to the Diwan of Shaykh Ibn al-Habib”, The Diwan of Shaykh Ibn al-Habib, Madinah Press (Op.Cit).

(2) شاعر أمريكي مسلم، توفي في كيب تاون يوم 25 رمضان 1433هـ/14 غشت2012م.

إنسانية وعالم أكثر عدلاً. وتعتبر دواوينه "رؤيا الفجر" و"القلب المحترق: مرثاة لموتى الحرب" و"جسد النور الأسود" و"حكمة المحارب" ثورة في حركة الشعر الأمريكي الحديث. كذلك كانت مسرحياته...مدرسة إبداعية وإنسانية"[1].

نُشر أول ديوان شعري لدانيال مور بسان فرانسيسكو سنة 1964م تحت عنوان: رؤى الفجر(Dawn Visions) ، ونشر ديوانه الثاني سنة: 1972م تحت عنوان: القلب المحترق: مرثاة لموتى الحرب Burnt Heart/Ode to the War Dead). كان دانيال عبد الحي مور وراء تأسيس وإدارة مدرسة فنية راقية تمثلت في فرقة الأوبرا (The Floating Lotus Magic Opera Company) التي أنشأها في مدينة بيركلي بولاية كاليفورنيا أواخر الستينات من القرن الماضي، حيث قدمت اثنين من أهم إنتاجاته وهما: "الجدران تجري بالدم" (The Walls Are Running Blood) و"نعيم القيامة" (Bliss Apocalypse).

لكن الستينات لم تمض على دانيال مور حتى زار المغرب وتعرف على الشيخ محمد بن الحبيب ليعود إلى بيركلي مسلماً يتوهج شعره بأسمى روحانية عرفها الشعر الإنجليزي المعاصر، وهكذا اعتنق دانيال مور الإسلام في المغرب سنة 1970م، وسلك طريق التصوف منذ تلك اللحظة على يد الشيخ سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية في مكناس (ت.1972م).

قام دانيال مور بأداء فريضة الحج سنة:1972م، حيث عاش بعد ذلك فترة في المغرب كان خلالها كثير الترحال بينه وبين الجزائر وإسبانيا

(1) منير العكش، "الشاعر والكاتب الأمريكي دانيال مور"، نشر بتاريخ: السبت, 26 تموز/يوليو 2008م، نقلا عن: .http: //www.islamstory.com/

ونيجيريا، ليستقر به المطاف في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان في هذه الفترة يعيش مرحلة عزوف عن كتابة الشعر أو قراءته امتثالا لأوامر شيخه، باستثناء قراءته للقرآن الكريم ولديوان الشيخ محمد بن الحبيب، يقول هو عن هذه المرحلة:

"بعد اعتناقي للإسلام بفترة قصيرة، أرشدني أستاذي الأول في الإسلام [يعني الشيخ عبد القادر الصوفي] أن أتوقف عن كتابة الشعر وعن قراءة أي كتب باستثناء القرآن الكريم وديوان *بغية المريدين السائرين* للشيخ محمد بن الحبيب"(1).

أما الكاتب الكبير لاورينس فيرلينجيتي (Lawrence Ferlinghetti) فيقول عن هذه المرحلة: "عندما أصبح مور صوفيا تخلى عن كتابة الشعر مثله مثل ريمبو"(2)، لكن عشر سنوات بعد ذلك سيتدفق الشعر مجددا على عبد الحي مور أنهارا من الإلهامات الغيبية، يقول: "عندما بدأت أكتب مجددا أحسست كأن سيلا جارفا كان محتقنا من الكلمات قد انفجر على مصراعيه لينفتح فِيَّ ألوان براقة، وأن صنفا من النشوة الأخروية تولت كالهبوب. كانت النتيجة من بداية الثمانينات إلى الآن صدور ديوان تلو آخر"(3)، حيث عمل في بداية الثمانينات على نشر ديوانيه الشعريين: الصحراء هي باب النجاة: (The Desert is the Only Way Out) وحوليات الآخرة (Chronicles of Akhira). والعديد من الدواوين الأخرى.

عمل دانيال عبد الحي مور كذلك محررا رئيسيا لعدد من الأعمال، نذكر منها: بردة الشيخ البوصيري، التي ترجمت من طرف الشيخ حمزة يوسف هانسن، وأشعار الشاعر الفلسطيني محمود درويش التي ترجمها منير

(1) Q-News, Issue: July2006- No: 367, p: 58.
(2) http: //www.danielmoorepoetry.com/about.html.
(3) Q-News, Issue: July2006- No: 367, p: 59.

العكش.

ينشر دانيال مور أعماله أيضا، وبشكل أوسع على شبكة الإنترنيت العالمية، في منتديات شهيرة مثل: المسلم الأمريكي (The American Muslim)، ومرفأ الدين (DeenPort)، وله موقع خاص على شبكة الإنترنيت: www.danielmoorepoetry.com، ومدونة شعرية: www.ecstaticxchange.wordpress.com.

يعمل دانيال مور حاليا محررا للشعر في مجلة الفصول (Seasons Journal)، كما أنه ساهم بشكل فعال ورئيس في محاور سلسلة "أصوات الإسلام"(Voices of Islam) التي يشرف على تحريرها المفكر الأمريكي المسلم فانسنت كورنل والتي صدرت في خمسة أعداد كان لقصائد دانيال مور ومساهماته النثرية الحيز الأكبر ضمن صفحات السلسلة التي تتوخى "تلبية حاجيات المسلمين في الغرب بإسماع أصوات مسلمة تدلي بشهادتها ومنطقها وآرائها حول الإسلام الذي يعتبر أكبر ديانة تعرضت إلى تشويه صورتها في الولايات المتحدة الأمريكية بالخصوص، وفي الغرب برمته، على الرغم من وجود بعض الدراسات المنصفة كتلك التي أنجزها كارل إرنست (Carl Ernest) أو جين سميث (Jane Smith)"[1].

2-الشاعر الظاهرة:

يقول منير العكش عن دانيال مور: "بالرغم من عزوف الناشرين الأمريكيين عن طبع مجموعاته [في تلك الفترة] فإن حضور دانيال مور القوي والمتميز ما يزال ظاهرة مثيرة في الشعر الأمريكي المعاصر. هناك من

(1) Cornell, Vincent edit.Voices of Islam, Vol: 1 (Voices of Tradition), Praeger Publishers(2007), p.xii.

يعتبره "عمر خيام" العصر بينما يعتبره آخرون "إقبال" أمريكا"[1]. يقول عنه الأكاديمي الأمريكي ألان غودلاس (Alan Godlas): "إن مور هو شاعر أمريكا اليوم كما أنه شاعر الإسلام - باللغة الإنجليزية- دون منازع.. إنه مثير بتجذره الأمريكي ومثير بروحانيته الإسلامية.. إن قراءته رحلة. والسفر معه يثير الأسئلة: أين نحن؟ في أي عالم؟ أية أمريكا؟ من هو المسلم؟ من أنا؟"[2].

وكتب كولمان بارك: "إن شعر مور يضم موهبة وايتمان ووليامز وغينزبرغ إضافة إلى روحانية الإسلام العميقة"[3].

منذ سنة 1990م سينتقل دانيال مور للإقامة في فيلادلفيا حيث سينشر سنة:1996م ديوانه الشعري سونيتات[4] رمضان: (The Ramadan Sonnets) الذي قال عنه المبدع فيرلنغيتي: "إن تجليات سونيتات رمضان البديعة قد تبدو معارضة لرباعيات الخيام، لكن هدف الشاعرين واحد. إنه الحرية، وموهبتهما مثل فرسي رهان"[5].

3- أعماله الشعرية:

كان دانيال مور قد بدأ بكتابة "سونيتات رمضان" في أول ليالي رمضان (1406هـ/1986م) ليكتشف صباح العيد أنه أنجز مجموعة كاملة من 62

---

(1) منير العكش، "الشاعر والكاتب الأمريكي دانيال مور"، نشر بتاريخ: السبت, 26 تموز/يوليو 2008م، نقلا عن: .http: //www.islamstory.com/

(2) نفسه.

(3) هذا التعليق يوجد على ظهر غلاف مجموعة من دواوين الشاعر دانيال مور المنشورة.
- السونيتة: أغنية صغيرة أو قصيدة تتكون من 14 بيتا شعريا, يذكر مؤرخ الموسيقا العربية هنري جورج فارمر أن المقابل العربي للسونيتا هو كلمة "الجلجل".

(4) منير العكش، "الشاعر والكاتب الأمريكي دانيال مور"، (م.س).

(5) نفسه.

قصيدة كانت كما يقول: "فضاء روحياً لتجربته الرمضانية وتصويراً شعرياً لعالم الصيام والعالم من حول الصيام"[1]. أما العنوان فقد استهواه لأنه رآه تعبيراً عن كل حياته التي تلاقحت فيها ثقافة الغرب وروحانية الإسلام.

أما ديوانه الآخر النحال الأعمى: (The Blind Beekeeper) فسيظهر للوجود سنة: 2002م. وتتوالى الأعمال الأخرى بظهور ديوان (Love is a Letter Burning in a High Wind) سنة:2003م، تلاه سنة:2008 م ديوان: (The Fire Eater's Lunchbreak). وفي سنة 2009م صدر عن دار النشر (The Ecstatic Exchange) بفيلادلفيا ديوان آخر تحت عنوان (Sparrow on the Prophet's Tomb). ويصل عدد دواوين الشاعر حاليا إلى عشرات الكتب.

4- علاقته بالتصوف المغربي: علاقة استمداد وامتداد:

إن علاقة دانيال مور بالتصوف المغربي هي علاقة استمداد وامتداد، فدانيال مور دخل الإسلام في بلاد المغرب وتشرب معين التصوف الإسلامي من الشيخ المغربي سيدي محمد بن الحبيب، وتفتقت سريرته الإبداعية نتيجة اتصال وأخذ مباشر عن طريق مشايخ التصوف المغاربة، مما جعله يُقِرُّ بأن مكناس هي مكان ولادته الحقيقية، وأن بلاد المغرب هي بلاد الأقطاب من أهل الله التي تستحق كل مدح وامتنان، كما يصرح هو بذلك قائلا:

"نعم حتما، أود أن أعبر عن امتناني العظيم لأهل المغرب الذين أظهروا لنا دائما كرما عميقا. بداية، كنت مليئا بالشوق والإثارة لأكون جزءاً من الطريقة في المغرب، فذهبت إلى مكناس حيث زاوية شيخنا معتقدا بأنها

---

(1) نفسه.

نوع من المدن الفاضلة، فكانت بالفعل كاملة ولكن ليس بالشكل الذي كنا نعتقده، بل بالشكل الذي يبدو فيه العالم كاملا. وفي نفس الوقت، كانت نيات كل شخص ولو حتى أولئك الذين لم يبلغوا مرتبة الكمال، مثلنا ومثلي، كانت متوجهة بصدق إلى حلقة الذكر للبحث عن الحضرة الإلهية...هناك شيء دفين في قلوب أهل المغرب، شيء جميل وجوهري ومليء بالإيمان يجعل هذه القلوب مؤهلة لتقبل الخطوات المتنوعة نحو معرفة الحقيقة الإلهية. وباعتباري مواطنا من العالم الذي يعاني من العطش الروحي فإنني أشعر بامتنان عميق لهذا البلد"(1).

لم تكن رحلة دانيال مور إلى المغرب بعد إسلامه للقاء شيخه سيدي محمد بن الحبيب مجرد رحلة مكانية مادية، بل كانت رحلة قيم ومبادئ ستغير مسار حياة المبدع دانيال مور وستجعل رؤيته للوجود وللفن أكثر انفتاحا ورحابة، يحكي مسار سفره الباطني والظاهري إلى شيخه بأسلوب لا يخلو من ذوق فنان يتوق إلى اتصال مع مصدر الإلهام الكلي قائلا:

"عندما اعتنقت الإسلام، دخلت أيضا الطريقة الصوفية الحبيبية الدرقاوية في المغرب، وعندما كنت أذهب إلى المغرب للجلوس مع شيخنا ومع مريديه، كنت أجدهم ينشدون شعره كجزء أساسي من تعاليمه، كانت قصائده التي أعطيت له في حالات الإلهام أو كما قيل في الطريق إلى الله، عبارة عن إشارات رؤيوية لتجاربه الخاصة في القرب من الله وعن لقاءاته الروحية الحميمة مع النبي صلى الله عليه وسلم. كان هذا النوع من الشعر هو ما أرنو وأحن إليه طيلة حياتي؛ إنها المشاهدة المباشرة! كان فقراء الشيخ سيدي محمد بن الحبيب ينشدون هذه القصائد بعد وجبات الفطور والغذاء

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور في منزله بمدينة فيلاديلفيا بالولايات المتحدة، يوم: 22غشت 2010م.

والعشاء، وفي الليل أيضا.. طيلة اليوم، كان الفقراء يشتغلون بقراءة القرآن وبإنشاد هذه القصائد وقصائد أخرى لمختلف مشايخ التربية على مختلف عصور الإسلام"[1].

لم يقتصر تأثر دانيال مور الذوقي الوجداني فقط على ما شاهده في حضرة شيخه المغربي محمد بن الحبيب الدرقاوي ومجموعة من أتباعه، بل امتد ليشمل كل ما يتعلق بهوية الشخصية المغربية التقليدية الجذابة ولو في الأسواق، مما جعل دانيال مور يعلن ولادته مجددا في أرض المغرب الأقصى بمكناسة الزيتون، كما يقول:

"عندما كانت مجموعتنا الأوربية المسلمة تمر في شوارع أسواق المغرب ونحن نلبس الجلابيب والعمامات التي اشتريناها من مدينة طنجة، قبل التوجه جنوبا نحو عمق التراب المغربي، كان الناس في كل مكان يتوقفون لينظروا إلينا وهم يبكون لأنهم يرون بشكل جلي كيف أن المسلمين الغربيين يحترمون الثقافة المغربية، بدل ذلك التدفق الأول من الغربيين "الهيبيين" الذين كانوا لا يبالون كثيرا بتلك الأشكال الإسلامية للثقافة المغربية... وعلى الرغم من أنني ولدت في أوكلاند بشمال ولاية كاليفورنيا الأمريكية إلا أنني أعتبر مكناس في المغرب هي مكان ولادتي الحقيقية حيث التقيت بشيخي محمد بن الحبيب، رحمه الله، قطب زمانه في الولاية. وحيث عشت كذلك زمنا كان بمذاق الخلود في زاويته ومع مريديه. رأيت هناك شيوخا من جماعته الروحية - منهم نساء أيضا خصوصا زوجاته - الذين قضوا معه عقودا من الزمان والذين هم الآن مثل الأشجار الوارفة، كنت أعيش في غابة كثيفة من العلم والمعرفة ضمن تلك التشكيلة المنوعة

---

(1) استجواب مع المجلة البريطانية:

Q-News, Issue 367, July 2006 .

من الناس التي التقيتها هناك، وجدت تلك الأشجار الشامخة مثل الغابات الشاهقة، ذلك كان عالم مجالات شيخنا "[1].

من الذكريات التي طبعت مسار حياة دانيال مور والتي ما تزال إلى يومنا هذا محفورة في قلبه وذهنه، هي تلك اللحظة التي تلقى فيها خبر وفاة شيخه سيدي محمد بن الحبيب وهو في رحلة إلى بلاد الحجاز قصد أداء مناسك الحج لأول مرة في حياته، يقول واصفا تلك اللحظة:

"كنت مع مجموعة من المريدين في الزاوية خلال شهر رمضان الأخير من حياة الشيخ ابن الحبيب، وذهبت إلى الحج سنة: 1972م مع الشيخ عبد القادر الصوفي والشيخ عبد الحق بيولي وعبد العزيز ريدباث والمصور الفوتوغرافي الكبير بيتر عبد العظيم ساندرز. كان بحق حجا هاما جدا بالنسبة إلينا لأننا كنا نرتقب لقاء الشيخ ابن الحبيب في جدة، حيث كنا قد استأذناه من قبل في الذهاب إلى الحج عندما كنا في مكناس في رمضان، فقال لنا: "نلتقي في جدة"، ولكن عندما وصلنا إلى جدة لم يكن هناك. ولمَّا ذهبنا إلى مكة لم نره هناك أيضا. بعد ذلك جاءنا قَيِّمُ الزاوية سيدي مولاي الشريف يجري نحونا، ثم قدم تحياته إلينا بانشراح كبير وسأل عن أحوالنا وعن ظروف سفرنا وإقامتنا التي لم نكن راضين عنها بسبب أن مطوفنا لم يكن مهتما بشأننا. بعد ذلك، بحث لنا عن مكان أفضل لإقامتنا وأخذنا لتناول الغذاء حيث كان الجوع قد تمكّن منا. بعد فراغنا من الأكل استفرد بالشيخ عبد الحق بيولي ليحدثه في شأن معين، وحين رجع إلينا الشيخ عبد الحق كانت الدموع تملأ وجنتيه، قائلا: "إن الشيخ ابن الحبيب لا يمكنه اللقاء بنا في مكة لأنه رحل إلى ربه في طريقه من مكناس إلى البليدة في

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور (م.س).

الجزائر"، وهكذا كان حجنا حزنا عميقا، وفي الآن ذاته تجربة عميقة للحج نفسه. كان ذلك الحج رحلة مضاعفة الصعوبة حتى بعد رجوعنا إلى أنجلترا لنخبر بقية الجماعة بمثل هذه الأخبار المحزنة. ولكن أنا كنت دائما أشعر - وهذا الشعور لا يزال مستمرا في حياتي الروحية الخاصة كنموذج حي من الأدب الحقيقي - تلك الطريقة التي حيَّانا بها ذلك الفقير بالرغم من أنه كان مثقلا بمثل تلك الأخبار المؤسفة، حيث لم يبادرنا قائلا: "مات الشيخ!مات الشيخ!"، بل في الحقيقة عمل بداية على التأكد من تحقق راحتنا وشبعنا، وبعد ذلك تكلم كلمات الحق بشكل منفرد مع الشيخ عبد الحق بيولي"[1].

لم تنته رحلة دانيال مور الروحية الاستمدادية من بلد المغرب الأقصى بمجرد وفاة شيخه الأول سيدي محمد بن الحبيب (1972م)، بل ما تزال متواصلة إلى يومنا هذا وبنفس المذاق كما يُقرُّ هو بنفسه قائلا: " وهكذا، عندما زرت أنا وزوجتي مكناس سنوات قليلة مضت في بداية سنة: 2000م أحسست فجأة بأني في منزلي مجددا"[2].

يواصل دانيال معترفا بفضل أهل المغرب:

"وجدنا في كل أسفارنا إلى المغرب وزيارتنا لأهله، إلى جانب الجمال الطبيعي للبلد نفسه الزاخر بوديان الخزامى وبالسهول الخضراء المتدفقة وبثقافته الغنية والمتنوعة، أن هناك حكمة عميقة ونوعا من البراءة تسري بين سكانه، هناك جوهر وجمال في الناس وبالتأكيد ذلك نابع من التقليد العميق للتصوف الإسلامي الذي يشكل بكل تجلياته أكثر من جزء في المغرب، حيث ما يزال هذا التقليد حيا عبر الأولياء والشيوخ والعلماء الأحياء، وأيضا عبر الطرق الصوفية التي تقود إلى الله وإلى الحقيقة المطلقة

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

عن طريق الإذن الصحيح والسند السليم الصادر من شيوخ المعرفة الحقيقيين والذين يوجد منهم اليوم العديد من النماذج الحية والرائعة.. أملي أن يستمر الإسلام والتصوف في النمو والازدهار بين جميع البشر وفي كل مكان، وأن يصل المغرب مجددا إلى ذروة عصره الذهبي في التصوف والتعاليم الإسلامية الصحيحة وفي توفير التغذية المتواصلة لكل أولئك الذين ينشدون إرواء ظمئهم من التجربة الروحية الحقيقية ومن الحكمة الأساسية العميقة الجذور...آمين"[1].

هكذا إذن، وجد دانيال مور الشعر كقاطرة للمعرفة الإلهية ومخزنا حيويا متكررا للتجارب الذوقية التي تفوق الكلمات الجافة للمحاضرات والأطروحات الجامعية. وجد الشعر هنا ذا معنى فوري، وهذا ما كان يتوافق مع أعمال مجموعة: بيتز في سان فرانسيسكو (the Beats in San Francisco) التي كانت تنشد "التجربة المباشرة"، باستثناء أن الهدف هنا كان هو التنوير الروحي في الله.

5- تطور موضوعاته الشعرية بعد دخوله الإسلام:

بعد اعتناق دانيال مور للإسلام، وتوقفه لفترة قصيرة عن كتابة الشعر بأمر من عبد القادر الصوفي الذي كان حينئذ يتصرف باعتباره مقدما للشيخ محمد بن الحبيب في الغرب، أحس، بعدها، كأن سيلا جارفا كان محتقنا من الكلمات قد انفجر على مصراعيه، لينفتح في ألوان براقة وأن صنفا من النشوة الأخروية بدأت كالهبوب. كانت النتيجة من بداية الثمانينات إلى الآن صدور ديوان تلو آخر.. حتى صار اليوم يملك تسعا وخمسين مخطوطة من الشعر والتي ينشرها تباعا في سلسلة إكستاتيك إكستشينج: Ecstatic

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور (م.س).

(Exchange Series)[1].

حيث بدأت تتسرب إلى أشعاره موضوعات/تيمات جديدة جعلت منه شاعر التصوف الإسلامي الأول في أمريكا، يقول مجيبا عن سؤال وجهته إليه حول هذا الموضوع قائلا:

"لعل الموضوعة الرئيسية في أشعاري هي: حب الله والنبي صلى الله عليه وسلم والتعاليم النبوية أو النبوة نفسها، بالإضافة إلى شيوخ المعرفة والأولياء وطرق الولاية؛ هذا هو الحب الثابت للدواليب المتحركة لقصائدي، والتي تضم في لغة مجازية أكثر حيوية أيضا الطبيعة والحيوانات، خصوصا الحشرات، لأنني دائما مأخوذ بالآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2].

الشاعر دانيال مور في هذا الاختيار إنما يحاكي موقف شيخه محمد بن الحبيب في التأمل في معاني النفس البشرية، والتفكر في الأكوان كلها، كما هو واضح من خلال ديوانه بغية *المريدين*، لا سيما في قصيدته"رائية التفكر"أدناه:

<u>رائية التفكر</u>[3]:

تفكر جميل الصنع في البر والبحر — وجُلْ في صفات الله في السر والجهر
وفي النفس والآفاق أعظم شاهد — على كمالات الله من غير ما حصر
فلو جلت في الأجسام مع حسن شكلها — وتنظيمها تنظيم خيط من الدر
وجلت في أسرار اللسان ونطقه — وتعبيره عما تكنه في الصدر

---

(1) استجواب مع المجلة البريطانية:

Q-News, Issue 367, July 2006 .

(2) سورة البقرة، الآية: 26.

(3) ابن الحبيب، محمد. ديوان بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين، دار صادر، بيروت(ط1/1422هـ.2001م)، ص: 54.

وتسخيرها للقلب من غير ما عسر   وجلت في أسرار الجوارح كلها
وفي بعض أحيان لمعصية تسري   وجلت في تقليب القلوب لطاعة
وكثرة ما فيها من السهل والوعر   وجلت في أرض مع تنوع نبتها
وكثـرة أمواج لها حاجز قهـر   وجلت في أسرار البحار وحوتها
لغيم وسحب قد أسالت من القطر   وجلت في أسرار الرياح وجلبها
وعرش وكرسي وروح من الأمر   وجلت في أسرار السموات كلها
وحلت عن الأوهام والشك والغير   عقدت على التوحيد عقد مصمم
وحصني من الأسواء والضيم والمكر   وقلت إلهي أنت سؤلي ومطلبي
وأنت الذي تنجي من السوء والشر   وأنت رجائي في قضاء حوائجي
وأنت الذي تغني الفقير عن الفقر   وأنت الرحيم المستجيب لمن دعاك
فعجل بفتح يا إلهي مع السر   إليك رفعت يارفيع مطالبي
ويوم ورود الناس لموقف الحشر   بجاه الذي يرجى يوم الكرب والعنا
في أنوار ذاته لدى كل مظهر   عليه صلاة الله ما جال عارف
لسنته الغراء في النهي والأمر   وآله والأصحاب مع كل تابع

شكلت هذه القصيدة المحور النظري الفني والجمالي الذي تدور حوله معظم أشعار دانيال مور، الذي يقول في فضل هذه القصيدة:

"بالإضافة إلى الإلهام الروحي الكامل، هذه القصيدة المدهشة لشيخنا يمكنها أن تشكل وثيقة وقاعدة رسمية لكتابة الشعر اليوم وإلى الأبد. كما يمكن أن تنبثق عن هذه القصيدة مجموعة من القصائد العظيمة، أنا بالتأكيد جعلت من هذه القصيدة، كما غيرها من القصائد الأخرى لشيخنا، "نظرية جمالية وفنية" لأعمالي على مدى السنين، كما جعلت من النية التي كُتِبَتْ بها دائما مصدر انتعاشي وتجددي"[1].

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور في منزله بمدينة فيلاديلفيا بالولايات المتحدة، يوم: 22غشت 2010م.

على الرغم من أن بعض أشعار دانيال مور تبدو لأول وهلة بعيدة عن الموضوعات الإسلامية بمعناها الظاهري الصريح، لكن عند تأملنا في مضامينها تفصح لنا عن بعدها الإنساني الشمولي، على اعتبار أن الشعر نقطة تناغم مع العالم عن طريق القلب الذي هو مصدر الحكمة العميقة المقرِّبة من الله، فـ"المعاني قائمة بصورها" كما يقول ديوان الشيخ ابن الحبيب. يقول دانيال مور مجيبا عن تساؤل في هذا السياق:

"أغلب كتبي لا تبدو دائما ذات تيمات إسلامية منذ البداية مع بعض العناوين الغريبة والتي تضم بعض القصائد "التخيلية" أو الوهمية أو الخيالية جدا. ولكن كتبت أيضا عددا من الكتب المتخصصة في القصائد الإسلامية كديوان "سونيتات رمضان" الأكثر شهرة إلى اليوم (نُشِر أول مرة كمقتطفات في مجلة: المسلم الأمريكي"The American Muslim" بفضل شيلا موساجي"Sheila Musaji " المشكورة). والذي كانت نيتي من خلاله أن أفتح خوالج نفسي وأكتب قصيدة في كل يوم من أيام رمضان 1986م، كما أصدرت أيضا ديوان: "عصفور على روضة النبي"، والذي يضم ثلاثة كتب قصيرة هي: "زمن زيغ مكة/المدينة"، "حوليات الآخرة" و"مولود.." هذه على وجه التحديد هي دواوين إسلامية صوفية؛ فزمن زيغ مكة/المدينة كتبت خلال رحلة العمرة التي قمت بها رفقة زوجتي سنة: 1996م، وتذكرت بأن العلماء والشعراء كانوا يتبركون بالكتابة في الحرم المكي الشريف فأخذت معي دفتر ملاحظاتي وفعلت الشيء نفسه سواء في الحرم المكي، أو في حضرة ضريح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة حيث كتبت القصيدة التي أسميت الديوان باسمها "عصفور على روضة النبي" منذ تلك اللحظة"[1].

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور (م.س).

هكذا إذن، يخلص دانيال مور إلى أن واجبه ككاتب أو شاعر هو أن يضع نفسه دائما في خضم ما سيأتي، حيثما قد تحدث تجليات الله والتي:

" تقع في كل مكان، بطبيعة الحال، سواء أدركنا ذلك أم لا، ولكن علينا أن نكون في حال من الذكر لإدراكها في غالب الأحيان وبشكل أعمق. هذا يتطلب تداريب معينة والتي حصلت عليها بشكل تدريجي من تلك الفترة التي قضيتها مع شيخي [سيدي محمد بن الحبيب] ومقدمه [الشيخ السكوتلاندي عبد القادر الصوفي]، وأيضا من خلال فترة التأمل الأولى التي قضيتها مع "بوذية زن"، بالإضافة إلى شيء آخر صرت أكثر إدراكا له بفعل أسفاري لمختلف مناطق العالم ومشاهدة ما فعله الله بالحضارات الأخرى ماضيا وحاضرا، كما ينصحنا بذلك سبحانه وتعالى في القرآن الكريم"(1).

لقد وظف دانيال مور أسفاره لملاقاة أهل التصوف أحياء وأمواتا، لا سيما أقطاب المغرب كالشيخ علي الجمل العمراني(2) صاحب كتاب "نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد"، والشيخ عبدالسلام بن مشيش بطريقة مغذية للروح والقلب معا، يقول في هذا الشأن:

"استثمرت كل هذه التجارب في شعري بأسلوب لا يمكنني في الواقع حتى أن أفسره، وذلك ليس لكونه جلي الوضوح... إلى اليوم، لا زلت لم أكتب قصة حول رحلتي إلى ضريح الشيخ ابن مشيش وذلك لأنني لست

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور (م.س).

(2) الشيخ العارف بالله، سيدي علي بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الشريف الحسني الإدريسي العمراني، من شرفاء بني عمران، أهل قبيلة بني حسان الملقب بالجمل، لأنه وجد بعيرا راقدا في الطريق فرفعه ووضعه خارجه، فرآه شخص فقال، إنه الجمل فتعارف بهذا الاسم»1 ولد سنة 1087هـ الموافق 1693م وتوفي عشية يوم السبت 29 ربيع الأول سنة 1193هـ الموافق 1779م عن عمر يناهز 106 أعوام، ودفن بزاويته التي بناها بالرميلة بمدينة فاس بالمغرب.

مؤرخا ولا كاتب مذكرات ولكنني كاتب قصائد، لأنك إذا بقيت مجالا مفتوحا من وجهة نظر شعرية خلاقة فإن الله سيعمل من خلالك ما يريده هو.. في ذلك الوقت، عندما فكرت في مقاصدي الشعرية، قلت لنفسي: " هذا هو ما أريد فعله، إن شاء الله، للإسلام وللتصوف، أريد أن أكون صوتا لا يتكلم فقط إلى المسلمين"، لأن هذه الفترة من التاريخ هي عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث الإسلام هو دين الله، ونحن كمسلمين خاصة علينا أن نتذكر بأن النبي جاء للإنسانية جمعاء، وسيظل كذلك حتى نهاية الزمان، فيجب علينا أن نتكلم مع الجميع؛ فعندما أصبحت مسلما كنت أعتزم خلق مجموعة من الأعمال التي تذكرني وتذكر الناس بالله، آملا أن تكون كل قصيدة أكتبها ذكرا بالنسبة إلي وإلى غيري من الناس، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن: "واذكر ربك اذا نسيت"[(1)]، وهي آية تتضمن عظيم الرحمة. عندما نذهب عبر لحظة اللاوعي أو السبات أو الغفلة علينا بالرجوع والتذكر، علينا أن نذكر الله تعالى ونبيه المحبوب صلى الله عليه وسلم، وأن نذكر من نحن وما هو مسار الحياة الذي نحن عليه، ومن ثمة، يعلن القلب عودته إلى الوعي الكامل"[(2)].

6- نماذج مترجمة من أعماله:

تُعدُّ ترجمة أشعار دانيال مور إلى العربية مغامرة جزافية، لا لأنه يتفنن في تنغيم الفروقات اللفظية، ولا لتداخل جمله التي يستعذبها قارئ الإنجليزية، فيما تبدو غريبة على الاستجابة العربية، وإنما لتعدد طبقات رموزه ولتنوع ينابيع هذه الرموز واختلاف ثقافاتها؛ ففي شعره انصهار

---

(1) سورة الكهف، الآية: 24.

(2) حوار أجريته مع الشاعر في منزله بمدينة فيلاديلفيا، يوم: 22غشت 2010م.

عجيب لشعر الثقافات العالمية، وفي مقدمتها شعر السورياليين وشعرنا العربي والفارسي. إنني أتفاجأ أحياناً وأنا أراجع بعض القصائد المترجمة كيف أنه يحيل إلى قصائد عربية أو فارسية من عصور مختلفة. وتأتي في المرتبة الثانية ثقافته العلمية والإنسانية، ولا سيما منها فيزياء الكون، وأدبيات الفيزيائيين الكونيين، والعاملين في علم العصور الجيولوجية والانثروبولوجيا وعلم الآثار.

إن تداخل كل هذه المعارف في قصائده يجعل ترجمته الحرفية مرهقة ومؤذية للأذن العربية التي ما زالت تنفر من كل دخيل على ملكوت اللغة الشعرية المتوارثة.

وأخيراً هناك ما يسميه الشاعر الناقد "جيم كوري" بمخيلة دانيال مور البلاغية النادرة التي تتدفق وتخصب شعره دائماً بالجديد المدهش من العلاقات اللغوية.

لكل هذا، فقد اخترت مقاطع يسيرة الترجمة نسبياً لعلي أقدم لقارئ العربية هذا الشاعر الأمريكي الذي توهج بروحانية الإسلام فأغنى بها تجربة الشعر في أمريكا واستحق بجدارة لقب "محمد إقبال العالم الجديد"[1].

مختارات من "سونيتات رمضان" [2]:

ملائكة لا تلمحها العين

ربّ ملائكة

خافية، لا تلمحها العين

(1) منير العكش، مجلة رابطة أدباء الشام التي تصدر في لندن بابريطانيا: http: //www.odabasham.net/show.php?sid=153 بتاريخ: 2003/08/16.

(2) ترجمها إلى العربية منير العكش، (م،س).

تخترق بلطف جسد الأشياء

* * *

رب ملائكة

تخطر كنقاط الضوء البراقة

فوق مياه الشلال... سريعاً

ورشيقاً كالماء

* * *

مخلوقات من ضوء

تسعى مثل الضوء..

وتزداد بريقاً في جوف الظلماء

* * *

رب ملائكة تسري في الليل إلى غايتها

في طيران خاطف

لا يعجزها الصخر

ولا يمنعها البحر

ولا يثنيها عمق الوادي

* * *

تعبر بموات الأرض فيهتزّ

وينبض منها قلب الأحياء.

مرآة

وجهي جهمٌ

حين أمر أمام المرآة الغبراء.

ومرور الزمن هنا
لا يقشع سخبي.
ألمح عيني
وأرى "النفس"
وما كنتُ أسميه: "أنا".
من هو هذا الإنسان؟
ابني وأبي!
ولمن هذا الوجه الغضبي؟
لغريب أم لحبيب؟
هذا الضوء المكسو بلحم،
هل هو أرض أم شمس
أم أفلاك نبي؟
من يأمرها: هيا سيري!
هيا أعدي؟

* * *

هل من أحد؟

* * *

يا شكلاً في المرآة
ووجهاً كشراع منشور
ستظلُّ غريباً
في هذا العالم
حتى الأبد..

الترتيل

عند تلاوة القرآن
جهراً، في صلاة الصبح
أدرك أن هذا الحلق
لم يخلق إلا لقراءة القرآن..

* * *

أسمع رجعه في القلب
مندفعاً كجوف النبع.
أسمع رجعه
في أحلك الأعماق من جسدي

* * *

وتحضرني ملامح هذه الألحان
فأعرف كيف صاغ الله
حول نشيدها الإنسان
كمثل جِبِلة خلقت من الإحسان
فزادك وجهها حسنا
برجع تلاوة السور.

* * *

كم أحكمت يا رباه
خلق جوارح الإنسان للقرآن
فصار غشاءه الحي، وكم يحلو
لهذا الثغر، بعد الفجر
إنشاد بديع الشعر.

ولماذا الصوم؟

لما خلق الله العقل استحضره
ثم سأله أن يسمو فسما
وسأله أن يهوي فهوى
وسأله أن ينأى فنأى
وسأله أن يدنو فدنا

* * *

لما خلق الله النفس استحضرها
ثم سألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

* * *

ألقاها في النار
وعاقبها عشرة آلاف سنة
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

* * *

وكذلك ألقاها في النار
وعاقبها عشرة آلاف أخرى

ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فعصت
وسألها أن تهوي فعصت
وسألها أن تنأى فعصت
وسألها أن تدنو فعصت

* * *

وأخيراً، فرض الله الصوم
ثم استحضرها
وسألها أن تسمو فارتجفت.. وسمت
وسألها أن تهوي فارتجفت.. وهوت
وسألها أن تنأى فارتجفت.. ونأت
وسألها أن تدنو فارتجفت.. ودنت
بالصوم انكسرت شوكتها
صارت أمَة الله.

البحر وحيتان البحر

لو أن البحر وحيتان البحر
قطرة دمع في عين وليّ

* * *

لو أن حريق الدرب الوعر
رعشة عصب في باطن قدمه

* * *

لو أن الليل وأهوال الليل

وهجوماً نووياً معها
مغصٌ يزعج هذا الضاحي الأبدي

* * *

لو أن وجوه الجوهرة/ الأرض
نقطة ضوء تتحلل في عين تجليه

* * *

لو أن أشعة كل نجوم الليل
تكتب في عينيه
ما تكتب أشرطة الآلات الكاتبة
على الورق الأبيض
حيث الأنفاس فصول
ووجيب القلب منامات
...بين يدي أسد يربض
فوق شفير الصحراء الأزرق
يتثاءب.. حتى يتحجر.

* * *

لو أن الشعر وأعجب ما هذا الشعر
"ومضة" إنذار
في راصدة الزلزال المنصوبة
في قلب وليّ

* * *

عندئذ،
حين تُشَقُّ الأبوابُ

على آجام القمر المشرفة على
كل وجوه المستقبل؛
* * *

حين تصير الريح
خزانة حشر لدخان مائي أخضر
ثم يصير الماء زجاجا،
ويصير زجاج الماء
صواناً أحمر؛
* * *

حين نوجّه موجات سرائرنا
نحو عجائب أفكار الخلق الغارقِ
في أعماق الصلصال البحري؛
* * *

عندئذ
قد ننهضُ:
أيدينا تدفع قوس الأرض
نتهيأ، نمضي في بحر شاقولي
من نور ينفذ في الجبهة منا
ويشق الصدر.
* * *

عندئذ
سنسيح بعيداً في
ضوء نهار ينتظر خطانا

ضوء لا يعرف أين حدود الضوء...

الحضرة

إلى الحضرة
يدنو العاشق الولهان
في حذر.
فيسبقه إذا ما لاحت الأنوار
تأدبه
وخشيته
وما يعروه من ضعة
وما يغشاه من صغر.
يشعشع وجهه المهزول
في خطف من الألق
وما إن تُضرمُ النيران
أجنحةَ الفراشِ
ولا يظل هناك من عذر لمعتذر
يخرّ لوجهه
غشيان مصعوقاً بلا بصر
ويصهره حميم النار
والشوق الذي أضناه للأنوار
منذ بداية السفر
فلم يحمل لرحلته غير حقيبة العمر
وفيها، كل ما فيها ركام عظامه

واللهفة الحرى

إلى الأسرار.

هكذا إذن، تنكشف علاقة الشاعر الأمريكي دانيال مور مع التجربة الصوفية الدرقاوية؛ علاقة استمداد تتجلى من خلال أخذه المباشر من معين التصوف الحبيبي الدرقاوي سلوكا، وعلاقة امتداد تتجلى من خلال النفس الشعري الذي يشابه التجربة الشعرية في متحه من الوجدان؛ إذ "لم يكن الشعر في زمان من الأزمان بعيدا.. عن المفهوم الإنساني العام للتصوف بوصفه استبطاناً منظما لتجربة روحية، ومحاولة للكشف عن الحقيقة، والتجاوز عن الوجود الفعلي للأشياء"[1].

(1) هدارة، محمد مصطفى. "النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث"، مجلة فصول، مجلد: 1، عدد: 1981/4، ص: 107.

الفصل الثالث: التأثير الصوفي المغربي في الطب التقليدي والفنون الموسيقية بالولايات المتحدة

يبدو عنوان هذا الفصل مازجا بين عنصرين مختلفين عنصر مادي علمي تشريحي (الطب)، وعنصر معنوي فني روحي وهو الموسيقى؛ فإذا كانت الموسيقى كما يقول ابن خلدون في مقدمته هي:

" تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغمة بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب. وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات، وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الأصوات تتناسب فيكون صوت، نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزء من أحد عشر من آخر. واختلاف في هذه النسب عند تأديتها إلى السمع يخرجها من البساطة إلى التركيب، وليس كل تركيب منها ملذوذاً عند السماع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها"[1].

فما علاقة الموسيقى بالطب؟خاصة وأن هذا الأخير يُنْظَرُ إليه باعتباره "فن العلاج؛ أو العلم الذي يجمع خبرات الإنسانية في الاهتمام بالإنسان، وما يعتريه من اعتلال وأمراض وإصابات تنال من بدنه أو نفسيته أو المحيط الذي يعيش فيه، ويحاول إيجاد العلاج بشقيه الدوائي والجراحي وإجرائه على المريض. كما يتناول الطب الظروف التي تشجع على حدوث الأمراض

(1) -ابن خلدون، عبد الرحمن، *مقدمة ابن خلدون* .دار ابن خلدون، القاهرة (غ,مذ)، ص297.

وطرق تفاديها والوقاية منها.. والطب هو علم تطبيقي يستفيد من التجارب البشرية على مدى التاريخ. وفي العصر الحديث يقوم الطب على الدراسات العلمية الموثقة بالتجارب المخبرية والسريرية"[1]؟.

إن ربط الطب بالموسيقى ليس من باب العبث، فقد ربط المسلمون بين الموسيقى والطب منذ زمن طويل، وقد أشار إخوان الصفا (منتصف القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد)، إلى الوظيفة العلاجية للموسيقى في إحدى رسائلهم التي تقول: "إن من الموسيقى" لحناً كانوا يستعملونه في المارستان وقت الأسحار، يخفف ألم الأسقام والأمراض عن المريض، ويكسر ثورتها، ويشفي كثيرا من الأمراض والأعلال"[2].

كما توجد شواهد عديدة، في التراث العربي الإسلامي، تبرز سبق المسلمين غيرهم من الأمم الأخرى في توظيف الموسيقى وسيلة للعلاج، بل إن الكثير من الأطباء وضع مصنفات في الموسيقى كالفارابي (339هـ / 950 م) الذي طغت شهرته بالفلسفة على علمه بالطب، ألف سفرا ضخما في الموسيقى أسماه: "كتاب الموسيقى الكبير"؛ لقد كان الفارابي موسيقياً بارعاً عالماً بمدى تأثير الموسيقى على النفس البشرية، حيث يروي لنا (ابن خلكان) في كتابه (وفيات الأعيان) أن الآلة المسماة بالقانون هي من وضع الفارابي، وأنه أول من ركبها هذا التركيب؛ حيث يحكي لنا عنه قصة طريفة وعجيبة، وهي أن الفارابي كان ذات يوم في مجلس سيف الدولة الحمداني وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك. وكان ذلك زيه دائماً، فقال له سيف الدولة:

"هل لك في أن تأكل؟ فقال: لا، فقال: فهل تشرب؟ فقال: لا، فقال:

(1) http: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8.

(2) إخوان الصفا. *رسائل إخوان الصفا*، دار بيروت، دار صادر 1957 م (ج187/1).

فهل تسمع؟ فقال: نعم، فأمر سيف الدولة بإحضار القيان، فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي، فلم يحرك أحد منهم آلته إلا وعابه أبو نصر [الفارابي] وقال له: أخطأت، فقال له سيف الدولة: وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً؟ فقال: نعم، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها، ثم لعب بها، فضحك منها كل من كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس، ثم فكها وغَيَّر تركيبها وحَرَّكَها فنام كل من في المجلس حتى البواب، فتركهم نياماً وخرج"(1).

قبل الفرابي بردح من الزمن، نجد الفيلسوف الكندي الذي كان عارفا بالطب(2)، قد صنَّف كذلك العديد من المؤلفات في فن الموسيقى، مثل: "كتاب المدخل إلى الموسيقى" و"رسالته في الإخبار عن صناعة الموسيقى"، و"كتاب في ترتيب النغم على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف" و"رسالة في اللحون والنغم"، و"كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار"، و"مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود". ويعتبر أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (185-256هـ/ 805-873 م):

"أول من وضع قواعد للموسيقى في العالم العربي والإسلامي؛ حيث اقترح إضافة الوتر الخامس إلى العود، وقد وضع الكندي سلمًا موسيقيًا ما زال يستخدم في الموسيقى العربية من اثنتي عشرة نغمة، وتفوق على

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المجلد الخامس، دار صادر - بيروت (1977)، ص153.

(2) له رسائل في الطب، مثل: رسالة في الطب الأبقراطي، ورسالة في وجع المعدة والنقرس. ورسالة في أشفية السموم.

الموسيقيين اليونانيين في استخدام الثمن. كما أدرك أيضًا أهمية التأثير العلاجي للموسيقى، وحاول علاج صبي مشلول شللاً رباعيًا بالموسيقى، للكندي، أيضا، خمسة عشر أطروحات في نظرية الموسيقى، لم يبق منها سوى خمسة فقط، وهو أول من أدخل كلمة "موسيقى" للغة العربية، ومنها انتقلت إلى الفارسيةو التركية، وعدة لغات أخرى في العالم الإسلامي"(1).

ينضاف إلى هؤلاء الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم، الذي ذكره صاحب كتاب: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، قائلا:

"أبو المجد بن أبي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والأفاضل في الصناعة الطبية والأماثل في علم الهندسة والنجوم، وكان يعزف الموسيقى ويلعب بالعود ويجيد الغناء والإيقاع والزمر وسائر الآلات، وعمل أرغنا وبالغ في إتقانه، وكان اشتغاله على والده وعلى غيره بصناعة الطب وتميز في عملها، وصار من الأكابر من أهلها"(2).

من ثمة تكون هذه الأمثلة دليلا على وثوق الصلة بين الطب والموسيقى، ولو عدنا إلى القول المأثور عن أهل التصوف لوجدناهم يعتبرون سلوكهم الروحي الذوقي طبًّا للقلوب، بما في ذلك حلقات الذكر والسماع. بل منهم من سنَّ أذكارا في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، يتغنى بها المريدون صباحا وعشية، كالصلاة الطبية التي تقول كلماتها:

(1) Rabah, Saoud. The Arab Contribution to Music of the Western World. Published by: Foundation for Science, Technology and Civilisation (FSTC Limited/March 2004), p: 3.

(2) ابن أبي اصيبعة، أحمد. *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، (ج2، الطبعة الأولى)، المطبعة الوهبية، القاهرة (1882 - 1881)، ص: 155.

"اللهم صلِّ على سيدنا محمد طبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلِّم"[1].

المبحث الأول: تأثير التصوف المغربي في انتشار الاهتمام بالطب النبوي في الولايات المتحدة

نقصد بالطب النبوي مجموع ما ثبت في هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في الطب الذي تطبب به أو وصفه لغيره، وعلاقته بالتصوف علاقة متينة بحكم أن الطب النبوي يَنْظُر كما التصوف إلى الإنسان في كليته، باعتباره يتكون من مادة وروح، لذلك كان الصوفية عبر العصور يُقصَدون للتداوي والعلاج من مختلف الأمراض بما فيها الباطنية، كالمس أو السحر أو غيرهما. وقد اشتهر مجموعة من كبار أهل التصوف في المغرب بهذا النوع من الطب، حيث شملت تعاليم الشيخ أحمد بن إدريس بعض الجوانب من هذا الطب، ومن ذلك ما جاء في خطابه لتلميذه الشيخ مكي بن عبد العزيز حين قال:

"لا بأس بحرق نوى التمر لأن فيه منفعة للناس، والله خلق لنا ما في الأرض جميعا ومن جملة ما في الأرض النوى. ومن جملة منافع التمر المحروق أنه يمسك الإسهال المفرط إذا دق وسف"[2]، كما حث ابن إدريس أتباعه على قطع الأصبع الزائد بكل من اليدين والقدمين شريطة أن يكون ذلك متيسرا ودون ألم ومشقة[3].

---

(1) يتداول ضمن أوراد مجموعة من الطرق الصوفية في المغرب وغيره، منها الطريقة البودشيشية.

(2) الرشيد، إبراهيم. أعطار أزهار أغصان حظيرة التقديس في مناقب السيد أحمد بن إدريس (القاهرة: 1984)، ص: 50.

(3) نفسه، ص: 48.

المطلب الأول: الطب النبوي من منظور إحدى الدراسات الأمريكية:

أشارت الباحثة الأمريكية المسلمة لاليه بختيار (Laleh Bakhtiar) في إحدى دراساتها القيّمة حول "الطب والعلاج في التقليد الإسلامي"، إلى ريادة المسلمين في مختلف مجالات المعرفة بما فيها الطب، الذي شجعه المسلمون لكونه فرعا من المعرفة التي تقود إلى الإيمان بوحدانية الله المطلقة، وإلى الحفاظ على النظام الكوني من الاختلال والذي جاء الإسلام لتحقيقه، تقول في هذا الشأن:

"إذا كان كل دين قد ركز على مظهر من مظاهر الحقيقة؛ فإن الإسلام ركز على المعرفة التي اندمجت، باعتبار مصدرها النوراني، في مبدإ الوحدانية أو التوحيد الذي يجري كمحور عمودي حول كل أشكال المعرفة والوجود. إن المصدر الأول للمعرفة في الطب الإسلامي التقليدي هو القرآن والحديث..اللذان يعتبران امتداداً للطبيعة، حيث الكون والنظام الطبيعي يطفحان بالبركة الإلهية؛ فالكون هو تجلي كلمة الله، والنظام الطبيعي هو سنة الله التي تشكل النموذج الأمثل في اتباع كلمة الله"(1).

إن تأمل الطبيعة يقود المرء لاكتشاف وحدانية الله، كما أن الانطلاق من كلمة التوحيد يحقق انسجام المرء مع محيطه الكوني، لأن، كما تقول الباحثة الأمريكية، "علاقة الإنسان بالطبيعة تتضمن شعورا بالوحدة والوحدانية؛ فالإنسان يتعلم، عبر المعرفة الناتجة عن تأمل الطبيعة في كل صورها، كيف يقرأ آيات الله ويتصرف وفقهم، وهكذا يصير قناة للنعم

(1) Bakhtiar, Laleh. "Medicine and Healing in Traditional Islam". In: Vincent J.Cornell's Voices of Islam, Vol: 1 (Voices of Art, Beauty, and Science), Praeger Publishers (2007), p: .153

الإلهية"[1].

هكذا، إذن، تصل الباحثة الأمريكية إلى استنتاج مؤصل للتداوي عند المسلمين بما يصطلح عليه ب"الطب النبوي أو الطب الإسلامي" الذي هو حسب الباحثة المذكورة:

"فرع من شجرة المعرفة التي ترعرعت في العالم الإسلامي لأزيد من أربعة عشر قرنا، على الرغم من أن أصوله مستمدة من المقاربات الإغريقية للطب لأيبوقراط (Hippocrates) وجلينوس (Galen) وغيرهما، إلا أن الطب الإسلامي استطاع أن يؤلف تدريجيا بين تلك النظرية والممارسة الطبية القادمة من بلاد الاغريق وتلك القادمة من الحضارات الأخرى كالهند والصين. استطاع المسلون تدريجيا كما في العديد من فروع المعرفة الأخرى أن يتفوقوا في الطب، وأضافوا مساهمتهم النوعية في المعرفة الطبية التي يمكن تلمسها من خلال التأثير الواسع *لقانون الطب* لابن سينا في أوربا خلال العصور الوسطى"[2].

وإلى يومنا هذا: " ما يزال الطب الإسلامي تقليدا حيا في العديد من مناطق العالم الإسلامي، حيث يمكن للفرد أن يعثر على عدة ممارسين بل وحتى مصحات للطب الإسلامي في دول مثل: إيران وباكستان وبانغلاديش والهند"[3]، بل وحتى في العالم الغربي الذي يتباهى بالتطور العلمي الذي حققه في مجال الطب، ويكفي أن أذكر هنا نموذجا حيا لهذا التأثير الإسلامي الحالي في بلد كالولايات المتحدة الأمريكية، حيث يحقق

(1) Ibid, p: 1.53
(2) Bakhtiar, Laleh. "Medicine and Healing in Traditional Islam". In: Vincent J.Cornell's Voices of Islam, Vol: 1 (Voices of Art, Beauty, and Science), Praeger Publishers (2007), p: 174.
(3) Ibid, p: 174.

حكيم[1] أرشوليتا نجاحا لا يستهان به في جلب المرضى الذين يئسوا من فعالية الطب الحديث فجاءوا إليه التماسا للعلاج الروحي، أو بحثا عن راحة نفسية أو فكاك من مس الشياطين والجن.

المطلب الثاني: ممارسة الطب النبوي في أمريكا: حكيم أرشوليتا نموذجا

يعتبر حكيم أرتشوليطا (Conrad Archuletta) أحد النماذج الأمريكية المتأثرة بالتصوف المغربي؛ إذ يعتبر من أوائل الأمريكيين الذين اعتنقوا الإسلام من باب التصوف المغربي عن طريق شيخ الحبيبية الدرقاوية سيدي محمد بن الحبيب.

- دخوله إلى الإسلام من باب التصوف:

يحكي حكيم أرشوليتا بنفسه قصة اعتناقه الإسلام قائلا:

"دخلت إلى الإسلام سنة: 1969م على يد الشيخ عبد القادر الصوفي في بيركلي بولاية كاليفونيا، وكنت من الفوج الأول الذي دخل إلى الإسلام في أمريكا على يد الشيخ عبد القادر الصوفي، مقدم سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي في أمريكا، ومن عجيب القصص هنا أن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب أعطى لعبد القادر الصوفي 13 ديوانا وقال له هذا لأتباعي في بريطانيا وأمريكا، وبالفعل عندما ذهبنا إلى المغرب كنا 13 شخصا، بعدها أخذت الشهادة على يد الشيخ سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي الحسني، شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية، شخصيا"[2].

---

(1) حكيم، لفظ أطلقه العرب المسلمون على الطبيب، وحكيم هو اسم مستعار أطلقه عليه الشيخ عبد القادر الصوفي الذي كان قد أرسله لتعلم فن العلاج بالطب النبوي ومداواة الأمراض النفسية وصرع الجن في المغرب، كما في غيره من الدول الإسلامية.

(2) حوار أجريته مع حكيم أرشوليتا عبر السكايب، يوم يوم: الثلاثاء 15 دجنبر2009م، لمدة ساعة

لم يلتق حكيم أرشوليتا مع الشيخ سيدي محمد بن الحبيب إلا في مناسبات قليلة جدا، ولكنه كان يستمد منه باستمرار من خلال مقدَّم الشيخ على البلاد الغربية عبد القادر الصوفي، معتمدا على المقولة الشهيرة والتي كان يرددها ابن الحبيب نفسه (من رأى من رآني فقد رآني)[1].

وقد حصل حكيم أرشوليتا على إذن في نشر الطريقة الحبيبية في البلاد الأمريكية من خلال أحد فقراء الشيخ محمد بن الحبيب، يقول في هذا السياق:

"أخذت الإذن من سيدي جيلالي أحد فقراء الشيخ محمد بن الحبيب بعد وفاة هذا الأخير، ومضمن هذا الإذن أن ألقن الورد الحبيبي في الولايات المتحدة وأدعو الناس إلى الطريقة الحبيبية، وقد حصلت على إذن آخر من الشيخ طاهر عبد الهادي من صفاقس بتونس شيخ إحدى فروع الطريقة الدرقاوية العلوية، وعلى إذن آخر من أحد الشيوخ الباكستانيين.."[2].

يواصل الأمريكي حكيم أرشوليتا قصة ارتباطه بمشايخ التصوف الغربي، لا سيما حمزة يوسف هانسن وعبد القادر الصوفي، قائلا:

"لقد قضيت مع الشيخ السكوتلاندي عبد القادر الصوفي عشرات السنين. كان الشيخ عبد القادر في نهاية الستينات وبداية السبعينات ينشد الكهوف البعيدة للخلوة والتعبد، فهو لا يخلو من إذن معين في الدعوة. أعتقد أيضا أن الشيخ حمزة يوسف كان له اتصال روحي مع الشيخ سيدي محمد بن الحبيب وإن لم يلتقه شخصيا، فهو قد التقى مرارا بالشيخ فضول

ونصف، من السابعة إلى الثامنة والنصف مساء.

(1) نفسه.

(2) حوار أجريته مع حكيم أرشوليتا عبر السكايب، يوم يوم: الثلاثاء 15 دجنبر2009م، لمدة ساعة ونصف، من السابعة إلى الثامنة والنصف مساء.

الهواري أحد مأذوني الشيخ سيدي محمد بن الحبيب، لا سيما في إلقاء الدروس، فقد كان الشيخ محمد بن الحبيب يطلب منه باستمرار إلقاء الدروس في حضرته، والشيخ بن الحبيب كان يقول:"خمر الدرقاوية في الدرس"، وأعتقد بأن هذا النوع من السر قد سرى في الشيخ حمزة يوسف، وأذكر هنا حادثة عجيبة وقعت للشيخ حمزة يوسف وهو في ريعان شبابه عندما طُلِب منه أن يقدم مداخلة في المؤتمر الذي كانت تنظمه "ISNA" التي تديرها جماعة الإخوان المسلمين، ويحضره بين 30000 و40000 من الناس، حيث أعطيت له قاعة صغيرة لكن إقبال عدد كبير من الشباب يسألون عن الشيخ حمزة دفع بالمنظمين لإعطائه قاعة أكبر، لكنها لم تكن كافية لاستقبال الآلاف من الشباب الذين يريدون متابعة محاضرة الشيخ حمزة يوسف"[1].

مصدر اهتمام حكيم أرشوليتا بالطب النبوي؟

يُرْجِع حكيم دوافع اهتمامه بالطب النبوي إلى شيوخه في التصوف، لا سيما المغاربة منهم، أو من يقوم بتمثيلهم في الديار الغربية، يقول في هذا السياق:

"يرجع اهتمامي بالطب النبوي إلى فترة طويلة، والشيخ عبد القادر الصوفي هو الذي أطلق علي اسم حكيم، ومعناه الطبيب، وأذن لي في ممارسة الطب. وكان قد أرسلني إلى فاس عند الشيخ مولاي الحسن المجذوب ابن سيدي محمد الفاسي لآخذ الإذن في معالجة الجن. بعد ذلك، توجهت إلى باكستان حيث تعلمت الحكمة في العلاج بالطب النبوي

(1) حوار أجريته مع حكيم أرشوليتا عبر السكايب، يوم يوم: الثلاثاء 15 دجنبر2009م، لمدة ساعة ونصف، من السابعة إلى الثامنة والنصف مساء.

وهو نوع من المزج بين الطب والتصوف، أو ما يسمى بـ: Trauma therapy: Post traumatic stress syndrome، وهو ذلك العلاج النفسي الذي يقدم للمرضى الذين يعانون من أزمات حادة بعد تعرضهم لضغوطات نفسية كبيرة، كأولئك الجنود الذين يشاركون في حروب عنيفة؛ فغالبا ما يحتاجون إلى علاج نفسي يريحهم من معاناتهم جراء تعرضهم لانهيارات عصبية على إثر إصاباتهم بجروح مزمنة أو نتيجة فقدهم لأصدقائهم أو نتيجة تعرضهم لضغوطات الحرب الكبيرة. وهكذا فأنا أقدم العلاج للناس عبر الهاتف والإيميل، وعندي مكتب بالقرب من منزلي. كما أنه عندي تلامذة أقدم لهم الدروس في التصوف وفي الطب النبوي على السواء"[(1)].

المبحث الثاني: تأثير التصوف المغربي في الفنون الموسيقية بالولايات المتحدة

الموسيقى والسماع عنصران هامان من عناصر التصوف المغربي، فوظيفتهما تخليقية تربوية بالأساس، وهذا ما ضمن للتصوف اندماجا ناجحا في الثقافة المغربية ككل، كما توصل إلى ذلك أحد الباحثين المغاربة، قائلا:

"التصوف منتشر جدا في الثقافة المغربية؛ حيث لايمكن أن يفهم دوره جيدا إذا ما قلصناه إلى ضريح أو طائفة، إنه يتخلل حتى تلك الميولات الموسيقية المتصفة ب"الحداثة" أو "الغربية" كموسيقى الراي، كما تلك النسخ المغربية المُعَدَّلَة من "الهيب هوب" و"الراب"، على الرغم من أنهما يبدوان أرضيين جدا وحسّيين لربطهما مع التصوف، إلا أنهما يعتمدان على الشعر الصوفي للتغني بالجوهر الأصلي للجسم الإنساني، وبقيم البساطة،

(1) حوار أجريته مع حكيم أرشوليتا (م.س).

وبالهدايا الشافية للأولياء الصوفية، كسيدي عبد الرحمن المجذوب، وسيدي أحمد التيجاني وسيدي بومدين، هؤلاء الشيوخ المبجلين من طرف أندادهم ومريديهم لبلوغهم مقام الوحدة الروحية مع الإله في حياتهم الأرضية.. يتضح تأثير التصوف على الثقافة الشبابية أكثر في أغاني مجموعة ناس الغيوان، وفي موسيقى كناوة الصحراوية. هاتان المجموعتان شكلتا بعمق الموسيقى الشعبية المغربية منذ: 1970م[1].

لم يؤثر التصوف المغربي بعمق فقط في الموسيقى الشعبية والشبابية المغربية، أو في الشباب الغربي، إذ "يحتشد الآلاف من الشباب الأوروبي والأمريكي والأفريقي ذكورا وإناثا لحضور المهرجانات الموسيقية العريقة التي تنظم كل صيف من طرف العديد من الطرق الصوفية عبر أرجاء المغرب، للتغني وللاحتفال بحماستهم للحياة وبالتزامهم بالقيم الكونية للسلم، حيث يعكس المشهد في هذه الملتقيات رفضا كليا لتلك الصورة التي ينقلها المتشددون إلى الشباب المسلم"[2]. بل امتد هذا التأثير، خارج المغرب، ليمس جوهر الثقافة الأمريكية بتصحيح مسار النبرة الشعرية من سياقها الثوري المتشائم إلى نبرة دينية متفائلة ترى في الوجود ذلك الوجه الجمالي الذي عكسته محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على كافة الأكوان والعوالم؛ فبدا زاهيا على قصائد دانيال مور في وصفه للطبيعة أو في تغنيه بمكوناتها، كما أخذت الموسيقى الأمريكية بعدا أكثر أخلاقية وروحانية مع "المجموعة الموسيقية الحبيبية" التي استطاعت أن تصدر ألبوما في أوائل سبعينات القرن العشرين محملا بالعمق الأخلاقي الذي استمدته

(1) GhambouMokhtar, "Sufism as Youth Culture in Morocco", in: "THE WASHINGTON POST".http: //onfaith.washingtonpost.com/onfaith/guestvoices/2009/03/sufism_as_youth_culture_in_mor.html?referrer=emaillink, ON: MARCH 3, 2009.
(2) Ibid.

من رحلة أعضائها إلى المغرب للقاء الشيخ محمد بن الحبيب وأخذ الإسلام الصوفي على يديه، كما بدا واضحا من تأثر بعض عمالقة الروك الأنجلوأمريكيين بالتصوف الدرقاوي الحبيبي مثلما هو حال: أيان وايتمان (Ian Whiteman) وريتشارد طومبسن (RichardThompson) وإيريك كلابتن (Eric Clapton).

لكن قبل الحديث عن التأثير المباشر والراهن للتصوف المغربي في الموسيقى الأمريكية، لا بد بداية من الإشارة إلى أن تأثر الموسيقى الأمريكية بالثقافة الإسلامية ليس وليد الزمن الحاضر، بل يرجع إلى فترة الاستعباد، حيث تم اقتياد العديد من المسلمين السود من بلدان إفريقيا إلى أمريكا، وقد كانت المظاهر الأولى لهذا التأثير تعتمد على استخدام الصوت الرخيم والشجي في الأذان وفي تلاوة القرآن، لينتقل بعد ذلك إلى استخدامه في التعبير عن معاناة الاسترقاق وفي الحنين إلى زمن الحرية والانطلاق. حيث ستبرز أهم أنواع الموسيقى الأمريكية كالبلوز والجاز والبوب وغيرها..

المطلب الأول: موسيقى "البلوز" الأمريكية والثقافة الإسلامية للعبيد الأفارقة:

أدت تجارة العبيد الأفارقة إلى وجود شتات غير مسبوق في التاريخ؛ حيث تم جلب مايزيد عن 10 ملايين من الأفارقة للبيع في أسواق النخاسة الأمريكية، مما سبب معاناة لا توصف لهؤلاء العبيد، الذين وجدوا في موسيقى البلوز مجالا خصبا لتنفيس كربهم؛ فـ"الألم الذي شعر به هؤلاء العبيد كان واضحا في موسيقى البلوز الأمريكية، الموسيقى التي تتغنى غالبا بالمعاملة العنيفة، وبزمن الحزن والحنين إلى التحرر"[1]. والبلوز هو: "نوع

(1) Curiel, Jonathan. "Muslim Roots, U.S. Blues", in: Saudi Armaco World. July/ August (2006). Accessed: July 30, 2011 On:
http: //muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=614.

موسيقي صوتي وآلي ينحدر من أغاني أشغال الزنوج في الولايات المتحدة، يتغنّى فيه المغنون بحزنهم وأساهم. كان للبلوز أثر بليغ في الموسيقى الأمريكية الشعبية، فآثاره ملموسة في "الجاز" و"الريذم أند بلوز" و"الروك أند رول" و"الهارد روك" و"البوب" وغيرها"[1].

غُرفت الموسيقى الأمريكية بالبلوز على وجه الخصوص، حتى صارت، كما قال أحد الباحثين، "هي صيغة الفن الأمريكي الوحيد الذي جاب كل العالم وأثَّر في تاريخ الموسيقى؛ فبدون البلوز لم يكن ممكنا ظهور الجاز، ولا الموسيقى البلوزية للبيتلز (Beatles) ولا الرولين ستونز (Rolling Stones)"[2].

وفي سياق بحث الأمريكيين السود عن أصولهم التاريخية والثقافية، أثار مجموعة من الباحثين الأمريكيين مسألة تأثر الموسيقى الأمريكية، خاصة "البلوز" بالثقافة الإسلامية القادمة من شمال إفريقيا، على اعتبار أن أغلب المسلمين الأفارقة الذين جُلِبوا من غرب إفريقيا وصلهم الإسلام عن طريق بلاد المغرب الذي ربط الاتصال مع بلدان إفريقيا الغربية منذ القرن السابع والثامن الميلاديين[3]، ومن بين هؤلاء الباحثين جيرار كوبيك (Gerhard ،Kubik) صاحب كتاب: إفريقيا والبلوز (Africa and the Blues)، و"كونليا ولكر بايلي" (Cornelia walker Bailey)، وسيلفيان ديوف (Sylviane Diouf)[4]. على الرغم من إنكار البعض عليهم ذلك، كما يقول الباحث جوناثان كوريل

(1) http: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%84%D9%88%D8%B2.
(2) Curiel, Jonathan. "Muslim Roots, U.S. Blues" (Op.Cit).
(3) Kubik, Gerhard. Africa and the Blues, Jackson: University Press of Mississippi (1999), p: 72.
(4) Diouf, Sylviane. Servants of Allah: African Muslims Enslaved in the Americas. New York: New York University Press, (1998).

(Jonathan Curiel) في إحدى مقالاته الموسومة ب"الأصول الإسلامية و"بلوز" الولايات المتحدة":

"تظل تلك الروابط التي تجمع الثقافة الإسلامية وموسيقى البلوز الأمريكية محل جدال؛ إذ يؤكد بعض الباحثين على انعدام وجود مثل هذه الروابط، كما أن العديد من موسيقيي البلوز المشهورين يقولون إن ارتباط موسيقاهم بالثقافة الإسلامية هي ضئيلة، لكن عددا متزايدا من الحجج التي جمعها الأكاديميون مثل كوبيك (Kubik) و"كونليا ولكر بايلي" (Cornelia walker Bailey) من ولاية جورجيا.. يقترحان وجود علاقة عميقة بين العبيد المنحدرين من أصول إسلامية وبين الثقافة الأمريكية"[(1)].

يُبَرِّرُ دانيلاين (Danielian)، باحث أمريكي آخر، منطق صعوبة اعتراف غير المسلمين بهذه الروابط إلى:

"جهلهم باللغة العربية وبالموسيقى الإسلامية؛ فالعبيد الأمريكيون كانوا يجدون في الأذان الإسلامي وفي تلاوة القرآن نغما موسيقيا، كما هو واقعها اليوم، ولو لم يعتقد بأنها موسيقى من طرف الغربيين، يقول: "في شعائرنا، عندما نجتمع ويأتي الشيوخ، ويكون هناك مئات الأشخاص الذين يرددون الأحزاب، يكون ذلك موسيقي جدا، وتسمع ما نسميه نحن الأمريكيون ب"البلوز" أي ذلك الشعور المفعم بالعاطفة"[(2)].

في كتاب آخر، تحت عنوان:"الموسيقى السوداء للعالمين"[(3)] (Black Music of Two Worlds) يقرُّ "جون ستورم روبيرت"

(1) Curiel, Jonathan. "Muslim Roots, U.S. Blues", in: Saudi Armaco World. July/ August (2006). Accessed: July 30, 2011 On: http: //muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=614.
(2) Curiel, Jonathan. "Muslim Roots, U.S. Blues", (Op.Cit).
(3) John Storm, Robert. Black Music of Two Worlds: African, Caribbean, Latin, and African-American Traditions, New York: Schirmer Books, 2 edition (1998).

(John Storm Robert) أن هناك تشابها بين صوت الأذان الإسلامي والعديد من أغاني البلوز، مما قد يدل على استلهام الموسيقيين الأوائل نغمة البلوز من الثقافة الإسلامية، يقول: "يمكنني الاستماع إلى صيغ من الموسيقى الإسلامية الإفريقية في أغاني "بيلي هوليدي"(Billie Holiday)"[(1)].

إن ذلك التشابه، يرجع في نظر "جوناثان كوريل" إلى: "تلك الالتواءة الوترية في النغمة الموسيقية الأساسية في أغنية هوليدي والتي تذكر بأذان الصلاة، وهي نفس النغمة التي نجدها في موسيقة ب.ب.كينغ (B.B. King) و"جون لي هوكر"(John Lee Hooker)"[(2)]. وقد ذهب الباحث الأكاديمي دومينغيم أبعد من ذلك حينما أوعز إلى تأثر العبيد الأفارقة في موسيقاهم وحركاتهم بالحركات الصوفية التي أخذوها من بلاد المغرب، حيث أشار إلى أن "التجمعات الصوفية في شمال أفريقيا كانت تمثل أكبر مصدر للحياة الروحية لدى العبيد السود الذين كانوا يرون في بلال الحبشي مؤذن النبي مثلا أعلى لوضعهم. والطقوس التي كانوا يؤدونها بحضرة ولي كان بإمكانهم أن يعبروا فيها عن مشاعرهم بالموسيقى والرقص؛ وإسهامهم في تلك العبادة يمكن مقارنته شيئا ما بالحماسة الدينية لدى العبيد السود في أمريكا سابقا والذين كانوا يعبرون عن أنفسهم في الروحانيات مكثرين من الحركة"[(3)].

إذا كان البحث عن التحرر والانعتاق المادي هو الذي قاد الأمريكيين إلى اكتشاف البلوز وغيرها من الألوان الموسيقية، فإن البحث عن الانعتاق

---

(1) مغنية جاز أمريكية مشهورة، ولدت سنة: 1915م في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة، وتوفيت سنة: 1959م بعدما تركت أثرا بيّنا على موسيقى الجاز والبوب.

(2) Curiel, Jonathan. “Muslim Roots, U.S. Blues”, (Op.Cit).

(3) أنيماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف(م.س)، ص: 272.

الروحي والتحرر من ربقة المادية المفرطة هو الذي سيقود الأمريكيين أنفسهم إلى اكتشاف التصوف الإسلامي والاستلهام من تراثه الموسيقي خلال القرن العشرين، كما هو حال المجموعة الموسيقية "الحبيبية".

المطلب الثاني: "الحبيبية": مجموعة موسيقية صوفية أمريكية:

يظهر التأثير الصوفي المغربي على هذه المجموعة بمجرد قراءة اسمها، ف"الحبيبية" مقتبسة من اسم طريقة الشيخ الصوفي المغربي محمد بن الحبيب الدرقاوي (ت.1972م)؛ إذ كان أيان دالاس، مقدم الشيخ محمد بن الحبيب في الغرب، وراء تأسيس المجموعة الموسيقية الأمريكية "الحبيبية" في مطلع سبعينات القرن العشرين؛ بهدف إضفاء البعد الأخلاقي الروحي على الموسيقى الأمريكية، حيث استطاعت هذه المجموعة أن تصدر ألبومها الأول في أوائل سبعينات القرن العشرين محملا بالعمق الأخلاقي الذي استمدته من رحلة أعضائها إلى المغرب للقاء الشيخ محمد بن الحبيب وأخذ الإسلام الصوفي على يديه، وقد تم تقديم هذا العمل والمجموعة الموسيقية التي أشرفت عليه، كما يلي:

"العمل الذي حاز السبق العالمي وغرس التخدير الشرق-أوسطي هو من إنجاز **الحبيبية**، المجموعة الموسيقية التي تأسست سنة:1972م حول قائدها أيان وايتمان، وذلك فور عودتهم الجماعية من رحلتهم إلى المغرب، والتي أدت إلى تغيير حياتهم، ذلك التغيير الروحي والموسيقي الذي حث "وايتمان" إلى جانب "كونراد" و"سوزان أرتشوليتا"(Conrad and Susan Archuletta)، و"مايك ايفانز"(Mike Evans)، و"روجر باول"(Roger Powell)، هذا الأخير الذي كان من الأعضاء المؤسسين لموسيقى الروك (Rock) بابريطانيا الذي أثر في المجموعتين الغنائيتين الشهيرتين جدا "الأكشن"

(the Action) و"مايتي بيبي"(Mighty Baby)، حثّهم لتبني العقيدة الصوفية التي أدت سنة 1972م إلى إنتاج الكلاسيكية المغربية الفائقة الصعوبة والبالغة الندرة الموسومة ب (If Man But Knew)"[1].

تسجيل مثل هذا الألبوم حسب آيان وايتمان ليس مسبوقا في تاريخ الموسيقي على الإطلاق، لأن:

"التسجيلات كانت تتم بعد جلسات مطولة من ذكر الله والذي لا أعتقد أنه كان مسبوقا في تاريخ التسجيل الموسيقي، وكانت نظريتنا من خلال ذلك الذكر أن نمحو النفس الأمارة من طريقنا لتصير الموسيقى تلقائية بحق. ذلك ليس سهلا ولا يكون دائما متحققا ولكن استمرارية الألبوم لمدة:35 سنة جعلته قطعة أثرية ثمينة.."[2].

لقد اعتنق معظم أعضاء المجموعة الإسلام على يد المثقف السكوتلاندي "أيان دالاس" والذي كان يتصرف حينئذ كمقدم للشيخ المغربي سيدي محمد بن الحبيب، حيث قام بزيارتهم في الولايات المتحدة وإقناعهم بضرورة زيارة المغرب للقاء الشيخ نفسه، وهو ما تأتى لثلاثة منهم؛ وهم: كونراد أرشوليتا وزوجته سوزان والشاعر دانيال مور، حيث "كان المخطط أن يكسب الثلاثة المال الضروري لاقتناء تذاكر الطائرة إلى لندن للقاء بقية أفراد الطريقة الغربيين هناك، ومن ثمة، النزول إلى المغرب... بعد اللقاء مع بقية الأعضاء الآخرين. توجهت المجموعة إلى طنجة ومنها إلى مكناس لحضور الموسم السنوي لأتباع الشيخ محمد بن الحبيب الذين يأتون من كل مناطق المغرب والجزائر لحضور الحدث"[3]،

(1) http: //music.barnesandnoble.com/Artist/The-Habibiyya/c/84950.

(2) آيان وايتمان في تقديمه للألبوم، كتيب خاص مرافق للألبوم في أكتوبر2007م.

(3) من كتيب مرفق مع الشريط المغناطيسي الخاص بشريط الأغاني.(قام الباحث بترجمته).

تقول سوزان عن هذه المرحلة:"كنا جميعا جديدين، وخُضْر [نسبة إلى الملابس الخضراء].. اقتنينا ملابسنا وجلابيبنا من أسواق المدينة"، ويقول كونراد: " في ذلك العهد، كان المغرب يذكرنا بالعصور الوسطى، كان الجميع ينشد القصائد في مقاطع متناغمة.عندما يكون الصوفية في أحوالهم الحقيقية أحيانا يرتجلون المقاطع تلقائيا ويؤلفون القوافي وينشدونها ملحونة.. قال لنا المغاربة: اعطنا أي لحن من أي نوع وسوف نعطيكم النسخة المغربية منه!!"(1).

ويتكون هذا الألبوم الغنائي من إحدى عشرة قطعة موسيقية تتوزع كما يلي:

If Man But Knew

1 - Two Shakuhachis 1:40
2 - Koto Piece 5:03
3 - The Eye-Witness 8:22
4 - Mandola 5:51
5 - If Man But Knew 9:01
6 - Fana-Fillah 8:35
7 - Procession of the God Intoxicated 2:27
8 - Peregrinations 3:09
9 - Peregrinations Continued 6:42
10 - Another Ode 6:05
11 - Bird in God's Garden 6:24

كان طاقم المجموعة الموسيقية الحبيبية يتكون من العناصر الآتية:

Album Credits: طاقم الألبوم

The Habibiyya	Primary Artist
Ian Whiteman	Piano, Shakuhachi, Oboe, Vocals, Pipe organ
Conrad Archuletta	Banjo, Shakuhachi, Vocals, Zither

(1) نفسه.

Susan Archuletta — Guitar, Shakuhachi, Viola, Vocals, Koto

Technical Credits: الطاقم التقني

David Biasotti	Liner Notes
Tony Platt	Engineer
Ian Whiteman	Producer, Liner Notes
Jude Holmes	Executive Producer

نلاحظ من خلال طاقم الألبوم الغنائي، والطاقم التقني المشرف عليه، حضورا بارزا ل"أيان وايتمان"، الذي سيقنع نجما آخر من أحد أشهر عازفي الجيتار الإنجليز "ريتشارد طومبسن" إلى الانخراط في تجربة السلوك الصوفي رفقة مريدي الطريقة الحبيبية الدرقاوية. ومن ثمة سيتخذ إبداع هذا الفنان منحى آخر بمتحه من معين التجربة الصوفية الدرقاوية المغربية المشرب.

المطلب الثالث: "ريتشارد طومبسن"(Richard Thompson) عازف الجيتار العالمي:

لم يقتصر تأثير التصوف المغربي في الموسيقى الأنجلو أمريكية على التأثير في المجموعات الموسيقية، بل شمل حتى الأفراد، ومن أبرز هؤلاء نجد فنان الروك العالمي إيريك كلابتن وعازف الجيتار الشهير ريتشارد طومبسن، فمن هؤلاء؟ وما علاقتهما بالتصوف المغربي؟ وما عمق الأثر الصوفي المغربي فيهما؟

ولد ريتشارد جون طومبسن (Richard John Thompson) في ربيع 1949م غرب لندن في أنجلترا، وهو من أشهر الموسيقيين البريطانيين؛ فهو كاتب أغاني وملحن وعازف غيتار محترف، حيث "يعرف ريتشارد طومبسن بشكل خاص كعازف للجيتار، حيث حصل سنة:1991م على جائزة أورفيل

غيبسون (Orville H. Gibson) لأفضل عازف الجيتار الصوتي"[1]. و"على صعيد كتابة الأغاني تم تتويج ريتشارد طومبسن بجائزة إيفور نوفيلو (Ivor Novello Award)، وفي سنة 2006م حصل على جائزة عن إنجازاته مدى الحياة من طرف إذاعة BBC "[2]حيث اختير ضمن أفضل 100عازف جيتار في تاريخ البشرية جمعاء.

ـ علاقته بالتصوف المغربي وأثـر ذلك في إبداعه:

مثله مثل الشاعر الأمريكي دانيال مور؛ قَرَّرَ ريتشارد طومبسن الابتعاد عن الموسيقى بعد اعتناقه الإسلام بداية السبعينات من القرن العشرين، حيث غادر للعيش رفقة زوجته في الجماعة الحبيبية الصوفية شرق أنجليا (East Anglia). لكن بعد استئذانه للشيخ عبدالقادر، مقدم الطريقة الحبيبية في الغرب، عاد إلى ممارسة الموسيقى وإن بطريقة محدودة، حيث بدأ يتغنى بالأغاني الصوفية لجلال الدين الرومي، ومن أبرز إنتاجاته خلال هذه الفترة تسجيله أغنية صوفية المعاني، تحمل عنوان: "أريد أن أرى أنواراً منيرة الليلة" (I Want To See the Bright Lights Tonight). وقد جاء ألبومه الموالي الذي أنجزه رفقة زوجته ليندا والموسوم ب (Pour Down Like Silver) يحمل على غلافه صورة ريتشارد الجديد المعمم[3]. وإن كانت أغانيه التي صدرت بعد ذلك لا تحمل تغيرا جذريا في مساره الفني ولا لونه الموسيقي[4].

على الرغم من أن ريتشارد طومبسن لم يكن عضوا في المجموعة

---

(1) Richard Thompson biography on official web site. Accessed 2008-03-02. http: //www.richardthompson-music.com.

(2) Ibid.

(3) العمامة الخضراء رمز فقراء الطريقة الدرقاوية في المغرب كما في الغرب.

(4) Dave, Smith, The Great Valerio - A Study of the Songs of Richard Thompson. Copyright © Dave Smith 2004.

الموسيقية الحبيبية التي عمّرت لفترة قصيرة، إلا أنه كان يشارك مع أعضائها في العروض باللعب على الجيتار، حيث سافر معهم للقيام بسلسلة من العروض في هولندا وأمريكا وابريطانيا وغيرها من الدول بعد اعتناقه الدين الإسلامي.

يسرد ريتشارد طومبسن قصة اعتناقه الإسلام، وتعرفه على التصوف الدرقاوي المغربي المشرب من خلال مريدي الطريقة الحبيبية في ابريطانيا، حيث انجذب إليهم منذ أول وهلة لما لمسه فيهم من أدب وصفاء ووحدة وتضامن، يقول في هذا السياق:

"كانت هناك حلقة من الذكر وكانوا ينشدون ويتراقصون، كنت أنظر إلى هؤلاء الرجال الذين يلبسون الجلابيب والعمامات، كانت الوجوه تبدو مألوفة لي، عرفت أيان وايتمان من مجموعة "مايتي بيبي"، وروجر باول وميك إيفانز. وبعد الاجتماع شربنا الشاي وجلست للتحدث إليهم، أحسست أنهم يملكون بعض الصفات التي ليس من السهولة تفسيرها، ولكن كانوا يملكون شيئا جذبني إليهم، شدة أدبهم وصبرهم أثارني، كان لديهم شيء أريده لنفسي، وهكذا استدعوني إلى مكان حول حدائق بريستول[1] (Bristol Gardens) لتناول الغذاء الذي كان مذاقه رائعا ورفيعا"[2].

سيدفع الافتتان بأخلاق هذه المجموعة وسلوكها ريتشارد طومبسن

(1) هي مكان مفتوح اتخذته الجماعة الحبيبية للشيخ عبد القادر كمكان للعيش بشكل جماعي في إطار الجماعة(Community) وقد عاش معهم ريتشارد طومبسن وزوجته ليندا حوالي سنة، على الرغم من أن زوجته لم تكن مرتاحة لترك شقتها المريحة في (Hampstead) إلا أن رغبة ريتشارد في أن يكون قريبا من الجماعة الحبيبية أقنعتها بالبقاء مدة من الزمن(مأخوذ من الحوار).

(2) حوارغير منشور مع عازف الغيتار الشهير ريتشارد طومبسن، أجراه في لندن إسماعيل وولف بتاريخ: 10 يوليوز2010م، توصلت بنسخة منه مرقونة بالإنجليزية من طرف المحاور نفسه.

إلى الدخول في عمق التجربة الصوفية، حيث سيجدها مختلفة تماما عما كان يقرأه في الكتب، يواصل ساردا:

"عندما توجهت نحو الممارسة الصوفية الحقيقية أدركت أنها لا علاقة لها بما قرأته حول التصوف من قبل، كانت تجربة مختلفة جدا، نعم كان عندي فكرة حول كيف ينبغي للأشياء أن تكون ولكن لم تكن لتهيئني إلى التحدي الشخصي كما هو حال التجربة، ولا كيف ستتفكك رؤيتك إلى هويتك ومن تكون تماما. إنها أصعب من أي شيء يمكن تخيله"[1].

إن التجربة الصوفية ستقود ريتشارد طومبسن إلى الإحساس بجمال الوجود الذي ينبع من التنوير الداخلي الناتج عن الاتصال بالمدد الحي للنموذج المحمدي الكامل (عليه الصلاة والسلام)، هكذا سيتوصل ريتشارد بأن أصل الحماس والجمال الذي يحرك الجماعة الصوفية الحبيبية في ابريطانيا إنما منبعه من نور شيخها الحي المغربي: سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي، يقول معترفا بهذا الأمر:

"كانت الجماعة تعيش في حدائق بريستول بشكل جماعي وودي جدا، "كان الناس رائعين ومؤثرين جدا جدا، لا يمكنك أن تلق مثل هؤلاء الناس كل يوم. كانت الجماعة منسجمة للغاية، وهذا يمكن أن يعزى إلى ارتباطنا بالحبيبية وبالشيخ سيدي محمد بن الحبيب، هو الذي جعلها رائعة لأن نور هذه الجماعة كان يأتي منه.. كانت هناك طاقة وشعور خارق يعم حدائق البريستول، ومازلت أذكر الشيخ عبد القادر حين قال لنا: ﴿هذه لحظات رائعة، وهذا مكان مذهل، تذكروا هذا لأنه ربما لن يعود مثل هذا الزمان أبدا﴾"[2].

---

(1) نفسه.

(2) الحوار مع ريتشارد طومبسن (م.س).

هكذا، سيجد ريتشارد نفسه في خضم التجربة الصوفية، حيث تتلاشى الأهواء وتنبثق الهوية الجديدة، وينبع الإحساس الدافئ بسر الوجود يسري في العمق، مكسِّرا كل إحساس جامد في شكل شظايا تتناثر في الوجود المحسوس في أشكال إبداعية متنوعة، برزت عند ريتشارد في عزفه الموسيقى على جيتارة إحساس من عاد للحياة من جديد، يقول وقد أصابه جذب المتصوفة، فانطلق سائحا في بلاد المغرب ولسان حاله يردد نشيد المتصوفة:

وما الديار وما الأطلال والخيم فما المنازل لولا أن تحل بها
ولا سعت بي إلى نحو الحمى قدم لولاك ما شاقني ربع ولا طلل
فلست أعرف غيرا مذ عرفتكم أخذتم الروح مني في ملاطفة
إلا طريقا تؤدي لربعكم نسيت كل طريق كنت أعرفها

يقول ريتشارد طومبسن:

"كنا نجلس ساعات للذكر، أحيانا يستغرق كل الليل، ساعات وساعات وساعات، كان هناك تغيير جذري شعر به كل فرد، وعندما يتغير الإنسان بهذه السرعة يصعب عليه أن يحافظ على شعوره بالتوازن مما يسبب للآخرين صعوبة في التعامل معك، كنت أشعر بصعوبة في التعامل مع أسرتي أو مع أصدقائي القدامى لأني لا أعرف ما أقول لهم أو أفعل معهم، وكنت أسمع من أولئك الذين سبقوني في التجربة أنها مرحلة... كل سنة كنا نتوجه إلى المغرب لحضور الموسم، حيث كانت هذه الزيارة نوعا آخر من التقوية.. كانت كل رحلاتنا إلى المغرب رائعة، حيث زرنا العديد من الأولياء، أذكر منهم: الشيخ محمد بن القرشي الذي يقال عنه إنه وريث إذن سيدي محمد بن الحبيب بالرغم من أنه لا يصرح بذلك.. وسيدي محمد بن فضول الهواري الفاسي، والحاج محمد بن حميد ولي بصير من البهاليل،

نواحي صفرو، كان كبيرا في السن..كان الجلوس مع هؤلاء كالجلوس أمام الفرن، إنه غير مريح ولكنه يدفئك ويملؤك حرارة"[(1)].

هكذا تعمق ارتباط ريتشارد بالإسلام، وكلما أصابه فتور نحوه أعاده ارتباطه بشيخه محمد بن الحبيب، وإحساسه بلذة الصلاة أول مرة إلى دفء الارتباط بهذا الدين القيم، يقول في هذا الشأن:

"إن مجرد الإحساس بالصلاة وأنت تضع جبينك على الأرض وليس أمام تمثال، فأنت لست أمام مريم العذراء ولا أمام بوذا، أنت تضع رأسك فقط على الأرض في مواجهة خالق الأكوان.. ليس التصوف ولا الحضرة ولكن وضع رأسي على الأرض هو الذي جعلني أشعر بالسلم والاطمئنان. هو الذي جعلني أفكر أنني وجدت مكاني في هذا الكون، وأنني وجدت علاقتي مع الخالق. أعتقد أنه لاشيء يضاهي تلك الصلاة الأولى، وإذا ما راودني الشعور بالفتور نحو الإسلام فإنني أذكر نفسي بإحساس تلك الصلاة الأولى هناك حيث تم الاتصال.. وأيضا بفعل الطريقة وشرعية الاتصال عبر الشيخ سيدي محمد بن الحبيب، الذي يرتبط عبر سلسلة المشايخ الدرقاويين بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، أحسست بأنني قطعا في المكان والزمان المناسبين"[(2)].

المطلب الرابع: "إيريك كلابتن" (Eric Clapton) فنان الروك الشهير:

إيريك باتريك كلابتن (Eric Patrick Clapton) هو مغني، عازف جيتار، وكاتب أغاني. ولد في أنجلترا في 30 مارس من سنة: 1945م. وقد

(1) الحوار نفسه.

(2) الحوار نفسه.

تم اختياره مؤخرا كأحد أهم عازفي الجيتار وأشهرهم في جميع العصور[1]. كما حظي بالكثير من الجوائز والاعترافات لإنجازاته الرائدة في المجال الموسيقي، لا سيما في العزف على الجيتار[2]، وقد عُرِف على الخصوص بمعزوفته الشهيرة "ليلى" والتي تُعَدُّ الجسر الذي ولج منه إلى عالم التصوف، ولكن ليس باعتباره تجربة روحية تتوق إلى السفر في مدارج الكمال، ولكن باعتباره مجالا خصبا للابداع الأدبي حيث تتوحّد فيه المشاعر الإنسانية وتنصهر في شوق وجداني جارف.

. علاقته بالتصوف المغربي وأثـر ذلك على إبداعه:

ارتبط إيريك كلابتن بالتصوف المغربي، شأنه شأن ريتشارد طومبسن ودانيال مور، من خلال الشيخ عبد القادر الصوفي، مقدم الطريقة الحبيبية في الغرب حينئذ، والذي شكّل جسرا موصلا أساسيا بين التصوف الإسلامي المغربي المشرب وبين النخبة المبدعة في العالم الغربي، لا سيما في العقود الأخيرة من القرن العشرين. يقول الباحث الأمريكي ألان غودلاس حول هذا التأثير:

"من المعروف أن الشيخ عبد القادر الصوفي الذي ينتمي إلى الطريقة الحبيبية - المرابطية- مؤلف "كتاب الغرباء"، وبعدها "زمن البدو" (The Time of the Bedouin)، أثر في حياة فناني موسيقى الروك ريتشارد طومبسن وآيان وايتمان. لكن ما ليس معروفا كثيرا هو تأثيره أيضا على عازف الجيتار الإنجليزي إريك كلابتن"[3].

---

(1) http: //www.rollingstone.com/music/lists/100-greatest-artists-of-all-time-19691231/eric-clapton-19691231.

(2) http: //en.wikipedia.org/wiki/Eric_Clapton#cite_note-AST-2.

(3) - Godlas, Alan (2010), "Shaykh Abdalqadir as-Sufi, Eric Clapton, and the History of Rock & Roll" http: //sufinews.blogspot.com/2010/02/shaykh-abd-al-qadir-as-sufi-and-history.html.

وعلى خلاف ريتشارد طومبسن ودانيال مور، لم يتأثر إيريك كلابتن بالتجربة الصوفية الدرقاوية في حد ذاتها، بل تأثَّر بالإبداع الأدبي الصوفي عموما، حيث إنَّ:

"كل من سبق أن استمع إلى كلاسيكيات "الروك أند الرول" يعرف أن إريك كلابتن هو من كتب وأدى الأغنية الرائعة "ليلى". حيث يعلم الكثيرون أن موضوع هذه الأغنية جاء انعكاسا لتجربة ذاتية حيث كان كلابتن مفتونا ب "باتي بويد" (Pattie Boyd) زوجة صديقه في مجموعة البيتلز جورج هاريسون (George Harrison) قبل أن ينفصلا ويتزوجها كلابتن. ويعرف بعض من هؤلاء - خاصة المسلمون منهم، أو الذين درسوا الأدب العربي أو الفارسي- أن سبب تسمية تلك الأغنية ب "ليلى" هو تأثر كلابتن بقصة مجنون ليلى التي ترمز من وجهة نظر صوفية إلى علاقة الحب القائمة بين الفرد/المحب والله/المحبوب"[1].

لكن ما لم يكن معروفا حتى وقت قريب نسبيا هو كيفية تعرف كلابتن على قصة ليلى والمجنون؛ إذ تخبرنا باتي بويد في سيرتها الذاتية عن هذه القصة وكيف كان الشيخ عبد القادر سببا في تعرف كلابتن على ليلى والمجنون:

"قام - إريك - بتشغيل آلة التسجيل التي سجل عليها سابقا أغنية "ليلى" التي كان قد كتبها للتو وأسمعني أغنية لم أسمع بمثلها من قبل من حيث القوة والتأثير. كانت أغنية "ليلى" تحكي عن رجل تعلق قلبه كثيرا بحب امرأة لم تبادله نفس الإحساس. وكان إريك سبق وأن قرأ قصة في كتاب أهداه إياه صديق حميم، وهو أيان دالاس [الشيخ عبد القادر الصوفي]

(1) Ibid.

الذي أهداني نسخة منه أيضا. وكان عنوان الكتاب هو "قصة ليلى والمجنون" للكاتب الفارسي نظامي. أسقط إريك شخصية المجنون على شخصيته مطالبا إياي بتقدير شعوره نحوي"[1].

إن كلابتن، كما تقول باتي، لم يعثر صدفة على الكتاب، وإنما أتاه من عند الشيخ عبد القادر الصوفي الذي كان حينئذ، كما سلفت الإشارة، داعيا نشيطا إلى الإسلام الصوفي على اعتباره مقدما للطريقة الحبيبية في البلاد الغربية.

إن وجهة نظر كلابتن - التي تتضمنها سيرته الذاتية- تسلط بعض الضوء على الدور الذي لعبه الشيخ عبد القادر في هذا الإطار، ويبلغنا كلابتن أن "الشيخ رأى فتاة مختلفة في وسطهم عن ليلى، وهي أليس أورمسبي-كَور (Alice Ormsby-Gore) التي عاشرت كلابتن خمس سنوات لكنها ماتت للأسف قبل فترة وجيزة من عيد ميلادها الثالث والأربعين نتيجة تناولها لجرعة زائدة من الهيروين"[2].. وفي وصفه لأليس، يصرح كلابتن أنها "بطبعها الحزين وملابسها العربية التي اعتادت لبسها كانت كأنها شخصية خرافية"[3].

لكن الشيخ عبد القادر رأى مجنونا آخر لأليس وهو مطرب "الروك أند رول" الشهير وصديق كلابتن "ستيف وينوود" (Steve Winwood). المعروف أكثر بفرقته "باند ترافيك"(Band Traffic). ويمكن القول إن الشيخ عبد القادر لم يكن حتى ذلك الحين على علم بغرام كلابتن الشديد

(1) Boyd, Pattie.Penny, Junor, Wonderful Tonight: George Harrison, Eric Clapton, and Me, Three Rivers Press (May 27, 2008), p. 154.
(2) Godlas, Alan (2010), "Shaykh Abdalqadir as-Sufi, Eric Clapton, and the History of Rock & Roll"http: //sufinews.blogspot.com/2010/02/shaykh-abd-al-qadir-as-sufi-and-history.html.
(3) Stephanie, Zacharek, « Layla », New York Times Book Review, The (NY) - Sunday, October 28, 2007.

ب "باتي". خاصة وأن الاثنين قررا إبقاء علاقتهما في إطارها الخصوصي الضيق. إضافة إلى ذلك لم تشر "باتي" إلى أن الشيخ تحدث شخصيا مع كلابتن في موضوع قصة حب ليلى والمجنون:

"روى لي أيان دالاس حكاية ليلى والمجنون، وهي قصة حب فارسية تحكي كيف وقع شاب - وهو المجنون- في حب عاطفي مع الفتاة ليلى، لكن أباها رفض ذلك الحب ومنعها من الزواج من المجنون. وكان "أيان دالاس" دائما يقول إن "أليس" هي الصورة المثالية لليلى، ولما كان يعتقد أن "ستيف وينوود" ينبغي ان يكون مجنونها كانت لدي أفكار أخرى، وأعني بذلك أن باتي كانت "ليلى" وكان - كلابتن- هو "المجنون""[1].

ما يمكننا استخلاصه من هذه المعطيات، هو أن الشيخ عبد القادر كان بدون شك وراء اطلاع كلابتن على قصة حب ليلى والمجنون، لكن يبقى السؤال المهم خلف قصة كلابتن مع حكاية ليلى والمجنون، وهو ما لم نعثر له على جواب، كما يقول غودلاس: "ما مدى تأثير الشيخ عبد القادر في إريك كلابتن وباتي بويد وأليس أورمسبي كَور وستيف وينوود وحتى جورج هاريسون وفناني الروك الآخرين والمحيطين بهم؟ هل أجرى الشيخ عبد القادر الذي اعتنق الإسلام والصوفية لتوه حوارات مع هؤلاء الموسيقيين وأصدقائهم؟ وهي حوارات قد تكون أثرت في آرائهم على أية حال!!"[2]. مثل هذه الأسئلة تظل مفتوحة للبحث والتقصي وربما تتاح لنا فرصة الإجابة عنها في أبحاث مستقلة إذا قدّر الله ذلك.

---

(1) Clapton Erik: The Autobiography, Broadway; 1ST edition (October 9, 2007) p. 109.

(2) Godlas, Alan (2010), "Shaykh Abdalqadir as-Sufi, Eric Clapton, and the History of Rock & Roll"http: //sufinews.blogspot.com/2010/02/shaykh-abd-al-qadir-as-sufi-and-history.html.

الفصل الرابع: التأثير الصوفي المغربي في الفنون المسرحية والتشكيلية بالولايات المتحدة

يحاول هذا الفصل البحث في مظاهر الحضور والتأثير الصوفي المغربي في مجالات الفنون المسرحية والتشكيلية بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال: نموذجين في المسرح، ونموذجين في الرسم والتشكيل.

لا يعني التركيز على نموذجين فقط من كل فن أنها هي كل النماذج المتوفرة في الساحة الأمريكية، بل هي ما أوصلني إليها الحيز الزماني والمكاني المتاح لهذا البحث، وتبقى النماذج المذكورة هنا مجرد شظايا تحتاج إلى أبحاث أخرى مُوسَّعة قصد إيفاء كل مجال حقَّه من الدراسة والتحليل، ورُبَّ بناء شامخ حَسَن انطلق من لبنة بسيطة.

المبحث الأول: تأثير التصوف المغربي في الفنون المسرحية

يتطلب الحديث عن الحضور الصوفي المغربي المؤثر في المسرح الأمريكي دراسة أعمق من مجرد استقراء سريع، كما هو حال هذا المبحث، مع ذلك سأسعى من خلال نظرة سريعة على الفن المسرحي الأمريكي إلى إبراز هذا التأثير من خلال نموذجين:

- النموذج الأول: يهتم بإبراز تلك المناقشات الدينية التي أفرزها امتداد الطريقة الصوفية التيجانية المغربية في أعماق إفريقيا، من خلال ذلك الإقبال الكبير الذي عرفته مسرحية (11و12) على المسارح الأمريكية، والتي تتحدث عن مدى تأثير الخلاف حول عدد ذكر صلاة جوهرة الكمال للشيخ التيجاني في القبائل الافريقية لمالي، وما سينتج عن ذلك من صراع قبلي

حاول استغلاله الاستعمار الفرنسي لترسيخ نفوذه في القارة السمراء.

- أما النموذج الثاني فيتعلق بتأثر الفنان الأمريكي الشهير دانيال مور بالتصوف المغربي ومحاولة إدخاله في أعماله المسرحية التي يبدعها بنفسه، والتي يستلهمها إما بشكل مباشر من التراث الصوفي المغربي، أو بشكل غير مباشر من خلال ارتباطه الروحي وولائه للشيخ سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي المغربي، دفين مكناس.

المطلب الأول: نموذج من التصوف التيجاني في المسرح الأمريكي:

من المسرحيات الصوفية التي ذاع صيتها في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا، نجد مسرحية (11و12) التي تعالج ذلك الصراع الذي قام بين بعض القبائل الأفريقية المسلمة حول صلاة جوهرة الكمال[1] للشيخ أحمد التيجاني، هل عددها 12 أم 11؟ وقد تطور هذا الاختلاف في عدد ذكر تلك الصلاة من جدال صوفي تيجاني محض إلى صراع قبلي حاولت استغلاله السلطات الاستعمارية الفرنسية لزرع الفتنة والفرقة بين صفوف التيجانيين الرافضين للوجود الفرنسي في أفريقيا. يقول أحد الباحثين في هذا السياق:

"الموضوع الأساسي للمسرحية يتعلق بالخلاف حول عدد الصلوات التي ينبغي أن تكرر في الذكر، والتي تعطي قيمة مضافة لأهمية الذكر

(1) ألفاظ صلاة جوهرة الكمال هي: ﴿اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونه الآدمي، صاحب الحق الرباني. البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرضٍ من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني. اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم. اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم. صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه﴾.

والدعاء في التصوف الذي يتصف عادة بتركيزه على الجانب الروحي في الإسلام... ترتبط المسرحية بالطريقة الصوفية التيجانية التي كانت في البداية تردد صلاة "جوهرة الكمال" 11 مرة قبل أن تصبح بعد ذلك 12 مرة"[1].

لقد اقتبس بيتر بروك (Peter Brook)[2] وماري هيلين إيتيان[3] (Marie-Hélène Estienne) "قصة "حكيم بانديا غارا"(The Sage of Bandiagara) للكاتب أمادو هامباتي با (Amado Hampati Ba)، وحوَّلاها إلى مسرحية تحت عنوان (12و 11) التي مُثِّلت أحداثها فوق خشبة المسرح الأمريكي أكثر من مرة، خاصة مسرح (LeFrak Gymnasium at Barnard College) في نيويورك، كما لعبت أيضا فوق مسارح عدة عواصم أوربية كلندن[4] وباريس[5].

وصف بيتر بروك[6] (Peter Brook) هذا العمل المسرحي قائلا:"إنها مسرحية المنطق والتسامح"[7]، حيث يبرز شخصيتها الرئيسة تيرنو بوكار (Tierno Bokar) كرمز للتضحية من أجل إصلاح ذات البين ورأب الصدع بتنازله عن مشيخته للزاوية التيجانية في بلدته، واتباعه لشيخ تيجاني آخر يصغره سنا، وتبنيه لمذهب 11 ذكرا للصلاة الجوهرية، مما سيؤدي إلى تخلي قبيلته عنه وهجران أسرته له ليموت وحيدا منعزلا، مُصرا على موقفه في التوفيق والجمع بين الجماعة التيجانية. يقول بول شارما عن ذلك:

(1) Sharma, Paul. "Peter Brook Directs Play on the Tijani Sufi Tierno Bokar" on: http://sufinews.blogspot.com/2010/02/peter-brook-directs-play-on-tijani-sufi.html, accessed: August 11, 2011.

(2) مخرج المسرحية.

(3) كاتبة المسرحية.

(4) مُثِّلت هذه المسرحية فوق خشبة مسرح باربكان في لندن طيلة شهر فبراير من سنة: 2010م.

(5) Mckinley, Jesse."Arts, Briefly; Peter Brook to Columbia". In: The New York Times, (January 27, 2005).

(6) مخرج المسرحية.

(7) Sharma, Paul. "Peter Brook Directs Play on the Tijani Sufi Tierno Bokar"(Op.Cit).

"بينما كان الشخصية الرئيسة في المسرحية تيرنو بوكار بداية مع أولئك المؤيدين لذكر صلاة جوهرة الكمال 12 مرة، إلا أن اتباعه للشريف "حمى الله"، الشيخ الذي يصغره سنا، جعله يتبنى رأيه في ذكرها 11 مرة كعقد للتوفيق وللتحقق بالتحول الروحي، مما قاد إلى سقوطه متبوعا بشيخه حمى الله"(1).

هذا الأخير الذي أُسر من طرف الاحتلال الفرنسي سنة: 1940م الذي كانت تمثله حكومة فيشي حينئذ، لِيُحْمَل إلى فرنسا بعدما " تزايد خوف الفرنسيين من التأثير المزدهر للشيخ حمى الله..كانت مشاكلهم معه تتعلق برفضه أي شكل من أشكال التعاون معهم أو مع إداراتهم"(2). في سنة: 1943م سيلقى الشيخ حمى الله حتفه في المنفى ليدفن هناك بعيدا عن وطنه في فرنسا.

تيرنو بوكار هذا هو:

"شيخ صوفي عاش في مالي، ينتمي إلى أسرة تنتسب إلى الطريقة التيجانية، فأبوه هو ابن أخت الشيخ التيجاني المجاهد عمر الفوتي، وأمه ابنة شيخ صوفي بارز. ولد سنة: 1875م في سيغو (Segou) مدينة متألقة على ضفاف حوض النيجر.. غزا الفرنسيون مدينة سيغو حيث أُرغمت عائلة تيرنو بوكار على اللجوء إلى مخيم صغير في بانادياغارا (Bandiagara) سنة: 1893م، حيث عاش هناك بقية 47 سنة من حياته. فتح سنة: 1918م، وهو في سن الثالثة والثلاثين زاويته هناك حيث كان عدد تلامذته أربعة، لكن هذا العدد سيرتفع بسرعة إلى 400 تلميذ. وما جعل تيرنو بوكار معلِّما استثنائيا هو صلاحية تعاليمه التي تبدو ثمينة لنا اليوم!! تيرنو الذي يعني الشيخ بلغة

(1) Sharma, Paul. "Peter Brook Directs Play on the Tijani Sufi Tierno Bokar"(Op.Cit).
(2) Louis, Brenner.West African Sufi: The Religious Heritage and Spiritual Search of Cerno Bokar Saalif Taal, (London: C. Hurst, 1984). P: 32.

البول (Peul)، حيث كان أبواه من أطلق عليه هذا الاسم بالرغم من أنه كان لا يحب أن ينادى عليه بالشيخ... في سنة: 1937م، عبر كل مالي للقاء الشريف حامى الله (Hamallah)، الذي كان يصغره سنا، في مدينة نيورو الساحلية[1] (Nioro du Sahel) حيث قدَّم له البيعة، مما سبّب له الانفصال التام عن عائلته. سنة: 1938م تم إهماله وهجرانه من طرف قبيلته بعد عودته إلى باندياغارا، وأُرغم على إغلاق زاويته هناك.. أدركه الموت سنة: 1939م"[2].

يصفه أمادو هامبتي با (Amadou Hampaté Bâ) في كتابه الذي تناول حياة تيرنو بوكار وتعاليمه، قائلا:

"كل إيماءات تيرنو كانت موزونة، كانت بمثابة تعابير عن إرادته، كان يتحكم في جسده بشكل كامل، كان يَشِعُّ من حضرته السلم الباطني والفرح. كان الجميع يدرك أن مجرد الجلوس إليه يكفي لجعل كل الهموم تختفي، كنا نترك جميع قلقنا عند بابه"[3].

كان مسار حياة هذا الشيخ الصوفي نموذجا إنسانيا رائدا في عدم الانكفاء على النفس والاستماع لها فقط، بل وفتح الأذان لسماع الآخر ومد جسور التواصل والتسامح معه، يقول بيتر بروك:

"إن موضوع المسرحية يسلط الضوء على إشكالية تهمنا جميعا وهي: سطوة العنف والطبيعة الحقيقية للتسامح الذي يظل الأكثر سطوة. بالنسبة لنا، وحتى نشعر بأننا مهتمون حقيقة، يحتاج المسرح أن يكون شديد القرب

---

(1) هي مركز حضاري في منطقة كاييس في غرب مالي، 241 كلم من مدينة كاييس، وتبعد بحوالي 275 ميل في الغرب الشمالي للعاصمة باماكو.

(2) Marie-Hélène, Estienne. "About Tierno Bokar, " Le Monde des Religions, Hors série no. 4 (2005).

(3) Ibid.

من حياتنا ولكن لأسر خيالنا ينبغي أن تكون عناصره طلقة وغير متوقعة. وقصة هامباتي با تُوحِّد هذين الشرطين فهي لا تعطينا إجابات ولكن تجلب إلى الحياة الغموض"[1].

وتختم المسرحية بترديد مقولة تيرنو بوكار التي تشكل ملخص الفكرة التي أُريد للمسرحية أن تبلغها إلى الجمهور، ومضمون المقولة هو:

"هناك ثلاث حقائق: حقيقتي، وحقيقتك، والحق..حقيقتينا مثل هلالين إما يقابلان بعضهما البعض بالوجه فيشكلان البدر المكتمل، وفي أغلب الأحيان عندما نتناقش ونستمع فقط لأنفسنا فإن الهلالين يدير كلاهما ظهره للآخر. أولا يجب علينا أن نديرهما ليواجها بعضهما البعض، ومن ثمة، سيمكن بالتدريج أن يقترب أحدهما من الآخر أكثر فأكثر وربما يلتقيان في النهاية ويشكلان الدائرة المكتملة للحق"[2].

المطلب الثاني: المسرح الصوفي في أعمال الفنان الأمريكي دانيال مور:

أصبح الآن من باب اليقين أن إبداع الفنان الأمريكي دانيال عبد الحي مور استلهم رحابة آفاقه من ارتوائه من المشرب الدرقاوي للشيخ محمد بن الحبيب، كما مرّ بنا سلفا، حيث كانت النزعة المسرحية في كتابات دانيال مور بدأت في الظهور قبل اعتناقه الإسلام، لكن تشربه للإسلام الصوفي على يد الشيوخ المغاربة أسهم أكثر في اقتراب إبداعاته المسرحية من ملامسة المواضيع الروحية والتربوية أكثر، حيث قام دانيال مور بكتابة مجموعة من المسرحيات، خصيصا لمجموعة الشيخ باوا محيي الدين الصوفية في فيلاديلفيا بمناسبة الاحتفال بقدومه إلى الولايات المتحدة

(1) Brook, Peter. « About Tierno Bokar », November 19, 2004 on: http: //tiernobokar.columbia.edu.
(2) Sharma, Paul. "Peter Brook Directs Play on the Tijani Sufi Tierno Bokar"(Op.Cit).

الأمريكية، والتي ترتكز على قصصه التعليمية التي كان يحكيها في دروسه، بالإضافة إلى مسرحية "مجنون ليلى" التي قدم عروضها في عدة مدن أمريكية من خلال دمية قام بصنعها بنفسه لهذا الغرض، يحكي الفنان دانيال مور عن تجربته المسرحية قائلا:

"يحظى شعري بحيز أيضا في الإنتاجات المسرحية التي قمت بكتابتها وإدارتها عبر سنوات لشركة المسرح، لا سيما قبل أن أعتنق الإسلام كما أشرت من قبل. ولكن الأكثر حداثة هو في تلك المسرحيات التي كتبت خصيصا لمجموعة الشيخ باوا محيي الدين الصوفية في فيلاديلفيا بمناسبة الاحتفال بقدومه إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتي ترتكز على قصصه التعليمية التي كان يحكيها في دروسه...كانت الجمالية والفنية ترافق كل مسرحياتي التي كانت دائما أقرب إلى المسرح الشعبي العالمي، وذلك باستخدامها المواد الأساسية اليومية لابتكار تأثيرات سحرية، مثل القماش الطويل من ثوب الحرير المرفرف ليشبه الشلال المائي، أو اللهب المرسوم على الورق المقوى والمرفرف في أيدي الممثلين.. ومؤخرا قمت بإحياء تلك الدمى القديمة التي كنت أوظفها في مسرح العرائس السحري (The Floating Lotus Magic Puppet Theater) منتجا الدمية التي تلعب الدور الرئيسي في تلك القصة الصوفية لمجنون ليلى، والتي قدمتها في فيلاديلفيا ونيويورك إلى الجمهور البالغ بشكل خاص مستعملا الدمى التي أنتجناها أنا وزوجتي، أما النص الشعري فيرتكز بالخصوص على العمل الكلاسيكي للشيخ نظامي"(1).

يتوخى دانيال مور من وراء أعماله المسرحية استنهاض القيم

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور في منزله بمدينة فيلاديلفيا بالولايات المتحدة، يوم: 22غشت 2010م.

الأخلاقية الكامنة في بواطن الناس وتوجيهها لمواجهة مشاكل العصر المعقدة؛ إذ يواصل حاكيا عن رمزية تجاربه المسرحية:

"إن تطور المسرح في العالم الإسلامي خصوصا داخل الثقافة العربية بطيء بفعل النفور من التمثيل التقليدي، وهو ما يتناقض مع الثقافات الإندونيسية والهندية والتركية التي تحبذ المسرح، لا سيما ذلك المرتكز على الوضعيات الرمزية والحِكَم الأخلاقية المترسخة في السياق الروحي والذي يستقطب أكثر الجمهور المسلم. بالرغم من أن بعض المسرحيات المحايدة أصبحت اليوم تُنْتَجُ لفك الأنسجة المعقدة من الحياة الإسلامية الراهنة فيما يسمى ب"العالم المعاصر""[1].

هذه إذن، هي الأشياء التي تحفز عمل الفنان دانيال عبد الحي مور آملا من خلالها أن يكون كونيا في جاذبيته وإتاحيته، وأن يكون على وجه الخصوص عذب المنفعة ومسليا وملهما للمتصوفة والمسلمين على حد سواء، إذا ما تحلوا بالإدراك المنفتح للشعريات والجماليات الحديثة جدا وللطرق الجديدة في عشق المولى عز وجل ورسله الكرام.

لائحة بأسماء بعض العروض والأعمال المسرحية التي قام دانيال مور -بكتابتها أو أدائها:

THEATRE SCRIPTS/PERFORMANCES

THE FLOATING LOTUS MAGIC OPERA COMPANY:

1- The Walls are Running Blood, Daily Californian, Special Section, 1968

2- Bliss Apocalpyse, Tulane Drama Review, New York, September, 1970

---

(1) حوار أجريته مع الفنان دانيال مور (م.س).

3- Bliss Apocalpyse, Contemporaries, 28 New American Poets, Viking Press, New York, 1972

PLAYS FOR DAR AL-ISLAM SCHOOL IN ABIQUIU, NEW MEXICO:

1- The Stonecutter's Dream, 1988

2- The Setting Free of The Blind Princess of Zar, 1989 (?)

BAWA MUHAIYADDEEN FELLOWSHIP PLAYS

1- Tayyad Sultan, 1994

2- Mr. Richman and The Shaykh, 1995

3- The City of Sokku, 1996

4- Meeting in Mecca, 1997

THE FLOATING LOTUS MAGIC PUPPET THEATER:

1- The Mystical Romance of Layla & Majnun, version in modern verse based on the traditional tale by Nizami, Main Line Art Center, Haverford, PA, Aug. 3, 2000

2---, Lotus Music & Dance, New York, Feb.10 & 11, 2001

المبحث الثاني: تأثير التصوف المغربي في الرسم والفنون التشكيلية بالولايات المتحدة الأمريكية

يتبوأ المغرب مكان الصدارة أيضا في التأثير في أبرز الرسامين والخطاطين الأمريكيين؛ فهو يحضر عبر تراثه الأصيل وجاذبيته الروحية بشكل مباشر أو غير مباشر في إلهام الأمريكيين باعتناق مجالات خصبة من الفنون لاقت نجاحا كبيرا، ليس فقط داخل الولايات المتحدة، بل في العالم الغربي ككل، ومن أبرز هؤلاء نجد: "بيتر عبدالعظيم ساندر"[1]، "دانيال

(1) من أشهر المصورين الفوتوغرافيين الغربيين، وعلى الرغم من أنه إنجليزي، إلا أن أعماله معروفة جدا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو من أوائل من اعتنق الإسلام على يد الشيخ المغربي =

عبد الحي مور" و"محمد زكريا".

وعلى الرغم من صعوبة إيجاد صلات مباشرة لهذا الأخير مع التصوف المغربي، إلا أنه من الواضح جدا تأثره بالأجواء الروحية والصوفية للمملكة المغربية والتي ألهمته الشغف بجمال الخط العربي الإسلامي، كما يظهر ذلك جليا من أعماله واهتماماته.

المطلب الأول: الأمريكي محمد زكريا وفن الخط الإسلامي:

ولد **محمد زكريا** سنة 1942م في مدينة فنتورة في ولاية كاليفورنيا، وهو من أوائل الأمريكيين البيض الذين اعتنقوا الإسلام في العصر الحديث، بعد رحلة عمل كمهندس طيران لإحدى الشركات الأمريكية في المغرب. ومحمد زكريا يعتبر اليوم:

"أشهر خبير أمريكي في فن الخط العربي، وعلى الرغم من أنه درس الهندسة إلا أن حياته تغيرت بعد رحلته إلى المغرب سنة 1964م، حيث أصبح يهتم بالثقافة الإسلامية، وفوق ذلك كله بدأ يهتم باللغة العربية.. والآن يدرّس محمد زكريا الخط في مدينة واشنطن"(1).

يحكي محمد زكريا عن تلك الرحلة التي غَيَّرَت مسار حياته، قائلا:

"سنة: 1961م، كنت عدت للتو من رحلتي إلى المغرب..المغرب فتح عيوني على عالم مختلف: لغة جديدة، ثقافة جديدة ودين جديد، بدأت

=

محمد بن الحبيب الدرقاوي، شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية، التي يتزعمها حاليا في الغرب، الشيخ السكوتلاندي، عبد القادر الصوفي، وتعكس صوره الفوتوغرافية تأثره الكبير بالتصوف الإسلامي وبالتراث الروحي للمغرب خصوصا، تنظر مجموعة من أعماله الفنية على موقعه الالكتروني: .http: //www.petersanders.co.uk/home.html

(1) http: //ar.wikipedia.org/wiki/محمد_زكريا.

أُدرِّس نفسي اللغة العربية واعتنقت الإسلام"[1].

يواصل محمد زكريا سرد قصة التحول في مسار حياته والتي لعب فيها بلد المغرب بتراثه الحضاري الثري دور المفتاح الرئيس، قائلا:

"جمعت ما يكفي من المال لعبور البحر مجددا سنة:1964م، حيث قضيت سنتين متنقلا بين المغرب وأنجلترا؛ ففي المغرب درست الدين واللغة العربية والفن بشكل عصامي في المساجد والمكتبات"[2].

تُعْرَضُ أعمال محمد زكريا الفنية وتُبَاع في كل أنحاء العالم، وهو أول أمريكي حصل على شهادة من مركز الأبحاث في التاريخ والفن والثقافة الإسلامية من إسطنبول بتركيا"[3]، ومن أبرز الأعمال التي أدخلت محمد زكريا في تاريخ الفن الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية هو تصميمه لأول طابع بريدي إسلامي أصدرته خدمة البريد بالولايات المتحدة سنة: 2001م بمناسبة عيد الفطر الإسلامي. وقد روى محمد زكريا لجريدة «الشرق الأوسط» قصة تصميم الطابع قائلا:

" قبل حوالي ست سنوات تلقيت اتصالا مفاجئا من جهة ما تقول إنها على صلة بدائرة البريد وهي دائرة تابعة للحكومة الفيدرالية كما هو معروف، وقالوا لي إن هناك أمرا في غاية الأهمية يريدون أن يتحدثوا معي بصدده لكنهم شددوا على أن يكون الأمر في غاية السرية ولا أبلغ به أحدا على الإطلاق، فأجبت عليهم متسائلا: حتى زوجتي لا أبلغها؟! فقالوا يمكنك أن تتحدث مع زوجتك؛ ولكن يجب أن يبق الأمر طي الكتمان عن العالم

(1) Zakariya, Muhamed. "Becoming a Calligrapher: Memoirs of an American Student of Calligraphy" in his website: http: //www.zakariya.net/about/becoming_a_calligrapher.html, accessed: August 1st, 2011.
(2) Ibid.
(3) Amir Nashid Ali, Muhammad. Muslims in America: Seven Centuries of History (1312-1998): Collections and Stories of American Muslims. Beltsville: Amana Publications; 2 edition (2001), p: 78.

الخارجي، وعندما وافقت على ذلك جاء إلى منزلي خمسة أشخاص قائلين نريد أن نناقش معك إمكانية تصميم طابع بريد من نوع خاص، مشددين مرة أخرى على عدم إفشاء السر لأي شخص إلى أن يتم إصدار الطابع رسميا»[1].

وتابع قائلا:

"بعد أن وافقت على شرطهم شرحوا لي الفكرة بأن الحكومة الأمريكية تريد أن يكون هناك طابع ذو نكهة إسلامية لأن هناك أعضاء من الكونغرس ومن المسؤولين الكبار في الدولة أبدوا رغبة في ذلك، ولقد أوصى كثيرون أن نتصل بك بسبب معرفتك بالثقافة الإسلامية والفنون الإسلامية ويمكنك أن تساعد في تصميم الطابع، وهكذا بدأت في تصميم عدة أشكال عرضتها وعينوا معي شخصا يساعدني في الأمور التقنية لنقل التصميم إلى جهاز كومبيوتر، لأني لا استخدم الكومبيوتر في تصميماتي، وكانت الفكرة أن يتسم التصميم بالبساطة وأن يعكس اللغة العربية وليس الثقافة الإسلامية فقط، وعندما استقر الرأي على الشكل الأولي الذي رسمته في لوحة كبيرة بالأبيض والأسود، ثم بدأنا بتجريب عدة ألوان إلى أن استقرينا على اللون والشكل الحالي، واستمر العمل في التصميم حوالي عام ونصف العام، حيث إننا أدخلنا تغييرات كثيرة قبل التوصل للشكل الأخير"[2].

أضاف الخطاط محمد زكريا، عن قصة الطابع البريدي الإسلامي الأول الذي أصدرته الولايات المتحدة، قائلا:

---

(1) جريدة الشرق الأوسط: 24 أكتوبر 2006م. (العدد: 10192).

(2) جريدة الشرق الأوسط: 24 أكتوبر 2006م. (العدد: 10192).

" تم الاتفاق مع السلطات الأمريكية على إطلاق الطابع الجديد في الأسبوع الأول من سبتمبر 2001م، ومن المصادفات الغريبة أن التاريخ المشار إليه يسبق أحداث الحادي عشر من سبتمبر ببضعة أيام فقط، وتم الإعلان عن الطابع في شيكاغو وحقق في السنة الأولى من إطلاقه أعلى مبيعات في تاريخ الطوابع الأمريكية على الإطلاق"(1).

لم يكن محمد زكريا لِيُقْصَدَ في تصميم هذا الطابع البريدي، ومن ثمة الإسهام في صناعة التاريخ الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، لولا قدراته الإبداعية الفنية الهائلة؛ فقد أبدع محمد زكريا في فن الخط العربي بأنواعه المختلفة، وكذلك في الزخرفة والتذهيب، وهو ماهر في صناعة الأحبار على الطريقة العربية التقليدية القديمة والصبغات الذهبية، كما أتقن صناعة الورق المجزع الذي يسمى (الآبرو) بألوان وأشكال بديعة. وبرع في صنع الآلات القديمة مثل: الساعة الشمسية، والإسطرلاب العربي، والقبة السماوية على الطراز الإسلامي، وبعض إنتاجه معروض في عدد من متاحف العالم.

يقول الكاتب يوسف الناصر متحدثا عن الخطاط محمد زكريا:

"لمحمد زكريا أسلوب مميز ورؤية خاصة إلى تاريخ الخط وفلسفته قادته إلى البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية وفنونها وآدابها وعلومها، فعكف على إعادة إنتاج مخترعات قديمة كالبوصلة والإسطرلاب ومقاييس الوقت والمكان لا كآثار وتذكارات، بل كآلات صالحة للاستعمال، وألف كتباً ودراسات في جماليات الخط العربي وتاريخه، وقدم عروضاً في

(1) نفســـــه.

جامعات معروفة مثل هارفارد، وبرنستون جورج تاون، وجورج واشنطن، ومتحف المتروبوليتان، والمتحف البريطاني وسواها"[1].

هكذا إذن، أسهم محمد زكريا بشكل فاعل في التعريف بفن الخط الإسلامي، سواء من خلال عروضه التي تقام طيلة السنة عبر كل أنحاء العالم، أو من خلال الدراسات والأبحاث التي أنجزها بنفسه عنها. ومن أهم دراساته نذكر:

- Zakariya, Mohamed, The Calligraphy of Islam: Reflections on the State of the Art. Washington, D.C.: Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University, 1979.
- __________. "Father and Son Calligraphers." Seasons: The Journal of Zaytuna Institute, Spring 2007, volume 3, number 2, pages 6-16.
- __________. Microscope and cross staff featured in Fine Woodworking Biennial Design, Books One and Two. Newtown, Connecticut: Taunton Press, 1977, page 48, and 1979, page 156.
- __________. "Making a Microscope." Fine Woodworking magazine, November 1978; reprinted in Fine Woodworking on Woodshop Specialties. Newtown, Connecticut: Taunton Press, 1987, pages 13-14.
- __________, translator. Letters in Gold, by M. Ugur Derman, New York: Metropolitan Museum of Art, 1998.
- __________. Music for the Eyes. New York and Los Angeles: Metropolitan Museum of Art and Los Angeles County Museum of Art, 1998. Reprinted on zakariya.net
- __________, translator. Art of Calligraphy in the Islamic Heritage, by M. Ugur Derman. Istanbul: Research Center for Islamic History, Art, (IRCICA) , 1999.
- __________. "Becoming a Calligrapher," in M. Ugur Derman Armagani, Festschrift, Irvin Schick, ed. Istanbul:

---

(1) تنظر في الموقع الالكتروني: http: //www.splart.net/.

Sabanci University, 2000. Reprinted on zakariya.net

• __________. "The Hilye of the Prophet Muhammad." Seasons: The Journal of Zaytuna Institute, Autumn-Winter 2003-2004, volume 1, number 2, pages 13-22.

• __________. A Brief Look at the History and Development of Islamic Calligraphy; Great Islamic Calligraphers; The Hilye of the Prophet Muhammad; Selected Hadiths; The Flow of the Pen. zakariya.net.

شكل الباحث محمد زكريا مرجعا، أيضا، للعديد من الأعمال والدراسات التي أقيمت حول أعماله الفنية بشكل خاص، وفن الخط الإسلامي بشكل عام، سواء باللغة الانجليزية أو الألمانية أو التركية، ومن بين هذه الدراسات نجد:

• Ammann, Paul, et al. Meisterschreiber: Zeitgenössische Arabische Kalligrafe und ihre Künstler. Bern: Benteli Verlag, 1998.

• Broadway, Bill. "Artistic Leap of Faiths: B'nai B'rith Exhibit Features a Jew, Muslim and Christian." Washington Post, November 19, 1994, section B, page 7.

• Burchard, Hank. "Art That Celebrates Peace." Washington Post, October 21, 1994, section N (Weekend) page 65.

• DeLong-Bas, Natana. Notable Muslims: Muslim Builders of World Civilization and Culture, Oxlford: One World Publications, 2006, pp. 353-59.

• Gokcigdem, Elif. "In Calligraphy, Turkey Is the Leader" and "Calligraphy Is an Art that Requires Patience." Turkiye (Istanbul newspaper) , November 26 and 27, 1994.

• Karim, Nazim. "Mohamed Zakariya: Master Calligrapher and Instrument-Maker." The Ismaili USA, March 21, 2006, pages 14-17.

• Kesting, Piney. "The World of Mohamed Zakariya." Aramco World, January/February 1992, pages 10-17.

• Mack, Rosamond E. , and Mohamed Zakariya. "The Pseudo-Arabic on Andrea del Verrocchio's David." Artibus et Historiae, No. 60, 2009, pages 157-72.

• Murphy, Caryle. "Expressing Faith in Written Word: Islamic Calligrapher Shows His Devotion in Elegant Script Sanctified by Tradition." Washington Post, October 26, 2003, section E, pages 1 & 3

• Quirk, Rory. "Artistry in the Old World Tradition." Washington Post, January 25, 1976, section D, page 18.

• Rourke, Mary. "Islam's Sacred Script Survives the Centuries: American Muslims Rely on Diligence and Faith to Master the Intricate Art." Los Angeles Times, March 15, 1999, section Southern California Living, Part E, page 1.

• Safwat, Nabil. The Art of Calligraphy of the 14th to 20th Centuries. Vol. 5, The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art. London: Oxford University Press, 1996.

• Sagnier, Thierry J. "A New Craftsman in the Old, Arabian Manner." Washington Post, September 5, 1971, section H, pages 1 & 2.

• Tanrikorur, Cinucen. "Sen Seni Bil" [Know Yourself]. Aksiyon (Turkish periodical) March 28, 1997, page 54.

• Wellborn, Stanley. "Scientific Instruments of Wood: Simple hand tools, Old Methods, and Ingenuity." Fine Woodworking magazine, November 1978, volume 13, pages 40-43.

• Ybarra, Michael J. "'Arts of the Islamic World' at the Asian Art Museum in San Francisco." Los Angeles Times, October 5, 2008.



صورة للطابع الإسلامي الأول الذي أصدرته
خدمة البريد في الولايات المتحدة الأمريكية،
سنة: **2001**م، وهو من تصميم الخطاط الأمريكي
المسلم: محمد زكريا.

المطلب الثاني: الأمريكي دانيال مور وفن الرسم والتصوير

من التأثيرات الصوفية المغربية التي لمستها في بحثي الميداني داخل الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الصور الفوتوغرافية والتشكيلية التي تحيل على التصوف المغربي والتي تغطي الأغلفة الخارجية للكتب والمجلات وتزين حتى صورها الداخلية[1]، كما تلمست هذا أيضا في أعمال ودواوين الفنان دانيال مور، وقد سألته عن رمزية تلك الصور المنتشرة بين ثنايا كتبه فأجابني قائلا:

"من الأشياء التي يمكنها أن تجفل القارئ من كتبي هي أغلفتها، والملصقات الفنية التي أبدعها لكل كتاب. ومنذ طفولتي كنت أرسم الصور وألونها، وفي بداية عقدي الثاني حضرت دروسا متخصصة في الفنون الجميلة بمعهد الفنون بكاليفورنيا.. ولكن سرعان ما هيمن الشعر كعمل إبداعي رئيس، وبالرغم من ذلك فقد أنجزت خلال فترة الستينات مجموعة من اللوحات المائية اللون، ورسمت العديد من الصفحات في دفاتر ملاحظاتي. وكما ذكرت سالفا، فقد قمت بتصميم بدلات المسرح وأزيائه لشركة المسرح خلال أواخر الستينات"[2].

إن إبداعية الفنان دانيال مور ستستدعيه مجددا للاهتمام بفن الرسم والتصوير، والذي يود مور من خلاله إيصال رسالة فنية أخلاقية تعبر عن آفاق روحية رحبة بغض النظر عن بعض الحزازات التي قد تثيرها رسوماته لدى بعض التيارات الإسلامية المتشددة، يحكي في هذا السياق:

" عُدْتُ مؤخرا لصنع ملصقات من عناصر فوتوغرافية حصلت عليها

---

(1) أغلفة جميع دواوين الشاعر دانيال مور عبارة عن لوحات فنية قام الشاعر نفسه بإبداعها.

(2) حوار مع الفنان دانيال مور (م.س).

من مجلات مثل: ناشيونال جيوغرافيك (The National Geographic) والتي أتوخى غالبا من خلال التجاور المذهل لعناصره إثارة العالم الحالم في وعينا الباطن، وأيضا فإن تجاور الملصقات اللغوية في قصائدي الخاصة، كما هو الحال، توظف في فضاء روحي أكثر منه طبيعي. ضمن هذه الملصقات توجد هناك وجوه إنسانية وحيوانية والتي يمكنها أن تثير بعض الحساسيات المسلمة الصارمة. بالرغم من أنني أؤمن جازما بأن التحريم يهم الفنون التصويرية المطبقة على منحوتات قوالب-الظل التي تعبد أكثر من التماثيل المصورة سواء تلك المرسومة أو الفوتوغرافية لأن الصور نفسها ليست حراما... يمكن الادعاء، طبعا، بأن وفرة الصور في عالمنا المعاصر تحوي نوعا من العبودية الفكرية لأن الغاية منها هو الربح المادي، ولكن هذا يبدو أكثر تجريدا من حاجة الفنان الذي قد يشعر بنوع من التكبيل الإبداعي من خلال هذه القيود العقائدية الصارمة"[1].

(1) حوار مع الفنان دانيال مور (م.س).

خلاصة عامة

يمتلك أغلب المسلمين فكرة عن الولايات المتحدة مفادها: أنها بلاد الكفر، وأنَّ ما يجمعها بالإسلام وأهله هو مجرد "العداء المحض"، مستندين في هذا الحكم إلى ما تقوم عليه السياسة الأمريكية من دعم مطلق لإسرائيل على حساب فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى مشاركتها في الكيد للعديد من الدول العربية والإسلامية.

كما أن أغلب الأمريكيين يرون في المسلمين تهديدا لمصالحهم الاقتصادية والسياسية، بل وتهديدا لوجود دولتهم ككل، معتمدين في موقفهم على تورط بعض المسلمين المتشددين في الأعمال الإرهابية التي كانت وما زالت تستهدف بلادهم. لكن كلا الجانبين ينطلقان في حكمهما على الآخر من منطق تحليلي ضيِّق، يتجنب النظر في تاريخ أمريكا مع الإسلام وأهله؛ بل ويقصي مساهمة المسلمين أنفسهم في بناء الهوية الأمريكية الحالية.

إنَّ دراسة تاريخ أمريكا بحياد تثبت بما لا يدع مجالا للشك، أنَّ الدين الإسلامي كان دائما حاضرا في بناء الهوية الأمريكية حضارة وعمرانا؛ إذ تذكر بعض المصادر أن المسلمين كانوا سباقين إلى اكتشاف أمريكا قبل كريستوف كولمبوس، أو على الأقل كانوا حاضرين ضمن طاقم بواخره. وساهموا بفعالية في بناء العمران والاقتصاد الأمريكيين في مرحلة الاسترقاق حينما أُسِر آلاف المسلمين الأفارقة وحملوا إلى العالم الجديد قصد العمل في الزراعة والبناء. وقد أسهم هؤلاء الأفارقة الأمريكيون في صياغة هوية أمريكية يُشَكِّل الإسلام مكونا أساسيا فيها، كما يُسهم

الأمريكيون البيض حاليا في ترسيخ هذه الهوية عن طريق تحولهم إلى الإسلام ومساهمتهم الفاعلة في تجديد الرؤية عن الإسلام والمسلمين من خلال التصدي للأحكام الجاهزة عنهما في وسائل الإعلام، ومن خلال الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي يقومون بها، لا سيما وأن صوتهم قد أصبح مسموعا بفعل الانجازات والنجاحات التي حققها هؤلاء المسلمون الأمريكيون على المستويات الشخصية والعامة. ولعلَّ أكثر المسلمين الذين يحظون اليوم بتعاطف الرأي العام الأمريكي، هم الصوفية، بفعل مرونتهم الفكرية التي استطاعت أن تتكيف مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية الأمريكية، حيث تذهب أغلب الدراسات إلى أن أول صوت صوفي حظي بالنجاح في استقطاب الأمريكيين إلى دعوته المسالمة التي تنادي بكونية التصوف، كان هو المرشد الهندي عنايت خان، على الرغم من أن مثل هذه المقاربات تُغيِّب، بل تُقصي النظر إلى فترة العبودية، حيث كان أغلب المسلمين الذين جلبوا من شمال إفريقيا وغربها ينحدرون من مرجعيات صوفية، كما تثبت ذلك المخطوطات العربية التي ترجع إلى تلك الفترة والتي تزخر بها مراكز الوثائق والأرشيفات الأمريكية[1].

تنتشر اليوم الطرق الصوفية الإسلامية في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وتعمل بحيوية على الاستقطاب والامتداد من خلال مختلف أنشطتها الدعوية، وأيضا عبر إصداراتها الفكرية والأدبية وحتى الموسيقية والفنية منها.

إن الحقيقة التي تكاد تخفى على أغلب المهتمين بتاريخ الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، هي ذلك الحضور البارز للمملكة المغربية في

(1) للمزيد من التفاصيل يُنظر المبحث: الثالث، من الفصل: الثالث، من الباب: الثاني، في هذه الأطروحة.

صياغة الهوية الدينية والثقافية والإبداعية لأمريكا منذ اكتشافها وإلى عصرنا الحاضر. فإذا كان الأمريكيون في حاجة إلى إعادة قراءة تراثهم بمنظور جديد للبحث في هويتهم الدينية من جهة، ولتجديد تواصلهم مع العالم الإسلامي برؤية أرحب من جهة ثانية؛ فإن المغاربة في أمس الحاجة أيضا إلى البحث في امتداد تراثهم الروحي لإحياء قِيَمِهم الحضارية، ولتذكير الأجيال الحالية والمقبلة بعظمة هذا البلد وأصالة ميراثه الديني والأخلاقي؛ فإذا كان من حق الولايات المتحدة الافتخار بتقدمها المادي، فمن حَقِّ المغرب أن يفتخر بسطوته الروحية التي غمرت الشرق فبعثت الحياة في مآثره وتراثه، واخترقت الغرب فخرقت ماديته وأسرت رجالاته بجمالها وجلالها، لتعطي للمغرب مكان الريادة عالميا في مجال الولاية والصلاح، مؤكدة مقولة ابن قنفذ القسنطيني: "أرض المغرب الأقصى تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ"[1].

هكذا، حاولت هذه الأطروحة استخلاص جملة من النتائج توضح كيفية تأثير المغرب بهويته الدينية وخصوصيته الثقافية في أقوى حضارة علمية ومادية في عصرنا الحديث وهي الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ سعى الباب الأول والثاني من هذا البحث إلى استنباط مجموعة من المعطيات التاريخية والجغرافية والسياسية والدينية والحضارية التي تبوئ المغرب مكان الريادة في تاريخ أمريكا ككل:

تاريخيا: يعدُّ المغاربة أول من اكتشف القارة الأمريكية، وأول من وطأ أرضها؛ فحكاية مصطفى (استيفانو) الأزموري الذي انطلق من مدينة آسفي شهيرة ومذكورة في العديد من كتب التاريخ الأمريكية، وإن كان الجزم بها

(1) أحمد الخطيب القسنطيني، *أنس الفقير وعز الحقير*، بعناية محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965، ص: 42.

يظل صعب التحقق لافتقاد الدليل الواضح، ولهيمنة الفكر الغربي الذي ينسب كل اكتشاف وسبق إلى العبقرية الأوربية، إلا أنها تظل حكاية رمزية دلالية مرتبطة باكتشاف العالم الجديد.

جغرافيا: يعدُّ الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي أول من وضع خريطة لأمريكا، ووصف سكانها الأصليين اعتمادا على رواية المغامرين السبعة. أيضا، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي[1]؛ ذكر في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" المكتوب عام 956 م، أن أحد المغامرين من قرطبة اسمه الخشخاش بن سعيد بن الأسود، عبر بحر الظلمات مع جماعة من أصحابه إلى أن وصل إلى الأرض وراء بحر الظلمات، ورجع سنة 889 م.

سياسيا: يعتبر المغرب أول من اعترف باستقلال الولايات المتحدة وأول دولة عربية إسلامية دخلت الحوليات التاريخية الأمريكية بعد عقد اتفاقية صداقة وسلم معها، كما ساهم المغرب بشكل غير مباشر في الحرب الأهلية الأمريكية (1851-1856م)، وفي الحرب الأمريكية مع إسبانيا بسبب جزيرة كوبا سنة: 1896م، واضطلع كذلك بدور الوسيط بينها، وبين بلدان شمال إفريقيا، لعقد اتفاقيات مماثلة معها. وظل حاضرا في الذاكرة التاريخية الأمريكية بفعل مسألة الرهائن الأمريكان لدى الريسوني:1904م، مما جعله موضوعا إخباريا وشعارا انتخابيا في فترة حكم روزفلت. وإلى عصرنا هذا ما يزال المغرب يكتسي صبغة الأهمية في العلاقات الخارجية الأمريكية.

---

(1) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى. ولقبه قطب الدين، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود .وقد ورد ذلك في كتابه مروج الذهب والتنبيه والاشراف يذكر به اهمية العراق وبغداد كونها مسقط رأسة بينما ورد في الفهرست لابن النديم أنه من أهالي المغرب (ينظر الفهرست، ص: 117).

حضاريا: يحضر المغرب كهوية حضارية وقومية عند بعض الحركات الإسلامية السوداء، كحركة "معبد العلم المغربي"(Moorish Science Temple) للنبيل درو علي، وحركة الشيخ فيصل داود اللذين خلَّفا وراءهما العديد من التنظيمات الكبرى التي كانت وما زالت تدين بالولاء للمغرب ولرايته الوطنية التي ظلت خفاقة على التراب الأمريكي رغم انتكاستها في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث كان هؤلاء الأمريكيون على علم بما يعانيه المغرب و"كانوا يؤمنون بأن تلك الراية التي ظلت ترفرف على مدى آلاف السنين يجب أن تظل حية وخفاقة في زمن الاحتلال الفرنسي للمغرب حيث لا يسمح لها أن ترفرف"[(1)]، وهكذا "رفرفت راية المملكة المغربية إلى جانب راية الولايات المتحدة في المؤتمر الوطني الأول الذي عقده الموريون الأمريكيون في شيكاغو سنة:1928م للدلالة على الميراث الثنائي لجماعتهم"[(2)].

دينيا: شكَّلت الهوية الدينية المغربية مكونا أساسيا من مكونات الوجود الإسلامي في أمريكا، فالعديد من المخطوطات التي اكتشفت وما تزال تحمل الهوية الدينية المغربية من خلال خطها المغربي، وثلاثية المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي الذي كان المغرب مصدر إشعاعه في بلاد إفريقيا الغربية، ومنها إلى أمريكا عن طريق استرقاق المسلمين وحملهم إلى العالم الجديد حينئذ.

أما الباب الثالث والرابع من الأطروحة فقد خلصا إلى استنباط بعض مظاهر الحضور والتأثير الصوفي المغربي في الولايات المتحدة الأمريكية،

(1) Haddad Yvonne Yazbeck & Smith Jane Idleman, Mission to America: Five Islamic Sectarian Communities in North America, University Press of Florida(1993), p.86.

(2) Ibid, p..88

التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- تأثير الطرق الصوفية المغربية الأصل:

تحضر الطرق الصوفية المغربية بفعالية مؤثرة في التراب الأمريكي من خلال أنشطتها التربوية الصوفية والدعوية، وحتى الثقافية والأكاديمية، ومن أبرز هذه الطرق التي تم التطرق لها بتفصيل نجد: التيجانية، والحبيبية الدرقاوية، والقادرية البودشيشية. حيث تتصف كل طريقة بخط دعوي معين يُمَيِّزها عن بعضها البعض داخل الولايات المتحدة الأمريكية؛ فالطريقة التيجانية تنتشر أكثر وسط المسلمين الأفرو- أمريكيين بحكم طبيعتها الإفريقية لأن جُلَّ خلفائها في أمريكا ينحدرون من أصول إفريقية كالسينيغال وغينيا، على خلاف الطريقة البودشيشية التي تجلب الأمريكيين البيض أكثر، بفعل مرونتها وقدرتها على التكيف مع مختلف الخصوصيات الثقافية، وأيضا بسبب تأثير خطابها النخبوي الذي يروجه بعض أتباعها المشهورين في الغرب كفوزي الصقلي، وأحمد قسطاس. أما الطريقة الحبيبية الدرقاوية فقد نجحت بداية في استقطاب الأمريكيين من أصول أوربية، لكن توجهها نحو الاهتمام بأمور الاقتصاد والسياسة أفقدها الكثير من أتباعها الأوائل، وجعلها تنحصر وسط فئات معيَّنة من المجتمع الأمريكي والتي تعاني من التمرد على طغيان الرأسمالية وعلى استبداد الأبناك الربوية.

2- تأثير شيوخ التصوف المغاربة ومؤلفاتهم:

المقصود هو ذلك التأثير الذي لعبه وما يزال رجال التصوف المغاربة من خلال رؤاهم الاصلاحية وإنتاجاتهم التأليفية على رواد التصوف الأمريكيين، كما هو حال الأفكار الإصلاحية للشيخ الأمريكي حمزة يوسف التي تجدد الحياة في المشروع الإصلاحي الديني لأحمد زروق البرنوسي المغربي، أو حال الشيخ الصوفي الأمريكي نوح حاميم كلر في علاقته

الروحية مع متن الصلاة الجزولية الموسومة ب"دلائل الخيرات وشوارق الأنوار" الذي أعاد طبعه وتخريجه في نسخ راقية مع تحصيل الإذن اللازم لقرائه، بالإضافة إلى عملية ترجمته إلى اللغة الإنجليزية والتي تمت داخل الولايات المتحدة وخارجها عدة مرات كما فصَّلنا الحديث في ذلك.

3- تأثير التصوف المغربي في الأدب الأمريكي الحديث بنوعيه النثري والشعري:

تجاوز التأثير الصوفي المغربي في أمريكا مستوى الحضور الطرقي وحضور أعلام التصوف المغاربة بمنظوراتهم الإصلاحية ومتونهم التأليفية إلى مستوى أكثر عمقا يهم التأثير في صميم الحياة الثقافية والأدبية الأمريكية، فأوردت هذه الأطروحة نماذج وشواهد من الأدب الأمريكي بجنسيه الشعري والنثري متحت من معين التصوف الإسلامي المغربي المشرب لتؤثر في المشهد الأدبي في بلدها، وأحيانا حتى في العالم الناطق بالإنجليزية ككل، مما أدى إلى ظهور بعض الأجناس الأدبية الجديدة التي لم تكن معروفة في الغرب كأدب "الرحلة الحجازية"و" قصص الاهتداء"، وهي ذلك النوع الأدبي الذي يحكي فيه المتصوفة الغربيون قصص تحولهم إلى الإسلام ورحلاتهم من الغرب لأداء مناسك الحج أو للبحث عن المرشد الروحي في سفرهم الباطني بحثا عن الحق. كما أفرز ظهور أنماط جديدة من القصيد الصوفي الإنجليزي، كأشعار الأمريكي دانيال مور الذي يزاوج بين تجربته الصوفية الإسلامية العميقة وبين النفس الشعري الإنجليزي ليفتح آفاقا جديدة من الإبداع الإنساني.

4- تأثير التصوف المغربي في فن الموسيقى والعزف بأمريكا:

أثَّر التصوف المغربي أيضا في فن العزف والموسيقى بالولايات المتحدة الأمريكية، وعمل على تخليقها وطبعها بروحانيته السامية، فظهرت "المجموعة الموسيقية الحبيبية" المنسوبة إلى الشيخ المغربي سيدي

محمد بن الحبيب الذي ألهم جماعة من الموسيقيين الأمريكيين بعدما دخلوا الإسلام على يديه وارتشفوا من رحيق التصوف الدرقاوي، بإحياء روحانية الموسيقى الأمريكية وتخليقها، وإن كان عمر هذه المجموعة قصيرا إلا أن رسالتها استمرت من خلال روادها الأوائل كفنان الروك الشهير إيريك كلابتن، وعازف الغيتار المتألق إلى يومنا هذا ريتشارد طومبسن.

5- تأثير التصوف المغربي في فن الرسم والتشكيل والمسرح بالولايات المتحدة:

اقتحم التصوف المغربي أيضا فن الرسم والتشكيل وحتى المسرح في الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الفنان الأمريكي محمد زكريا الذي اعتنق الإسلام في المغرب، وفيه تذوق جمالية الخط العربي الذي صار أحد أبرز رواده في العالم اليوم. بالإضافة إلى الفنان المبدع دانيال مور الذي يُكِنُّ الولاء الباطني لشيوخ التصوف المغاربة الذين بفضل مصاحبتهم، كما يقول، تفتقت قريحته الابداعية ففاضت بغزارة في الشعر والمسرح والتشكيل. كما يحضر التصوف المغربي في مسرحيات تتطرق إلى حياة الحكماء، كما هي قصة الشيخ التيجاني تيرنو بوكار حكيم *باندياغارا* (The Sage of Bandiagara) التي تحولت إلى عمل مسرحي عُرض عدة مرات فوق خشبات المسرح الأمريكي. بالإضافة إلى تأثير التصوف المغربي في المسرح العرائسي، ومسرح خيال الظل في أمريكا عن طريق الأعمال المسرحية لدانيال مور.

تلكم إذن هي أهم الأفكار والخلاصات التي أنبتها هذا البحث، والتي يُشكل كل منها مجالا من مجالات البحث الخصبة الممكن، بل الواجب، طرقها كلها في مجموعة من الأعمال العلمية الأكاديمية المتخصصة التي ستوضح أكثر مدى إسهام التصوف المغربي في الحضارة الأمريكية إن على

مستوى الهوية، أو الإبداع أو العمران.

أختم القول بالاجابة عن ذلك السؤال الذي طرحته اللجنة العلمية لفولبرايت في شخص مديرها التنفيذي السابق داود كازويت يوم ذهبت لإجراء مقابلة شفهية قصد الحصول على منحة اللجنة المغربية الأمريكية للتبادل التربوي والثقافي، ومفاده: هل أنت متأكد من وجود أي تأثير صوفي مغربي في أمريكا؟، اليوم أجيب: إنني الآن فعلا مطمئن إلى حقيقة قوة إشعاع نورانية التصوف المغربي، وأنه أصبح ظاهرة كونية تجاوزت البعد الجغرافي لإفريقيا والشرق الأوسط، وأنه خير سفير يمكنه أن يمثل الخصوصية الدينية المغربية عبر العالم، وأن المغاربة يمكنهم اليوم أن يوجهوا رحلاتهم العلمية الأكاديمية إلى مختلف الأصقاع لاستكشاف تراثهم الروحي الثّر، وربطه بأصوله المغربية.

إن رحلة البحث عن التأثيرات الصوفية المغربية في الولايات المتحدة الأمريكية، علّمتني أن لا أجيب قبل أن أبحث، وعلّمتني أكثر أن أفتخر بهويتي الدينية وبانتمائي إلى هذا الوطن المعطاء، وبالانتساب إلى أهل الله، الذين لولا توجيهاتهم ما كنت ذقت معنى التصوف ولا خبرت حلاوة الاختمار بشرابه، ولا اقتحمت مسار البحث فيه. لقد حاولت قدر ما وسعتني إمكاناتي الفكرية واللغوية أن أقتفي الخصوصية الإسلامية المغربية على التراب الأمريكي، ولكنني أعترف بالتقصير الذي يرتبط بطبيعتي الإنسانية التي يعتريها الضعف والتسرع وافتقاد الصبر، وحسبي من هذا البحث أن أكون قد أضفت لبنة ولو يسيرة إلى مشروع اقتفاء الأثر الصوفي المغربي في البلدان الأنجلوساكسونية الذي أعتزم الاستمرار فيه بإذن الله، "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

المرفقـات

1- محاضرة الدكتور: علي بن المنتصر الكتاني:

الوجود الإسلامي في الأمريكتين قبل كريستوف كولومبس:

محاضرة للأستاذ الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله:

الموضوع حقيقة في غاية الأهمية، وشيق جدا، وأنا ابتدأت في التعرف عليه منذ كنت مقيما في أمريكا. وبصفة عامة؛ فالتاريخ - كما يقول الأمريكان أنفسهم - هو قصة المنتصرين: " History is a story of the rankers"، معناها: أنه عندما نسمع باكتشاف أمريكا من طرف كريستوف كولومبس، لولا أن بعد اكتشاف أمريكا أصبح الأوروبيون بصفة عامة هم المهيمنون على العالم؛ لكانت قصة اكتشاف أمريكا من طرف الأوروبيين خرافة بديهة. لأنه لم يكتشفها كريستوف كولومبس، بل كانت معروفة من لدن كثير من الشعوب، خاصة الشعوب الإسلامية.

وعرضي هذا سوف أبنيه على ثلاثة كتيبات:

الكتاب الأول: كتاب مهم جدا في طريق الصدور، والذي عندي هو نسخة عنه من الإنترنت، مكتوبة بالإسبانية: "Africa versus America"، وكتبته لويزا إيزابيل أل فيريس دو توليدو، " Luiza Isabel al ferris Do Tolido"، وهي دوقة مدينة سيدونسا "Cedonia"، وهي سليلة إحدى أكبر العائلات الإسبانية، ولا زالت تعيش في قصرها قريبا من مدينة سان لوقا دو باراميدا "San Luca De Paramida"، قرب نهر الوادي الكبير في الأندلس، وعندها مكتبة ووثائق فريدة من نوعها، بصفة عامة، عن تاريخ الأندلس، وبصفة خاصة عن الوجود الإسلامي في أمريكا قبل كريستوف كولومبس،

لأن أجدادها كانوا حكام إسبانيا وكانوا جنرالات في الجيش الإسباني، وكانوا حكام الأندلس وأميرالات البحرية الإسبانية. فالوثائق التي في ملكها تعتبر هامة جدا.

والكتاب الثاني: هو مجموعة مقالات استكتبتها أنا والدكتور مختار غامبو بتمويل من رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، ضمن موسوعة عن الوجود الإسلامي في العالم اليوم، مجلدان منها عن الإسلام في أمريكا. أول مقال فيها كتبه عبد الله الحكيم كويك، وهو أمريكي مسلم، أستاذ في جامعة طورنطو، وله تاريخ نضالي في أمريكا. كان من مجموعة بلاك تايغرز "Black Tigers"، وكان من المشهورين. ومقالاته هاته عن الإسلام في أمريكا قبل كريستوف كولومبس، وهي مقالات موثقة ومهمة جدا.

الكتاب الثالث: مهم جدا، بالإنجليزي، واسمه الميلنجر "The Malingers"، اسم إذا رآه شخص لا يعيره اهتماما، يسمونهم أحيانا "The white of the Appalachians"، جبال الأبالاش، تقع في شرق الولايات المتحدة، وبها سكان يسمونهم "ميلونجونز"، أحدهم اسمه: "براند كينيدي" "Brand Kennedy"، كتب كتابا عن أصول الميلونجونس بتمويل من جامعة فرجينيا الغربية، وتبين أن أصولهم إسلامية من أندلسيي البرتغال، وبقيت فيهم عادات إسلامية إلى الآن، ومن أهم الشخصيات التي تنتمي إلى هذه الطبقة من الناس: "أبراهام لينكولن"، "Abraham Lincoln"، وتحرير أبراهام لينكولن للعبيد كان انتقاما للأندلس من النصارى بطريقة غير مباشرة، إذ إن التاريخ لا يمسح بهذه السهولة.

بهذه المقدمة الشيقة أريد أن ألخص لكم أهم نقاط محاضرتي، وهي:

أولا: ما هي البراهين التي تثبت الوجود الإسلامي في أمريكا قبل كريستوف كولومبس؟.

ثانيا: هل هذا الوجود قبل كريستوف كولومبس مازالت له آثار إلى الآن، أم مسحت؟. وهذا السؤال ناتج عن اهتمامي بمستقبل الإسلام حول العالم، وهو ما أسميه: "Residual Islam around the world"، توجد شعوب بأكملها وهي من بقايا الإسلام في مختلف بقاع القارات الخمس، ومعنى ذلك: أن رجوع الإسلام إليهم يعتبر من أسهل ما يكون، ونأتي بأمثلة عن أمريكا.

بعد هذه المقدمة أريد أن أرجع إلى القول بأن اكتشاف أمريكا من قبل كرستوف كولومبس إنما هو كذبة صريحة، لأن الآن هناك براهين مستفيضة بأن الإسكندنافيين وصلوا إلى أمريكا ألف عام قبل كريستوف كولومبس، مثال ذلك تول هايير داليدا "Toll Hoyer Da lida"، الذي كما تعرفون خرج من مدينة آسفي بالمغرب بباخرة صفها بورق البردي "Papyrus"، وقطع المحيط إلى أمريكا بسهولة، وبرهن بذلك أن قدماء المصريين ذهبوا كذلك إلى أمريكا.

إذن؛ فالعلاقات مع أمريكا كانت متواصلة قبل الإسلام وبعده، وبصفة خاصة بعد الإسلام من طرف الشعوب الإسلامية. إذن فإن لفظة "اكتشاف"، كلمة تعتبر خرافة مرت علينا ونعلمها لأطفالها، وهذا الذي سأذكره لا يعلّم لأحد في المدارس الإسلامية ولا في غيرها، إذ إن معظم الوثائق الباقية هي الآن في الغرب، ومع الأسف الشديد فوثائقنا العربية ليس عندنا منها شيء، لأن باحثينا لم يبحثوا، ولو بحثوا لوجدوا.

طبعا؛ سيجد الباحث صعوبة في البحث، لأنه في الوثائق القديمة لن يقولوا "القارة الأمريكية"، إذ أنه لم يكن تقسيم القارات سابقا إلى قارات كما نقسمها الآن، ففي الماضي كانوا يقسمون العالم إلى مناخ، مناخ كذا وكذا. فعندما يتكلمون عن إفريقيا يتكلمون عن مناخها، ويعدون أمريكا من إفريقيا.

سأقسم حديثي عن الوجود الإسلامي في أمريكا قبل كريستوف كولومبس إلى منطقتين اثنتين:

فالأولى: من المغرب والأندلس.

الثانية: من إفريقيا العربية الإسلامية، وكلها إسلامية طبعا.

المنطقة الأولى: المغرب والأندلس:

أولا؛ القرائن والآثار الموجودة الآن في هذا الوقت، الكلمات، والآثار اللغوية: ففي لغة الهنود الحمر هناك كلمات عربية وأمازيغية بكثرة، ولا يمكن أن تكون موجودة إلا بسبب وجود عربي أو أمازيغي قديم هناك، القرائن التاريخية التي جاءت في الكتب القديمة - العربية وغير العربية - والآثار الموجودة إلى الآن رغم المجهود الكبير الذي عمل عليه الإسبان، بعد كريستوف كولومبس لمسح أي أثر للإسلام أو الوجود الإسلامي في القارة الأمريكية، وذلك طبعا لتحريف التاريخ.

العرب قديما كانوا يسمون المحيط الأطلسي بحر الظلمات. إذا نظرنا إلى القرائن الأركيويوجية (الأثرية)، نجد أنه اكتشفت كتابات كوفية في أمريكا الجنوبية بالعربية، فمن أوصلها إلى هناك؟. واكتشفوا في عدة أماكن كنوزا تحوي عملات ذهبية رومانية وأخرى إسلامية. وفي العادة إذا اكتشف كنز في محل ما فإن تاريخ ضرب العملة الذي فيه يعتبر تاريخ وصول الكنز إلى المحل المذكور، وذلك طبيعي في البحث العلمي. وآخر عملة اكتشفوها كانت للقرن الثامن الميلادي، أي أن ثمة باخرة إسلامية وصلت في القرن الثامن الميلادي إلى ذلك المحل وتركت ذهبها هناك.

دعنا نقارن ما ذكرناه - وما وهو إلا غيض من فيض أمثلة أخرى كثيرة - بما جاء في بعض أمهات الكتب العربية. مثلا: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي؛ ذكر في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"

المكتـوب عـام 956 ميلاديـة، أن أحـد المغـامرين مـن قرطبـة اسـمه الخشخاش بن سعيد بن الأسود، عبر بحر الظلمات مع جماعة من أصحابه إلى أن وصل إلى الأرض وراء بحر الظلمات، ورجع سنة 889م، ربما من قرأ هذا الكلام في زمنه اعتبر المؤلف مخرفا، وهنا عندي قطعة من كلام المسعودي ربما أترجمها لكم لاحقا، وهو كلام متعلق بمغامرة الخشخاش.

وقال الخشخاش لما عاد من رحلته بأنه وجد أناسا في الأرض التي وصلها، ووصفهم، بل لما رسم المسعودي خريطة للعالم، رسم بعد بحر الظلمات أرضا سماها: الأرض المجهولة. فيكون رسم أرضا هناك ولم يدّع أنه ليس بعد بحر الظلمات أي أرض، كما كان يدعيه الأوروبيون في خرائطهم وكتبهم. أي إنه في القرن التاسع الميلادي كان المسلمون يعرفون أن ثمة أرضا وراء بحر الظلمات، وليست هي الهند كما ادعاه كريستوف كولومبس، والذي ذهب إلى تلك الأرض وعاد وعاش ومات، وهو يظن أنه إنما ذهب إلى الهند، لم يظن قط أنه اكتشف أرضا جديدة. ولذلك فإلى يومنا هذا بكل جهل يسمي الأوربيون أمريكا بالهند الغربية"West India " .

وثمة وثيقة تاريخية أخرى عندنا في التاريخ العربي؛ وهي قصة ذكرها عمر بن القوطية، وهي حديثه عن رحلة ابن فروخ الأندلسي عام 999م، ومما يظهر من كلامه: أن ابن فروخ لم يصل إلى أمريكا، غير أنه زار جزر كناريا"Canaries" ، في المحيط الأطلسي، وقطع منها إلى جزر أخرى في المحيط الأطلسي، ووصف أهالي كناريا ثم عاد إلى الأندلس.

وثمة قصة مفصلة أكثر من جميع ما ذكرت، وربما يعرفها جميعنا، وهي قصة الشريف الإدريسي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي بين 1099-1180م، والذي كان من سبتة، شريفا حمّوديا إدريسيا، وكان هو العالم الجغرافي الذي اصطفاه "روجر"، الملك النورماندي لصقلية، الذي

كان يعد من الملوك الصقليين المتفتحين تجاه الإسلام، ولم يضطهد المسلمين عندما احتل النورمانديون صقلية وأخذوها من أيديهم.

ففي كتابه "الممالك والمسالك" جاء بقصة الشباب المغرورين؛ وهم: جماعة خرجوا ببواخر من إشبونة"Lisbon" ، وكانت في يد المسلمين وقتها، وقطع هؤلاء المغامرون بحر الظلمات، ورجع بعضهم، وذكروا قصتهم وأنهم وصلوا إلى أرض وصفوها ووصفوا ملوكها. والغريب في الأمر أنهم ذكروا أنهم وجدوا أناسا يتكلمون بالعربية هناك.

وإذا كان أناس يتكلمون بالعربية هناك فهذا دليل على أن أناسا كثيرين وصلوا قبلهم إلى هناك، حتى تعلم أهلها العربية ليكونوا ترجمانا بينهم وبين الملوك المحليين، وعلى أنه كان هناك وجود إسلامي في ذلك التاريخ على تلك الأرض. الوصف الذي أعطاه هؤلاء المغامرون يظهر أنه وصف للجزر الكارابية، كوبا أو إسبانيولا، أو غيرهما من جزر البحر.

وهناك أمثلة أخرى في اللغة وغيرها. فأعطي في اللغة أمثلة كذلك: فالأوروبيون رسموا خريطة لأمريكا، ومنها خريطة لفلوريدا، وذلك عام 1564م، ذكروا فيها مدنا ذات أسماء توجد في الأندلس والمغرب. ولكي تكون أسماء عربية هناك، فبالضروري كانت هجرة عربية قبل المائة أو المائتي عام على الأقل. مثلا: في الخارطة هناك مدينة ميارقة، وواضح أنها تحريف لميورقة، وهي جزيرة من الجزر الشرقية المسماة الآن بالبليار، ومدينة اسمها كاديكا، وهي تحريف لقادس الواقعة جنوب الأندلس. وأخرى اسمها "مارّاكو" تساوي: مراكش...إلخ.

دوقة مدينة سيدونيا، بناء على وثائقها كتبت كتابا في غاية الأهمية على إثر تشجيع مني، حيث إنني في دراساتي عن الموريسكيين اكتشفت شيئا غريبا جدا، ما هو؟ اكتشفت بأنه عام 1644م، قامت مؤامرة في الأندلس

لتحريرها من إسبانيا، وإعادة الدولة الإسلامية فيها، دخلت في هذه المؤامرة فئات أربع:

أولا: ملك البرتغال، وذلك أول استقلالها الذي كانت أضاعته من قبل بعد هزيمتها في معركة واد المخازن، وانضمت إلى إسبانيا، وفي عام 1644م، أعادت استقلالها.

ثانيا: شخصية من ولاية المرية اسمه "طاهر الحر"، لم تعط الوثائق اسمه النصراني، وهو ينسب نفسه إلى بيت بني الأحمر. ثار هو وجماعة معه.

ثالثا: موريسكيو الرباط، في الوثائق المغربية يظنون بأنهم أرادوا التعاون مع النصارى، غير أنهم في الحقيقة أرادوا تحرير الأندلس، حيث كان المقرر أن يدخلوا مصب الوادي الكبير ببواخر ويحتلوا إشبيلية.

رابعها: وهذا هو الشاهد عندنا: دوق مدينة سيدونيا، والذي كان الحاكم باسم ملك إسبانيا على منطقة الأندلس. فكيف دوق مدينة سيدونيا الذي يمثل السلطة النصرانية (المسيحية) على الأندلس يقوم بمؤامرة من أجل تحرير الأندلس؟. لم أفهم ذلك .!!!فلما التقيت الدوقة الحالية لمدينة سيدونيا استدعتني في شاطوها (قصرها) قرب مدينة سان لوقا دو باراميدا، قرب مصب الوادي الكبير، فقلت لها: "ما سبب ذلك؟!". وإذا بجوابها كان أغرب مما كنت أتوقع، حيث أجابتني: "بديهي؛ لأن أصلنا - عائلة دوق مدينة سيدونيا - مسلمون، بل أكثر من ذلك أننا كنا مسلمين سرا". وقالت لي: "تعال أريك في قصرنا؛ كنت أدق حائطا وعندما أسقطته وجدت أسفله مسجدا داخل القصر"، وفعلا صليت - أنا المحاضر - في ذلك المسجد داخل القصر. فإذن؛ هذا الدوق - رحمه الله - قام بمجهود كبير لتحرير الأندلس.

والأهمية في دوقة مدينة سيدونيا؛ أن عندها مكتبة فاخرة مليئة بالوثائق منذ ثلاثمائة وأربعمائة وخمسمائة عام، من ضمنها وثائق مسلمي أمريكا الجنوبية!، والبرهان على الوجود الإسلامي في أميريكا قبل أربعمائة عام من كريستوف كولومبس. وأخبرتني أنها خائفة من أنها إذا ماتت - وهي تبلغ حوالي سبعين عاما - من أن تسرق وثائقها وتعدم، لأنها تقول بأنه: "لا ثقة في نصارى إسبانيا إلى يومنا هذا"، وهي تقول بأنه: "إلى يومنا هذا يعدمون الوثائق التاريخية المضادة لخرافاتهم التاريخية التي يحبون إقناع الناس بها"، قلت لها: "اكتبي كتابا وضعي هذه الوثائق فيه"، فكان ذلك السبب الأساس لكتابتها هذا الكتاب، فهذا الكتاب الذي سمته: "من إفريقيا إلى أمريكا"، كتاب وثائقي رائع، موثق بالوثائق التي عندهم في مكتبة دوق مدينة سيدونيا، هذا الكتاب صدر في هذا الشهر (نهاية سنة 2000)، ومن الضروري أن يترجم للعربية، وإلى لغات أخرى، حيث هو مكتوب باللغة الإسبانية.

ومن المسائل المهمة التي لا نعرفها معاشر المغاربة، أن ياسين والد عبد الله بن ياسين - مؤسس دولة المرابطين - قطع المحيط الأطلسي وذهب إلى المناطق شمال البرازيل، وغينيا، ونشر فيها الإسلام. ذهب إلى هناك مع جماعات من أتباعه، وأسس منطقة كبيرة كانت تابعة للدولة المرابطية. أي: إن الدولة المرابطية لم تكن في شمال إفريقيا والأندلس والبرتغال فحسب، وإنما كانت أيضا فيما يسمى الآن شمال البرازيل وغينيا، وهذا موثق بالوثائق التي تملكها الدوقة المذكورة.

وفعلا، وإلى يومنا هذا؛ هناك مدن وقرى في تلك المناطق اسمها: فاس، مراكش، تلمسان، سلا...وقد كنت أظن أن تلك الأسماء جاءت مع الرحالة الإسبان، غير أنها قالت لي: "لا؛ بل كانت قبل مجيء الإسبان، إنما كانت مع وجود المسلمين قبل أربعمائة عام من كريستوف كولومبس".

إذن؛ بصفة عامة وبتلخيص شديد: العلاقات بين المغرب والأندلس، وما يسمى اليوم بأمريكا كانت متواصلة، وحسب معظم العلماء؛ فالآن - سواء من الطرف الإسباني أو من الطرف الأمريكي - فإنهم يعتقدون أن قبل كريستوف كولومبس كان الإسلام منتشرا في شمال أمريكا وفي جنوبها، وأن أول عمل قام به كونكيسادور"Conquistador" الإسبان النصارى - هو متابعة هجومهم على الإسلام الذي كان في الأندلس، بالقضاء على الإسلام والقضاء على الوثائق التي تبرهن أي وجود إسلامي في تلك القارة.ورغم هذا المجهود الكبير لم يستطيعوا القضاء على كل شيء.

المنطقة الثانية: علاقة الدولة العثمانية وإفريقيا مع أمريكا

الآن نرى علاقة الدولة العثمانية مع أمريكا قبل كريستوف كولومبس، وسأكمل بذكر علاقات الممالك الإسلامية في إفريقيا الغربية مع أمريكا قبل كريستوف كولومبس.

عام 1929م، اكتشفت خريطة للمحيط الأطلسي رسمها بيري محيي الدين رايس، الذي كان رئيس البحرية العثمانية في وقته، وذلك سنة 919 هـ/ أي: حوالي: 1510-1515م، الخريطة الموجودة الآن: الغريب فيها أنها تعطي خريطة شواطئ أمريكا بتفصيل متناه غير معروف في ذلك الوقت بالتأكيد، بل ليس الشواطئ فقط، بل أتى بأنهار وأماكن لم يكتشفها الأوروبيون إلا أعوام: 1540-1560م، فهذا يعني - وكما ذكر بيري رايس - بأن هذه الخريطة مبنية على حوالي تسعين خريطة له وللبحارين الأندلسيين والمغاربة الذين قدموا قبله، فسواء هو أو المسلمون قبله سيكونون عرفوا قطعا تلك المناطق، وعرفوا اسمها قبل الأوروبيين.

ومن ضمن المسائل في هذه الخريطة التي تدل على تقدمهم على

الأوروبيين بكثير في معرفتهم بالقارة الأمريكية: أنهم أظهروا جزرا في المحيط الأطلسي لم يكن يعرفها الأوروبيون؛ بما فيها: جزر الرأس الأخضر "Cap Verde"، وماديرا، وجزر الأزور، وبما فيهم جزر كناريا بالتفصيل، التي كنا نسميها "جزر الخالدات". والغريب في الأمر أنه أظهر بالتفصيل جبال الأنتس التي هي جبال تشيلي غرب قارة جنوب أمريكا، التي لم يصلها الأوروبيون إلا عام 1527م، وأظهر أنهارا في كولومبيا، ونهر الأمازون بالتفصيل، ومصبه الذين لم يكونا معروفين عند الأوروبيين ولا موجودين في خرائطهم. وأظهر نهر الأمازون بالتفصيل، بحيث رسم في مصب النهر المذكور بوضوح جزيرة يسمونها الآن "ماراجو"، وهي الآن موجودة في الخريطة الحالية التي ما وصلها الأوروبيون إلا آخر القرن السادس عشر.

من بعد ذلك هناك خريطة للحاج أحمد العثماني عام 1559م، وهي تدل كذلك على معرفة واضحة بالقارة الأمريكية متفوقة على معرفة الأوربيين. والحقيقة أن الرعب الكبير الذي كان للأوربيين في القرن السادس عشر أن تحتل الدولة العثمانية أمريكا وتطردهم منها كان هاجسهم، ونذكر أنه في القرن السادس عشر كان الوجود الإسلامي ما يزال في إسبانيا، كان الموريسكيون مضطهدين محاربين، بيد أنهم كانوا ما يزالون مقاومين.

أما الأفارقة؛ فكما قلت لكم: أظهر تول هايير داليدا عام 1969م، بالرحلة التي قام بها من مدينة آسفي المغربية إلى البحر الكاريبي أنه بالإمكان أن يكون قدماء المصريين قد أبحروا إلى أمريكا. لماذا؟. لأنهم وجدوا تشابها كبيرا بين حضارة الأزتك والحضارة المصرية.

وفعلا؛ يظهر أن أول من قطع البحر من مسلمي إفريقيا الغربية كانوا من مملكة مالي، لأن شهاب الدين العمري قال في كتاب "مسالك الأبصار وممالك الأمصار" بأن سلطان مالي من سموسة (كلمة غير واضحة) لما

ذهب للحج عام 1327م، ذهب يوزع الذهب في طريقه لحد أن ثمن الذهب رخص في مصر بسبب ما وزعه من الذهب، وأخبر بأن سلفه أنشأ مائتي سفينة وقطع المحيط الأطلسي نحو الضفة الأخرى وأنابه عليه في حكم مالي ولم يعد قط. وبذلك بقي هو في الملك.

ووُجدت كتابات في البيرو والبرازيل وجنوب الولايات المتحدة تدل على الوجود الإفريقي من كتابات إما بالحروف الإفريقية بلغة الماندينك؛ وهي لغة لشعب كله مسلم الآن، يسمونهم: "الفلان"، أو بحروف كوفية عربية. وكذلك تركت اللغة المانديكية آثارا لها في الهنود الحمر إلى يومنا هذا.

والحقيقة؛ انتشر المانديك من البحر الكاريبي إلى شمال وجنوب الأمريكتين، وهناك قبائل هندية إلى يومنا هذا مازالت تكتب بحروف لغة الماندينك.هل طمس الإسبان جميع الوجود الإسلامي والوجود الماندیكي وآثارهم ولم يبق من ذلك شيء؟!، هذا كثير، ولا يمكن. فإذا رجعنا إلى كتابات المكتشفين الأوروبيين الأوائل بمن فيهم كريستوف كولومبس؛ نجد بأنهم ذكروا الوجود الإسلامي في أمريكا؛ فمثلا؛ في كتاب كتبه ليون فيرنيل عام 1920م، وكان أستاذا في جامعة هارفرد، اسم الكتاب "إفريقيا واكتشاف أمريكا"، "Africa and the discovery of America"، يقول فيه: "إن كريستوف كولومبس كان واعيا الوعي الكامل بالوجود الإسلامي في أمريكا"، وركز في براهينه على براهين زراعية ولغوية وثقافية، وقال بأن المانديك بصفة خاصة انتشروا في وسط وشمال أمريكا، وتزاوجوا مع قبيلتين من قبائل الهنود الحمر، وهما: "إيروكوا" و"الكونكير" في شمال أمريكا، وانتشروا - كما ذكر - في البحر الكاريبي جنوب أمريكا، وشمالا حتى وصلوا إلى جهات كندا.

بل وذكر كريستوف كولومبس نفسه بأنه وجد أفارقة في أمريكا. وكان يظن بأنهم من السكان الأصليين، ولكن لا يوجد سكان أصليون جنوز في أمريكا. فمن أين أتوا؟!.

"جيم كوفين" كاتب فرنسي ذكر في كتابه "بربر أمريكا"، "Les Berberes d'Amerique"، بأنه كانت تسكن في أمريكا قبيلة اسمها "المامي"، "Almami"، وهي كلمة معروفة في إفريقيا الغربية معناها: "الإمام"، وهي تقال عن زعماء المسلمين، وذكر بأن أكثريتهم كانت في الهندوراس في أمريكا الوسطى، وذلك قبل كريستوف كولومبس.

كذلك في كتاب "التاريخ القديم لاحتلال المكسيك" "Historia Antigua de la conquesta de Mexico"، لمانويل إيروسكو إيبيرا، قال: "كانت أمريكا الوسطى والبرازيل بصفة خاصة، مستعمرات لشعوب سود جاؤوا من إفريقيا وانتشروا في أمريكا الوسطى والجنوبية والشمالية".

كما اكتشف الراهب فرانسسكو كارسيس، عام 1775م قبيلة من السود مختلطة مع الهنود الحمر في نيوميكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية "المكسيك الجديدة"، واكتشف تماثيل تظهر في الخريطة المرفقة تدل دلالة كاملة بأنها للسود. وبما أنه لا يوجد في أمريكا سود، إذًا كانوا قادمين من إفريقيا.

وزيادة على كل ما ذكر، هناك آثار للوجود الإفريقي الإسلامي في أمريكا، في شيئين هامين: تجارة الذهب الإفريقي، وتجارة القطن، قبل كولومبس. ومعروف أن التجارة مع المغرب وإفريقيا كانت كلها على الذهب عبر الصحراء. وسيدي مولاي أحمد الذهبي السعدي - والذي لا يعجبني كثيرا - قطع الصحراء إلى تومبوكتو لضرب دولة إسلامية مسكينة

كي ينهب ذهبها ويسكت طلبات المغاربة الذين كانوا يطالبونه بتحرير الموريسكيين في الأندلس.

من السهل معرفة الذهب الإفريقي في أي مكان كان، لأنه يرتكز على التحليل التالي: لكل 32قسمة من الذهب يوجد 18 من الذهب، و6 من الفضة، و8 أقسام نحاس، وهذه التركيبة من الذهب تدل على أن أصله إفريقي، وخاصة منذ القرن الثالث عشر. وجد هذا الذهب عند الهنود الحمر بأمريكا.ولكن هناك قرائن أكثر من القرائن المبنية على الذهب؛ هناك قرائن لغوية، وقرائن شهود عيان:

القرائن اللغوية: أن الكلمات التي تطلق باللغة العربية، أو اللغات الإفريقية على النقود، هي شبيهة بالكلمات التي تستعمل من طرف قبائل الهنود الحمر، وهذه الكلمات لا يمكن أن تكون جاءت عن طريق الغزوين الإسباني أو الأوربي.فمثلا: بالعربية: غنى، وغنية، وغنيمة. أصبحت بلغة الهنود الحمر: "غواني" "Guani"، معناها: الذهب. كلمة كنقود، ونقية، ونحاس، أصبحت بلغتهم: "نيكاي"، بمعنى: حلي من ذهب. كلمة "التبر"، صارت: "توب"، أي: الذهب. وكذلك لقبا للملك من ملوكهم. أي: أن هذه الكلمات العربية لا يمكن أن تصل إليهم لولا وجود عربي هناك.

تجارة القطن مهمة كذلك؛ لأنه لم يكن قطن في أمريكا، بل جاء من إفريقيا الغربية، وتعجب كولومبس نفسه في كتاباته حيث قال: "إن الهنود الحمر يلبسون لباسا قطنيا شبيها باللباس الذي تلبسه النساء الغرناطيات المسلمات". وابنه أكد ذلك الكلام كذلك.

والغريب في الأمر - وهو ما سأفصله من بعد إن شاء الله - أن قبيلة موجودة الآن في أمريكا الوسطى اسمها: "كاليفونا" “Galifona” في غواتيمالا، يسمونهم: "الهنود الحمر السود"، لأنهم هنود حمر غير أنهم سود

الألوان، وهم من بقايا المسلمين الماندينكا الذين كانوا هناك، وكثير من عاداتهم لا زالت عادات إسلامية إلى الآن. سأتكلم عن هذا عند حديثي عن بقايا هذه الشعوب، ماذا فُعل بها، وكيف كان مصيرها؟.

وقال "ميرا موس" في مقال في جريدة اسمها: "ديلي كلاريون"، "Daily Clarion"، في "بيليز"، وهي إحدى الجمهوريات الصغيرة الموجودة في أمريكا الوسطى، بتاريخ عام 1946م: "عندما اكتشف كريستوف كولومبس الهند الغربية، أي: البحر الكاريبي، عام 1493م، وجد جنسا من البشر أبيض اللون، خشن الشعر، اسمهم: "الكاريب"، كانوا مزارعين، وصيادين في البحر، وكانوا شعبا موحدا ومسالما، يكرهون التعدي والعنف، وكان دينهم: الإسلام، ولغتهم: العربية!". هكذا قال.

نحن في المدرسة لا يعلموننا هذا الشيء، يقولون: "كان الكاريب وانقرضوا". لم ينقرضوا؛ بل أفنوهم!!. أفنوهم!. وإلى هذا اليوم تسمى تلك الجزر بالكاريبي، في البحر الكاريبي، سميت عليهم.

والذين بقوا - وذلك لمخالطتهم للهنود الحمر - هم: "الكاليفونا"، وقد بقوا إلى يومنا هذا في أمريكا الوسطى، ولا شك أن أصولهم إسلامية، لأن الكثير من العادات الإسلامية لا زالت فيهم.

أين هي هذه الشعوب الآن؟.

كثير من الشباب المسلم أنشأ علاقات مع الكاليفونا، وكثير منهم رجع إلى الإسلام، وأصبحت مساجد كثيرة تظهر في تلك الشواطئ بين هؤلاء الكاليفونا.أما هؤلاء الميلونجونس، والذين هم مهاجرون من البرتغال في أوائل القرن السادس عشر؛ فقد هربوا من محاكم التفتيش إلى البرازيل، فلما جاء البرتغاليون واحتلوا البرازيل؛ تابعتهم محاكم التفتيش، فركبوا البواخر وهربوا إلى أمريكا الشمالية، قبل أن يصلها الإنجليز، واختلطوا مع قبائل

الهنود الحمر. غير أن الإنجليز لما عادوا عاملوهم معاملة الهنود الحمر، قتلا وإبادة، فهربوا إلى جبال الأبالاش. واحد منهم اسمه: "برونـد كينيدي"، "Brand Kennedy"، أخذ تمويلا من جامعة فرجينيا الغربية " West Virginia"، لدراسة أصول هؤلاء القبائل، ومن أين أتوا، لأنه واحد منهم.

وبدءا من دراسة عاداتهم؛ اكتشف بأن أصولهم - كما ذكرت - من المسلمين الأندلسيين. والغريب في الأمر أن التاريخ مخيف، فأي شعب يُضطهد إلا وينتقم لنفسه بطريقة من الطرق:

أحد زعماء الولايات المتحدة، الذي هو سليل هذا الشعب، هو "أبراهام لينكولن"، انظر إلى صورته وصورة أفراد الميلونجونز كيف يشبههم، وبذلك يظهر بأن الجذور في تحرير السود هي كأنه يحرر نفسه، فانتقم بتلك الطريقة من النصارى البيض.

وهذا الذي أهداني هذا الكتاب نفسه، والذي هو أستاذ في جامعة طورنطو"Toronto"، أصله كذلك: من جهة ينتمي للميلونجونس، ومن الجهة الأخرى للزنوج.

وخلاصة الأمر التي أردت أن أقولها بعد هذا التقديم الذي إنما أردت منه أن أفتح شهيتكم الفكرية: أن هذا المجال - ومع الأسف الشديد - نحن المغاربة نعاني من خصاص تجاهه، بالرغم من أننا نحن المعنيين بالأمر، وبهذه الحركة، تجاه أمريكا الجنوبية، نعاني من نقص كبير في جامعاتنا، كيف نبحث في تراثنا عن هذا الشيء؟. ضروري أنه عندنا وثائق في هذا الشأن، وبالطبع لن يسموها بأمريكا، لأنه لم يكن ذلك الوقت شيء اسمه "أمريكا"، كان لها اسم آخر بلا شك، ما هو بالضبط؟. لا ندري. لكن كان من الممكن أن نبحث في وثائقنا لنعرف هذه العلاقة التي كانت تربطنا بأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية قبل كريستوف كولومبس.

والموضوع الثاني: أنه بصفة عامة، وخاصة ما يخص التاريخ، يجب أن نعتمد على أنفسنا لمعرفة جذورنا. أنا أذكر أنه عندما كنت صغيرا كانوا يعلمونني في المدرسة الفرنسية بأن العرب ليس لهم تاريخ، وذلك ليحطمونا، لأن الشعب الذي لا تاريخ له لا هوية له، شعب فاقد لذكراه التاريخية. ولولا أن الوالد رحمه الله كان ينبهني بأن تاريخنا كذا وكذا، وكان لأمتنا من المفاخر كذا وكذا، لكبرت وعندي مركبات نقص فظيعة.

وإحدى الأسلحة القوية للشعوب المتغطرسة التي تريد أن تمحو وجود الشعوب المستضعفة الأخرى: هي تحريف التاريخ. ولذلك فإنه من العار علينا أن نعتمد في اكتشاف تاريخنا، أو تاريخ الإسلام، أو تاريخ المغاربة، أو غيره...على الوثائق الغربية، وإن كنا نحمد الله على بقاء آثار إسلامية في الغرب مثل ما عند دوقة مدينة سيدونيا، والتي أخرجت وثائقها وبرهنت على الوجود الإسلامي أربعمائة وخمسمائة عام في أمريكا الجنوبية قبل كريستوف كولومبس. أو يأتي واحد مثل "براند كينيدي"، ليثبت بأن شعبا كاملا من أمريكا الشمالية ذو أصول إسلامية.

وبهذا أريد أن أوصي توصية واحدة؛ وهي: أنه واجب علينا أن نربط علاقات مع هؤلاء الناس، ونحيي الأبحاث في هذا المجال. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

2- نص المترجم للمداخلة التي قدمتها الحاجة عاشاقي ها.طه-سيسي في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية 28 يونيو2007م

- **"مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا"**(1)

The Future of the Tariqa Tijaniyya in America

(1) ترجم المداخلة إلى العربية الباحث: عزيز الكبيطي إدريسي.

By Hajja Ashaki H. Taha-Cisse
Address at the Forum for the Followers of the Tijaniyya Order
Fes, Morocco, June 28, 2007.

(بعد استظهار الفاتحة)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد شكر الله والثناء على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، أريد أن أعبر عن التقدير الخالص الذي يكنه الوفد الأمريكي بأجمعه إلى جلالة الملك محمد السادس على كرمه الذي لا يضاهى، وإلى سعادة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لإتاحته لنا الفرصة لمخاطبة هذا الجمع المهيب.

عقدت النية على الحديث في موضوع: "مستقبل الإسلام في أمريكا"، مع شعوري العميق بالتواضع والأسف الخالص لكوني غير قادرة على مخاطبة هذا الجمهور المحترم باللغة العربية.

للحديث عن الطريقة التيجانية في أمريكا، لا بد أن أتكلم عن الشيخ **حسن علي سيسي** من مدينة باي كاولاك (Baye Kaolack)، بالسنغال؛ فمن خلال كتابه المعنون:"الشيخ **إبراهيم إنياس**: محيي السنة"(Shaykh Ibrahim Niass: Revivalist of the Sunnah)، فإن الشيخ **حسن سيسي** يكون قد قدم للمسلمين الأمريكيين، شخصية جده شيخ الإسلام الحاج **إبراهيم إنياس**، الشخصية الإسلامية البارزة.

ولكي ندرك تماما ونقدر أهمية حضور الطريقة التيجانية في الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه من الضروري أن ننظر أولا في حالة المجتمع الأمريكي المسلم خلال منتصف السبعينات من القرن العشرين.

عندما جلب شيخنا المحبوب "**حسن علي سيسي**" الطريقة لأمريكا في عام 1976، كانت الجماعة المسلمة الأمريكية تتكون عمليا من الأمريكيين الأفارقة. ولم يبدأ ظهور مسلمي أمريكا الأوروبيين الأصل إلا بعد عشرين

سنة من ذلك الوقت، حيث بدأوا يدخلون الطريقة التيجانية على يد الشيخ حسن سيسي عشر سنوات بعد ذلك.

ولذلك، فمن الصحيح أن نقول إن المسلمين الأمريكيين من أصول إفريقية هي القاعدة المتينة للطريقة التيجانية في أمريكا.

في عام 1976، كانت الجماعة المسلمة للأمريكيين الأفارقة لا تزال تعاني من اغتيال الحاج مالك شاباز (مالكولم إكس)، وتكابد من كل من الآثار المدمرة للصراعات العنيفة بين "المسلمين السنة" و"أمة الإسلام" وتصاعد الأعمال العدائية بين أئمة وأتباع كل منهما.

في خضم هذه الظواهر السلبية، أحس الكثير من السكان المسلمين الأفرو-أمريكيون- أنه تم خداعهم وخيانتهم، فناضلوا من أجل تعلم دينهم وممارسته. وتعهد معظمهم بعدم تسليم زمام أنفسهم لأي زعيم آخر، والتنزه عن فكرة اتباع أي شخص مرة أخرى وللأبد.

وانضاف إلى هذه المعاناة، تجربتهم (السكان الأمريكيين الأفارقة) مع المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في أمريكا، والتي كانت عادة محفوفة بالازدراء والعنصرية. هذه العوامل، مجتمعة مع إحدى أكثر الأعراض المدمرة لما-بعد الصدمة الملازمة للاسترقاق، ألا وهي عدم احترام وانخفاض قيمة أي شيء له علاقة بإفريقيا، مما أنتج مناخا معاديا ومقاومة شرسة لأي فكرة تتعلق بقبول الطريقة واتباع شيخها، لا سيما إذا كان إفريقيا.

في هذا الوسط من الريبة والعداوة جاء الشيخ حسن سيسي، الذي لا يمكن إنكار نوره الروحي وتمكنه من العلوم الإسلامية، حيث منحته شخصيته التي تشبه إلى حد ما شخصية النبي (ﷺ) الثقة والاحترام والإعجاب والولاء، كما أن ثقته في كلام الله وحديث نبيه (ﷺ) كانتا

تجعلان من كلامه عندما ينطقه ينفذ إلى القلوب حتى لو كانت أشد تصلبا. إن عمل الشيخ **حسن سيسي** بشجاعة وثبات ليلا ونهارا على مداواة قلوب المسلمين الأمريكيين، يبين لنا الطريق للحصول على مغفرة الله، ويعيد توجيهنا من مسار الدمار والضلال إلى صراط للنبي محمد (ﷺ). الحمد لله.

في عام 1986م، وبعد 16 عاما من إعلاننا لشهادة الإسلام، تشرفت أنا وزوجي الحبيب بأخذ الطريقة من الشيخ **حسن سيسي**، لكننا كنا بعيدين كل البعد عن الأمريكيين الأوائل الذين قاموا بذلك قبل 20 عاما.

تشرف المسلمون الأمريكيون في شيكاغو ونيويورك وديترويت بمبايعة الشيخ **حسن علي سيسي** والوثوق به في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية. العديد من هؤلاء الرواد التيجانيين الأمريكيين الأوائل هم اليوم هنا (أي في مؤتمر فاس 2007).

وأكبر دليل يمكن أن يوضح مدى جسامة الثقة التي وضعت في الشيخ حسن سيسي هي تلك الظواهر غير مسبوقة للآباء المسلمين الأمريكيين الذين يرسلون أطفالهم على بعد آلاف الأميال إلى إفريقيا لتعلم القرآن الكريم تحت إشراف وتوجيه الشيخ وحمايته؟ تخيل مستوى ثقتهم في الله واحترامهم وثقتهم في الشيخ حسن لإرسال أطفالهم إلى أراض جد نائية لم يسبق لهم أن رأوها بأنفسهم من قبل. الحمد لله، إحدى الأخوات التي تحضر معنا اليوم هنا، والتي كانت ملتزمة جدا مع الشيخ حسن ومع الفرصة التي أتاحها للأطفال المسلمين الأمريكيين أن يصبحوا حاملين للقرآن الكريم، حيث انتقلت للعيش في مدينة باي (Medina-Baye) مع ابنتها، وقضت هناك ست سنوات تعمل كأم بديلة، ممرضة، مدرسة، ومستشارة للأطفال الأمريكيين المسلمين؛ فكانت بذلك أول امرأة أمريكية تيجانية تترك حياتها المريحة والعائلية في أمريكا من أجل دعم التزام الشيخ **حسن سيسي**

مع الأطفال الأمريكيين المسلمين، وكانت ابنتها هي أول أنثى أمريكية حافظة للقرآن الكريم والتي تخرجت من المدرسة القرآنية للشيخ **حسن سيسي**.

ومن المهم أن نلاحظ أن الشيخ حسن علي سيسي لم يكن مثقلا بالفوارق الثقافية التي سبق فرضها[على المجتمع الأمريكي] والتي غالبا ما تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية. لذلك فهو لم يجلب إلى المسلمين الأمريكيين الطريقة فحسب، وإنما علمنا أيضا ديننا الحنيف على أساس القرآن والحديث؛ فقد علمنا، أولا وقبل كل شيء، أن نخاف الله سبحانه وأن نحب النبي محمد (ﷺ)، وعلى أن نفعل ما أمر الله تعالى به وأن نجتنب ما نهانا عنه.

علمنا شيخنا الحبيب **حسن سيسي** كيف تكون مع الله وفي نفس الآن مع الناس، وكيف تعبد الله من خلال خدمة خلقه، لقد كان يفعل ذلك من خلال إعطاء القدوة بنفسه، وليس فقط من خلال كلماته. لذلك، أسس الشيخ **حسن سيسي** المعهد الإسلامي الأفريقي الأمريكي، والمنظمات الدولية الإنسانية غير الحكومية التي تعمل على تعميم التعليم، والحصول على الرعاية الصحية، وتعزيز مكانة المرأة، وحماية الأطفال، والتخفيف من حدة الجوع والفقر، وتعزيز السلام.

علمنا شيخنا قيمة تعلم القرآن الكريم وتعليمه، كما أنه أتاح الفرصة لأطفالنا للدراسة بالمدرسة القرآنية التابعة للمعهد الإسلامي الأمريكي الإفريقي في مدينة "باي كاولاك" (Medina Baye Kaolack) السنغالية. الآن، يُدَرّس الكثير من أولئك الأطفال اليافعين، الحاضرين معنا هنا، القرآن الكريم في أمريكا.

لقد علمنا الشيخ **حسن علي سيسي** بأن الإنسان المكتمل هو الذي

يوازن بين الشريعة والحقيقة، ولقد أمدنا بالمعرفة اللازمة لتحقيق هذا التوازن.

يظن العديد من المسلمين الأمريكيين بأن معنى التصوف والزهد واحد، أي أنه يتطلب الانسحاب من العالم. لكن الشيخ حسن سيسي علمنا أنه يجب أن نظل في هذا العالم لنذكر الله كثيرا في مكان التسوق كما هو الحال في المسجد، وبأنه لدينا مسؤولية لمساعدة أبناء آدم من خلال التعاطف والكرم الشخصي وكذلك عن طريق المساهمة في تنظيم الجهود الإنسانية.

فالشيخ حسن قدم للمسلمين الأمريكيين الفرصة لإعادة ربطهم بأوطانهم الذي سُرق منه الملايين من أسلافنا وأجبروا على مغادرته إلى حيث اللاعودة إلى إفريقيا. لكن تمكنا بفضل الله، ومن خلال الشيخ حسن سيسي من العودة مجددا.

جلب الشيخ حسن السلام إلى الفصائل المتحاربة في المجتمع الأمريكي المسلم، وعزز الروابط بين القارة الإفريقية وبين الأمريكيين الأفارقة المسلمين، وشجع على خلق بيئة مناسبة ترحب بدخول الأمريكيين الأوروبيين إلى الإسلام، وإلى الطريقة [التيجانية]، وكان للشيخ أيضا تأثير ايجابي على التفاعل بين السكان الأصليين والمهاجرين المسلمين المولودين في الولايات المتحدة. وحتى اليوم، فإن الشيخ حسن سيسي بضمه للمسلمين الأمريكيين ضمن وفده لهذا المؤتمر الدولي للطريقة التيجانية، إنما يساهم في إقامة أواصر القرابة الإسلامية التي سيتردد صداها في جميع أنحاء العالم.

ومن المهم أيضا أن نعترف بأن الكثير من المسلمين الأمريكيين، بإعلانهم شهادة الإسلام إنما فقدوا عائلاتهم الأصلية، لأن عائلاتنا

المسيحية رفضت قبول اعتناقنا للإسلام. ونحن، ولله الحمد، عندما قبلنا الطريقة التيجانية من الشيخ **حسن علي سيسي**، فهو لم يكن فقط أبا روحيا لنا، وإنما أدخلنا في دائرة عائلته الخاصة.

كبقية المسلمين الأمريكيين، لا أجد وسيلة للتعبير عما يعنيه بالنسبة لنا كأفراد وجماعات أن نصبح تيجانيين من خلال الشيخ **حسن سيسي**؛ لا توجد أية وسيلة مؤهلة تضاهي بركة أن تكون أحد تلامذته بحكم قيمة سلسلته الذهبية التي من خلالها دخلنا الطريقة التيجانية. كل ما يمكننا قوله هو ﴿الحمد لله﴾، وأسأل الله أن يباركه بطول عمره، وأن يباركنا بعلو مقامه.

هذا يقودنا إلى مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا، والتي ترتكز على الأساس المتين الذي أرساه الشيخ **حسن علي سيسي**، وعلى العمل الذي ينفذه تلامذته في جميع أنحاء الولايات المتحدة. فلا يحتاج المرء إلا أن ينظر إلى تشكيلة الوفد الأمريكي لهذا المؤتمر ليرى كيف انتشرت الطريقة التيجانية منذ أن أدخلها الشيخ **حسن علي سيسي** إلى الولايات المتحدة سنة: 1976. بحيث يتم تمثيل الشيخ **حسن سيسي** اليوم هنا من طرف تلامذته الأمريكيين، الذين جاءوا كمندوبين من نيويورك وايلينوي وميشيغان وجورجيا وساوث كارولاينا وأوهايو وفلوريدا وتكساس وواشنطن العاصمة.

إن مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا مضمون بإذن الله، لأن هناك عددا متزايدا من مقدمي الشيخ **حسن علي سيسي**، الذين يعملون على تقديم ونشر الطريقة في أوساط المسلمين الأمريكيين، والذين يساهمون في خلق وجود تيجاني في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

وبما أن المزيد والمزيد من المسلمين يدخلون إلى الطريقة التيجانية، فإنه بالموازاة مع ذلك يجري الآن تأسيس المزيد والمزيد من الزوايا، بهدف

إيجاد زاوية واحدة على الأقل في كل مدينة رئيسية داخل كل ولاية من الولايات المتحدة.

يقدم الشيخ حسن سيسي من خلال المؤتمرات الإسلامية التي يعقدها أو يشارك فيها داخل الولايات المتحدة وجهة النظر الصوفية للإسلام التي تعارض العقائد السلفية والوهابية، حتى يتم فهم التصوف وعلى نطاق أوسع بأنه الترياق ضد التحريفات السامة للإسلام والتي يتم الترويج لها من طرف بعض المسلمين، حيث يتم استغلالها بشكل كبير من قبل وسائل الإعلام الأمريكية. وبما أن المزيد والمزيد من المسلمين الأمريكيين أصبحوا يستأنسون بالمنظور الصوفي للإسلام، فإنه ستكون لديهم فرصة لاستكشاف فلسفة الطريقة التيجانية وممارستها من خلال مواقع مثل www.tijani.org، التي أنشئت من قبل اثنين من أعضاء الوفد الأمريكي للشيخ حسن سيسي..

مستقبل الطريقة في أمريكا مضمون أيضا بواسطة أبناء وأحفاد الرواد التيجانيين الأوائل في السبعينات من القرن الماضي والذين أرسلوا أطفالهم إلى الشيخ حسن سيسي لحفظ القرآن في مدينة (باي كاولاك) السنغالية، حيث يعيشون فيها ويتعلمون كجزء من هذا المجتمع التيجاني التاريخي. بإذن الله، هذا الامتداد بين تعدد-أجيال الطريقة داخل الولايات المتحدة والذي يتم تغذيته وتلقينه من الشيخ حسن سيسي سوف يستمر في الازدهار عبر أجيال المستقبل.

يعتبر تدريب وتوجيه الباحثين الأمريكيين التيجانيين تحت إشراف الشيخ حسن سيسي وإرشاده إحدى أهم المساهمات الأساسية في بناء مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا. هذه العملية قد بدأت بالفعل لجعل المتون الأساسية للطريقة متوفرة باللغة الإنجليزية. أمثلة على هذا العمل الحيوي هو كتابين صدرا حديثا، تمت كتابتهما أو ترجمتهما وتحريرهما

بواسطة الأمريكيين التيجانيين اللذين يوجدان ضمن وفد اليوم.

- الأول عنوانه: (On the Path of the Prophet: Shaykh Ahmed Tijani and the Tariqa Muhamidiyya)، على طريق النبي: الشيخ أحمد التيجاني والطريقة المحمدية، بواسطة الأمريكي التيجاني: زكريا رايت (Zakariya Wright).

- والثاني عنوانه: لآلئ من الفيضة الإلهية: خطب مختارة من شيخ الإسلام إبراهيم إنياس (Pearls From the Divine Flood: Selected Discourses from Shaykh al-Islam Ibrahim Niass)، مع مقدمة بقلم الشيخ حسن سيسي وقد ترجم من قبل: زكريا رايت (Zakariya Wright) وشارك في تحريره: يحيى ويلدون (Yahya Weldon).

من الواضح، أن كل هذه العناصر الهامة تشير إلى مستقبل مشرق ودينامي للطريقة التيجانية في أمريكا، إن شاء الله.

في الختام، أود فقط أن أقول، "الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله على فضيلة الشيخ **حسن علي سيسي**، الذي أحضر الطريقة التيجانية لأمريكا منذ أكثر من 30 عاما والذي نشعر نحن الأمريكيون التيجانيون نحوه بامتنان عميق وأبدي".

3- رسالة من مكة المكرمة[1]: مالكوم إكس

أبريل :1964م:

لم يسبق لي أن شهدت مثل هذا السخاء ووالروح الغامرة والأخوة الصادقة التي تطبق من طرف أشخاص من مختلف الألوان والأعراق هنا في هذه الأرض المقدسة العتيدة، بيت إبراهيم ومحمد وجميع أنبياء الكتب

(1) ترجمت عن النص الإنجليزي من طرف الباحث عزيز الكبيطي إدريسي.

المقدسة. طيلة الأسبوع السابق، بقيت مسحورا وأخرسا تماما باللطف الذي شاهدته في كل ما يحيط بي من أناس من مختلف الألوان.

أكرمني الله بزيارة مكة المكرمة، حيث طفت سبع مرات حول الكعبة المشرفة مُقادًا بمطوف شاب اسمه:"محمد"، وشربت ماء زمزم، وهرولت سبع مرات ذهابا وإيابا بين هضبتي الصفا والمروة. وصليت في مدينة مينًا التليدة، كما صليت في عرفات.

كان هناك عشرات الآلاف من الحجاج من كل أنحاء العالم، كانوا من كل الألوان، من الأشقر صاحب العيون الزرقاء إلى الأفريقي الأسود البشرة، ولكن كنا نشارك جميعا في نفس الشعائر ونُظهِر روح الوحدة والأخوة التي قادتني تجاربي في أمريكا إلى الاعتقاد بأنها لا توجد نهائيا بين البيض والسود.

إن أمريكا بحاجة إلى فهم الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذي يمحو من المجتمع مشكل العنصرية. لقد التقيت خلال أسفاري في العالم الإسلامي وتحدثت وحتى أكلت مع أولئك الذين نعتبرهم في أمريكا "بيضا"، ولكن موقف "البيض" أزيل تماما من عقولهم/أذهانهم بواسطة دين الإسلام. لم يسبق لي من قبل أن شاهدت الإخلاص والأخوة الصادقة الممارسة من طرف الناس بغض النظر عن ألوانهم.

ربما قد تصدم بهذه الكلمات لأنها صادرة مني، ولكن ما شاهدته وما خبرته خلال هذا الحج ألزمني بضرورة ترتيب الصيغ الفكرية التي كنت أتبناها سابقا وأن أرمي جانبا بعض خلاصاتي السابقة. هذا لم يكن أمرا شديد الصعوبة بالنسبة إلي لأنه وعلى الرغم من قناعاتي الثابتة إلا أنني كنت دائما الرجل الذي يحاول مواجهة الحقائق وقبول واقع الحياة كتجربة جديدة تحمل في طياتها معرفة جديدة. كنت دائما أحافظ على تفتح ذهني الذي هو

ضروري لكل مرونة تساير كل أشكال البحث الذكي عن الحق.

كنت طيلة الأحد عشر يوما التي قضيتها هنا في العالم الإسلامي آكل من نفس الطبق وأشرب من نفس الكأس وأنام في نفس الفراش بينما أعبد نفس الإله مع بقية المسلمين ممن أعينهم شديدة الزرقة، وشعورهم كثيفة اللون الأشقر. وجلودهم ناصعة البياض. وقد شعرت في أقوال وأفعال هؤلاء المسلمين "البيض" نفس الإخلاص الذي أحسه بين المسلمين السود من نيجيريا والسودان وغانا. كنا جميعا إخوة بحق لأن الإيمان بالله الواحد يطهِّر عقول البيض وسلوكهم ومواقفهم.

يمكنني أن أقول من خلال هذا، أنه ربما إذا قبِل الأمريكيون البيض وحدانية الإله أمكنهم بعد ذلك قبول حقيقة وحدانية الإنسان، ومن ثمة ربما يتوقفون عن تعيير وإعاقة وإذاية الآخرين بذريعة "الاختلافات" في اللون.

إن العنصرية التي تعاني منها أمريكا تبدو وكأنها سرطان غير قابل للشفاء. ما يسمى بالقلب الأمريكي الأبيض "المسيحي" يجب أن يكون أكثر تقبلا لإيجاد حل ثابت لهذه المعضلة المدمرة. ربما يحصل هذا في الوقت المناسب لإنقاذ أمريكا من كارثة وشيكة. إن العنصرية التي طبقتها ألمانيا دمرت الألمان أنفسهم في نهاية المطاف.

إن كل ساعة أقضيها في هذه البقعة المقدسة تمكنني من امتلاك رؤى روحية أكبر لما يحدث في أمريكا بين السود والبيض. لا يمكن أبدا أن يلُام الزنجي الأمريكي على أحقاده العنصرية لأنها رد فعل فقط على أربعمائة سنة من العنصرية "الواعية" للأمريكيين البيض، ولكن العنصرية تقود أمريكا حتما إلى طريق الانتحار، وأنا أؤِمن انطلاقا من تجاربي معهم، أن جيل الشباب البيض أبناء الكليات والجامعات سوف يشاهدون الكتابات على الجدران وسيتحول العديد منهم إلى المسار الروحي للحق الذي هو الطريق

الوحيد الذي بقي أمام أمريكا لسلوكه إذا ما أرادت الخروج من الكارثة التي ستقود العنصرية حتما إليها.

لم يسبق لي أبدا أن شعرت بمثل هذا التكريم، كما لم يسبق لي أن شعرت بمثل هذه التفاهة والوضاعة. من يمكن أن يصدق كل تلك التشريفات التي تكومت على هذا الزنجي الأمريكي؟

بضع ليال مضت، منحني أحد الرجال من أولئك الذين نناديهم بالبيض في أمريكا، هو دبلوماسي في الأمم المتحدة، سفير، ورفيق الملوك، جناحه في الفندق، سريره...لم أكن أبدا أتخيل ولو في الأحلام بأنني سأستقبل مثل هذه التشريفات التي يحظى بها فقط الملك في أمريكا وليس الزنجي.

الحمد لله رب العالمين،

المخلص،

الحاج مالك شاباز (مالكوم إكس)

4- وصية الشيخ سيدي العباس لسيدي حمزة القادري بودشيش

(نسخة مرقونة)

هذه وصية من الفقير إلى مولاه الغني به، الحاج العباس بن سيدي المختار القادري البوتشيشي، شيخ الطريقة القادرية البوتشيشية، والساكن بزاوية مداغ العامرة، أوصى بها في حياته وذلك ليؤدي بها ما عليه من أمانة طُوِق بها، وليبلغها للناس بقصد أن يخرج من عبء مسؤوليتها، كما يؤدي معها شهادة لله تعالى: يقسم بالله العلي القدير أنها حق وصدق. مضمنها أن الحاج العباس القادري البوتشيشي يشهد أنه تلقى إذنا كريما من الحضرتين حقيقيا نورانيا لا شك فيه ولا ريب، محتواه أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاه سر الاسم المفرد، وأكرم طريقته بالحال والعلم والصلاح، وأمره بأن يصدع

بأمر ربه، وبهداية خلقه إلى طريق الحق والرشاد ووعده بالنصر والتمكين، وظهور بهذا الحق في الشرق والغرب. وأحاطه علما في هذا الإذن المبارك بأن وارث سره وخليفته من بعده - مع العلم بأن الموت والحياة بإذن الله، وأن العبد لا يدري متى يباغته أجله هو ابنه البار الحاج حمزة بدون معارض ومنازع، وبأن هذه الطريقة ستنتشر في عهده انتشارا واسعا وسيقوى سرها ويعم علمها وصلاحها. لذلك كله كان من الواجب على الموصي الحاج العباس أن يوصي المريدين خاصة، والمسلمين عامة أن يتمسكوا بهذا الحق، وأن يسيروا على ضوء هذه الوصية الرشيدة فينفذوا محتوياتها معتصمين بحبل الله المتين، متعاضدين متآخين، سالكين الصراط المستقيم. كما يوصي ابنه الحاج حمزة أن يهتدي بهدي الإسلام ويسير على ضوء تعاليمه السامية. وأن يكون ناصرا للحق، ساعيا جهده في جمع كلمة المسلمين متفقدا لأحوال المريدين، أنى كانوا، شفوقا عطوفا عليهم، محترما للعلماء ورثة الأنبياء، مقتديا بهديهم، مؤيدا لهم في كل ما فيه صلاح المسلمين. كما أوصيه بأن يصل قرابته ويواسيهم ويكون خير معين لهم. فهذه هي وصية الحاج العباس القادري البوتشيشي فمن عمل بها فقد وفى بالعهد وأجره على الله تعالى، ومن نقض العهد فحسبه الله تعالى وهو نعم المولى ونعم النصير.

كتبها خادم الفقراء وراجي رحمة ربه يحيى بن محمد العتيقي مدير مدرسة سيدي مزيان بوجدة بعد أن سمعها من شيخه رضي الله عنه وأرضاه، وبعد أن قرأها عليه ووافق عليها، وقد وقع إمضاءه الشريف عليها. نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويلهمنا رشده ويهدينا إلى صراطه القويم. آمين والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

حرر بوجدة بتاريخ 13 ذي القعدة سنة 1387 هـ الموافق 19 فبراير سنة 1968م

إمضاء الحاج العباس القادري البوتشيشي شيخ الطريقة القادرية البوتشيشية كان الله له:

العباس بن المختار

اطلع عليه لتحقيق إمضاء السيد الحاج العباس القادري البوتشيشي شيخ الطريقة القادرية البوتشيشية والساكن بدوار أولاد العامري جماعة مذاغ. الموضوع قبلته امامنا والسلام.

السعيدية في 3 أبريل سنة 1968

طابع بداخله: قائد قبيلة طريفة إمضاء: القادري محمد

5- صور:



صورة لمؤسس معبد العلم المغربي، النبيل درو علي، وتبدو الراية المغربية جنبا إلى جنب مع الراية الأمريكية.



أحد الاجتماعات الأولى لمعبد العلم المغربي، حيث يبدو العلم المغربي يرفرف إلى جانب العلم الأمريكي.



الراية المغربية ما تزال شعار معبد العلم المغربي إلى يومنا هذا.



الشيخ حمزة يوسف هانسن رفقة منير القادري بودشيش، حفيد شيخ الطريقة القادرية البودشيشية سيدي حمزة



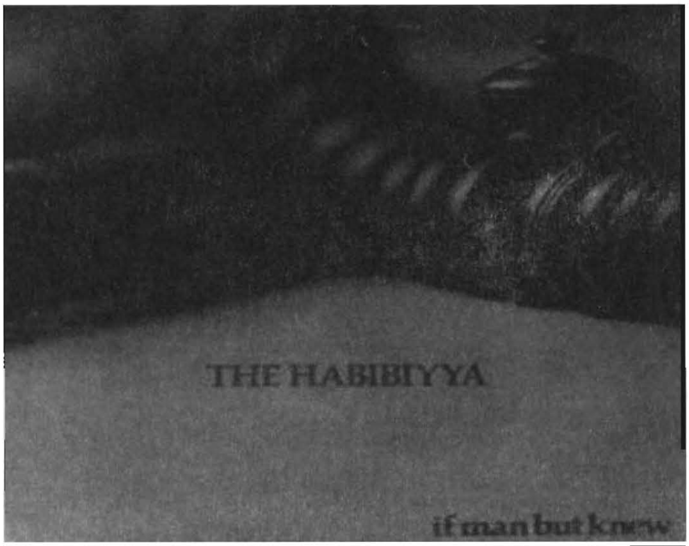
صورة لأوائل الأمريكيين والأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام من باب التصوف الحبيبي الدرقاوي، ومن ضمن هؤلاء نجد في الصورة: الشيخ عبد القادر الصوفي (Shaykh Dr Abdal Qadir as Sufi)، والشاعرين الأمريكيين: دانيال عبدالحي مور (Daniel Abdal-Hayy Moore) وعبدالله لونغو (Abdullah Luongo)، والمترجم البريطاني عبدالحق بيولي (AbdalHaq Bewley)، والمصور الفوتوغرافي الشهير: عبدالعظيم ساندرز (Abdal-Adeem Saunders)، وبعض أعضاء المجموعة الموسيقية الحبيبية الأمريكية كزهرا أرشوليتا (Zahra Archuleta)، ورحمة وايتمان (Rahma Whiteman)، بالإضافة إلى الطبيب حكيم أرشوليطا (Hakim Archuletta)



صورة الملك الحسن الثاني وهو يتسلم الدينار الذهبي من طرف الحاج عبدالحسيب كاستيينيرا أحد أبرز أتباع الشيخ عبد القادر الصوفي في أوروبا. ومدير سابق للمركز الإسلامي التابع لمسجد غرناطة الكبير



الباحث: عزيز الكبيطي إدريسي يقدم محاضرة لطلبة جامعة لويولا شيكاغو، (و.م.أ) حول: التصوف الإسلامي في المغرب، وامتداداته العالمية



صورة من ألبوم المجموعة الصوفية الموسيقية الأمريكية "الحبيبية"

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، رواية الامام ورش، دار المصحف(بيروت).

- صحيح مسلم (ج: 3)

- السنن الكبرى للترمذي

1- ثبت المصادر والمراجع العربية:

-ابن أبي أصيبعة، أحمد. *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، (ج2 ، الطبعة الأولى)، المطبعة الوهبية، القاهرة (1882 / 1881).

-ابن الحبيب، محمد. *ديوان بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين*، دار صادر، بيروت(ط1422/1هـ -2001م).

-ابن خلدون، عبد الرحمن، *مقدمة ابن خلدون*. دار ابن خلدون، القاهرة (غ.مذ).

-ابن خلكان، *وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان*. المجلد الخامس، دار صادر - بيروت (1977).

-أبو حامد الغزالي، *المنقذ من الضلال*، تحقيق محمد جابر، مكتبة الجندي.

-إخوان الصفا. *رسائل إخوان الصفا* ، دار بيروت، دار صادر 1957 م (ج187/1).

-آنا ماري، شيميل. *الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف*، ترجمة: محمد إسماعيل رضا حامد قطب، منشورات الجمل، الطبعة الأولى (كولونيا- بغداد:2006).

أوفاهي، ركس شين. الولي، *العالم أحمد بن إدريس و المدرسة الإدريسية* ، ترجمت من طرف: أبي ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، دار الغريب للطباعة والنشر، (القاهرة:2007م)

- البطاوي، إبراهيم بن محمد. "مقدمة" في كتاب *المدرسة الشاذلية* (The School of the Shadhdhuliyyah)، الجزء الأول: أحزاب الشاذلية، لنورالدين دوركي، ط:1 (الاسكندرية:1991).

- بنهاشم، محمد. *العلاقات المغربية الأمريكية: دراسات في التمثيل الدبلوماسي*

الأمريكي بالمغرب (1786-1912م)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1(2008).

- بورفيسي، جمال."حوار مع منير القادري بودشيش"، جريدة الصباح، عدد: 2786 بتاريخ 26مارس2009م.
- حجي، محمد. "المغاربة اختاروا تصوف الأخلاق والسلوك"، جريدة الإشارة، السنة:2، العدد:16، محرم 1422هـ/أبريل 2001م.
- الحلاج، الحسين بن منصور، *الديوان يليه كتاب الطواسين*، صنعه وأصلحه: أبو طريف الشيبي، منشورات الجمل، ط.1997/1
- الجزولي، أبو عبدالله محمد بن سليمان. *دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار(صلى الله عليه وسلم)*، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (سنة:2009م).
- خان، عنايات. *تعاليم المتصوفين* ، ترجمة: إبراهيم استنبولي، دار الفرقد (ط1 / سنة 2006م) ، دمشق، سوريا.
- جوفروا، إيريك يونس. "مرحلة صعبة يلتقي فيها «المحلي» و«العالمي» أو يتصادمان .. جهود مطلوبة لإعادة اكتشاف الأساسيات الإنسوية الروحية للإسلام"، ينظر على الموقع الإلكتروني للباحث: http://www.eric-geoffroy.net/
- ـــــــــــــــــ "الإسلام في الديار الأوروبية... نظرات إلى التاريخ والقضايا و المستقبل" *جريدة الحياة* بتاريخ: (09/06/07).
- دوركي، عبد الله نورالدين. *المدرسة الشاذلية* (The School of the Shadhdhuliyyah)، The Other Press الطبعة الثانية (ماليزيا:2005م).
- الرشيد، إبراهيم. *أعطار أزهار أغصان حظيرة التقديس في مناقب السيد أحمد بن إدريس* (القاهرة:1984).
- زروق، أحمد. *قواعد التصوف*، تحقيق و تقديم: عبد المجيد الخيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2003).

- ــــــــــــــ. *رسالة أصول الطريق*، مخطوط، ينظر في:
http://www.aslein.net/showthread.php?t=9024&page=1
- الزوبي، ممدوح. *الطرق الصوفية: ظروف النشأة وطبيعة الدور*، دمشق، (الأهالي: 2004).
- سميث، جين. *الإسلام و المسلمون في أمريكا*، ترجمة: محمد الخولي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 861، الطبعة الأولى، القاهرة (2005).
- سيسي، علي. "الطريقة التيجانية: الخصائص والمميزات"، مداخلة قُدّمت في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية 28 يونيو 2007م
- الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد. "وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية"، من كتاب: *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، نشر: هنري بريس (Henri Press)، الجزائر: منشورات جامعة الجزائر (1957).
- عاشاقي ها.طه-سيسي، "مستقبل الطريقة التيجانية في أمريكا" مداخلة قُدّمت في المؤتمر العالمي لأتباع الطريقة التيجانية في فاس بالمملكة المغربية 28 يونيو 2007م، ترجمة: عزيز الكبيطي إدريسي.
- فاغفوري، محمد هـ. "فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية"، مداخلة ألقاها في مركز نيكسون، مارس 2004م، (واشنطن دي سي) الولايات المتحدة الأمريكية.
- قسطاس، أحمد. *نبراس المريد في طريق التوحيد*، منشورات مجلة المريد، (فاس: 1993م).
- ــــــــــــــ. "وظيفة التصوف" في ندوة "وحدة المسلمين" المنعقدة بلوس أنجلوس أيام 8 إلى 12 غشت 1996م، مجلة *المريد*، العدد: 8، (سنة: 1996م).
- القسنطيني، أحمد الخطيب. *أنس الفقير وعز الحقير*، بعناية محمد الفاسي وأدولف

فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، (1965).

- الكبيطي إدريسي، عزيز. *التصوف الإسلامي في الغرب : الأثر الصوفي المغربي في ابريطانيا ، الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا*، مطبعة أميمة بفاس، ط.1(2008).

- الكتاني، علي بن المنتصر. "الوجود الإسلامي في القارتين الأمريكيتين قبل كريستوف كولومبس بمئات السنين"، محاضرة ألقيت في جمعية الشرفاء الكتانيين بالرباط سنة: 1421هـ/2000م.

- كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين*، مؤسسة الرسالة، الجزء:6.

- كلارك، عبد الصمد. " Islamic Taṣawwuf in the West : The Crystallization of Events around a Light Source" ألقاها بالإنجليزية في جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب، ظهر المهراز، بتاريخ: الخميس 11نونبر2010م ، في قاعة : شعبة اللغة العربية، ترجمها: عزيز الكبيطي إدريسي.

- مجمع اللغة العربية، *المعجم الفلسفي*، عالم الكتب، (بيروت -1979م/1399هـ).

- مجموعة من الباحثين والمترجمين، *مدخل إلى دوريس ليسينغ*، الأردن: دار أزمنة (2009).

- محمود، عبد الحليم. *قضية التصوف: المدرسة الشاذلية*، دار المعارف - (القاهرة: 1999م).

- النبهاني، يوسف. *الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات*، نسخة مكة المكرمة (1428هـ/2007م).

- نجمي، عبد الله. "بين زروق و لوتر: في الإصلاح الديني والعصور الحديثة" ضمن كتاب: *الرباطات و الزوايا في تاريخ المغرب: دراسات تاريخية مهداه للأستاذ إبراهيم حركات*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء(1997).

- هدارة، محمد مصطفى. "النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث"، مجلة *فصول*،

مجلد:1، عدد: (1981/4).

- وهبة، فاروق نصر متولي. *العارف بالله: سيدي سلامة الراضي رضي الله عنه: الفيلسوف والصوفي والشاعر والأديب*، الجزء الأول:الصوفي (ط.1 سنة:1409هـ/1988م).

2- ثبت المصادر و المراجع الإنجليزية:

- Abdollahi Borazjan, Abass. The Literature of the Persian Renaissance of the Abbasid Period and its Influence Upon British and American Literature. New York University (Diss.1980). UMI Number: 8017546
- Abun-Nasr, Jamil. Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Islamic Religious Life, New York: Columbia University Press, 2007.
- Ad-Darqawi, Al-`Arabi. Letters of a Sufi master: the Shaikh al-`Arabi ad-Darqawi; Trans. Titus Burckhardt. Publication: London: Perennial Books, 1973.
- --------. The Darqawi way : letters from the shaykh to the fuqara. Trans Aicha Bewley. Norwich: Diwan Press, 1981.
- Al-Ahari, Muhammed. Al-Islam, the True Faith, the Religion of Humanity: The Selected Works of Sheikh al-Hajj Daoud Ahmed Faisal Bey, Chicago: Magribine Press, 2006.
- Al-Amrani, Ali al-Jamal. The Meaning of Man: The Foundations of the Science of Knowledge. Trans. Aicha 'Abd ar-Rahman at-Tarjumana from the original text edited by 'Abd al-Kabir al-Munawarra, Norwich: Diwan Press, 1977.
- Al-Amrawi, Abdu'l-Hayy and Shaykh 'Abdu'l-Karim Murad, Sufis and Sufism: A Defence, Trans. Aicha Bewley. Cape Town: Madina Press, 2004.
- Al-Jazuli, Muhammad. Guide to Goodness: Imam Jazuli's Dalail al-khayrat. Translated by: Andrey Hassan Rosowsky, Ed. Muhammad Nur Abdus-Salam and Seyyed Hossein Nasr. Chicago: Kazi Publications, 2000
- Almansour, Ahmed Nidal. The Middle East in Antebellum America: The Cases of Ralph Waldo Emerson, Nathaniel Hawthorne, and Edgar Allan Poe. The Ohio State University. (Diss. 2005). UMI Number: 3197819
- Amir Nashid Ali, Muhammad. Muslims in America: Seven Centuries of History (1312-1998): Collections and Stories of American Muslims. Beltsville: Amana Publications; 2 edition (2001),

- Anta Babou, Cheikh. "Globalizing Mystical Islam from Below: Exploring the Historical Roots and Modern Expansion of the Tijaniyya Order." Paper presented at the North African Sufism in World Context symposium, University of California at Los Angeles: 12 February 2009.
- As-Sufi, Abdal Qadir. Root Islamic Education (Summary, Part One), London: Madina Press, 1993.
- -------. Discouse on The Occassion of the Urs of Mawlana Abdalqadir al-Jaylani, Manchester: Cheetham Hill Mosque, 1999.
- ---------. "Preface to the Diwan of Shaykh Ibn al-Habib" , The Diwan of Shaykh Ibn al-Habib, Madinah Press, 2001.
- --------. The Muslim Prince, 1st ed., Cape Town: Madina Press, 2009.
- --------. "The Last Phase of Arab Shame," webpage: <www.shaykhabdalqadir.com/content/articles/Art087_01012009.html> Accessed on July, 29, 2011
- Ayoob, Mohammed, The Many Faces of Political Islam: Religion and Politics in the Muslim World, Ann Arbor: The University of Michigan Press, 2008.
- Bagasra Anisah. "A Short History of Sufism and Sufi Communities in America," webpage: <http://www.israinternational.com/component/content/article/53-sufi-way/110-a short history-of-sufism-and-sufi-communities-in-america.html> Accessed on July 3, 2011.
- Bakhtiar, Laleh. Sufi Women of America: Angels in the Making, Chicago: The Institute of Traditional Psychoethics and Guidance, (Distributed by Kazi Publications Inc.,1996.
- ----------------. "Medicine and Healing in Traditional Islam". In: Vincent J.Cornell's Voices of Islam, Vol:1 (Voices of Art, Beauty, and Science), Praeger Publishers (2007).
- Bayoumi, M. "Moving Beliefs: The Panama Manuscript of Sheikh Sana See and African Diasporic Islam." Interventions 2003 (5.1).
- Bazzaz, Sahar. Challenging power and authority in pre-protectorate Morocco: Shaykh Muhammad al-Kattani and the Tariqa Kattaniyya, Diss., Harvard University: 2002.
- Baumgartner, Jody C. and Peter L. Francia, Jonathan S. Morris, "A Clash of Civilizations? The Influence of Religion on Public Opinion of U.S Foreign Policy in the Middle East," Political Research Quarterly 2008 (61.2).
- Bernikho-Canin, Rhimou. Saints, Sufis and Sultans: the Zawiya of Wazzan, a Moroccan Sufi Order (1792-1892) Diss., University of California at Santa Barbara: 2005.

- Bewley, Aicha Abdar-Rahman. The Diwans of the Darqawa, London: Diwan Press, 1980.
- Bouasria, Abdelilah. "The Moroccan Boutchichi Order or the Politics of Presence," Paper presented at symposium: Sufi Movements from North Africa and Their Influence in a Global Context, Los Angeles: Center for Near Eastern Studies, February 12, 2009.
- Boyd, Pattie and Penny Junor. Wonderful Tonight: George Harrison, Eric Clapton, and Me, New York: Three Rivers Press, 2008.
- Brook, Peter. « About Tierno Bokar », November 19, 2004 on: http://tiernobokar.columbia.edu
- Brown, Daniel. A New Introduction to Islam, Hoboken: Blackwell Publishing, 2004.
- Bruinessen, Van and Julia Day Howell, ed. Sufism and the 'Modern' in Islam, New York; London: I.B.Tauris & Co Ltd, 2007.
- Carl, Ernest. The Shambhala Guide to Sufism, Boston: Shambhala Publications, 1997.
- Clapton, Erik. The Autobiography 1st ed., New York: Broadway Books, 2007.
- Cornell, Vincent. The Way of Abu Madyan: The Works of Abu Madyan Shuayb, Cambridge: Islamic Texts Society, 1996.
- --------. "Sufi Tradition in Morocco, Imam al-Jazuli & Dalail al-Khairat," lecture at International Mawlid-un-Nabi Conference 1996: University of Illinois at Chicago, Sponsored by Naqshbandiya Foundation for Islamic Education.
- --------. Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism, Austin: University of Texas Press, 1998.
- -------,ed. Voices of Islam (Vol.1: Voices of Tradition), Westport: Praeger Publishers, 2007.
- -------. "North African Sufism and Global Islam: The Case of the Jazuliyya Sufi Order and Dala'il al-Khayrat", Paper presented at symposium, North African Sufism in World Context: University of California at Center for Near Eastern Studies, University of California, Los Angeles, February 12, 2009.
- Crapanzano, Vincent. "The Hamadsha" in Scholars, Saints, and Sufis, ed. Nikki R. Keddie, Berkeley: University of California Press, 1972.
- Curiel, Jonathan. "Muslim Roots, U.S. Blues", in: Saudi Armaco World. July/ August (2006). Accessed on: July 30, 2011: http://muslimheritage.com/topics/default.cfm?ArticleID=614
- Curtis, R.Mukhtar. "Urban Muslims: The Formation of the Dar ul-Islam Movement" in: Muslim Communities in North America, eds. Yvonne Haddad and Jane Smith, Albany:State University of New

York Press, 1994.
- Dallas, Ian. The Book of Strangers. In: The Collected Works of Ian Dallas. Cape Town: Budgate Press (2005).
- Dannin, Robert. "Island in a Sea of Ignorance: Dimensions of the Prison Mosque" in Barbara Metcalf's Making Muslim Space, University of California Press (December 18, 1996).
- Dave, Smith. The Great Valerio: A Study of the Songs of Richard Thompson. Copyright Dave Smith, 2004.
- David P. V. Gutelius. Between God and Men: the Nasiriyya and Economic Life in Morocco, 1640-1830, Diss., Johns Hopkins University: 2001.
- -------. "The Path Is Easy and the Benefits Large: The Nāṣiriyya, Social Networks and Economic Change in Morocco, 1640-1830," The Journal of African History 2002 43: 1, 27-49.
- De Jong, F. "Materials Relative to the History of the Darqawiyya Order and its Branches," Arabica June 1979 26: 2.
- Dennerlein, Bettina. "Asserting Religious Authority in Late 19th/Early 20th Century Morocco: Muhammad B.Ja'far Al-Kattani and his Kitab Salwat al-Anfas" in Speaking For Islam: Religious Authority in Muslim Societies, eds., Gudrun Kramer and Sabine Schmidtke, Boston: Brill Leiden, 2006.
- Diouf, Sylviane. Servants of Allah: African Muslims Enslaved in the Americas. New York: New York University Press,(1998).
- Dominguez Diaz, Marta. "Maping a European Branch of the Qadiriyya: Local Embodiments of a Global Sufi Order," Paper presented at the 2008 International Conference Twenty Years and More: Research into Minority Religions, New Religious Movements, and The New Spirituality, Organized by INFORM and CESNUR in association with ISORECEA at the London School of Economics, April 16-20, 2008.
- --------. Revisiting Moroccan Sufism and Re-Islamicising Secular Audiences: Female Religious Narratives in the Tariqa Qadiriyya Budshishiyya in Morocco and Western Europe Today, Diss., School of Oriental and African Studies: 2010, Print.
- Draper, Mustafa. Towards A Postmodern Sufism: Eclecticism, Appropriation and Adaptation In A Naqshbandiyya and a Qadiriyya Tariqa in The UK, Diss., The University of Birmingham: 2002, Print.
- El-Affendi, Abdul Wahab. "A False Dawn," Inquiry Magazine: January 1998
- Faisal, Daoud Ahmed. Al-Islam, the True Faith, the Religion of Humanity, Chicago: Magribine Press, 2006.
- Fowler, Robert Booth, Allen D. Hertzeke, Laura R.Olson, and Kevin

R. Den Dulk, Religion and Politics in America: Faith, Culture, and Strategic Choices, 4th ed., New York: Westview Press, 2010.
- Gabbay, T. "A Discussion and a Description of a Sample of American Sufi Practitioners,"Dissertation Abstracts International 1988, 49: 09, 3987. (UMI No. 8817270).
- Gayle A. Williams, Bibliography of Latin American & Caribbean Bibliographies: Annual Report, 1993-1994 , Published by: Seminar on the Acquisition of Latin American (November 1994).
- Geaves, Ron. "The Haqqani Naqshabandis" in New Religions: A Guide, New Religious Movements, Sects and Alternative Spiritualities, ed. Christopher Partridge, Oxford: Oxford University Press, 2004.
- ------, "The Halveti-Jerrahi Order of Dervishes" in New Religions: A Guide, New Religious Movements, Sects and Alternative Spiritualities, ed. Christopher Partridge,Oxford: Oxford University Press, 2004.
- Geertz, Clifford. Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, New Haven: Yale University Press, 1968.
- Gellner, Ernest. Saints of the Atlas, London: The Trinity Press, 1969.
- Geoffroy, Eric. "A Clash of Civilizations? The influence of Sufism in Europe," Conference at Columbia University, webpage <http://www.eric-geoffroy.net/A-Clash-of Civilizations-The> Accessed July 20, 2011.
- Gerges, Fawaz A. America and Political Islam: Clash of Cultures or Clash of Interests?, Cambridge: Cambridge University Press, 1999.
- Gerholm, Tomas and Yngve Georg Lithman, eds. The New Islamic presence in Western Europe, London; New York: Mansell Publishing, 1988.
- Ghambou, Mokhtar. "Sufism as Youth Culture in Morocco," The Washington Post: March 3, 2009.
- Godlas, Alan. "Sufism, the west and modernity," webpage <http://www.uga.edu/islam/sufismwest.html(2003)> Accessed July 29, 2011.
- ------. "Shaykh Abdalqadir as-Sufi, Eric Clapton, and the History of Rock & Roll," webpage <http://sufinews.blogspot.com/2010/02/shaykh-abd-al-qadir-as-sufi-and-history.html>.
- Gudel, P. Joseph and Larry Duckworth. "Hate Begotten of Hate: Louis Farrakhan and The Nation of Islam," webpage <http://www.equip.org/articles/hate-begotten-of-hate louis-farrakhan-and-the-nation-of-islam>.
- Guenon, R. The Crisis of the Modern World., Trans. A. Osborne, M.

Pallis, and R. Nicholson, London: Luzac, 1962.
- --------. Insights into Islamic Esoterism and Taoism, trans. H.D. Fohr, New York: Sophia Perennis, 2001.
- Haddad, Yvonne Yazbeck and Adair T. Lummis, Islamic Values in the United States, New York: Oxford Press, 1987.
- Haddad, Yvonne Yazbeck and Smith Jane Idleman. Mission to America: Five Islamic Sectarian Communities in North America, Florida: University Press of Florida, 1993.
- Haenni, Patrick and Raphael Voix. "God by All Means...Eclectic Faith and Sufi Resurgence Among the Moroccan Bourgoisie" in Sufism and the Modern in Islam, eds. Martin Van Bruinessen and Julia Day Howell, London; New York: I.B.Tauris & Co Ltd, 2007.
- Halman, Talat. "Sufism in The West: Islam in an Interspiritual Age" in Voices of Islam: 5, eds. Vincent Cornell and Omid Safi, Hoboken: Praeger Publishers, 2007.
- Hamza, Yusuf, and Zaid Shakir. Agenda To Change Our Condition, Berkeley: Zaytuna Institute, 2008.
- Hardin, Nancy Shields. "The Sufi Teaching Story and Doris Lessing" in: Harold Bloom (ed) Modern Critical Views Doris Lessing. New York: Chelsea House Publishers (1986).
- Hasan Gull, Asma. American Muslims: The New generation. New York: Oxford University Press, 2000.
- Hermansen, Marcia. "Hybrid Identity Formations in Muslim America: The case of American Sufi Movements," The Muslim World: 90, 2000.
- ---------. "What's American about American Sufi Movements" in Sufism in Europe and North America 1st ed., London; New York: Routledge Curson, 2004.
- ---------. "In the Garden of American Sufi Movements: Hybrids and Perennials," in: New Trends and Developments in the World_of Islam, ed. Peter Clarke, London: Luzac Oriental Press, 1997
- --------. "The 'other' Shadhilis of the West" in The Shadhiliyya, ed. Eric Geoffroy, Paris: Maisonneuve et Larose ,2005.
- --------. "Neither of the East Nor of the West, American Sufi Women: Spirituality, Leadership and Gender Justice without Borders," in Portraits of Women in Islam: Comparative Perspectives and Challenges Conference Proceedings, Chicago: Saint Xavier University, 2009.
- Helminski, Camille Adams. Women of Sufism: A Hidden Treasure, Boston: Shambhala Publicaations, 2003.
- Homerin, Emil. From Arab Poet to Muslim Saint: Ibn al-Farid, His Verse, and His Shrine, Columbia: University Of South Carolina

Press, 1994.

- Ibn Ajibah, Ahmad ibn Muhammad. The Basic Research, trans. Abdalkhabir al Munawwarah and Haj Abdassabur al-Ustadh, ed. Shaykh Abdalqadir as-Sufi, Cape Town: Madina Press, 1998.
- ------. The autobiography of the Moroccan Sufi Ibn Ajiba, trans. Michon, Jean-Louis and David Streight, Louisville: Fons Vitae,1999.
- -------. The Awakening of the Aspirations: A Commentary of "The Maxims of Ibn 'Ataullah," A Revised and Interpretive Translation by As-Shaikh Ahmad Fazel Ebrahim, 2003.
- -------. The Immense Ocean: Al-Bahr al-Madid: A Thirteenth Century Quranic Commentary on the Chapters of the All-Merciful, the Event, and Iron, trans. Mohamed Fouad Aresmouk, and Michael Abdurrahman Fitzgerald, Louisville: Fons Vitae, 2009.
- Ibn al-Arabi, Muhyiddin. The Tarjuman al-Ashwaq, A Collection of Mystical Odes, ed.; trans. Reynold A.Nicholson (London, 1911); Reprint ed., London: Theosophical Publishing House Ltd, 1978.
- Ibn al-Habib, Muhammad. The Diwan of Shaykh Ibn al-Habib, trans. Aicha Bewely, Cape Town: Madinah Press, 2001.
- Ibn al-Mubārak Sijilmāsī, Aḥmad. Pure Gold from the Words of Sayyidi Abd Al-Aziz Al-Dabbagh, trans. John O'Kane and Bernd Radtke, Leiden: Koninklijke Brill, 2007.
- Ibn Idris, Ahmad. The Letters of Ahmad Ibn Idris (رسائل أحمد بن إدريس) ed., trans., and Annoted byAlbrecht Hofheinz, Ali Salih Karrar, R.S.O'Fahey, Bernd Radtke and Einar Thomassen, Evanston: Northwestern University Press, 1993.
- Jhon Storm, Robert. Black Music of Two Worlds: African, Caribbean, Latin, and African-American Traditions, New York: Schirmer Books, 2 edition (1998).
- Kabeer Faye, Maryam. Journey Through Ten Thousand Veils: The Alchemy of Transformation on the Sufi Path, Somerset, New Jersey: Tughra Books, 2009.
- --------------. "My path from Judaism to Sufism." The Washington Post: May 9, 2010.
- Karrar, Ali Salih. The Sufi Brotherhoods in the Sudan in "Islam and Society in Africa" series, Evanston: Northwestern University Press, 1992.
- Keller, Nuh Ha Mim. "Becoming Muslim", webpage <http://www.masud.co.uk/ISLAM/nuh/bmuslim.htm>.
- Keen, Emily. My Life Story, 3rd ed., ed. S.L.Bensusan, London: Edward Arnold, 1912.
- Khan, Arshad. Islam, Muslims, and America, New York: Algora

Publishing, 2003.
- Khan, H. Inayat. The Awakening of the Human Spirit, New York: Omega, 1982.
- --------. Mastery Through Accomplishment, New York: Omega, 1993.
- -------. Biography of Pir-o-Murshid, London East-West Publications, 1979
- Khashim, `Ali Fahmi. Zarruq, the Sufi: A Guide in the Way and a Leader to the Truth: A Biographical and Critical Study of a Mystic from North Africa, Tripoli; London: General Company for Publication, 1976.
- Knysh, Alexander. Islamic Mysticism: A Short History, Leiden: Koninklijke Brill, 2000.
- Kose, Ali. Conversion To Islam: A Study of Native British Converts, London;New York: Kegan Paul International, 1996.
- Koszegi Michael, J Gordon Melton. Islam in North America: A Source Book. New York: Garland, 1992.
- Kubik, Gerhard. Africa and the Blues, Jackson: University Press of Mississippi (1999).
- Küçük, Hülya. "A Brief History of Western Sufism", in: Asian Journal of Social Science 36 (2008).
- Kugle, Scott. Rebel Between Spirit and Law: Ahmad Zarruq, Sainthood,and Authority in Islam, Bloomington: Indiana University Press, 2006.
- Larry, Poston. Islamic Da'wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam, New York: Oxford University Press, 1992.
- Larson, Adam. "Dala'il Khayrat: The Story of a Text," Islamica: 14 (2009).
- Levtzion, Nehemia. Conversion to Islam, New York and London: Holmes & Meier Publishers Inc, 1979.
- Lewis, Samuel. Sufi Vision and Initiation: Meetings with Remarkable Beings, San Francisco: Sufi Islamia; Prophecy Publications, 1986.
- Lincoln, Eric C. The Black Muslims in America 3rd ed., Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1994.
- Louis, Brenner .West African Sufi: The Religious Heritage and Spiritual Search of Cerno Bokar Saalif Taal, (London: C. Hurst, 1984).
- Lovell, Emily Kalled. "Islam in the United States: Past and Present" in The Muslim Community in North America, eds. Earle H.Waugh, Baha Abu-Laban and Regula B. Qureshi, Edmonton: The University of Alberta Press, 1983.

- Nezami, K.A. "The Naqshabandiyyah Order: The Silsilah and Its Features," in Islamic Spirituality Manifestations, ed. Seyyed Hossein Nasr, New York: The Crossroad Publishing Co., 1991.
- Nunez Cabeza de Vaca, Relation of Nunez Cabeza de Vaca, trans. Buckingham Smith, Ann Arbor: University of Michigan Microfilm,1966.
- Nurbakhsh, Javad. "The Nimatullahi," in Islamic Spirituality Manifestations ed. Seyyed Hossein Nasr, New York: The Crossroad Publishing Company, 1991.
- Marie-Hélène, Estienne. "About Tierno Bokar," Le Monde des Religions, Hors série no. 4 (2005).
- Mckinley, Jesse. "Arts, Briefly; Peter Brook to Columbia". In: The New York Times, (January 27, 2005).
- McLaughlin, Glen W. "BOOK REVIEWS" in The International Journal of African Historical Studies 1995 28: 3, Boston: Boston University African Studies Center.
- Moore, Daniel Abdal Hayy. "Moulud in English," Poem recited at the International Mawlid in Nabi Conference 1998: University of Illinois at Chicago, Sponsored by Naqshbandiya Foundation for Islamic Education.
- Morris, Brian. Religion and Anthropology: A Critical Introduction, New York: Cambridge University Press, 2006.
- Muhammad Armiya, Nu'Man. What Every American Should Know About Islam & The Muslims (rev. ed). Jersey City, N.J.: New Mind Productions, (1989).
- Munson, Henry. Religion and Power in Morocco, New Haven: Yale University Press, 1993.
- O'Fahey, R.S. Enigmatic Saint Ahmed ibn Idris and the Idrisi Tradition, Evanston: Northwestern University Press, 1990.
- Panger, Daniel. Black Ulysses, Athens: Ohio University Press,1982.
- Pennell, G.R. Morocco Since 1830: A History, Washington Square: New York University Press, 2000.
- Pinto, Maria Do Céo. Political Islam and the United States: A Study of U.S. Policy towards Islamist Movements in the Middle East, "Durham Middle East Monographs" series, UK: Ithaca Press, 1999.
- Rabah, Saoud. The Arab Contribution to Music of the Western World. Published by: Foundation for Science, Technology and Civilisation (FSTC Limited/March 2004).
- Raikes, Leon Allen. Sufism, Taoism, and Ralph Waldo Emerson: A Cross-Cultural Perspective on the Rhetoric of the Place Between. Michigan State University.(Diss. 1995). UMI Number: 9619893
- Rawlinson, Andrew. "History of Western Sufism," DISKUS 1:1, 1993.

- Rizvi, Sayyid Athar Abbas. "The Chishtiyya," in Islamic Spirituality Manifestations ed. Seyyed Hossein Nasr, New York: The Crossroad Publishing Company, 1991.
- Schimmel, A. Mystical Dimensions of Islam, Chapel Hill: Univ. of North Carolina. (1975).
- Schuon, F. Sufism Veil and Quintessence trans. W. Stoddart, Bloomington: World Wisdom Books 1981.
- Sedgwick, Mark. "Traditionalist Sufism," ARIES: 22, 1999.
- ----------. "In Search of the Counter-Reformation: Anti-Sufi Stereotypes and the Budshishiyya's Response" in An Islamic Reformation? eds. Charles Kurzman and Michael Browers, Lanham: Lexington Books, 2004.
- ----------. "European Neo-Sufi Movements in the Interwar Period," in Islam in Europe in the Interwar Period: Networks, Status, Challenges, eds. Nathalie Clayer and Eric Germain, New York, Columbia University Press, 2008.
- Sharma, Paul. "Peter Brook Directs Play on the Tijani Sufi Tierno Bokar" on: http://sufinews.blogspot.com/2010/02/peter-brook-directs-play-on-tijani-sufi.html, accessed: August 11, 2011
- Sirriyeh, Elzabeth. Sufis and Anti-Sufis : The Defence, Rethinking and Rejection of Sufism in the Modern World. G.Britain: Curzon Press (1999).
- Smith I, Jane. Islam in America. New York: Columbia University Press, 2000.
- -------------. Islam in America 2nd ed., New York: Columbia University Press, 2010.
- Spiegelman, J.M., Khan, V.I., and Fernandez, T. Sufism, Islam and Jungian Psychology, Temple: New Falcon Publications, 1991.
- Stephanie, Zacharek. "Layla," in "The New York Times Book Review", The New York Times, October 8, 2007.
- Thierry Zarcone. "Rereadings and Transformations of Sufism in the West", trans. Juliet Vale, Drogenes 1999 No.187, 47: 3, Hoboken: Blackwell Publishers Ltd.
- Thomson, Ahmad. The Way Back 1st ed., London: Ta-Ha Publishers Ltd., 1994.
- ------------. Difficult Journey 1st ed., London: Ta-Ha Publishers Ltd., 2008.
- Trimingham, J.Spencer. The Sufi Orders in Islam, Oxford: Oxford University Press, 1971.
- Tucson, Ariz. Aissaoua Sufi Ceremony, Marrakech: Celestial Harmonies, 1997.
- Turner Brent, Richard, Islam in the African-American Experience.

Bloomington: Indiana University Press, 2003.
- Voll, John. A History of the Khatmiyyah Tariqa in the Sudan. CITY: PUBLISHER, 1969.
- Webb, Gesila. "Sufism in America" in America's Alternative Religions ed. T. Miller, Albany: State University of New York Press, 1995.
- Westerlund, Divid. "The Contextualisation of Sufism in Europe" in Sufism in Europe and North America 1st ed., London; New York: Routledge Curson, 2004.
- Winters, Clyde-Ahmad. "Afro-Americans Muslims from Salvery to Freedom," Islamic Studies 1978 17: 4.
- Wright, R.R. "Negro Companions of the Spanish Explorers," American Anthropologist 1902 (4).
- Wright, Valentine Zachary. On the Path of the Prophet: Shaykh Ahmad Tijani (1737-1815) and the Tariqa Muhammadiyya. Atlanta: African-American Islamic Institute, 2005.
- Yarmolinsky, Benjamin. The Music of the Jillala: A Repertoire of Spirits, Diss., City University of New York: 1991.
- Zakariya, Muhamed. "Becoming a Calligrapher: Memoirs of an American Student of Calligraphy" in his website: http://www.zakariya.net/about/becoming_a_calligrapher.html, accessed : August 1st, 2011

3- ثبت المصادر والمراجع بلغات أخرى:

- Berque, Augustin. Un mystique Moderniste : Le Cheikh Benalioua, Le congrès des Sociétés savantes l'Afrique du Nord (1936).
- Geoffroy, Erik. «Le Soufisme d'Occident dans le Miroir du Soufisme d'Orient » dans : ANNALES DU PATRIMOINE, n.04, Septembre 2005
- Harrak, Fatima. « Le Soufisme Face A La Mondialisation : Cas Des Confréries D'Origine Africaine Aux USA » dans : Confréries Soufis d'Afrique : Nouveaux Rôles , : Nouveaux Enjeux, 2004, Actes du Colloque International , Organise par l'Institut des Etudes Africaines (Rabat,2-4 Octobre 2001).
- Koningsveld, P.S. van, Islamitische Slaven en Gevangenen in West-Europa tijdens de latë Middeleeuwen, Leiden: Rijks Universiteit (1994).
- Massignon, Louis. Le Diwan d'al-Hallaj, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris(1955).

4- ثبت الجرائد والمجلات:

- جريدة الصباح، عدد: 2786 بتاريخ 26 مارس2009م
- جريدة الشرق الأوسط: 24 أكتوبر 2006م. (العدد:10192).
- Jack O'Sullivan , The Guardian, Monday 8 October 2001.
- Q-News, Issue 367, July 2006

5- ثبت الحوارات مع ذكر الزمان والمكان:

- حوار مع الشيخ نور الدين دوركي، شيخ الطريقة الشاذلية البطاوية، يوم الجمعة فاتح غشت 2008م/29رجب1429م، في فندق حياة ريجنسي بمدينة شيكاغو الأمريكية، حضر الحوار مجموعة من الأساتذة منهم مارسيا هيرمانسن، بالإضافة إلى جمع غفير من الحضور.
- حوار مع الأستاذ الأمريكي المسلم: داود والي ناصر، شاهد عيان على مرحلة تأسيس الحبيبية الدرقاوية في أمريكا، أجري الحوار في فاس بتاريخ: 20/08/2009
- حوار مع الطبيب النفسي الأمريكي الذي يمارس الطب النبوي والعلاج من الجن في أمريكا، حكيم أرشوليتا(Conrad Archuletta)، يوم: الثلاثاء 15 دجنبر2009م ، لمدة ساعة و نصف، عبر السكايب.
- حوار مع الشيخة باجي طيابة خانوم، شيخة مجوعة من الطرق الصوفية كالتشستية والقادرية والإدريسية الرشيدية، يوم الجمعة: 20غشت 2010م في منزلها بمدينة فيلاديلفيا في الولايات المتحدة، حضره الشاعر الأمريكي: دانيال عبد الحي مور.
- حوار مع الفنان والشاعر الأمريكي دانيال مور في منزله بمدينة فيلاديلفيا بالولايات المتحدة، يوم: 22غشت 2010م.
- حوار مع الدكتور عمر فاروق عبدالله، شيكاغو، في مقر مؤسسة "النووي"، يوم الاثنين : 24غشت 2010م، حضر اللقاء الأستاذة

مارسيا هيرامانسن.

- حوار أجريته مع الإسباني "عبدالحسيب كاستيينيرا" بتاريخ: 31 دجنبر2010م في مدينة فاس.
- حوار مع علي العراقي، إمام وقاضي جماعة الشيخ عبدالقادر في مدينة نوريتش بأنجلترا، التحق بالجماعة في منتصف الثمانينات في إسبانيا، التقيته على هامش الملتقى العالمي الثاني عشر للفقه المالكي، في كيب تاون بجنوب إفريقيا، بتاريخ: 17 أكتوبر:2009م.
- حوار غير منشور مع عازف الغيتار البريطاني الشهير ريتشارد طومبسون، أجراه في لندن إسماعيل وولف بتاريخ: 10 يوليوز2010م، توصلت بنسخة مرقونة بالإنجليزية من طرف المحاور نفسه.

6- ثبت المواقع الالكترونية المستعان بها في البحث:

- http://www.aktab.ma
- http://www.sandalaproductions.com/Products/123-the-poor-mans-book-of-assistance.aspx
- http://www.scribd.com/doc/22652672/The-500-most-influential-Muslims-in-the-world
- http://ecstaticxchange.wordpress.com/2010/09/29/the-ecstatic-exchange-words-on-my-life-and-poetry/
- http://sunnah.org/events/hamza/hamza.htm
- http://www.naksibendi.org/delail.pdf
- http://www.naksibendi.org/hayrat.html
- http://www.iqra.net/Salawaat/dalaail/dalaail1.htm
- http://bewley.virtualave.net/dalail1.html
- http://www.deenislam.co.uk/dalail.htm
- www.nurmuhammad.com
- http://sandala.org/store/cds/page/2/
- http://www.sidihamza.us/
- http://www.dalail.co.uk/this.htm
- http://en.wikipedia.org/wiki/Islam_in_the_United_States
- http://www.sufiwomen.org
- http://www.om-guru.com/html/saints/khan.html
- http://www.masud.co.uk/ISLAM/nuh/default.htm
- http://www.dalail.co.uk/home.htm

- www.tariqa.org
- http://www.sufiradio.com/archive04.html
- http://www.richardthompson-music.com
- http://www.danielmoorepoetry.com/about.html
- http://www.odabasham.net/show.php?sid=153
- http://music.barnesandnoble.com/Artist/The-Habibiyya/c/84950
- http://www.dailymotion.com/video/x2f9fm_tariqa-tijaniya_politics
- http://www.greenmountainschool.org/
- http://itajweed.org/testing/main.html
- http://www.kazi.org/

فهرس المحتويات

التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية

الجزء الثاني

AT-TAṢAWWŪF AL-ISLĀMĪ FĪ AL-WILĀYĀT AL-MUTTAḤIDA AL-AMRĪKĪYYA

ISLAMIC SUFISM IN THE UNITED STATES OF AMERICA

by

Dr. Aziz Al-Kobaiti Idrissi

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban